

مَشْنُوِي
جَلَالُ الدِّينِ السُّرُوِّي

الْكَتَابُ السَّانِي

ترجمة وشرح ودراسته

للدكتور محمد عبد السلام كفايني

المكتبة المصيرية
صيدا - بيروت

UPPSALA UNIVERSITETSBIBLIOTEK



16000

002171367

مثنوي
جلال الدين الرومي
الكتاب الثاني

مسوي جَلَالُ الدِّينِ الرَّوْمِي

شاعرُ الصُّوفِيَّةِ الأَكْبَرِ

الكتابُ السَّانِي

ترجمة وشرح ودراسته

للدكتور محمد عبد السلام كفايني

أستاذ آداب الأمم الإسلامية بجامعة القاهرة
عميد كلية الآداب بجامعة بيروت العربية

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

الناشر

المكتبة العصرية

صيدا - بيروت

١٩٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأهـلـاء

الى ذكرى والدي عبد السلام كفافي

١٨٩٠ - ١٩٣٧

وشقيقي المهندس الشاب عصام كفافي

١٩٣٥ - ١٩٦٠

تصدير

يسعدنى أن أقدم الى الباحثين والدارسين ، والى قراء العريسة عامة الكتاب الثانى من المثنوى . وقد سلكت فى اعداده ذات النهج الذى سلكته فى الكتاب الأول ، فكتبت له مقدمة ، وأعددت له شروحا ودراسات ، وزودته بما يعين على ايضاح معالنه من الفهارس والكشافات. وهذا نهج ساخذ نفسى به فى بقية أقسام المثنوى ، ان شاء الله .

وكان هذا الكتاب قد قطع شوطا بعيدا فى طباعته ، حين وقعت حوادث يونيو (حزيران) الأليمة ، وما تبعها من نكسة أصابت أمتنا العربية .

وأخذت كغيرى من المواطنين أتأمل أسباب ما أصابنا . والشدائد - حين تقع - توقظ الروح ، وتجعل الانسان أكثر احساسا بها ، وادراكا لجوهرها ، يحاول أن يسمع منها جوابا لما خفى عليه علمه .

وكنت أجد عند شاعرنا الحكيم - حين قيامى بمراجعة الكتاب فى تلك الظروف - كثيرا مما يجيب على تساؤلى . وآمنت ايمانا لا يشوبه أى شك بأننا فى أمس الحاجة الى بناء روحى جديد ، يكون أساسا لكل بناء حضارى أو مادى نسعى الى اقامته .

نحن في حاجة الى شىء من التصوف البناء ، الذى يعيد الحياة الى الروح العربى الأصيل ، ويكشف عن جوهره ما غشيه من غبار السنين . حينذاك نبلغ القوة المنشودة ، ولا تعصف بنا مخاوف الحرمان من ترهات الترف الزائف . فمن التصوف أن يتغلب المرء على شهواته . ومن التصوف أن يستهين المرء بالحياة في سبيل أسمى الأهداف . ومن التصوف أن يكون المرء مثاليا في ما يعتقد وما يقول وما يعمل . وكل أولئك ضرورى لنا في موقفنا الحالى .

ان عودة الروح هى العودة الحقيقية التى تتبعها بالضرورة عودة الكرامة ، وعودة الأرض .

ولو نجح هذا الكتاب في أن يسرى عن محزون ، أو يعين متفكرا ، أو يوقظ ضميرا ، أو يبعث همة ، فقد نجح في أداء مهمة لا تقل مكانة عن مهمته العلمية ، والله هو الهادى والموفق .

محمد كفاى

بيروت في ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧

فهرس المحتويات

صفحة

الاهداء

تصدير

المقدمة : القصة والحوار في المثنوى

المثنوي (نص الترجمة)

١٨	مقدمة الكتاب
٢٠	المقدمة المنظومة
٢٩	الرجل الذى توهم رؤية الهلال في عهد عمر
٣١	المشعوذ الذى سرق حية من مشعوذ آخر
٣٢	الأبله الذى التمس من عيسى احياء العظام
٣٣	الصوفى والخادم والحمار
٣٦	ظاهر الحكاية وحقيقتها
٣٧	كيف ظن أهل القافلة أن حمار الصوفى مريض
٤٨	الملك والباز
٥٣	الشيخ أحمد بن خضرويه وغرماؤه
٦٠	الزاهد الباكي
٦١	تمام قصة بعث العظام بدعاء عيسى
٦٥	الفلاح الذى ذلك أسدا في الظلام
٦٧	الصوفية الذين باعوا بهيمة المسافر

٧٣	كيف بعث القاضي بالمنادين للطواف بفلس حول المدينة
٧٦	أهل السجن يشكون المفلس الى وكيل القاضي
٩١	الرجل الذى قتل أمه
٩٧	الملك وغلماها
٩٩	الملك يسائل أحد الغلامين
١٠٣	الغلام الطاهر الظن يقسم على صدق رفيقه
١١٢	الملك والغلام الآخر
١١٦	كيف حسد خدم الملك غلامه الخاص
١٢٨	الظالمىء فوق الجدار
١٣٢	الوالى والرجل الذى زرع الشوك فوق الطريق
١٤٦	ذو النون فى البيمارستان
١٥١	كيف أدرك المريدون أن ذا النون تظاهر بالجنون
١٥٢	عود الى حكاية ذى النون
١٥٤	لقمان وسيده
١٥٨	كيف ظهر فضل لقمان وحكمته
١٦٣	تمة قصة الحسد الذى أضمره الخدم لغلام السلطان
١٦٧	بلقيس والهدهد ، رسول سليمان
١٧٠	المتفلسف وشكوكه
١٧٨	موسى والراعى
١٨١	كيف عاتب الحق موسى من أجل الراعى
١٨٣	الوحى يوضح عذر الراعى
١٨٧	موسى يسأل الله عن سر غلبة الظالمين
١٩٣	الأمير والرجل الذى ابتلع الحية
١٩٨	الاعتماد على تودد الدب
٢٠٤	السائل الأعمى

٢٠٦	تمة حكاية الدب وصاحبه
٢٠٨	موسى وعابد العجل
٢١١	الناصح ينصرف عن المغتر بالدب
٢١٤	جالينوس والمجنون
٢١٥	الطائر الذى طار مع رفيق من غير جنسه
٢١٧	تمة قصة الدب وصاحبه
٢١٩	المصطفى والصحابى المريض
٢٢٠	الحق يوحى الى موسى سائلا : « لماذا لم تحضر لعيادتي ؟ »
٢٢١	البستاني وقصته مع الصوفى والفقيه والعلوى
٢٢٦	عود الى قصة الصحابى المريض
٢٢٦	قصة أبى يزيد مع أحد الشيوخ
٢٢٩	الرسول يخبر الصحابى بسر مرضه
٢٣٦	الفتى المستهتر والرجل الفاضل
٢٣٧	العاقل المتظاهر بالجنون
٢٣٩	الكلب والسائل الأعمى
٢٤٢	السكران والمحتسب
٢٤٣	عود الى قصة العاقل المتظاهر بالجنون
٢٤٨	نصيحة الرسول للصحابى المريض
٢٥٧	الرسول يعلم المريض الدعاء
٢٦٢	ابليس ومعاوية
٢٧٥	القاضى يشكو من آفة القضاء
٢٧٧	عود الى قصة ابليس ومعاوية
٢٧٨	فضيلة تحسر الأتقياء على فوت الصلاة
٢٧٩	تمة اقرار ابليس بمكره
٢٨٠	اللس وصاحب المنزل

- ٢٨٣ قصة المنافقين وبنائهم مسجد الضرار
- ٢٨٦ المنافقون يدعون الرسول الى مسجدهم
- كيف تفكر أحد الصحابة ، منكرا على الرسول موقفه من المنافقين
- ٢٨٩
- ٢٩٢ قصة الباحث عن جملة الضال
- ٢٩٣ التردد بين المذاهب المختلفة ، وطريقة الخلاص من ذلك
- ٢٩٥ حول امتحان كل شيء حتى يظهر ما فيه من خير وشر
- ٢٩٨ شرح الفائدة من حكاية الباحث عن جملة الضال
- ٣٠٢ كل نفس منطوية على فتنة مسجد الضرار
- ٣٠٣ حكاية الهندي ورفيقه
- ٣٠٥ كيف قصد الغز أن يقتلوا رجلا ليخيفوا سواه
- ٣٠٦ المغرورون الذين لا يستشعرون نعمة وجود الأنبياء والأولياء
- ٣٠٩ الطبيب والشيخ المريض
- ٣١١ جحى والطفل الذى كان ينوح أمام نعش أبيه
- ٣١٥ الصبى والمخنث الغليظ الجسد
- ٣١٦ النبأ والفارس
- ٣١٧ الأعرابي والفيلسوف
- ٣٢٠ كرامات ابراهيم بن أدهم
- ٣٢٣ بداية استنارة العارف
- ٣٢٩ كيف طعن غريب في أحد الشيوخ
- ٣٣٢ بقية قصة ابراهيم بن أدهم
- كيف ادعى رجل أن الله لن يأخذه بالاثم ، وكيف أجابه شعيب
- ٣٣٥
- ٣٣٨ بقية قصة الغريب ، وطعنه في الشيخ
- عائشة تسأل الرسول عن سر أدائه الصلاة في كل مكان

٣٤١	بدون مصلی
٣٤٢	الفأر الذى سحب مقود الجمل
٣٤٦	كرامات صوفى اتهم بالسرقة
٣٤٩	الصوفية ورفيقهم الثرثار
٣٥٥	بيان تلك الدعوى التى تكون ذاتها دليل صدقها
٣٥٨	كيف سجد يحيى في بطن أمه للمسيح
٣٦٠	قول الكلام بلسان الحال
٣٦١	كيف يلقي كلام الباطل قبولاً في قلوب أهل الباطل
٣٦٢	البحث عن شجرة الخلد
٣٦٤	كيف شرح الشيخ سر هذه الشجرة للطالب المقلد
٣٦٦	التنازع حول الأسماء
٣٦٩	ارتفاع الخلاف والعداوة من بين الأنصار ببركات الرسول
٣٧٤	قصة أفرأخ البط التى ربتها الطيور الأليفة
٣٧٦	كرامات زاهد منفرد في البادية
	شروح ودراسات

٤٢٤ — ٣٨١	الأبيات ١ — ٥٠٠
٤٤٩ — ٤٢٥	الأبيات ٥٠١ — ١٠٠٠
٤٧٨ — ٤٤٩	الأبيات ١٠٠١ — ١٥٠٠
٥٠٤ — ٤٧٨	الأبيات ١٥٠١ — ٢٠٠٠
٥٢٨ — ٥٠٥	الأبيات ٢٠٠١ — ٢٥٠٠
٥٥١ — ٥٢٩	الأبيات ٢٥٠١ — ٣٠٠٠
٥٧٣ — ٥٥١	الأبيات ٣٠٠١ — ٣٥٠٠
٥٨٥ — ٥٧٣	الأبيات ٣٥٠١ — ٣٨١٠

فهارس الكتاب

٥٩٨ — ٥٨٩	كشاف الاعلام والجماعات والأماكن
٦١٨ — ٥٩٩	كشاف الموضوعات

المقدمة

القصة والحوار في المثنوي

يهدف هذا البحث الى تقديم دراسة موجزة لفن القصة والحوار في المثنوي . ومما يجعلنا نبادر بتقديم هذه الدراسة على سواها أن المثنوي - في ظاهره - يدور حول مجموعة من القصص التي يرويها الشاعر ، ويبث من خلالها نظراته الصوفية وفلسفته الأخلاقية . ومن المستطاع أن يستخلص من كل قصة مضمونها الفكري أو الأخلاقي ، واذ ذاك يتضح البناء الفكري للمثنوي ، ذلك البناء الذي أراد الشاعر أن يخفيه وراء هذه المجموعة من القصص ، وبهذا عبر عنه تعبيراً رمزياً ، وجعل عمله يدخل بجداراة واصالة ضمن نطاق الفن ، الى جانب ما أسهم به من مضمون فكري وأخلاقي نادر المثال .

ان جلال الدين قد أوتي مقدرة رائعة في الأداء القصصي ، وكذلك في صياغة الحوار . وقد استعان بهذه القصص في تصوير أفكاره وتقريبها الى مستمعيه . لكنه لم يترك في ذهن المستمع أو القارئ أى شك في أن هذه القصص انما سيقّت من أجل مضمونها الفكري أو الأخلاقي . ومن هنا لم يحرص الشاعر - برغم مقدرته في الأداء القصصي - على تماسك القصة ووحدتها ، بل كثيراً ما كان يوقف سرد القصة ليعلق على إحدى

وقائعها ، ثم يعود من جديد فيستأنف رواية القصة . وربما توقف على النحو ذاته للمرة الثانية أو الثالثة ، كلما شعر بالحاجة الى هذا التوقف ، للتعبير عن فكرة أو لتقرير معنى .

ومع ذلك فقد كان جمال الأداء دافعا الى اهتمام الدارسين بقصص المثنوى ، فحاول بعضهم فصلها عما أحاط بها من تفصيل وتحليل وحكمة بثها الشاعر في ثناياها . وممن فعل ذلك من الدارسين المحدثين المستشرقان نيكولسون وآربرى . فأما أولهما فقد نشر مختارات من هذه القصص في كتابه . Tales of Mystic Meaning (قصص ذات معنى

صوفى) . وقد نشر في عام ١٩٣١ .

أما آربرى فقد نشر قصص المثنوى في مجلدين ظهرا بين عامي ١٩٦١ ، ١٩٦٣^(١) ، وأدرجا ضمن مجموعة المؤلفات التى تنشرها هيئة اليونسكو للتعريف بآداب الأمم المختلفة .

(Unesco Collection of Representative Works).

وفي عام ١٩٥٣ نشرت قصص المثنوى في ايران بعنوان : (بانك ناى : داستانهاى مثنوى مولوى) . وقد قام بهذا العمل محمد على جمال زاده^(٢) .

لقد اشتمل المثنوى على نحو ٢٧٥ قصة ، نجح الدارسون فى رد كثير منها الى أصول سابقة . وتتضمن حواشى نيكولسون ، ودراسة فروزانفر^(٣) ، وحواشى هذا الكتاب جهودا في هذا السبيل .

وما دما قد أشرنا الى الأصل القديم لهذه القصص ، فلعلنا نتساءل ، من أى المصادر استمدتها الشاعر ؟

(1) Arberry : Tales from the Masnavi, London, 1961.

Arberry : More Tales from the Masnavi, London, 1963.

(٢) من منشورات : انجمن كتاب ، طهران ، ١٩٥٣ .

(٣) مأخذ قصص وتمثيلات مثنوى ، طهران ، ١٩٥٤ .

لقد كانت مصادر الشاعر متعددة الى أبعد الحدود . ويرجع تعدد هذه المصادر الى تعدد المناسبات التي كان الشاعر يلجأ فيها الى ايضاح أفكاره بالقصص والتمثيل . ويمكننا أن نشير على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، الى بعض هذه المصادر .

أول هذه المصادر بدون شك هو القرآن الكريم ، وقصص الأنبياء . وقد كان الشاعر لا يتخذ أحد الرسل موضوعا لاحدى قصصه ، وانما يقتبس هذا الموقف أو ذلك من حياته ، ثم يصوغه في صورة قصصية ، ويستخرج بعد ذلك من الموقف ما شاء من فلسفة خلقية . فاختيار الموقف يبنى - قبل كل شيء - على صلاحيته لايضاح جانب من تفكير الشاعر . وقد يرد ذكر أحد الأنبياء في مواضع متفرقة ، وفي كل مرة يقص الشاعر حكاية مختلفة عنه . فاستخدام الشاعر لقصص الأنبياء يسير على نهج ما جاء في القرآن الكريم ، من ورود قصص الأنبياء في مواضع مختلفة من الكتاب الكريم . فموسى قد ورد في مواضع متعددة من المثنوى ، وكذلك سليمان وغيرهما من الرسل والأنبياء . وليس من الضروري أن يقتصر اقتباس الشاعر على ما ورد في القرآن عن هؤلاء الأنبياء .

وبعض هذه القصص يتعلق بطرف من سير كبار الصحابة أو الصوفية أو الزهاد . وكان هناك معين لا ينضب لمثل هذه القصص ، اشتملت عليه كتب التصوف والوعظ التي حفل بها العالم الاسلامي قبل جلال الدين . فنجد في مثل هذه القصص ما يتعلق بذى النون أو ابراهيم بن أدهم أو أو غيرهما من الصوفية .

وبعض قصص المثنوى يتعلق بسير الملوك والخلفاء . وقد يعين الشاعر اسم الملك ، وقد لا يذكر شيئا عن شخصه ، وانما يقتصر على تعيين مكانه . والى جانب قصص الملوك هناك قصص الوزراء وغيرهم من ذوى السلطان .

ومن بين قصص المثنوى ما يتعلق بسيرة الحكماء أو الفلاسفة أو

الأطباء . ومنها ما يتعلق بالفقهاء والمتكلمين ، وبخاصة في معرض المحاورات التى يناقش فيها أساليبهم في الفكر والنظر .
ومن القصص ما يتعلق بالجوارى والعبيد . ومنها ما هو مقتبس من كتاب كيلة ودمنة أو غيره من الكتب التى سارت على نهجه .
وكان للقصص الشعبى أيضا نصيبه في المثنوى حيث تناول الشاعر بأسلوبه بعض قصص ألف ليلة وليلة ، وبعض النوادر الشائعة على نطاق شعبى ، كنوادر جحا .

وكان بعض هذه القصص لا يعدو أن يكون مجرد رواية لاحدى المعجزات ، ووصفا للصورة التى تمت بها هذه المعجزة . وربما اكتملت رواية القصة في أبيات قليلة ، ثم يتخذ منها الشاعر تمثيلا لفكرة يتحدث عنها ، أو تجسيدا لفلسفة يريد إيضاها .

ولقد كان لتنوع المصادر التى اقتبس الشاعر منها قصصه ، ولتعدد المواقف التى عالجها ، أثر كبير في ربط المثنوى بالحياة ، وبالمجتمع البشرى ، فأصبح ملحمة خالدة ، توفر لها من عناصر البقاء ما جعلها مرآة لكل عصر . فالغرائز البشرية ، والفضائل والمثالب ، والناس في أسنى صورهم وفي أحطها ، أو في أرفع درجاتهم وأدناها قد ظفروا بتصوير بارع ، جعل منهم نماذج وأنواعا تصدق أوصافها في كل عصر ، وتحقق سماتها في كل زمان ومكان .

ولكن تناول جلال الدين لهذه القصص لم يكن مجرد رواية لها ، بل انه أضفى عليها جدة ، وعبر عنها بأصالة ، فأصبحت القصص كأنها من صنعه .

ان المادة القديمة التى تناولها جلال الدين ، قد كسبت بفنه حياة جديدة ، وقوة أداء ، ووضعت في اطار لم يسبق لها أن وضعت فيه .
نذكر من ذلك على سبيل المثال قصة « معاوية والشيطان » . والأصل الذى يمكن أن تستند اليه هذه القصة نص صغير ورد في قصص الأنبياء للثعلبى على الوجه الآتى :

« يروى أن رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة . فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص فأيقظه وقال : قم فإن الجدار ها هو يسقط . فقال له : من أنت الذى أشفقت علىّ هذه الشفقة . فقال له : أنا ابليس . فقال : كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة . فقال : هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله ، فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم ما ينالون . » (عن قصص الأنبياء للشعلبي ، ص ٣٦ . انظر أيضا : فروزانفر : مأخذ قصص ، ٧٢ - ٧٣) .

لقد عالج الشاعر هذه القصة في أبيات تبلغ المائتين تقريبا ، تكاد تكون ملحمة صغيرة ، اختار لها الأشخاص وصاغ لها حوارا رائعا . وقد أقام جلال الدين عمله على حوار بين معاوية بن أبى سفيان والشيطان . يمثل معاوية المؤمن الذى يقاوم خداع الشيطان ، ويفلح في اكتشاف مكره بعد حوار طويل ، دافع فيه الشيطان عن نفسه ، وحاول أن يقدم تبريرا خلقيا لأعماله . ونلاحظ هنا المقدرة الدرامية في اختيار الشخصية التى وضعها في مواجهة الشيطان . فاختيار معاوية لهذا الدور لم يكن لمجرد أنه واحد من الصحابة المؤمنين ، بل لما اتصف به من دهاء يجعله قادرا على متابعة الحوار مع الشيطان ، ويتيح القدر الضرورى من الصراع الذى ينبغى توفره في مثل هذا العمل الفنى . وقد أتاح الشاعر للشيطان كل امكانيات الدفاع عن النفس ، وأورد على لسانه كل ما يمكن من الحجج لتبرير موقفه ، ولم يصل به الى موقف الهزيمة الا بعد أن أتاح له بيان أسباب سقوطه ومواقفه الأخلاقية .

ونحن نلمس كيف نجح الشاعر في صوغ الحوار ، وتصوير كل من طرفيه . ولن نستطيع هنا أن نورد كثيرا من نصوص هذا العمل الفنى ، ولا بد من الاكتفاء باقتباس قليل من أبياته .

تبدأ القصة في قصر معاوية ، حيث كان هذا الخليفة نائما ، والقصر موصد الأبواب ، فيوقظه رجل ، يعترف له بأنه ابليس . وحين يسأله معاوية عن السبب الذى دعاه الى أن يقطع عليه سباته يجيبه ابليس بقوله:

« ان ميقات الصلاة قد أوشك على الانتهاء ، فيجب عليك ان تهرع مسرعا
انى المسجد^(١) » .

حينذاك يردعه معاوية قائلاً : ان الخير لا يكون من مقاصد الشيطان ،
فيدافع الشيطان عن نفسه بقوله :

« لقد كنت في بداية أمرى ملكا ، وما أكثر ما سلكت بالروح
سبيل الطاعة !

لقد كنت أمين سر السالكين بهذا الطريق ، كما أننى كنت رفيقا
لسكان العرش .

فكيف يخرج من قلب الانسان شغله الأول ، وكيف يفترق عن
فؤاده أول حب ؟

وانك لو شهدت في سفرك بلاد الروم أو الختن ، فكيف يذهب من
قلبك حب الوطن ؟

لقد كنت أنا أيضا من سكارى هذه الخمر ، وكنت في حضرته
من العشاق !

واننى قد استقبلت الحياة على محبته ، كما أن عشقه كان قد
غرس في روحي .

ولقد لقيت من الزمان أياما طيبة ، كما أننى احتسيت مياه الرحمة
ابان ربيعى !

ألم تكن يد فضله هى التى غرستنى ؟ أليس هو الذى قد
أخرجني من العدم ؟

وما أكثر ما كنت قد شهدت من ألطافه ! ولكم تجولت في بستان
رضاه !

انه كان يضع فوق رأسى يد رحمته . وكم كان يفيض بناييس
اللفظ منى !

وفي وقت طفولتي ، حينما كنت رضيعا ، من ذا الذى كان يهز مهدى؟
انه هو !

وأيان كان لى حليب أحتسيه غير حليبه ؟ ومن ذا الذى رعانى
غير تدييره ؟

وكيف يمكن أن تفصل عن المرء تلك الخليقة التى دخلت كيانه
مع الحليب ؟

فلئن كان بحر الكرم قد عاتبني ، فمتى كانت توصل أبواب كرمه ؟
فأصل نقده عطاء ولطف وسخاء ، وما القهر فوق أولئك الا كالغبار
الذى يغشى النقد ! »

وهكذا يمضى ابليس في الدفاع عن نفسه ، فيواجهه معاوية ، ويعدد
له أفعاله القبيحة التى اقترفها خلال القرون ، وما أدت اليه من هلاك
أصاب أجيالا من الناس .
يقول معاوية مخاطبا الشيطان :

« فأنت النار والنفط ، واثك لتحرق ، ولا حيلة لك في ذلك ! ومن
ذا الذى لم تمزق يداك له ثيابه ؟
ان لعنة الله هى التى جعلتك تحرق ، وهى التى جعلتك أستاذًا
لكافة اللصوص .

لقد تحدثت الى الله واستمعت منه وجها لوجه . فمن أكون أنا
أمام مكرك أيها العدو ! »
ويدافع ابليس عن نفسه بقوله :

« ألا فلتحل هذه العقدة ! اننى أنا المحك للنقد الزائف والصحيح !
فالحق هو الذى جعلنى فيصلا بين الأسد والكلب . والحق
هو الذى جعلنى فيصلا بين صحيح النقد وزائفه .

ومتى كنت أنا الذى جعل الزائف أسود الوجه ؟ اننى أنا الصيرفى
الذى حدد قيمته !

أنا الذى أظهر السبيل للطيبين ! وأنا الذى أستأصل ذابل الأغصان.
ومع أن الخير والشر مختلفان ، فانهما مشتغلان بعمل واحد .
وكيف أجعل من الخير شريرا ؟ اننى لست الها ! ان أنا الا داع ،
ولست خالقا لهما !

وهل أجعل من الجميل قبيحا ؟ اننى لسب ربا ، وما أنا الا مرآة
للقبح والجمال ! »

وحين يصرّ معاوية على مقاومة خداع الشيطان ، ويبدى شكه
في قوله ، يقول له ابليس :

« ان الرجل السيء الظن لا يستمع الى الصدق ، ولو كانت له
مائة علامة !

فكل فؤاد أصبح متفكرا بالخيال يزداد خياله كلما أتته دليل !
فحينما يدخله الكلام يصير علة ، مثل سيف الغازى حين يصبح
سلاحا للسارق !

فمثل هذا يردّ عليه بالسكوت والسكون ، ذلك لأن التحدث الى
فاقد العقل جنون .

فلماذا تضرع الى الحق منى أيها الغرّ ! اضرع اليه من شر تلك
النفس اللثيمة !

فليس من ذنب ابليس ، بل من ذنبك - أيها الغوى - أنك
كالثعلب تعدو وراء أذنان الخراف الدسمة !

فلا تطرح اثمك فوقى ، ولا تبصر الأمور معكوسة ، فانى برىء من
الشر والحرص والضعينة !

لقد اقترفت الاثم ولكننى الآن نادم ! وانى لمنتظر أن ينبثق من
ليلى نهار ! »

وهكذا يمضى الحوار ، ويصل الى مداه ، ويعترف ابليس في نهاية
الأمر بما اتتواه من الخداع .

ولكننا نلمس كيف أتاح الشاعر لابليس كل مجال للدفاع عن أفعاله وكيف جعله يقوم بدوره في الحوار على أكمل صورة .
فهذه الاسطر القليلة التي تمثل أصل القصة قد عبر عنها الشاعر بنحو مائتى بيت حوت كثيرا من الحوار الفكرى ، وتوفرت لها مواقف درامية لم تكن موجودة فيها ، ودار حول وقائعها كثير من التحليل النفسي والفلسفة الأخلاقية .

والى جانب البناء الفنى الجديد يضيف الشاعر الى القصة - فى غالب الأحيان - تفسيراً جديداً ، ويعرضها من وجهة نظر ربما لم تكن خطرت على بال واضع القصة من قريب أو بعيد . ومن أمثلة ذلك قصة الأسد والذئب والثعلب ، حين اصطحبوا للصيد^(١) فصادوا ثورا ووعلا وأرنبا . فأمر الأسد الذئب بتقسيم الصيد فأشار بأن يكون الثور نصيب الأسد وبأن يختص هو بالوعل ، أما الأرنب فهو نصيب الثعلب . وهنا قتل الأسد الذئب ثم أمر الثعلب بأجراء القسمة ، فما كان منه الا أن قال : أما الثور فهو لافطارك أيها الملك ، وأما الوعل فلعشائك ، والأرنب لمنتصف النهار . فلما أبدى الأسد اعجابه بقسمة الثعلب ، وسأله عن علمه مثل هذه القسمة ، قال : « رأس الذئب الطائح عن جسده » . فحين تناول الشاعر هذه القصة جعل لها مغزى رمزياً . فالأسد رمز الله ، والذئب رمز لانسان أحس لنفسه وجوداً ذاتياً أمام الله فكان جزاؤه الهلاك . أما الثعلب فرمز لانسان لم يستشعر وجوده في حضرة الخالق ، فكان أن غمره الخالق بالهبات . فالأسد - حين قضى الثعلب له بكل الصيد - وهب الصيد كله للثعلب . وفي هذا تعبير رمزى عن المضمون الذى يفهمه انصوفية من قول الرسول : « من كان لله ، كان الله له » .

أما قتل الذئب على هذا النحو ، ونجاة الثعلب ، فقد تطرق الشاعر منه الى الحديث عن معنى نجاة الأمة الاسلامية ، وهى ما عبر

عنه الرسول بقوله : « أمتى هذه أمة مرحومة » . فالرحمة — كما يرى الشاعر — جاءت من أن الأمة الاسلامية ، ظهرت على مسرح التاريخ بعد غيرها من الأمم ، ورأت ما حاق بهذه الامم القديمة لطغيانها وعصيانها ، فاتعظت بما رأت ، وكان هذا فضلا من الله ، ورحمة تحققت للمسلمين بوصفهم أمة خاتم النبيين .

واذا أخرجنا المضمون الدينى من تقديرنا لهذه القصة ، وقصرنا هذا التقدير على الجانب الفنى وحده ، فانتا نعجب بمقدرة الشاعر على وضع هذا المضمون فى ثنایا قصة بسيطة ، قد تروى للاطفال فى معرض الوعظ والتعليم .

هذا الاستخدام الأخلاقى للقصص ليس مما ابتدعه الشاعر فقد سبقه الى ذلك كثير من الكتاب والشعراء . ولكن فنّ جلال الدين يتجلى فى البناء الذى يقيمه على قصة صغيرة شائعة فىجعل منها عملا فنيا ناضجا . انه يجدد شكل القصة ، اذ يرويها بأسلوبه الخاص ، ويخلق لها المواقف الدرامية ، ويضع لها الحوار ، ثم يخلع عليها مضمونا جديدا ، بأن يفسرها على طريقته ، ويخرج منها بمفاهيم ومبادئ جديدة ، لم تكن من قبل مرتبطة بها ولا مفهومة منها .

وينبغى ألا يغيب عنا ونحن ندرس الفن القصصى عند الشاعر أنه لم يكن يهدف الى كفاية ، وانما كان يستخدم القصص كوسيلة لايضاح آرائه وأفكاره . وكان هذا الأمر سببا فى أن الشاعر استخدم المادة القصصية الشائعة من جهة ، وفى أنه لم يكن يسرد القصة كوحدة متماسكة ، بل كثيرا ما كان يصل الى نقطة منها ، ثم يستطرد من هذه النقطة معلقا عليها ، مستخلصا الحكمة التى تنطوى عليها ، ثم يعود من بعد الاستطراد لرواية القصة . بل ان الظاهر أنه كان يتخذ القصة وسيلة لتشويق المستمع لمتابعة آرائه . وفى بعض الأحيان عبر عن ضيقه لأن المستمع ينشغل قلبه بحوادث القصة عن متابعة مغزاها . ففى قصة « الصوفى والخادم والحمار » نراه يبدأ رواية القصة ، ثم

ينصرف عنها الى ذكر أخلاق الصوفية . ويطول به الابتعاد عن القصة ،
فيتوقف عن متابعة الموضوع الذى كان ماضيا فيه ثم يقول :

« استمع الآن الى المانع الذى حدث ، فأصبح مدعاة للتوقف . ان
قلب المستمع قد مضى الى مكان آخر !

لقد اتجه خاطره الى ذلك الصوفى المقيم ، وغرق في تلهفه على
القصة حتى عنقه .

فوجب الآن أن نرجع من هذا المقال ، الى تلك الحكاية لنصف
وقائعها .

فاستمع الآن الى صورة هذه الحكاية ، ولكن ، كن يقظا وافصل
ما بها من قشر عن اللباب » (١) .

وعلى الرغم من هذا العيب في رواية القصص ، فقد استطاع
الشاعر أن يبعث فيها حياة جديدة بما كان يخلقه لها من مواقف وبما
كان يصوغه لها من حوار بارع .

بل ان الشاعر تناول بسخريته من يتمسكون بظاهر القصص ،
كما سخر من المتمسكين بالمعاني الحرفية ، الذين يقفون عند ظاهر
اللفظ ، ويغفلون عن حقيقة معناه ، وجوهر مفهومه . يقول :

(ولا تكن) كمن سمع بعض الأقاصيص ، فتمسك بحرفيتها
تمسك « الشين » بلفظة « نقش » .

(قائلا) : كيف تكلمت كيلة هذا بدون لسان ؟ وكيف استمع
الى كلام دمنة ، وقد كان ذلك عاجزا عن البيان ؟

وهب أن كلا منهما كان يفهم لحن الآخر ، فكيف استطاع البشر
أن يفهموا هذا ، وهو ليس بنطق !

وكيف استطاع دمنة أن يكون رسولا بين الأسد والثور ، ويسمع
كلا منهما بيانه ؟

وكيف صار ذلك الثور النبيل وزيرا للأسد ؟ وكيف صار
الثقل وجلا من خيال القمر ؟

ان كليله ودمنة هذا كله افتراء ، والا فكيف وقع الجدل بين
الغراب والقلق ؟

يا أخى ! ان القصة مثل المكيال ، والمعنى فيها مثل الحب فى
المكيال .

فالرجل العاقل يأخذ حصاه المعنى ، ولا ينظر الى المكيال ، وان
كان (وسيلة) النقل .

فاستمع الى ما يدور بين البلبل والوردة ، مع أنه ليس هناك
كلام صريح !

استمع أيضا لما يدور بين الشمعة والفراشة ، واقتبس معناه ،
أيها المليح .

فمع أنه ليس هناك قول مسموع ، فهناك سر القول ، فتنبه وحلق
نحو القمم ، ولا تتهاو كالبومة فى طيرانك !

لقد قال لاعب الشطرنج : « هذا بيت الرخ » ، فأجابه (المتمسك
بالحرفية) : « ومن أين له هذا البيت ، وكيف امتلكه ؟ »

« هل اشترى هذا البيت أم حصل عليه بالارث ؟ » فما أسعد ذلك
الرجل الذى يسارع الى المعنى (١) !

ولقد تجلت عبقرية الشاعر فى فن الحوار الى حد بعيد . وكان
الحوار فى قصصه متنوعا بتنوع الموضوعات . فبينما كان فى بعض
القصص يتناول أعماق المسائل الفكرية ، كالجبر والاختيار ، والقضاء
والقدر ، اذا به فى مواقف أخرى يتناول الحياة العادية ومشكلاتها .

ومن أحسن الأمثلة على هذا اللون الأخير قصة الأعرابي وزوجه^(١) .
فالشاعر - في أغلب الظن - هو الذى أضاف الى القصة شخصية
المرأة ، ذلك لأن القصة في مصادرها الأخرى لا تذكر شيئاً عن زوجة
الأعرابي . وكان هناك صراع بين الأعرابي وزوجه ، وكاد هذا الصراع
يؤدى الى افتراقهما ، ثم نراهما في نهاية الامر يعودان الى الوفاق .
تبدأ القصة والزوجة تزجر زوجها بسبب ركونه الى حياة الفقر
والمسكنة فتقول :

« اننا نعانى كل هذا الفقر والشقاء ، فجلمة العالم سعداء ، وأما
نحن فأشقياء .

وليس خبزنا خبزاً ، فطعامنا الألم والحسد . وليس لنا كوز ،
فماؤنا دمع أعيننا . ورداؤنا بالنهار حرارة الشمس ، وأما وسادتنا
ولحافنا بالليل فمن نور القمر . نظن قرص القمر قرصاً من الخبز ،
فنرفع أيدينا الى السماء .

ان مسكنتنا عار للدراويش ، وما نهارنا وليلنا الا تفكر فى
الرزق ... »^(٢) .

فيرد عليها زوجها بقوله :

« ... الى متى تنشدين الدخل والحصاد ؟ ما الذى بقى من عمرك ؟
ان أكثره قد مضى .

ان العاقل لا ينظر الى الزيادة والنقصان ، لأن كليهما يمران كما
يمر السيل (المندفع) . ففى هذا العالم آلاف من الأحياء ، يحيون
حياة طيبة لا هبوط فيها ولا صعود . فالفاخنة تترنم بشكر الله على
الشجرة ، في حين أن قوت المساء غير مهياً لها .

والعندليب يحمد الله (قائلاً) : أى مجيب (السائلين) ! ان
اعتمادنا في الرزق عليك ... »^(٣)

(١) المثنوى ، ١ : ٢٢٥٢ وما يليه .

(٢) المصدر السابق ، ٢٢٥٣ - ٢٢٥٧ .

(٣) المصدر السابق ، ٢٢٨٨ - ٢٢٩٣ .

ونرى الأعرابي بعد ذلك ينتقل من هذا الأسلوب الهادىء الى أسلوب العتاب ، فيخاطبها بأسلوب يكاد يتفق ومستوى التفكير عند امرأة جاهلة حين يقول :

« انك زوجتى ، والزوجة لا بد لها أن تتفق (مع الزوج) في الصفاء ، حتى تجيء الأمور وفق مصلحتهما .

فالزوجان يجب ان يكون كل منهما على مثال الآخر . ألا فلتتأملى زوجين من الأحذية والنعال !

فلو أن واحدا من النعلين ضاق بقدمك ، فلا نفع لهذين النعلين عندك .

وهل بين مصراعى الباب واحد صغير ، وآخر كبير ؟ أم هل رأيت ذئبة اقترنت بأسد الغاب ؟^(١)

وتزداد حدة الجدل بين الزوجين فتقول المرأة فيما تقول :
« لا تحدثنى بترهات من ادعائك ودعواك . اذهب ولا تخاطبنى بكبر وغرور !

ان الكبر قبيح ولكنه من الشحاذين أقبح ! فكبر الشحاذين كالثوب المبلل في يوم بارد ممطر » .^(٢)

ويجيبها الرجل ، مظهرا غضبه ، ويهدد بترك منزله ، وهنا تهدأ المرأة ويسود الوئام من جديد .

ومن هذه الأبيات القليلة التى ذكرناها يتضح كيف أن الشاعر كان قادرا على صياغة الحوار على مستوى الحياة اليومية ، وبأسلوب يبدو طبيعيا ملائما للموقف الذى أريد تصويره بهذا الحوار .

ومن القصص ذات الحوار الدينى المؤثر قصة موسى والراعى^(٣) . وهذه القصة تصور مدى رحمة الله ، التى وسعت كل شىء ، وتشير الى

(١) المصدر السابق ، ٢٣٠٨ - ٢٣١١ .

(٢) المصدر السابق ، ٣٣١٦ .

(٣) المثنوى ، ٢ : ١٧٢٠ وما يليه .

أن الرجل ينبغي عليه - مهما عظم شأنه - ألا يحتقر رأى سواه . وسننقل هنا أبياتا قليلة منها . تبدأ القصة على النحو التالي :

« رأى موسى راعيا على الطريق . وكان هذا الراعى يقول : أيها الاله المختار ! أين أنت حتى أصبح خادما لك ، فاصلح نعليك ، وأمشط رأسك . وأغسل ثيابك ، وأقتل ما بها من القمل . وأحمل الحليب اليك أيها العظيم !

وأقبل يدك ، وأمسح قدمك . وأهيب لك المخدع حين يحل وقت المنام .

يا من فداؤك كل أغنامي ! ويا من لذكرك حنيني وهيامي !
وأخذ يردد هذا النمط من القول . وراه موسى ، فناداه قائلا ،
مع من تتحدث أيها الرجل ؟
فقال الراعى :

« مع ذلك الشخص الذى خلقنا . من ظهرت بقدرته هذه الأرض وتلك السماوات » .

حينذاك انبرى موسى معنفا هذا الرجل ، مبينا سفه قوله ، وضلال دعائه ، وخاطبه قائلا : « مع من تتحدث ؟ أمع العم أو الخال ؟ وهل الجسم والحاجة من صفات رب الجلال ؟ ان الحليب يشربه من هو محتاج للزيادة والنماء ، والنعل يلبسه مع من هو بحاجة الى القدم .. »
ومضى موسى يحدث الراعى على هذا النحو حتى قال الراعى :
« يا موسى . لقد ختمت على فمى . وها أنت ذا قد أحرقت بالندم روحى » . واذا ذاك مزق الراعى ثيابه ، ثم انطلق مندفعاً في غياهب البيداء .

حينذاك يهبط الوحي الالهى على موسى فيخاطبه الله بقوله :
« انك أبعدت عني واحدا من عبادى !
فما استطعت لا تخط خطوة نحو احداث الفراق ، فان أبغض الأشياء عندي هو الطلاق . لقد وضعت لكل انسان سيرة . ووهبت

كل رجل مصطلحا للتعبير ، يكون بالنسبة له مدحا ، وبالنسبة لك ذما .
ويكون في نظره شهدا ويظهر لك سما !

فأهل الهند لهم أسلوبهم في المدح . ولأهل السند كذلك أسلوبهم .
ولست أغدو طاهرا بتسبيحهم . بل هم بذلك متطهرون ناطقون بالدرر .
ولسنا ننظر الى اللسان والقال ، بل اننا ننظر الى الباطن والحال .
فنظرنا انما هو لخشوع القلب حتى ولو جاء اللسان مجردا من
الخشوع ! »

حينذاك يندفع موسى الى باطن الصحراء باحثا عن الراعى . ويزف
اليه بشرى ما تلقاه من وحى ، ويطمئنه الى أن كل ما نطق به مقبول
عند الله :

« لا تشد قط أية آداب ولا رسوم ، واهتف بكل ما يتغيه قلبك
الملتاع !

ان كفرك دين . ودينك نور للأرواح . انك لآمن ، والعالم بك
في أمان » .

ولكن الشاعر لا يقف عند هذا الحد ، بل يجعل لموسى شيئا من
الفضل على الراعى . ويعبر الراعى عن امتنانه لموسى بقوله :

« يا موسى ! لقد جاوزت تلك الحال ! اننى الآن سابح في دم
القلب . لقد تجاوزت سدرة المنتهى ! وخطوت وراء ذلك الجانب
مائة ألف من الأعوام !

لقد ضربت بسوطك حصانى فانطلق ، وصعد الى قبة السماء ، ثم
تجاوز الأفلاك ! »

وتمضى القصة بعد ذلك الى غايتها التى أراد الشاعر الوصول
اليها . فمهما مدح الانسان الخالق وسبحه فأقواله بالنسبة الى جلال
الخالق لا تزيد عن أقوال هذا الراعى . ومهما بدت متفوقة في عبارتها
على مثل تلك العبارات التى هتف بها الراعى ، فهى عاجزة أمام صفات
الله .

ومما هو جدير بالذكر ان جلال الدين لم يحاب طائفة من الناس على حساب الأخرى . بل قد صور الفضيلة حيث كانت ، والرذيلة حيث كانت .

فبعض الصوفية أو أدعياء التصوف قد ظفروا منه بالسخرية . سخر من افتقاد بعض هؤلاء للأمانة ، كما يبدو ذلك في قصة الصوفية الذين باعوا حمار رفيقهم واشتروا بثمنه طعاما ، ثم أقاموا بعد ذلك حلقة للذكر . وسخر من شره بعض هؤلاء الصوفية ، وحرصهم المخجل على الطعام والمتع الحسية .

وقد ضمت بعض قصصه صورا ساخرة لنماذج مختلفة من بنى البشر . من أمثلة ذلك تصويره للمفلس الجشع الأكل^(١) وفيه يقول : « كان هناك رجل مفلس ، لا سكن له ولا دار ، فاستقر فى سجن ، وقيد لا فكاك منه .

وكان يأكل طعام رفقاءه في السجن جزافا . فكان بطمعه ثقيلا على قلوب الخلق ، كأنه جبل قاف .

فما كان أحد يجسر على أن يتناول لقمة ، ذلك لان هذا الملتهم كان ينقض عليها .

لقد داس هذا الرجل كل مروءة بقدميه ، وأصبح السجن جحيما من جراء هذا الجشع الأكل . فذهب أهل السجن يشكون أمرهم الى وكيل القاضى وكان رجلا واسع الادراك .

قائلين : « لتحمل سلامنا الآن الى القاضى ، ثم لتبلغنه تأذينا من هذا الرجل السافل . فلقد أقام بالسجن على الدوام هذا الرجل المتلاف الشره المضر .

وهو كالذبابة حاضرا في كل طعام ، يتصدى متوقفا بدون دعوة او سلام !

طعام ستين شخصا أمامه لا يعد شيئا . وهو يصطنع الصمم لو

(١) المنشوى ، ٢ : ٥٨٥ وما يليه .

قلت له « كهاك » . فليس يجد رجل من السجناء لقمه . وإذا استطاع بمائة حيلة ان يجد شيئا يأكله ، غشيه في الحال هذا الجهنمي الحلق . وكل حجة ان الله أمر البشر بقوله : « كلوا .. » . فلتخلصنا من ذلك القحط الذى دام ثلاث سنين . وليدم الله ظل مولانا الى الابد . فاما أخرجت من السجن هذا الجاموس الأكل ، أو خصصت له مؤونة من أحد الأوقاف » . فنرى هنا مقدرة الشاعر على تصوير الأشخاص الذين يدير حولهم قصصه .

ومهما يوجه من النقد الى أسلوب جلال الدين في رواية القصص فانا نجد أن هذه القصص التى يشتمل عليها المثنوى – لو جردت مما أحاط بها وتخلل حوادثها من استطرادات – يمكن ان تصبح اعمالا فنية متماسكة . وقد تجلى هذا بشيء من الوضوح في ترجمة الاستاذ آربرى لهذه القصص ، وهى التى سبقت الإشارة اليها في بداية هذا البحث .

ولم تقف عبقرية جلال الدين في الحوار عند حد القصة بل انه – في كثير من المواقف التى يشرح فيها آراءه الصوفية – قد اتخذ الحوار أسلوبا لعرض هذه الآراء ، فازداد العرض بذلك قوة وتأثيرا . وما أكثر المواقف التى أدار فيها الحوار بين الأفراد أو بين الأفكار . وما أكثر ما اتسم به هذا الحوار من براعة في الأداء ، وروعة في التصوير ، وروح فكهة قلما تخون الشاعر في موقف يدعو الى السخرية .

ان قصص الشاعر ومجاوراته كانت في روعة بيانها وجمال صورها فيضا من عبقرية هذا الشاعر الخالد ، أضفت على المثنوى جمالا ، وأشاعت فيه لونا من المتعة المبهجة ، الى جانب ما حفل به من مواقف التأمل الجاد ، والحكمة الروحية ، والفكر العميق .

المَشْنُوعِي

الكِتَابُ الثَّانِي

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان طرف من الحكمة في تأخير المجلد الثاني

لو أن الحكمة الالهية تكشفت للعبد بكاملها ، فإن العبد في تأمله فوائد ذلك الكشف ، يقف ازاءه عاجزا ، وتدمر ادراكه حكمة الله التي لا حدود لها ، فلا يستطيع اكمال هذا العمل^(١) . ولهذا فإن الله تعالى يجذب عبده من أنفه بنفحة من حكمته التي لا حد لها ، ويقوده الى ذلك العمل . ولو أن الله لم يكشف لعبده أى علم بتلك الفائدة ، فإنه لن يتحرك قط . فالعامل المحرك نوع من الرزق الانساني ، فنحن نقبل على عمل معين من أجل مصلحة معينة . ولو أن الحق أفاض على المرء كل حكمة ذلك العمل ما استطاع حراكا . فالجمل لا يتحرك ان لم يكن في

(١) يقصد المشنوى .

أنفه مقود (يجذبه) . فان كان الرسن بالغ الكبر ، بقى نائماً (ولم يتحرك) . « وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم^(١) » . ان التراب — بدون الماء — لا يتحول الى لبنات . واذا زاد مقدار الماء فيه فهو أيضا لا يصير لبنات . (قال تعالى) : « والسما رفعها ووضع الميزان^(٢) » فهو يعطى كل شىء بميزان ، وليس بدون حساب وميزان . (ولا يصدق) هذا على الأشخاص الذين تحولوا عن عالم الخلق ، وصاروا ممن (وصفهم الحق) بقوله : « والله يرزق من يشاء بغير حساب^(٣) » . ومن لم يذق لم يدر . ولقد سأل سائل : ما العشق ؟ فأجبت : « حين تصير مثلنا فسوف تعلم ! » .

ان العشق هو المحبة بدون حساب . فلقد قيل انه صفة حقيقية لله ، وأما اتصاف العبد به فمن قبيل المجاز . فكلمة « يحبهم^(٤) » يقين كامل ، وأما كلمة « يحبونه^(٥) » ، فمن ذا الذى يصدق عليه هذا الوصف .

(١) سورة الحجر ، ١٥ : ٢١ .

(٢) الرحمن ، ٥٥ : ٧ .

(٣) البقرة ، ٢ : ٢١٢ .

(٤) ، (٥) « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » . (المائدة ، ٥٤ : ٥) .

المثنوي

- ١ لقد تأخر هذا المثنوي مدة من الزمان ، فلا بد من مهلة لكي
يصير الدم حليبا صافيا .
فما لم يلد بختك طفلا جديدا ، فان الدم لا يصبح حليبا حلوا ،
فكن حسن الانصات !
(وهذا ما تحقق) حينما ثنى ضياء الحق حسام الدين عنانه عائدا
من أوج السماء .
فهو ، اذ كان قد انطلق الى معراج الحقائق ، لم تكن — بدون
ربيعه — تتفتح البراعم .
٥ فلما أقبل من البحر نحو الساحل ، أصبح قيثار شعر المثنوي قرينا
للمزمار !
ان المثنوي الذي كان صيقل الأرواح ، صارت عودته يوم استفتاح .
وكان مطلع تاريخ هذه التجارة وذلك الربيع عام ستمائة واثنين
وستين .
ان بلبل قد انطلق من هنا ثم عاد ! ولقد أصبح بازا في اصطباد
تلك المعاني .
فليكن ساعد الملك مسكنا لهذا الباز ! وليبق هذا الباب مفتوحا
أمام الخلق حتى الأبد !
١٠ وما آفة هذا الباب الا الهوى والشهوة . والا فهناك مورد لا ينضب

من شراب الروح .

ان الفم والحلق هما الرباط الذى يحجب عن العين ذلك العالم
الروحى . فلتعلق هذا الفم حتى تراه عيانا .

أيها الفم ! انك فوهة الجحيم ! أيتها الدنيا ! انك لشبيهة بالبرزخ !
والنور الخالد ملابس لهذه الدنيا ذات الشأن الوضيع ، فهو
كالحليب يجرى (في الجسد) بجوار أوعية الدماء .

فاذا ما خطوت - نحو هذا (النور) - خطوة بدون احتياط ،
صار حليبك دما من جرّاء هذا الاختلاط .

١٥ لقد خطا آدم خطوة واحدة وراء شهوة النفس ، فأصبح لزاما عليه
أن يفارق صدر الجنان .

وأصبحت الملائكة تفرّ منه كأنما هو الشيطان ! وما أكثر ما سكب
من الدمع لقاء لقمة !

فمع أن هذا الذنب الذى سعى اليه كان شعرة واحدة ، فقد نبئت
هذه الشعرة في كلتا عينيه !

لقد كان آدم عين النور القديم ، والشعرة في العين تكون كالجبل
العظيم .

فلو أن آدم شاور في ذلك ربه ، لما كان عليه - في ندامته - أن
يلتزم التماس العذر .

٢٠ فالعقل لو أصبح قرينا لعقل آخر ، كان هذا مانعا لسوء القول
وقبح الفعل .

أما النفس فانها اذا اقترنت بغيرها من النفوس تعطل العقل الجزئى
وصار بلا عمل .

فالجأ الى ظل رفيق مشرق كالشمس اذا أحسست باليأس في وحدتك
وانفرادك .

اذهب ، وسارع الى البحث عن هذا الرفيق الالهى . فانك ان

فعلت ذلك أصبح الله عوناً لك ورفيقاً .

فذلك الذى قصر نظره على الخلوه ، (كان عليه) أن يتعلم من الرفيق ، فى آخر الأمر .

٢٥ الخلوة واجبة لتجنب الأغيار ، لا الأحباء . فالفراء يرتدى أثناء الشتاء وليس إبان الربيع .

ان العقل اذا أصبح متحداً مع عقل آخر ، زاد النور واتضح بذلك قصد السبيل .

أما النفس ، فهى ان غدت ضاحكة طربة مع غيرها من النفوس ، زادت بذلك الظلمات ، واختفت معالم الطريق .

ان الرفيق عينك ايها الرجل الصياد ، فاحفظه نظيفاً من القذى ومن أقدار الطريق .

حذار ، ولا تثر الغبار بمكنسة اللسان ! ولا تحمل للعين هدية من تلك الأقدار .

٣٠ فالؤمن — حين يكون مرآة للمؤمن — يغدو وجهه آمناً من أى تلوث .

والرفيق مرآة للروح فى وقت الحزن ، فلا تنفث — ايها الروح — أنفاسك فى وجه المرأة .

بل ان عليك فى كل لحظة أن تبتلع أنفاسك ، حتى لا تحجب وجهك بتلك الأنفاس .

فهل أنت أقل (احساساً) من التربة ؟ فهذه حين وجدت من الربيع رفيقاً تزيت بمائة ألف من النور والزهر !

وتلك الشجرة التى أصبحت مقترنة بالهواء الحلو تفتحت من رأسها الى قدمها !

٣٥ وفى الخريف — حينما رأت رفيق الخلاف — سحبت رأسها ووجهها تحت اللحاف !

وقالت : « ان رفيق السوء مشير للفتنة ، فاذا ما جاء فسيلى هو النوم .

فأنا من وأكون من أصحاب الكهف . وان هؤلاء المحبوسين الخائفين لخير من دقيانوس .

فيقظة هؤلاء كانت مصروفة على دقيانوس ، وأما نومهم فكان ذخرا لشرف الروح !

ان النوم — حين يكون مع علم — فهو يقظة . وواها على اليقظ الذى جلس مع الجاهل .

٤. فالغربان اذا ضربت خيامها فوق شهربهن^(١) ، صارت البلبل محتجة ولزمت الصمت .

ذلك لأن البلبل — بدون بستان الورد — يكون صامتا . وان غيبة الشمس لساحبة لليقظة .

أيتها الشمس ! انك لتتركين هذا البستان ، وذلك لتشرى الضياء فيما تحت الأرض من عوالم .

أما شمس الروح فليس لها انتقال . وما لها من مشرق غير الروح والعقل .

وبخاصة شمس الروح التى هى من ذلك الجانب ، فان دأبها الاشرار في النهار وأثناء الدجى !

٤٥ فان كنت اسكندري^٢ المشرب فتعال الى مطلع الشمس ! وانك لمصبح بعد ذلك ملكا طاهرا حيثما ذهبت .

بل انك لمصبح موضع اشراق أينما توجهت ، وكل المشارق ستغدو عاشقة لمغربك .

(١) اسم لأحد شهور الشتاء في السنة الفارسية ، ويبدأ في ٢١ يناير (كانون الثانى) من السنة الميلادية .

ان حسك الخفاشى ينطلق مسرعا نحو المغرب ، أما حسك الذى
 ينثر الدرّ فمتوجه نحو المشرق .
 فطريق الحس ، هو درب الحمير أيها الفارس ! فكن ذا حياء يا من
 أنت مزاحم للحمير !
 فهناك حواس خمس غير هذه الحواس الخمس . فتلك مثل الذهب
 الأحمر وهذه مثل النحاس .
 ٥٠ ففى تلك السوق — حيث المتعاملون مهرة أذكاء — متى يشتري
 الحس النحاسى كما يشتري الحس الذهبى ؟
 ان حسّ الأبدان يقتات من الظلمة ، وأما حسّ الروح فيتغذى
 من الشمس !
 فيا من حملت بضاعة الحس نحو الغيب ، أخرج يدك من جيبك كما
 فعل موسى !
 ويا من تحليت بصفات شمس المعرفة ، في حين أن شمس السماء
 أسيرة صفة واحدة ،
 انك حيناً تكون الشمس وحيناً تكون البحر . وفي وقت أنت جبل
 قاف ، وفي وقت آخر أنت العنقاء !
 ٥٥ ولست في ذاتك هذا ولا تلك ، يا من أنت فوق الأوهام ، وأكثر
 من الكثرة !
 ان الروح رفيقة للعلم وللعقل ، ولكن ما شأن الروح بالعربية أو
 التركية ؟
 فيا من لا نقش لك مع تجليك في متعدد الصور ! ان المشبه
 والموحد كليهما حائر الفكر ازاءك .
 فحيناً تجعل المشبه موحداً ، وحيناً تقطع الصور الطريق أمام
 الموحد .
 وحيناً يهتف بك في سكره أبو الحسن : « يا صغير السن يا رطب

البدن » .

٦٠ . وحينما هو يعمل على تخريب صورته ، ويتخذ ذلك سبيلا الى تنزيه الحبيب .

ان مذهب الاعتزال هو عين الحس . وأما عين العقل فهي أن تكون سنّيا في الوصال .

فأهل الاعتزال مسخرون للحس . وهم لضلالهم يتظاهرون باتباع السنّة !

فكل من بقى أسير الحس فهو من المعتزلة ، وان قال لك : « انى سنّى » ، فهذا من جهله .

وأما من انطلق من اسار الحس فهو السنّى . ان أهل « الرؤية » هم عين العقل ، وقد بوركت خطاهم .

٦٥ فلو أن الحس الحيوانى يرى المليك ، لكان الثور والحمبار يبصران الله !

ولو لم يكن لك خارج الهواء حس آخر ، غير هذا الحس الحيوانى ، فأنى تكون الكرامة لبنى الانسان ؟ ومتى يكونون بالحس المشترك موضعاً للأسرار .

ان قولك بأن الله مصوّر أو غير مصوّر ، يكون باطلا ، ما لم يحقق خلاصك من الصورة .

انه غير مصور أو مصور أمام ذلك الانسان الذى انطلق من القشر وأضحى كله لباً .

٧٠ . فان كنت أعمى فليس على الأعمى حرج . والا فامض ، فان الصبر مفتاح الفرج .

فالصبر هو الدواء لحجب العين . فهو الذى يحرق تلك الحجب ، وهو الذى يحدث انشراح الصدر .

وحين تصير مرآة القلب صافية نقية ، فانك ترى نقوشا خارج هذا

الماء والتراب !

انك لتبصر النقش ، وكذلك النقاش ! وتشاهد فرش الدولة ،
وباسط هذا الفراش !

ها هو ذا خيال حبيبي قد أقبل مثل الخليل ! انه فاتن الصورة
كالصنم ، ولكن معناه : محطم الأصنام .

٧٥ فالشكر لله ، فانه حينما تبدى لى ، أبصرت روحى صورتها في
صورته .

ان تراب أعتابك كان فتنة لقلبي ، فليجلل التراب كل من تسلى عن
ترابك .

لقد قلت لنفسى : « لو أننى مليح الصورة فانى أتقبل هذا منه ،
والا فانه يهزأ منى ، أنا القبيح الوجه !

فسبيلى هو أن أنظر الى نفسى (لأرى صورتها) ، والا فانه
يسخر منى . فأنى لى أن أشتري ؟ (١) .

انه جميل ، محب للجمال . فهل يختار الشاب الفتى شيخة بالغة
الهرم ؟

٨٠ ان الجميل يجتذب الجميل ، فاعلم ذلك . واتل عليه قوله تعالى :
« الطيبات للطيبين (٢) » .

فكل شئ في هذه الدنيا يجتذب اليه شيئاً . فالحار يجتذب الحار
والبارد يجتذب البارد .

وأهل الباطل يجتذبون أهل الباطل . وأما أهل الخلود فهم سعداء
مع الخالدين .

(١) كيف يتسنى لى أن أشتري رضاه عنى مع أننى اتقدم اليه بنفسى
قبيحة .

(٢) انظر : سورة النور ، ٢٤ : ٢٥ .

ومن كانوا من أهل النار فهم جاذبون لنظرائهم . وأما من كانوا من
أهل النور فهم طالبون لمثالهم .

إنك حين أغلقت عينيك تولاك الحزن ، ومتى كان نور العين يصبر
عن نور النافذة ؟

٨٥ فما حزنك الا من اندفاع نور عينيك ، الذي يطلب الاتحاد العاجل
بنور النهار .

فاذا تولاك الحزن وأنت مفتوح العينين ، فاعلم أنك أغلقت عيني
قلبك ، وافتحهما !

ان هذا ما تتقاضاك اياه عينا قلبك ، لانهما تلتزمان نورا لا حدود
له .

فاذا كان فراق هذين النورين الفانيين قد أصابك بالحزن ففتحت
عينيك ،

فان فراق هذين النورين الخالدين (لا محالة) جالب لك الحزن ،
فكن على حذر !

٩٠ وهو حين يناديني أنظر الى نفسي ، (لأرى) أأنا لائق بالانجذاب
اليه ، أم أنتى قبيح الصورة ؟

فلو أن لطيفا مشى في اثره قبيح ، يكون من السخرية أن هذا
يصحب ذاك .

فواعجبا ، متى أرى وجه نفسي ؟ لأعرف لوني أهو مثل النهار
أو هو مثل الليل !

ولقد بحثت كثيرا عن صورة روحى ، فلم يستطع انسان قط أن
يبدى لى هذه الصورة !

فقلت : « ما آخر هذا ؟ ولأى أمر كانت المرأة ؟ » انها لكى يعرف
كل انسان حقيقة حاله وكنه ذاته .

٩٥ ومراة الحديد ليست الا لظهار القشور . وأما مرآه ملامح الروح

فعالية الثمن .

وما مرآة الروح الا وجه صديق ! وجه ذلك الصديق الذى يكون
من تلك الديار .

فقلت : « أيها القلب ! انشد المرأة الكلية . ولتذهب الى البحر ،
فليس هذا الأمر بمتحقق من النهر » .

فمن أجل هذا الطلب جاء العبد الى جادتك . فالألم هو الذى
اجتذب مريم الى جذع النخلة .

وحيثما أصبحت عينك عينا لقلبي ، صار هذا القلب الأعمى
غريقا في الرؤى .

١٠٠ لقد رأيتك المرأة الكلية حتى الأبد ، وابصرت فى عينيك صورة
نفسى .

فقلت : « لقد وجدت نفسى آخر الأمر ! لقد وجدت فى عينيه
طريق النور ! »

فقال وهمى : « ان هذا خيالك فتنه ! وتعلمن حقيقة ذاتك من
خيالها » .

فهتفت صورتى من عينك قائلة : « اننى أنت ، وأنت أنا (يجمعنا)
اتحاد !

ففى هذه العين المنيرة الخالدة ، أنى للخيال أن يجد سبيله بين
الحقائق .

١٠٥ فان أنت أبصرت صورتك فى عيني غيرى ، فاعلم أن تلك من
الخيال ، وأعرض عنها !

فها تان تكتحلان بكحل العدم ، وتحتسيان خمرا من تصوير الشيطان
فعيون سواى منزل الخيال والعدم . فلا جرم أنها تبصر
العدم وجودا !

وأما عيني فانها قد اكتحلت بنور من ذى الجلال ، ولهذا فهى

منزل الوجود وليست مستقر الخيال .
وما دامت شعرة واحدة منك تعترض سبيل ابصارك ، فإن الجوهر
يكون في خيالك مثل الخرز .
١١٠ . ولسوف تعلم كيف تميز الجوهر من الخرز حينما يتحقق لك خلاص
كلى من الأوهام .
فاستمع الى تلك الحكاية — أيها العارف بالجوهر — فيها تميز
العيان من القياس :

كيف توهم ذلك الشخص رؤية الهلال في عهد

عمر ، رضى الله عنه

حلّ شهر الصوم في عهد عمر ، فخرج جماعة الى قمة أحد التلال ،
ليتفاءلوا برؤية الهلال الطاهر . فقال واحد منهم : « يا عمر ! هالك
الهلال » .

فحين لم ير عمر الهلال على السماء قال : « ان هذا الهلال قد
ظهر في خيالك !

١١٥ . والا فأنا أقدر منك على رؤية الأفلاك ، فكيف لا أرى الهلال
الطاهر ؟

فبلى يدك ، وامسح بها على حاجبك ، ثم انظر — بعد ذلك —
الى الهلال ! »

فحينما بلل حاجبه لم ير الهلال ، فقال : « أيها الملك ! ليس هناك
هلال ! لقد اختفى ! »

فقال عمر : « نعم ! ان شعرة من حاجبك قد تقوّست ، فسددت
اليك سهمًا من الظن ! »

فحينما اعوجت شعرة سدت أمامه الطريق ، فاخذ يتشدّق بالقول ،

مدّعيًا رؤية الهلال !

١٢٠ فإذا كانت شعرة معوجة تصبح حجابًا للفلك ، فكيف يكون الحال لو اعوجت كل أعضائك ؟

فلتقوم أعضائك باقتدائك بأهل الاستقامة ، ولا تحوّل رأسك — يا طالب الاستقامة — عن أعتاب هؤلاء .

فكفة الميزان يكون لها ما يوازنها ، وكذلك يكون لها ما يخل بتوازنها .

فكل من أصبح متوازنًا مع المعوجين ، فقد وقع في النقصان ، وصار عقله مشوش الإدراك .

فاذهب ، وكن بالغ الشدة مع الكفار ، واحث التراب على التعلق بالأغيار .

١٢٥ ولتكن مثل السيف على رؤوس الأغيار ! كن أسداً ، وحذار من أن تلعب لعب الثعالب !

حتى لا تدفع الغيرة أحباءك الى الانقطاع عنك . ذلك لأن تلك الأشواك عدوّ لهذه الورود .

ولتشعل النار بالذئاب كما تشعلها بالبخور ! ان تلك الذئاب لهى أعداء يوسف .

وان ابليس ليخاطبك بقوله : « يا روح أيبك ! » حتى يخدعك بالقول هذا الشيطان اللعين ، فاحذره !

فلقد موّه على أيبك بمثل هذا الخداع . ان هذا الشيطان الأسود الوجه قد أهلك آدم (١) .

(١) في هذا البيت اشارة الى لعبة الشطرنج ، فكلمة « سيه رخ » التي يشير بها الى الشيطان ، معناها ، « أسود الوجه » ، كما أن الرخ أيضا قطعة من قطع الشطرنج . وأما القضاء على آدم فقد عبر عنه بقوله « مات كرد » وهو اصطلاح في الفارسية يدل على موت الملك في لعبة الشطرنج . والبيت التالي يزيد المعنى وضوحا .

١٣٠ فهذا الغراب ملاعب بارع أمام الشطرنج ، فلا تنظر الى اللعب بعين مثقلة بالنعاس .

ذلك لأنه يعرف كثيرا من الألعاب البارة ، التي تعلق بحلقك وكأنها القش أو القذى .

وان قذاه ليبقى في الحلق سنين . فما هذا القذى ؟ انه حبّ الجاه والأموال .

ان المال كالقذى — يا عديم الثبات ! — وطالما هو في حلقك ، فهو مانع ماء الحياة .

فلو سرق مالك عدوّ بارع الحيلة ، فانّ قاطع طريق يكون قد اختطف قاطع طريق !

كيف سرق المشعوذ حية من مشعوذ آخر

١٣٥ ان لصا حقيرا سرق حية من أحد المشعوذين . وكان لبلايته يحسب أنها غنيمة !

فخلص ذلك المشعوذ من عضّة الحية ، على حين أن الحية قتلت سارقها على أشنع صورة .

ورآه المشعوذ فعرفه ، وقال : « ان حيتى هي التي أخلته من الروح ! لقد كانت روحى تطلب في ضراعتها أن أجده ، وآخذ الحية منه ! فالشكر لله أن هذا الدعاء لم يستجب ! لقد ظننت ذلك ضرّا فاذا به قد غدا نفعا وخيرا !

١٤٠ فكم من دعاء يكون مضرة وهلاكاً ، فيحول دون اجابته كرم الله (١) .

(١) حرفيا : « والاله الطاهر — لكرمه — لا يستمع اليه » .

كيف التمس رفيق عيسى منه احياء العظام

رافق أحد البله عيسى على الطريق ، فرأى هيكلا عظيما في جب عميق .

فقال : « يا رفيق الاسم السنّي » ، الذي به تبت الحياة في الموتى ! علمني حتى أصنع الاحسان ، وأجعل تلك العظام — بهذا الاسم — ذات روح ! »

فقال عيسى : « اسكت ، فليس هذا من عملك ، ولا هو لائق بأنفاسك ولا بقولك !

١٤٥ فمثل هذا يحتاج الى نفس أنقى من المطر ، والى سلوك أكثر ادراكا من سلوك الملائكة !

فلا بدّ من مرور أعمار لتصبح الأنفاس نقية ، وليصبح الانسان أمين خزانة الأفلاك !

فهب أنك أمسكت يمينك هذه العصا ، فمن أين ليمينك ما كان ليمين موسى ؟ »

فقال الأبله : « فاذا لم أكن أنا ناطقا بالأسرار ، فاتل أنت الاسم السنّي على تلك العظام ! »

فقال عيسى : « يا الهى ! ما هذه الأسرار ؟ وما ميل هذا الأبله الى ذلك العناء^(١) ؟

١٥٠ كيف لا يغتم لنفسه هذا المريض ؟ وكيف لا يحزن على روحه هذا الميت ؟

لقد تخلى عن روحه التي عراها الموت ، وسعى الى احياء نفس سواه ! »

(١) ترجمنا البيت على أساس قراءة « درين بيكار ... »

فقال الحق : « انه مدبر يبحث عن الادبار ! فلا جزاء لزرعه سوى نبات الشوك ! »

وكل من بذر بذور الشوك في هذه الدنيا ، فحذار ثم حذار أن تبحث عنه في حديقة الورد .

انه لو أمسك بيده وردة صارت شوكة ! وان هو توجه نحو صديق صار الصديق ثعبانا !

١٥٥ فذلك الشقي هو كيمياء السم والحية ! وتلك مختلفة عن كيمياء المتقى .

كيف اوصى الصوفى الخادم بأن يعنى بالبهيمة

وكيف اجاب الخادم بقوله : « لا حول

ولا قوة الا بالله »

لقد دار صوفى حول الأفق . وذات ليلة نزل في احدى الزوايا . وكان معه حمار فربطه في الحظيرة ، ثم جلس مع الرفقاء في صدر الصفة .

فأصبح مع رفقاءه مراقبا . وان حضور الرفيق لدفتر بل أكثر من ذلك .

فليس دفتر الصوفى هو السواد والحرف . فما دفتره الا قلب أبيض مثل الثلج .

١٦٠ ان زاد العالم آثار القلم . فما زاد الصوفى ؟ انه آثار القدم ! فهو كصياد توجه الى الصيد ، فأبصر آثارا لخطى غزال فاقتفاه . ولقد ظلت آثار الغزال لائقة به بعض الوقت ، ثم أصبحت نافجة الغزال ذاتها مرشده على الطريق .

ولما كان قد شكر الخطى ، وانطلق على الطريق ، فان هذه الخطى

— لا جرم — هي التي أوصلته الى الرغاب .
وان مسيرة منزل واحد على رائحة النافجة ، لأعظم من مائة منزل
من السير والطواف .

١٦٥ وذلك القلب الذي هو مطلع للأقمار ، انما هو — من أجل العارف
— فاتح الأبواب .

فهو لديك بمثابة الحائط ، وهو لدى العارفين باب ! وهو عندك
كالحجر على حين أنه — عند هؤلاء الأعزاء — جوهر !
وهذا الذي تراه أنت عيانا في المرأة ، يرى الشيخ أكثر منه في
لبنة !

ان الشيوخ هم هؤلاء الذين — قبل أن يخلق هذا العالم — كانت
أرواحهم غرقى في بحر الجود !
ولقد قضوا قبل هذا الجسم أعمارا ، واجتنبوا من قبل الغراس
ثمرا !

١٧٠ وتلقوا الروح من قبل أن تخلق الصورة ، ونظموا الدر من قبل
أن توجد البحار !

وبينما كان التشاور جاريا حول ايجاد الخلق ، كانت أرواحهم
غارقة في بحر القدرة حتى الحلق !
وحين اعترض الملائكة على ذلك الخلق ، أخذوا يسخرون فى
الخفاء من الملائكة .

فكل من هؤلاء قد اطلع على صورة ما يكون من الكائنات ،
وذلك قبل أن تصبح النفس الكلية أسيرة المادة .
فأبصروا كيوان من قبل أن تخلق الأفلاك ! ورأوا الخبز من قبل
أن يخلق القمح !

١٧٥ وبدون دماغ ولا قلب حفلوا بالفكر ! وبدون جيش ولا حرب
تحقق لهم الظفر !

وهذا العيان بالنسبة اليهم ليس الا فكرة ، على حين أنه لا يتجاوز
ظاهر الرؤية عند البعيدين (عن الحق) !

والفكرة تكون منبثقة من الماضي ومن المستقبل ، فاذا ما تحررت
من هذين حلت المشكلة .

ان الروح قد أبصرت الخمر في العنب ! بل انها قد أبصرت
الأشياء وهي بعد في طيّ العدم !

ورأت كل ما تشكل حينما لم يكن قد اتخذ شكلا ! وعرفت
الصحيح والزائف من قبل أن يخلق المنجم !

١٨٠ واحتست الخمور وأظهرت ألوان السكر ، وذلك من قبل أن توجد
الأعقاب !

ان الشيوخ قد أبصروا الشتاء ابان الصيف اللاهب ، وشاهدوا
الظلال في شعاع الشمس !

ورأوا الخمر في قلب العنب ، وأبصروا الأشياء في باطن الفناء
المحض !

والسماء نشوى بما يدار في كأسهم من شراب ، والشمس من
جودهم ترفل في وشى الذهب .

واذا رأيت منهم صديقين مجتمعين ، فهما شخص واحد ، وهما
أيضا ألوف متعددة !

١٨٥ وان أعدادهم لهى على مثال الأمواج ، وما تعددها هذا الا من
فعل الرياح !

فشمس الروح قد أصبحت متفرقة حينما تفدت خلال نوافذ
الأبدان .

فأنت حين تنظر الى القرص ، فهي شمس واحدة . وأما من
حجبت بصيرته الأجساد فقد أحاطت به الشكوك .

ان التفرقة تكون في الروح الحيوانى ، وأما الروح الانسانى
فهو نفس واحدة .

وما دام الحق هو الذى رش عليهم نوره ، فان هذا النور لا يغدو
قط محل انقسام .

١٩- يا رفيقى ! دع عنك الملل لحظة واحدة ، حتى أحدثك بلمحة^(١)
من ذلك الجمال .

وليس البيان بقادر على اظهار جمال حاله ! فما العالمان ؟ انهما
ليسا سوى اشراقه من خاله .

وانى حين أنطق بكلمة عن خاله الجميل ، يريد النطق أن ينشق
جسدى !

ولكنى - مثل النملة - سعيد بهذا البيدر ، فهأنذا أجرّ حملا
يزيد كثيرا عن طاقتى !

كيف اوقف تقرير معنى الحكاية من جراء ميل

المستمع الى سماع ظاهر صورتها

متى يخلينى من هو حسد للضياء ، حتى أتحدث بما هو فرض ،
وبما هو جدير بأن يُقال ؟

(١) حرفيا : « بخال » .

١٩٥ ان البحر ليقذف بالزبد ، ويقيم سداً . ثم يجتذب ما أقام ، ومن بعد الجزر يعود الى المد .

فاستمع الآن الى المانع الذى قام : لعل قلب المستمع قد انصرف الى مكان آخر .

لقد مضى خاطره نحو الصوفى " الضيف ، وغاص فى ذلك الشوق حتى عنقه .

فقد أصبح لزاما علينا الآن أن نعود من هذا المقال الى تلك القصة ، لنقوم بوصف الحال .

أيها العزيز ! لا تحسبن " الصوفى تلك الصورة (التى تراها) .
الام أنت - مثل الأطفال - مولع بالجوز والزيب ؟

٢٠٠ فجسدنا - يا بنى - هو الجوز والزيب . فان كنت رجلا فتخل
عن هذين .

وان انت لم تتخل عنها فان اكرام الحق (قادر) على ان يجعلك تنطلق
عابرا آفاق السماوات التسع .

فاستمع الآن الى صورة الحكاية ، ولكن كن يقظا ، وميز بين
ما تحويه من قشر ومن لباب .

كيف ظن اهل القافلة أن حمار الصوفى مريض

ان حلقة هؤلاء الصوفية المستفيدين ، حين بلغت مداها من الوجد
والطرب ،

أحضر الخوان من أجل الضيف ، وحينذاك تذكر دابته .

٢٠٥ فقال للخادم : « اذهب الى الحظيرة ، وهىء التبن والشعير من

أجل ذلك الحمار .

فحقول الخادم ثم قال : « ما هذا الكلام الزائد ؟ ان هذه الأعمال مهنتى من قديم الزمن » .

فقال الصوفى : « لتبلى الشعر في بادىء الأمر ، فان هذا الحمار مسن واهى الأسنان » .

فحقول الخادم ثم قال : « ماذا تقول أيها العظيم ؟ ان الغير يتعلمون منى مثل هذه الشؤون » .

فقال الصوفى : « وابدأ بانزال السرج من فوقه ، ثم ضع دواء المنبل^(١) فوق ظهره الجريح » .

٢١٠ فحقول الخادم ثم قال : « وما نهاية هذا أيها الحكيم ؟ لقد نزل عندى مثلك آلاف من الضيوف ،

وقد فارقونا وهم راضون جميعا ، ذلك لأن الضيف عندنا بمثابة الروح والنفس .

فقال : « ولتعطه الماء ، وليكن فاترا » . فحقول الخادم وقال : « لقد أخجلتني ! »

فقال : « ولا تضع مع الشعر كثيرا من التبن » . فحقول الخادم، وقال : « أقصر هذا الكلام » .

فقال : « ولتنظف موضعه من الحصى والبعر . واذا كان مبللا فضع فوقه التراب الجاف » .

٢١٥ فحقول الخادم ، ثم قال : « أيها الوالد ! قل لا حول ولا قوة الا بالله ، وأقلل من الكلام مع الرسول الحاذق ! »

(١) دواء مصنوع من الأعشاب لمداوة الجراح .

فقال : « ولتأخذ مشطا ، ولتحك به ظهر الحمار » . فحوقل

الخادم ثم قال : « لتستح ايها الشيخ ! »

هكذا تكلم الخادم ، ثم عقد زناره مسرعا ، وقال : « الآن أذهب ،
وأبدأ باحضار التبن والشعير » .

ولكنه مضى ، ولم تخطر له الحظيرة قط على بال . وهكذا خدع
ذلك الصوفى .

لقد ذهب الخادم الى جماعة من الأوباش ، وسخر من وصية الصوفى .
٢٢٠ ولقد كان هذا الصوفى مجهدا من الطريق ، فاستلقى ، وأخذ
يشاهد أحلاما بعين الهامه :

أن حماره قد وقع بين برائن أحد الذئاب ، وكان الذئب ينهش
قطعا من ظهره وبطنه .

فحوقل الشيخ ثم قال : « ما هذا الحلم الشبيه بالخيال ؟ واعجبا !
أين ذلك الخادم المشفق ؟ »

ثم عاد فرأى حماره يمضى على الطريق ، وهو يسقط حينا فى
بئر وحينا فى حفرة .

وكان يرى فى صور شتى ما ساءه من تلك الواقعة ، فأخذ يقرأ
الفاتحة والقارعة .

٢٢٥ وقال : « ما الحيلة ؟ لقد انطلق الاخوان ومضوا ، وأغلقوا جميع
الأبواب » .

ثم عاد يقول : « عجبا لهذا الخادم ! ألم يأكل معنا الخبز والملح ؟
اننى لم أصنع معه الا اللطف واللين ، فلماذا يسلك معى بالحق
عكس سلوكى معه ؟ »

لا بد لكل عداوة من سند ، والا فان الاشتراك فى الجنس

موجب للوفاء » .

ثم أخذ يناجي نفسه قائلاً : « ولكن آدم ذا اللطف والجود ، متى كان قد أوقع الجور بابليس ؟

٢٣٠ وماذا صنع الانسان بالحية والعقرب ، حتى أن كلا منهما تلتبس له الموت والألم ؟

ان تمزيق الفريسة طبيعة للذئب . وهذا الحسد — على دل حال — ظاهر في الخلق » .

ثم عاد يقول : « ان هذا الظن السيء خطأ ! فلماذا يكون لدى مثل هذا الظن بأخى ؟ »

لكنه ما لبث أن قال : « ان الحزم في اساءتك الظن ! والا فمتى كان حسن الظن يبقى سالماً ؟ »

لقد كان الصوفي في هذه الوسوسة ، وأما الحمار فكان في حال ، جعلها الله جزاء للأعادي !

٢٣٥ فهذا الحمار المسكين كان بين التراب والحصى ، وقد مال سرجه ، وتقطع لجامه .

لقد أنهكه الطريق ، وقضى الليل بدون علف ، فكان حيناً يختصر ، وحيناً يوفى على التلف .

لقد كان هذا الحمار — طول الليل — يردد : « يا الهى ! لقد تنازلت عن الشعير ، فهل أقل من حفنة من التبن ؟ »

وكان لسان حاله يقول : « ايها الشيوخ ! رحمة بى ، فقد احترقت من جرّاء هذا الفرّ الجسور » .

فذلك الذي رآه هذا الحمار من الألم والعذاب ، يراه طائر برى وقع في سيل ماء !

٢٤٠ وأخذ الحمار المسكين يتقلب على جنبه حتى السحر ، لما اعتراه من جوع البقر^(١) .

وحين أقبل النهار ، جاء الخادم في الفجر ، وسرعان ما التمس السرج ووضعه فوق ظهر الحمار .

ووخزه وخزتين أو ثلاثا كما يفعل باعة الحمير . وهكذا صنع بهذا الحمار ما يليق بكلب .

فأخذ الحمار يتوثب من وخز الابرّة . ومن أين له اللسان ليفصح عن حاله ؟

وحين امتطاه الصوفى ، ومضى على الطريق ، أخذ الحمار يسقط على وجهه في كل لحظة !

٢٤٥ فكان الخلق ينهضونه في كل مرة ، وقد ظنوا جميعا أنه مريض . فهذا يمعن في تقليب أذنيه ، وذاك يفتش عن أذى في فمه . ومنهم من يبحث عن حصاة في نعله ، ومنهم من ينظر ما قد يكون من قذى في عينه .

وأخذوا يقولون : « أيها الشيخ ! ما سبب هذا ؟ ألم تقل بالأمس : شكرا لله ، ان هذا الحمار قوى ؟ »

فقال الشيخ : « ان هذا الحمار الذى تعشى بالأمس (حوكلات^(٢)) لا يستطيع أن يسير في الطريق الا على هذا النحو .

٢٥٠ فما دامت الحوكلات هى كل غذائه بالأمس ، فقد قضى الليل في

(١) جوع البقر مرض يقال انه اذا اصاب الدواب فانها تأكل ولا تشبع .

(٢) جمع حوقلة أى قول : « لا حول ولا قوة الا بالله » .

التسبيح ، وها هوذا يقضى النهار في السجود ! »
ان أكثر الناس أكلة للبشر ! فلا تلتمس في تسليمهم عليك كثيرا
من الأمان !

فقلوبهم جميعا منزل للشيطان ! فلا تكن متقبلا خداع شياطين
الانس .

فكل من انخدع بكلمة صالحة يلفظ بها الشيطان ، فانه يسقط
على رأسه في كفاحه ، كما حدث لذاك الحمار .

وكل من تقبل في هذه الدنيا خداع الشيطان ، (واستطاب)
التعظيم والرياء من عدو يتخذ مظهر الأصدقاء ،

٢٥٥ فهو — في طريق الاسلام ، وعلى جسر السراط — يقع متخبطا
على رأسه ، مثل ذلك الحمار .

فلا تصنع الى مخاتلات رفيق السوء ، وكن حذرا ، وفتش عن
الفخ ، ولا تمش آمنا فوق الأرض !

وتأمل آلاف الأبالسة المتظاهرين بالتقوى ! يا آدم ، انظر ابليس
في الحية !

انه يحدثك قائلا : « يا روحى ! يا حبيبى ! » . حتى يسلخ عن
حبيبه جلده ، كما يفعل القصاب !

انه ليخاتلك حتى يسلخ جلدك . فواها على من تشرب أفيون
الخداع من الأعادي !

٢٦٠ انه ليضع رأسه عند قدميك ، ويسمعك ختله ، كما يفعل القصاب ،
ليريق دمك ، في ذلتك وهوانك !

فكن كالأسد ، واعمل صيدك بنفسك . ودعك من خداع الغرباء
والأقرباء .

واعلم أن مراعاة الأخساء لك شبيهة برعاية ذلك الخادم ،
فانقطاعك عن الناس خير لك من أن تتلقى خداع اللئام .
ولا تقم دارك على أرض غيرك من الناس . واعمل عملك ولا
تعمل عمل الغرباء .

ومن هو الغريب ؟ انه جسمك الترابي الذي من جرائه يكون
حزنك !

٢٦٥ وطالما أنت تقدم لجسدك الدسم والخلوى ، فانك لن ترى جوهرك
الروحي دسما .

ومهما اتخذ الجسد مكانه بين المسك ، فان رائحته النتنة — لا
محالة — تظهر في يوم موته .

فلا تلتطخ الجسد بالمسك ، بل امسح به على قلبك . وماذا يكون
المسك ؟ انه اسم ذى الجلال الظاهر .

ان ذلك المنافق يضع المسك فوق جسده . ولكنه يضع روحه
في قرارة وعاء القمامة .

فعلى لسانه اسم الله ، وفي روحه تن ، يفوح من فكره الذى
تجرد من الايمان .

٢٦٦ فالذكر معه كالخضرة النابتة حول المزابل ، أو هو ورد وسوسن
نبت في بقعة قدرة .

فمن اليقين أن مثل هذا النبات عارية في ذلك المكان . فالورد
مكانه مجلس الأحباب ومحفل الأنس .

والطيبات يقبلن نحو الطيبين . وأما الخيشون فان لهم

ولا تحمل الحقد ، فان هؤلاء الذين أضلهم الحقد قد جعلت
قبورهم بجوار الحاقدين .

وان أصل الحقد هو الجحيم . وحقدك جزء من ذلك الكل وخصم
لدينك .

٢٧٥ فما دمت جزءا من الجحيم فلتكن يقظا ، فان الجزء ينجذب نحو
كله ويتخذ فيه مقرا .

والمر لا بد ملتحق بأقرانه من أهل المرارة . ومتى يكون حديث
الباطل قرينا للحق ؟

يا أخى ! انك لست الا تفكيرك . وما بقى منك بعد ذلك فليس
سوى عظام وشعر !

فلو كان فكرك وردا فانت بستان ورد . ولو كان فكرك شوكا
فانت وقود لموقد الحمام .

وان كنت ماء ورد وضعت على الرأس وعلى الحبيب . وان كنت
مثل البول طرحت بعيدا .

٢٨٠ وانظر الى الأوعية أمام دكان العطار ، تجد كل جنس قد وضع
فيها مع جنسه .

فحبات كل جنس قد وضعت مع نظائرها ، فانبعث من ذلك
التجانس زينة ورونق .

فلو أن حبات السكر قد امتزجت بالعود ، فان العطار يفصل هذه
عن ذلك حبة حبة .

(١) اقتباس من قوله تعالى : « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » . (سورة التور ، ٢٤ : ٢٥) .

لقد تحطمت أوعية (الأجساد) وانطلقت منها الأرواح ، واختلط
الطيب منها بالخبث .

فأرسل الحق الأنبياء برسائلهم ، حتى ينتقوا تلك الحبات ، فوق
الطبق .

٢٨٥ ومن قبل ذلك كنا جميعا أمة واحدة . ولم يكن أحد يعلم من
منا الطيب ومن منا الخبيث .

فالنقد الزائف والنقد الصحيح كانا شائعين في الدنيا ، وكان كل
شئ كالليل ونحن كالسائرين في الظلماء !

حتى طلعت شمس الأنبياء فقالت : « بعدا لك أيها العش ولتقبل
أيها الصفاء » .

ان العين هي التي تميز بين الألوان ، وهي التي تميز العقيق من
الحصى .

وهي التي تفرق بين الجوهر والقذى . ولهذا فان العين يخزها
القذى .

٢٩٠ وهؤلاء المزيّفون هم أعداء النهار . أما سبائك ذهب المنجم فهي
عاشقة للنهار !

ذلك لأن النهار مرآة تعريف للذهب . وبه يبصر (الدينار)
الأشرفى تشريفه .

ولهذا فان الحق وصف القيامة بأنها « يوم^(١) » . فالنهار هو
الذى يظهر جمال الأحمر والأصفر .

(١) في الفارسية كلمة « روز » معناها « يوم » ومعناها كذلك « نهار » .

فالحقيقة أن النهار سر الأولياء ، وإن كان نوره أمام قمرهم يبدو كالظلال .

فلتعلم أن النهار اشراق من سر رجل الله ، وأما انعكاس ستره فهو الليل الذي يغمض العيون .

٢٩٥ ولهذا السبب أقسم الحق تعالى بالضحي^(١) . والضحي نور ضمير المصطفى .

وفي قول آخر أن الإله الحبيب أقسم بالضحي ، وذلك لأن الضحي فيض من نوره .

والا فان من الخطأ القسم بالقانى . وكيف يليق الفناء بقول الله ؟

لقد أثر عن الخليل قوله : « لا أحب الآفلين » . فكيف يريد القسم بالفناء رب العالمين ؟

وأما قوله « والليل » فإشارة الى ستره ، وإلى الجسد الترايبى المحيط (بالروح) كالصدأ .

٣٠٠ فحينما أشرقت شمسُه من ذلك القلک ، قالت ليل الجسد « ما ودّعك ربك » .

ولقد تبدى الوصل من عين البلاء ، وعن تلك الحلاوة جاءت عبارة « ما قلى » .

فكل عبارة هي رمز لحال . والحال مثل اليد وأما العبارة فألتها . وآلة الصائغ في يد الإسكاف شبيهة بحبة غُرست في الرمال .

(١) في هذا البيت وكذلك في الابيات الستة التالية تفسيرات رمزية لسورة « الضحي » .

وآلة الاسكاف أمام الزارع ، كالتبن أمام الكلب ، أو كالعظام
أمام الحمار !

٣٠٥ ان قول « أنا الحق » كان على شفة المنصور نورا . وكان
قول « أنا الله » على لسان فرعون زورا .

ولقد صارت العصا في كف موسى شاهدا . لكنها أصبحت في
أيدي السحرة هباء !

ولهذا السبب فان عيسى لم يعلم رفيقه الأبله ذلك الاسم
الصمد (١) .

ان الذى لا يعرف النقص يعزو ذلك الى الآلة . فلتضرب الطين
بالحجر ، فهل تتولد من ذلك النار ؟

واليد والآلة شبيهان بالحجر والحديد . فلا بد من قرين لأن
التوليد يستلزم الاقتران .

٣١٠ والذى لا قرين له ولا آلة هو الواحد . وفي العدد شك ولكن
هذا الواحد لا شك فيه !

وكل من قالوا بالاثنين أو بالثلاثة ، أو بما هو أكثر من ذلك ،
متفقون على الواحد يقينا !

وحين يزول عنهم الحول يصبحون جميعا متشابهين . والقائلون
بالاثنين أو بالثلاثة يصبحون قائلين بالواحد !

فان قلت بالواحد فأنت في ميدانه . فليكن دورائك بدفع من
صولجانه .

(١) اشارة الى قصة عيسى والرجل الأبله . انظر الابيات ١٤١ - ١٥٥ .

ان الكرة تصبح كاملة لا نقص فيها حينما تغدو راقصة من ضربة
كف المليك .

٣١٥ فاستمع - أيها الأحول - الى ذلك بعقلك . وتلق دواء لعينك
عن طريق أذنك .

فالكلام الطاهر في القلوب العمياء لا يدوم ، بل ينطلق نحو أصل
النور .

وأما سحر الشيطان فيستقر في القلوب العوجاء ، كما تستقر
القدم العوجاء في الحذاء الأعوج .

ومع أنك بالتكرار قد تحصل الحكمة ، فانها تغدو بريئة منك ،
لو لم تكن أهلا لها .

ومع أنك قد تكتبها وتضع رموزها ، ومع أنك قد تتشدد بها
وتعلن بيانها ،

٣٣٠ فانها تحجب وجهها عنك أيها العنيد ، وتقطع روابطها بك ،
وتهرب منك .

وان أنت لم تقرأها ، وأبصرت تحرقك اليها ، كان العلم طائرا
طوع يمينك !

والعلم لا يدوم عند من ليس بأستاذ ، فهو كالطاووس (لا يقيم)
بمنزل الفلاح .

كيف وجد الملك الباز في منزل المرأة العجوز

انه ليس مثل ذلك الباز الذي هرب من الملك الى امرأة عجوز ،
كانت تنخل الدقيق ،

حتى تعد الفطائر لأولادها . فرأت ذلك الباز الجميل الرفيع المولد .

٣٢٥ فربطت قدميه الصغيرتين ، وقصت جناحيه ، وقلمت مخالبه ، وقدمت له القش غذاء .

وقالت : « ان من ليسوا أهلا لك لم يقوموا برعايتك ، فتكأثر ريش جناحيك وطالت مخالبك !

ان يد هؤلاء الجهلاء قد جعلتك عليلا ، فأقبل الآن نحو أمك لتبذل لك عنايتها ! »

فاعلم أن هذا شأن حب الجاهل أيها الرفيق . فالجاهل يمشى على الدوام معوجا فوق الطريق !

ولقد تأخر الوقت بالملك وهو يفتش عن بازه . فتوجه نحو تلك المرأة وخيمتها ،

٣٣. وسرعان ما رأى الباز بين الغبار والدخان . فبكى عليه الملك متألما ورثى لحاله .

وقال : « ان هذا الجزاء لفعلك ، فانك لم تكن مستقيما في وفائك لنا .

كيف تركت جنة الخلد واتخذت النار قرارا ؟ أكنت غافلا عن قوله تعالى : « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة^(١) » ؟

ان هذا جزاء من فر من الملك الخبير ، والتجأ بغباء الى عجوز تننة ! »

(١) انظر : سورة الحشر ، ٥٩ : ٢٠ .

فاخذ الباز يمسح جناحه على كف الملك . وكان لسان حاله يقول :
« اننى أثمت ! »

٣٣٥ ولكن أين ينوح وأين ينتحب اللئيم ، ان كنت لا تتقبل غير
الطيب ، أيها الكريم ؟ »

ان لطف المليك يجعل الروح طالبة للاثم ، ذلك لأن المليك يجعل
كل قبيح حسنا .

فاذهب ، ولا تصنع السيئات ، فان حسناتنا تبدو سيئات أمام
محبونا الجميل !

لقد ظننت عبادتك لاثقة به ، ولهذا فانك قد رفعت لواء الجرم .
فهو اذ كان قد أمرك بالذكر والدعاء ، أصاب الغرور قلبك بدعائك
هذا ،

٣٤٠ ورأيت نفسك نجيا لله ! وما أكثر من وقعوا بعيدا عن الله من
جراء هذا الظن !

ومع أن الملك يجلس معك على الأرض فلتعرف قدر نفسك ،
ولتحسن الجلوس .

فقال الباز : « أيها الملك ! لقد أصبحت نادما . لقد تبت ، وهأنذا
أعود الى الإسلام .

فذلك الذى جعلته سكران ، متوهما صيد الأسود ، ان كان قد
اعوج في سيره فتقبل عذره .

ومع أن اظافرى قد ولت ، فانى أقتلع الشمس من مدارها ، حين
تكون لي !

٣٤٥ ولئن كان جناحي قد ولي ، فان لعب الفلك يتضاءل أمام لعبي ،
حين تدللني !

ولو أنك منحتني منزرا لاقتلعت الجبل . ولو وهبتني قلما لحطمت
الأعلام !

فمهما يكن جسمي فليس بأقل من جسم البعوضة . فلاحطمن
بجناحي ملك النمرود !

فافترض أنني - في ضعفى - طير أبايل^(١) ، وأن كل خصم من
خصومي مثل الفيل ،

فلو أنني ألقيت فوقه حجرا من سجيل^(٢) ، لكان لهذا من الفعل
قدر ما يكون لمائة منجنيق !

٣٥٠ لقد خاض موسى الوغى بعصا واحدة ، وتهجم بهذه على فرعون
وعلى كل سيوفه !

ان كل رسول لم يكن الا رجلا واحدا طرق هذا الباب ، فغلب
بمفرده على جميع الآفاق !

وحين التمس نوح من الله سيفا أصبحت أمواج الطوفان بأمره
تفعل فعل السيوف !

يا أحمد . ماذا تكون جيوش الأرض ؟ انظر الى القمر على السماء
ثم شق جبينه !

حتى يعلم من كان جاهلا بالسعد والنحس أن هذا دورك ، لا دور
القمر .

(١) ، (٢) في هذين البيتين اشارة لقصة أصحاب الفيل . انظر سورة
الفيل .

٣٥٥ انه دورك ، يا من كان موسى الكليم يتطلع بأمل راسخ الى دورك وزمانك !

فموسى حينما أبصر رونق دورك ، وقد أشرق فيه صبح التجلى ، قال : « يا رب ! أى دور للرحمة هذا ؟ لقد تفوق على الرحمة . انه دور الشهود !

فلتغرق (عبدك) موسى في البحار ، ولتظهره (من جديد) ابان دور أحمد .

فقال الحق : « يا موسى ! لقد أظهرته لك من أجل هذا^(١) . وفتحت لك بهذه الرؤية سبيل تلك الخلوة .

٣٦٠ وانك بعيد عن ذلك ابان هذا الدور ، أيها الكليم ، فاسحب قدمك لان هذا البساط مديد .

اننى لكريم ، أظهر الخبز لعبدى حتى يبكى الطمع ذلك المخلوق الحى .

فالأم تمسح على أنف طفلها الرضيع ، حتى يفيق ويلتمس غذاءه . فلعله قد نام جائعا فلم يعد يستشعر الجوع ، في حين أن الأم يخزها ثدياها لتدر الحليب .

كنت كنزا رحمة مخفية فابتعثت أمة مهدية

٣٦٥ فكل الكرامات التى تلتمسها بروحك قد أظهرها الله لك حتى تطمح اليها .

لقد حطم أحمد بضعة أصنام في هذه الدنيا ، حتى تصبح الأمم هاتفة باسم الله .

(١) من أجل أن يشتعل في قلبك مثل هذا الأمل والتطلع الى عصر احمد .

ولو لم يكن جهد أحمد لبقيت أنت أيضا تعبد الصنم مثل
أجدادك .

ان رأسك هذا قد نجا من السجود للصنم فبذلك تعرف حقه
على الأمم .

فلو أنك تتكلم فتكلم بشكر تلك النجاة ، حتى يخلصك أيضا
من صنم الباطن .

٣٧٠ وما دام قد خلص رأسك من عبادة الأصنام ، فلتخلص أنت
القلب بتلك القوة ذاتها .

انك قد انحرقت برأسك عن شكر الدين ، لأنك قد تلقيته بدون
مقابل ، ميراثا عن أبيك .

وماذا يعرف صاحب الارث عن قيمة المال ؟ ان رستم لقيت روحه
العناء (في تحصيله) وتلقاه بالمجان زال .

وانى — اذا أبكيت — جاشت رحمتى ! ذلك لأن الباكي ينهل
من شراب نعمتى !

ولو اننى لم أرد اكرامه لما أظهرت له النعم . فحينما أشعره بانقباض
القلب أعود فأشرح صدره .

٣٧٥ وان رحمتى لموقوفة على تلك الدموع الصادقة ، فاذا ما بكى
العبد جاش البحر بأمواج الرحمة » .

كيف اشترى الشيخ أحمد خضرويه — قدس

الله سره العزيز — حلوى لغرمائه بالهام الحق

كان شيخ دائم الوقوع في الدين ، وذلك لما كان عليه هذا الشهير

من الكرم !

لقد كان يستدين الآلاف من أولى الثراء ، وينفقها على فقراء الدنيا !

كما أنشأ بالدين زاوية للصوفية ، ووهب للخير الروح والمال والزاوية .

وكان الحقّ يؤدّي عنه الدين في كل جانب . فإله قد صنع للخليل دقيقا من الرمال !

٣٨٠ ولقد قال الرسول ان ملكين في هذه الدنيا يدعوان في الأسواق، قائلين : « اللهم أعط كل منفق خلفا . اللهم أعط كل ممسك تلفا » .

وبخاصة ذلك المنفق الذي جاد بروحه ، وجعل عنقه قربانا لخلق الوجود !

لقد مدّ عنقه (ليذبح) كما فعل اسماعيل ، ولكن السكين ما كانت لتفعل فعلها بحلقه !

فالشهداء من هذا الوجه أحياء ناعمون ، فلا تقصر نظرك على الجسد مثل الكافرين .

٣٨٥ وما دام الله قد وهبهم لقاء ذلك روح البقاء ، فقد بقيت أرواحهم آمنة من الحزن والألم .

ولقد ظل الشيخ المدين يفعل ذلك سنين ، فكان يأخذ ثم يعطى كأنه وسيط .

كان يبذر البذور حتى يوم الأجل ، ليكون في يوم الأجل أميرا أجلا !

وحيثما اقترب عمر الشيخ من نهايته ، أبصر في كيانه علامات
المنية .

وجلس الدائنون مجتمعين حوله ، أما الشيخ فكاد كيانه ينصهر ،
كأنه شمعة .

٣٩٠ وكان أصحاب الدين يائسين وقد اكفهرت وجوههم . كانت قلوبهم
متألمة ، وصدورهم ضائقة .

فقال الشيخ : « انظر الى هؤلاء الذين ساءت ظنونهم ! أليس
لدى الحق أربعمئة دينار من الذهب ؟ »

وارتفع خارج الدار صوت طفل ينادى على حلواه . وكان يقرظ
الحلوى على أمل في الدوايق .

فأومأ الشيخ برأسه الى الخادم ، وأمره بأن يذهب ويشتري كل
تلك الحلوى .

« فلعلّ الدائنين — حين يأكلون من هذه الحلوى — يصرفون
عنى نظراتهم المريرة لحظة واحدة » .

٣٩٥ فانطلق الخادم مسرعا نحو الباب ، حتى يشتري بالذهب تلك
الحلوى .

وقال للطفل : « بكم جملة هذه الحلوى ؟ » . فأجاب الطفل :
« انها بنصف دينار وقليل من الدوايق » .

فقال الخادم : « ضعها ، ولا تغال في الثمن مع الصوفية . سأعطيك
نصف دينار ، فلا تقل أكثر من ذلك » .

فوضع الطبق أمام الشيخ . فتأمل الآن ما احتجب من أسرار
فكر الشيخ .

لقد أشار الى دائنيه قائلا : « ان هذا نوال . فكلوه متبركين
هنيئا فانه (رزق) حلال !

٤٠٠ . وحينما صار الطبق خاليا تناوله الطفل وقال : أعطني دينارى ،
أيها الحكيم ! »

فقال الشيخ : « ومن أين آتيك بدرهم ؟ اننى مدين وذاهب
نحو العدم » .

فاغتم الغلام ، وضرب بطبقه الأرض ، وارتفع صوته بالنواح
والبكاء والأنين .

كان يبكى من الغبن وقد علا نسيجه ، قائلا : « ليت ساقى كاتنا
قد كسرتا !

ليتنى كنت قد درت حول مستودع للقمامة ، ولم أمرّ أمام
باب هذا الخانقاه .

٤٠٥ هؤلاء الصوفية الطفيليون المتسوّلون ، لهم قلوب كلاب ، وهم
يلعقون وجوههم كالقطط .

فلصراخ الطفل اجتمع كل من كان هناك من أهل الخير والشر ،
وتجمهروا حول الطفل .

وتقدم الطفل نحو الشيخ قائلا : « أيها الشيخ القاسى ! انك
تعلم يقينا أن معلمى سيقتلنى .

انى لو ذهبت اليه خاوى اليد فلسوف يقتلنى ، فهل تجيز ذلك ؟ »
وأما هؤلاء الدائنون فقد التفتوا الى الشيخ بانكار وجحود ،
قائلين : « وماذا كانت هذه اللعبة ؟

٤١٠ لقد أكلت أموالنا ، وها أنت ذا تقترف المظالم ! فلاى سبب كان

اقتراف هذا الظلم الجديد ، فوق هاتيك ؟ »
وأخذ الطفل يبكى حتى صلاة العصر . أما الشيخ فقد أغلق
عينيه ، ولم يكن ينظر اليه .
ان قلب الشيخ كان خاليا من الجفاء ومن الخلاف . ولقد غطى
باللحاف وجهه الشبيه بالقمر .
وكان على وفاق مع الأزل ، وعلى وفاق مع الأجل . كان سعيدا
خالي البال من أراجيف الخاصة والعامة ومن أقوالهم !
فمن أشرقت في وجهه الروح ببسمة حلوة كالقند ، ماذا يضيره
من عبوس وجه الخلق ؟
٤١٥ وذلك الذى تثبّله الروح فوق عينيه ، أنى لغم الفلك أو غضبه
أن ينال منه ؟
وأى خوف للقمر - وهو في منزل السماء - من الكلاب
ونباحها ، في الليلة القمرء ؟
فالكلب في مكانه يقوم بعمله ، والقمر يؤدي مهمته بوجهه
المشرق .
وكل شخص ينهض بأداء عمله الصغير . والماء لا يتخلى عن
صفائه لو ألقيت به بعض الاقدار .
فهذه الأقدار تسبح زرية على سطح الماء ، ويسلك الماء الصافى
سبيله بدون اضطراب .
٤٢٠ والمصطفى يشق البدر في منتصف الليل ، وأبو لهب في حقه
يتشدق بالهراء .
وهذا المسيح يحيى الموتى ، وأما ذلك اليهودى فهو يقتلع -

من الحق — شاريه .

فهل لنباح الكلب سبيل الى أذن البدر ، لا سيما حين يكون
هذا البدر من خواص الله ؟

ان الملك يحتسى شرابه على شاطئ النهر حتى السحر . وهو في
مجلس سماعه لا يشعر بنقيق الضفادع .

فلو أن حق الطفل قسم على الحاضرين ، لكان على كل منهم (أن
يدفع) بضعة دوايق ، لكن همة الشيخ حالت دون هذا السخاء .

٤٢٥ فلم يعط الطفل أحد من هؤلاء شيئا قط . وان قوة الشيوخ لتفوق
ذلك أيضا .

وحيثما حلت صلاة العصر جاء خادم يحمل في يده طبقا جادا به
كريم حاتمي الجود .

ان صاحب مال وحال قد أرسل هدية الى الشيخ ، لأنه كان
علما بخبره .

وكان فوق الطبق أربعمئة دينار ، وفي زاوية منه نصف دينار
ملفوف بالورق .

لقد أقبل الخادم نحو الشيخ ، فحياه ، ثم وضع الطبق أمام
ذلك الشيخ الفريد .

٤٣٠ وحيثما كشف عن الطبق الغطاء ، أبصر الناس تلك الكرامة من
الشيخ .

وسرعان ما ارتفعت منهم صيحات الأسى والندم ، وقالوا : « ما
هذا يا سيد الشيوخ ! يا ملك الملوك !

ما هذا السر ؟ وأي سلطان ذلك أيضا ، يا ملك ملوك الأسرار !

اننا لم نكن نعلم ، فاصفح عنا . فلقد انطلقت منا كلمات بالغة التشویش .

فلقد كنا نضرب بعصينا كالعميان ، فلا جرم أننا قد حططنا القناديل !

٤٣٥ اننا مثل الصم ، لم نسمع كلمة واحدة توجه إلينا ، ومع ذلك كنا نهذى بجواب مبني على القياس .

اننا لم نأخذ النصيحة من موسى ، الذي غدا بإنكاره الخضر صاحب الوجه ،

برغم ما كان له من بصر يرنو إلى الأعالي ، وعين كان نورها يشق السماء !

يا موسى (زماننا) ! ان التعصب قد جعل عينك — في حماقتها — شبيهة بعين فأر الطاحون .

فقال الشيخ : لقد صفحت عن كل هذا القيل والقال ، وبهذا قد أصبح حلالا لكم .

٤٤٠ والسر في ذلك كله أنني كنت أسأل الحق . فلا جرم أنه قد بين لي سبيل الصواب .

ثم قال : « ان هذا الدينار — مع أنه قليل — كان رهنا بلكاء الطفل .

فلو أن هذا الطفل بائع الحلوى لم يبك ، ما جاش بحر رحمتي (بالعطاء) .

أيها الأخ . ان الطفل ليس سوى طفل عينك . ورغابه رهن باللكاء ، فاعلم ذلك يقينا .

فاذا أردت أن تحظى بهذه الخلعة^(١) ، فلتجعل انسان عينك
باكيا على الجسد .

كيف حذر شخص أحد الزهاد قائلا
« أقل البكاء ، حتى لا تصاب بالعمى »

٤٤٥ : خاطب رفيق في العمل أحد الزهاد قائلا : « أقل البكاء ، حتى
لا تصاب عينك بالأذى .

فقال الزاهد : « ان الحال لا يخرج عن أحد أمرين : اما أن
تبصر العين ذلك الجمال ، أو لا تبصره .

فان أبصرت العين نور الحق فأى غم هناك ؟ وما أهون العينين
عند من نعم بوصول الحق !

وان لم ترد العين رؤية الحق فمرها بالذهاب . وقل لمثل تلك العين
الشقية : « كونى عمياء » .

ولا تأس على عينك حينما يكون لك هذا المسيح . ولا تتجه نحو
الشمال ، فانه يهبك عينين صحيحتين (لقاء استقامتك) .

٤٥٠ : ان عيسى روحك حاضر معك . فالتمس النصرة منه ، فانه نعم
النصير .

ولكن لا تضع على قلب عيسى في كل لحظة أثقال السخرة لجسم
حافل بالعظام .

(١) حرفيا : « فاذا أردت أن تصل اليك هذه الخلعة ... » .

كما فعل ذلك الأبله الذى ذكرناه في القصة ، تبصرة لأهل
الصلاح^(١) .

فلا تلتمس من مسيحك حياة الجسد . ولا تطلب رغب فرعون
ممن هو لك بمثابة موسى .
ولا تثقل فؤادك بهم التفكير في المعاش . فلن يخونك الرزق .
فلتكن ماثلا في رحاب الله .

٤٥٥ ان البدن بمثابة خيمة للروح ، أو هو مثل السفينة لنوح .
وطالما كان التركمانى هناك ، فسيجد احدى الخيام ، لا سيما
حين يكون من أعزاء تلك الرحاب .

تمام قصة بعث العظام بدعاء عيسى عليه السلام

ان عيسى نادى باسم الحق على العظام ، اجابة للتمس ذلك
الشاب .

فكان حكم الحق — من أجل ذلك الفتى الغرّ — أن يث الحياة
في صورة تلك العظام .

وكان أن قفز منها أسد أسود اللون ، وضربه بمخالبه فدمر كيانه
الصورى !

٤٦٠ وحطم رأسه ، فسرعان ما انسكب منه لبثه . لقد كان لبّ جوزة،
فالفتى لم يكن من أولى الألباب .

ولو كان من أولى الألباب لما كان تحطيمه يتجاوز ايذاء الجسد .

(١) حرفيا : من أجل أهل الصلاح .

لقد قال عيسى للأسد : « كيف ضربته بهذه السرعة ؟ »
فقال الأسد : « لأنه كان مصدرا لازعاج خاطرك » .
فقال عيسى : « ولماذا لم تشرب دم الرجل ؟ » فقال الأسد :
« انه لم يقسم لى تناول هذا الرزق » .
وكم من رجل شبيه بهذا الأسد الضارى ، ترك الدنيا من غير
أن يأكل صيده !
٤٦٥ نصيبه المقسوم لا يعدل القشة ، وحرصه مثل الجبل . ولا وجه
(للرزق) مع أنه قد طرق جميع الوجوه !
فيا من يسرّت لنا في هذه الدنيا أن نسخر أنفسنا لما لا يجدى !
يسرّ لنا الخلاص !
لقد ظهرت لنا (مغريات العيش) طعمة ، في حين أنها شص !
فلتظهرها لنا على ما هي عليه .
قال الأسد : « أيها المسيح ! ان هذا الصيد لم يكن له من هدف
سوى الاعتبار !
ولو أنه كان قد بقى لى رزق في هذه الدنيا ، فإى عمل كان لى
مع الموتى ؟ »
٤٧٠ ان هذا جزاء من يجد الماء صافيا فيبول في النهر بدون تمييز
مثل الحمار .
ولو أن الحمار أدرك قيمة ذلك النهر ، لوضع رأسه فيه بدلا من
أن يغشاه بقدمه .
لقد لقي (الأحق) مثل ذلك النبى^(١) ، من كان أميرا على الماء ،

(١) اشارة الى قصة الأحق الذى رافق عيسى (انظر الأبيات ١٤١ -

باعثا للحياة .

فكيف لا يموت أمامه قائلا : « يا أمير الماء . ردّ إلينا الحياة بأمر كن » .

فحذار ، ولا تطلب الحياة لكلب نفسك الأمانة ، فانها منذ القدم عدو لروحك .

٤٧٥ وليحت التراب على رأس تلك العظام ، التي تحول بين هذا الكلب وبين صيد الروح .

فان لم تكن كلبا فما هذا التعشق للعظام ؟ وان لم تكن مثل الضبع فلماذا أنت مولع بالدماء ؟

وأية عين تلك التي تكون بدون ابصار ؟ انه لا يتحقق من امتحانها شيء سوى الفضيحة والعار ؟

ولقد يكون للظنون سهو بين حين وآخر ، ولكن أى ظن هذا الذى يكون أعمى عن الطريق ؟

أيتها العين التي تبكى متحبة على سواها ! لتجلسي الآن قليلا ولتبكى على نفسك !

٤٨٠ فالسحاب الباكي يجعل الأغصان مخضرة يانعة . وكذلك الشمعة تزداد بكائها نورا !

فحيثما ينوح النائحون اتخذى لك مجلسا ، فانك أنت أولى من هؤلاء بالحنين .

فهؤلاء يكون على فراق ما يفنى ، وهم غافلون من عقيق منجم البقاء .

ذلك لأن نقش التقليد قيد للقلب . فامض وحطم هذا القيد بماء

المدامع .

ولما كان التقليد آفة لكل خير ، فانه ليس سوى قشة حتى ولو
كان جبلا منيعا .

٤٨٥ ولئن يكن الضرير عظيم الجسم سريع الغضب ، فاعلم أنه
ليس سوى كتلة من اللحم ما دام بدون بصر .

ولئن كان يتحدث بكلام أدق من الشعرة ، فانه لا يكون بقلبه
مدركا هذا الكلام .

وانه ليستشعر النشوة بما يقوله ، لكن بينه وبين الخمر طريقا
بعيدا !

فهو مثل النهر ، فليس هو الذى يشرب الماء ، بل الماء ينساب
خلاله الى شارييه .

فالماء لا يستقر في مجرى النهر ، لأن النهر لا يكون ظمآن ولا
يشرب الماء .

٤٩٠ بل هو مثل الناي يشدو بأنات الأسى ، وهو ليس الا متخذا
صورة تعجب المشتريين .

ان المقلد يتخذ في الحديث صورة محترف النواح ، وليس لذلك
الخبث من باعث سوى الطمع !

فهذا النائح المحترف ينطق بكلمات تحرق القواد ، ولكن أين هو
من احتراق القلب وشق الثياب ؟

فهناك فروق شاسعة بين المحقق وبين المقلد ، فان هذا مثل داود
وأما ذاك فمثل الصدى .

ومنبع قول هذا هو احتراق القلب ، أما ذلك المقلد فمنبع قوله
ما تلقاه من تعليم بال مهمل !

٤٩٥ فتنبه ، ولا تغتر بذلك القول الحزين ، فالثور هو الذى يحمل
العبء ، على حين يكون من العربة الأنين .
والمقلد أيضا ليس محروما من الثواب ، فان محترف النواح ينال
أجره عند الحساب .
والكافر والمؤمن كلاهما ينطقان باسم الله ، لكن شقة شاسعة
البعد تفرق بينهما .
وذلك المتسول يهتف باسم الله من أجل الخبز ، أما المتقى فيذكر
الله من صميم روحه .
ولو أن ذلك المتسول أدرك مضمون قوله ، لما كان يبقى ماثلا أمام
عينيه قليل ولا كثير .
... هـ ان ذلك المتعلق بالخبز ينطق باسم الله طوال السنين ، فهو مثل
الحمار يحمل المصحف من أجل وجبة من التبن !
فلو أشرق في قلبه لفظ شفتيه ، لتحول كيانه الجسدى الى
ذرات .
وفي السحر يملك اسم الشيطان ناصية الطريق . وها أنت ذا
تتجر باسم الحق لقاء دائق !

**كيف اخذ فلاح يدلك بيده في الظلام جسم أسد
ظانا أنه ثوره**

لمقد ربط أحد الفلاحين ثوره في الحظيرة ، فأكل الأسد هذا
الثور وجلس في مكانه .
ودخل الفلاح الحظيرة في الظلام متجها نحو ثوره ، وأخذ

يتجسس الأركان باحثا عن ثوره .

٥٥٥ ثم أخذ يدلك بيده أعضاء الأسد ، ظهره وجانبيه ، عاليه وسافله .
فحدث الأسد نفسه قائلا : « لو انبثق الضياء لانفجرت مرارته
(رعبا) ولغدا قلبه دما !

انه يدلكنى بجسارة على هذه الصورة ، لأنه — في هذه الظلمة —
يحسبني ثوره .

والحق يقول : « أيها المغرور الأعمى ! أو لم يتصدع جبل الطور
تحت وطأة اسمي ؟

فلو أننا أنزلنا كتابا على الجبل ، لا نصدع الجبل ، وتساقط
وزال من مكانه (١) .

٥١٠ ولو أن جبل أحد أصبح مدركا حقيقتنا ، لتفجرت منه عيون
الدماء !

وأنتم قد تسامعتم بنا من آبائكم وأمهاتكم ، فلا جرم أن غمض
عليكم الأمر في غفلتكم .

ولو أنكم أدركتم الحق بدون تقليد ، لخفى من اللطف كيأنكم
المادى ، وغدوتم مثل نداء السماء !

فاستمع الى هذه القصة لتكون لك رادعا ، فانك تعلم منها
آفة التقليد :

(١) هذا البيت عربى في الاصل ، وقد نشرناه لمجاراة السياق .

كيف باع الصوفية بهيمة المسافر ، ليقيموا بثمرتها مجلسا للسمع

وصل صوفى مسافر الى احدى الزوايا ، وهناك جاء بحماره
وقاده الى الحظيرة .

٥١٥ وقدم اليه بيده قليلا من الماء وبعض العلف ، ولم يفعل كما فعل
الصوفى الذى سبق لنا ذكره^(١) .

لقد احتاط للأمر من السهو ومن التخطى ، ولكن - اذا حتم
القضاء - فأى جدوى للاحتياط ؟

وكان هؤلاء الصوفية معوزين فقراء . والفقر كاد أن ينطوى على
كفر يورث البوار .

أيها الغنى البشم ! حذار ، ولا تهزأ من انحراف ذلك الفقير
المتألم !

فهذا الجمع من الصوفية - لفرط فاقتهم - قد اتفقت كلمتهم على
بيع الحمار .

٥٢٠ قائلين : « ان الضرورة تبيح أكل الميتة ، وكيم من فساد جعلته
الضرورة صلاحا ! »

وسرعان ما باعوا ذلك الحمار الصغير ، واشتروا بثمرته طعاما
شهيا ، وأضأوا الشموع !

وتعالت المصيحات في جوانب الخانقاه : « ان الليلة للطعام الشهى
والشره ومجلس السماع ! »

(١) بدأت قصة ذلك الصوفى في البيت ١٥٦ ، ثم استؤنفت في الأبيات

وكفانا حملا لهذا الزنبيل وكفانا سؤالا ، وكفانا صبرا ، وكفانا
صوما يطول مداه^(١) ! »

اننا أيضا من خلق الله ، من ذوى الروح . وها هى ذى السعادة
قد حلت الليلة في ضيافتنا ! »

٥٢٥ وهم بذلك قد غرسوا بذور الباطل ، اذ قد ظنوا من الروح ما لا
شأن له بالروح .

وذلك المسافر أيضا كان متعبا من الطريق الطويل ، فرأى هذا
الاقبال والتكريم .

فكل من هؤلاء الصوفية دله ورعاه ، ولعبوا جميعا نرد الرعاية
على أحسن الوجوه !

فلما رأى الصوفى ميلهم اليه ، قال : « لو أنتى لم أطرب الليلة ،
فمتى يكون ذلك ؟ »

فأكلوا لذيذ الطعام ثم بدأ السماع ، فامتلا جوّ الزاوية بالدخان
والغبار ،

٥٣٠ دخان من المطبخ ، وغبار يتصاعد من الأرض ، تدقها أقدام
الراقصين ! وأرواح ثائرة غلب عليها الاشتياق والوجد !

فتارة كانوا يصفقون بالأيدى ، وتارة يدقون بالأقدام . وحينما
كانوا يكنسون أرض الصفة بجباههم .

ان الصوفى يطول انتظاره لينال مبتغاه من الدنيا ، ولهذا فان
الصوفى يكون كثير الأكل !

(١) حرفيا : « يدوم ثلاثة أيام » .

وما كذلك يكون الصوفى الذى اغتذى حتى شبع من نور الحق ، فان هذا يكون بريئا من عار التسول !
وليس من أمثال هذا الصوفى سوى قلة بين آلاف . وفي ظلال دولة هؤلاء تعيش الكثرة الباقية .

٥٣٥ وحينما اكتمل السماع من أوله الى آخره ، بدأ المطرب من جديد يعزف نغمة قوية !

وبدأ يترنم قائلا : « ذهب الحمار ! ذهب الحمار ! » فدفعت حرارة النغمة جملة الحاضرين لمشاركته الغناء .
وبتلك الحرارة ظلوا يرقصون حتى السحر ، ويصفقون بالأكف مرددين : « ان الحمار مضى وولى يا فتى » .
وعلى سبيل التقليد بدأ هذا الصوفى أيضا يترنم مرددا : « ذهب الحمار » .

وحينما انقضت هذه النشوة والانفعال وذاك السماع ، بزغ الصبح ، فقالوا جميعا : « الوداع » .

٥٤٠ وخلت الزاوية الا من هذا الصوفى . وكان هذا المسافر يمسح الغبار عن متاعه .

وأخرج الصوفى متاعه من الحجرة ليربطه فوق الحمار . وكان ينشد رفيقا للسفر .

ولقد سارع عله يلحق برفقاء الطريق . ودخل الحظيرة فلم يجد حماره فيها !

فقال : « لعل ذلك الخادم قد أخذه الى الماء ، فانه لم يشرب بالأمس الا قدرا ضئيلا » .

وَأَقْبَلَ الْخَادِمُ فَسَأَلَهُ الصُّوفِيُّ : « أَيْنَ الْحَمَارُ ؟ » فَقَالَ لَهُ الْخَادِمُ :
« انظر الى لَحْيَتِكَ ! » . فقام بينهما العراك .

هـ فقال الصُّوفِيُّ : « أَنتَ قَدْ أَسْلَمْتَ إِلَيْكَ هَذَا الْحَمَارُ . وَجَعَلْتَهُ
مَوْكَلًا بِهِ ،

فَأَلْزَمَ حَدُودَ هَذَا الْبَحْثِ ، وَلَا تُجَادِلْنِي . وَرَدَّ إِلَى مَا أَوْدَعْتَهُ
عِنْدَكَ !

أَنْتَ أَطْلُبُ مِنْكَ مَا كُنْتَ أَسْلَمْتَكَ إِيَّاهُ . فَلْتَعُدْ إِلَى مَا كُنْتَ قَدْ
أَرْسَلْتَهُ إِلَيْكَ .

وَلَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ : إِنْ كُلُّ مَا أَخَذْتَهُ يَدُكَ ، لَا بَدَ لَهَا أَنْ تَعِيدَهُ فِي
عَاقِبَةِ الْأَمْرِ .

فَإِنْ كُنْتَ - لِعِنَادِكَ - لَا تَرْضَى بِهَذَا ، فَهَلُمَّ أَنَا وَأَنْتَ إِلَى مَنْزِلِ
قَاضِي الشَّرِيعَةِ .

هـ فقال الخادم : « لَقَدْ كُنْتُ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِي ، فَإِنَّ الصُّوفِيَّةَ تَهْجُمُوا
عَلَيَّ فَغَدَوْتُ خَائِفًا عَلَى رَوْحِي !

فَهَلْ تَلْقَى بَيْنَ الْقَطْطِ كِبْدًا وَأَحْشَاءَ ثُمَّ تَبْحَثُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ أَثَرِ لَهَا ؟
إِنْ رَغِينَا مِنَ الْخُبْزِ بَيْنَ مِائَةِ مِنَ الْجِيَاعِ شَبِيهَ بَقِطَةٍ هَزِيلَةٍ أَمَامَ
مِائَةِ كَلْبٍ ! »

فَقَالَ الصُّوفِيُّ : « فَلْنَسْلَمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوهُ مِنْكَ ظُلْمًا ، وَأَنَّهُمْ
أَصْبَحُوا قَاصِدِينَ دُمَى ، أَنَا الْمُسْكِينُ ،

فَأَنْتَ لَمْ تَجِءْ ، وَلَمْ تَقُلْ لِي : « هَا هُمْ أَوْلَاءُ يَأْخُذُونَ حِمَارَكَ ،
أَيُّهَا الْمُسْكِينُ ! »

٥٥٥ حتى أبتاع خماري ممن عساه يكون قد اشتراه ، وألا أقسم
الصوفية بينهم مالى .

لقد كانت هناك مائة وسيلة لتذارك الأمر ، حينما كان الصوفية
حاضرين ، أما الآن فقد تفرقوا في الأقاليم .

فبمن أمسك الآن ؟ ومن ذا الذى آخذه الى القاضى ؟ ان هذا
القضاء قد هبط فوق رأسى من جرأتك !

كيف لا تجيء ، ولا تقول لى : « أيها الغريب ، لقد وقع بك مثل
هذا الظلم الرهيب ! »

فقال الخادم : « والله ، انى قد جئت اليك مرارا ، حتى اثبتك
بهذه الأعمال ،

٥٦٠ فكنت تقول لى : « ان الخمار مضى وولى يا فتى ! » ، وكنت
أكثر انفعالا من جميع الناطقين بهذا القول .

فكنت دائما أرجع قائلا : « انه واقف على هذا الأمر . وهو راض
بهذا القضاء ، فهو رجل عارف ! »

فقال الصوفى : « انهم جميعا كانوا يحسنون ترديد هذا القول .
ولقد راق لى أنا أيضا أن أردده !

وان تقليد هؤلاء هو الذى أسلمنى للريح . فعلى هذا التقليد
مئتان من اللعنات !

وبخاصة تقليد مثل هؤلاء الذين لا طائل وراءهم . فليكن سخط
ابراهيم على الآفلين !

٥٦٥ ان ذوق هذه الجماعة كان يلقي بأصدائه في قلبى ، فتحقق للقلب
من تلك الأصدقاء ذوق مماثل ! »

ولا بدّ لك من أن تشرق عليك^(١) أشعة الرفقاء الطيبين ، حتى
تغدو مستمدا ماءك من البحر ، بدون (هداية من تلك) الأشعة.
واعلم أن أول نور^(٢) وقع عليك إنما هو التقليد . فاذا تتابع
الاشراق فهذا هو التحقيق .
فلا تنقطع عن الرفقاء ما لم يكتمل لك التحقيق . ولا تنفصل عن
الصدق ، فان هذه القطرة لم تصبح بعد درّاً .

فان كنت تريد أن يتحقق الصفاء لعينك وسمعك وعقلك ، فلتمزقن
ما يغشيها من أستار الطمع !
٥٧. ذلك لأن تقليد هذا الصوفى كان مبعثه الطمع ، فحجب عقله عن
النور واللمع .

فالحرص على الطعام الشهى ، والحرص على الذوق والسماع ،
وقفا حائلا بين عقله وبين الاطلاع .
فلو أن الطمع استقر في المرأة ، لصارت تلك المرأة مثيلة لنا فى
النفاق !

ولو أن الميزان أصيب بالطمع في المال ، متى كان الميزان يقول
الصدق حين وصف الحال ؟
ان كل نبى خاطب قومه في صفاء قائلا : « أنا لا أطلب منكم أجرا
على رسالتى .

٥٧٥ فلست سوى دليل ، وما المشتري الا الله . ولقد جعل الحق
أجرى في كلتا الناحيتين^(٣) .

(١) حرفيا « تنعكس فوقك » .

(٢) حرفيا : « انعكاس » .

(٣) الناحيتان هنا هما الدنيا والآخرة .

فماذا يكون جزاء عملى ؟ انه رؤية الحبيب ! حتى وان أعطاني أبو بكر أربعين ألف (درهم) !

فهذه الآلاف الأربعون التى وهبني اياها ليست أجرى . ومتى يكون الشبه^(١) مثيلا لدر عدن ؟

وهأنذا أروى لك حكاية ، فاستمع اليها بعقلك ، حتى تعلم أن الطمع قد أصبح حجابا لأذنك !

فكل من كان طامعا غدا متعثر اللسان . ومع الطمع ، كيف يحل النور بالعين والقلب ؟

٥٨٠ ان خيال الجاه والمال يكون أمام البصر كالشعرة حين تصيب العين . وما كذلك من كان ثملا ، قد امتلأت روحه بالحق ، فانه يظل حرا ، حتى ولو أعطيته الكنوز !

فكل من سعدت نفسه بمشاهدة الحق ، يبدو هذا العالم ميتا أمام عينيه .

لكن هذا الصوفى كان بعيدا عن نشوة الشهود ، فلا جرم أنه كان — من حرصه — في ظلمة كالأعمى .

وقد يستمع المبهور بالحرص الى مائة حكاية ، فلا تنفذ نادرة منها في أذن حرصه !

كيف بحث القاضى بالمنادين للطواف بمفلس حول المدينة

٥٨٥ كان هناك رجل مفلس ، لا سكن له ولا دار ، فاستقر في سجن

(١) « الشبه » هو النحاس الأصفر .

وَقَيْدَ لَا فَكَّكَ مِنْهُ !

وَكَانَ يَأْكُلُ طَعَامَ رِفَاقِهِ فِي السَّجْنِ ، فَأَصْبَحَ بِظَمْعِهِ ثَقِيلًا عَلَى قُلُوبِ الْخَلْقِ ، كَأَنَّهُ نَجِلٌ قَافٌ .

فَمَا كَانَ أَحَدٌ يَجْسُرُ عَلَى أَنْ يَتَنَاوَلَ لُقْمَةً ، ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْمَلْتَمِمْ كَانَ يَنْقُصُ عَلَيْهَا !

وَكَلَّ مَنْ كَانَ بَعِيدًا عَنْ دَعْوَةِ الرَّحْمَنِ ، فَعَيْنُهُ عَيْنٌ مَتَسَوِّلٌ ، وَلَوْ كَانَ سُلْطَانًا !

لَقَدْ دَاسَ هَذَا الرَّجُلُ كُلَّ مَرْوَةٍ بِقَدَمَيْهِ ، وَأَصْبَحَ السَّجْنُ جَحِيمًا مِنْ خِزَاءِ هَذَا الْجَشْعِ الْأَكُولِ .

٥٩٥ قُلُوْا أَنْتَ هَرَبْتَ عَلَيَّ أَمَلٌ فِي الرَّاحَةِ ، فَقَدْ تَوَاجَهْتَ الْآفَةَ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَفِ أَيْضًا !

فَمَا مِنْ رُكْنٍ خَلَا مِنَ الْوَحُوشِ أَوْ الْفَخَاخِ . وَلَيْسَتْ هُنَاكَ رَاحَةٌ إِلَّا فِي خُلُوةِ الْحَقِّ .

وَحَتَّى زَاوِيَةَ سَجْنِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا مَفْرَ مِنْهَا ، لَيْسَتْ بِدُونِ أَجْرٍ أَوْ بِلا تَكْلِفَةٍ !

فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّكَ نَزَلْتَ فِي جَحْرٍ فَأَرَّ ، فَهَنَّاكَ أَيْضًا تَكُونُ مَبْتَلًى بِمُخَالَبِ الْقُطْ .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَتَضَخَّمْ جِسْمَهُ مِنَ الْخِيَالِ ، إِنْ كَانَتْ خَيَالَاتُهُ ذَاتَ جَمَالٍ !

٥٩٥ وَإِنْ أَظْهَرْتَ لَهُ خَيَالَاتَهُ مَا يَسُوءُ ، ذَابَ كَمَا يَنْصَهَرُ الشَّمْعُ مِنَ النَّارِ !

فَلَوْ أَنَّكَ كُنْتَ بَيْنَ الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي نَفْسِكَ خَيَالَاتَ طَيِّبَةٍ عَنْهَا ،

لأصبحت الحيات والعقارب مؤنسة لك . فإن خيالك هذا يكون
كالكيمناء للنحاس !

ان الصبر قد غدا بالخيال الجميل حلو المذاق . ذلك لأنه قد أقبل
مبشرا بعلامات الفرج (١) .

وان الفرج ليأتى من ايمان الضمير . أما ضعف الايمان فيأس
وعذاب .

٦٠٠ والصبر يحظى بتاج من الايمان ، لأن من لا صبر له لا ايمان له .
ولقد قال الرسول : « ان الله لم يهب الايمان لمن لم يكن الصبر
في طبيعته (٢) » .

ان ذلك الشخص الذى يكون في عينك شبيها بالثعبان ، قد
يكون صورة جميلة في نظر غيرك .

ذلك لأنه يتجلى لعينك خيال كفره ، على حين يتجلى لعين محبه
خيال ايمانه .

وهاتان الصفتان تجتمعان في شخص واحد ، فحينما يكون سمكة ،
وحينما يكون شصا !

٦٠٥ فنصفه يكون مؤمنا ونصفه يكون كافرا ! نصفه يكون من
الحرص ونصفه الآخر من الصبر !

ولقد قال تعالى : ان منكم مؤمنا ، كما قال أيضا ان منكم كافرا
عريقا في كفره (٣) .

فمثل هذا الانسان كثور نصفه الأيسر أسود ، ونصفه الآخر

(١) اشارة الى القول المعروف : « الصبر مفتاح الفرج » .

(٢) هذه ترجمة لمعنى الحديث : انظر لفظ الحديث في التعليقات .

(٣) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « هو الذى خلقكم فمنكم كافر

ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير » . (٦٤ : ٢) .

أبيض مثل القمر !

فكل من يرى هذا النصف فانه يُعرض عنه ، وأما من يرى النصف الآخر ، فانه يسعى اليه !

لقد كان يوسف يبدو في أعين اخوته قبيحا كالبغل ، وهو ذاته كان في نظر يعقوب شبيها بالخور !

٦١٠ فالخيال القبيح هو الذى جعل العين الحسية وعين العقل المحتجة تريانه قبيحا .

واعلم أن هذه العين الظاهرة ظلّ لتلك العين المحتجة . فكل ما تراه عين الباطن ، تدور نحوه عين الظاهر .

وانك أيها الانسان مكاني ، ولكن أصلك في اللامكان . فلتغلق هذا الدكان ولتفتح ذلك الدكان .

فلا تهرب الى هذا العالم ذى الجهات الست ، ففي هذه الجهات أسوأ مواقع أحجار النرد ، حيث تحقق الهزيمة .

كيف شكا أهل السجن الى وكيل القاضى من عدوان ذلك المفلس

فذهب أهل السجن يشكون أمرهم الى وكيل القاضى ، وكان رجلا واسع الادراك .

٦١٥ قائلين : « لتحمل سلامنا الآن الى القاضى ، ثم أبلغه تأذينا من هذا الرجل السافل .

فلقد أقام بالسجن على الدوام هذا الرجل المتلاف المضرّ ! وهو كالذبابة حاضر في كل طعام ، يتصدى متوقفا بدون دعوة .

أو سلام !

طعام ستين شخصا أمامه لا يعد شيئاً ، وهو يصطنع الصمم لو قلت له « كفاك ! »

فليس يجد رجل من السجناء لقمة. وإذا استطاع بمائة حيلة أن يجد شيئاً يأكله ،

٦٢٠ غشيه في الحال هذا الجهنمي الحلق ، وكل حجة أن الله أمر البشر بقوله : « كلوا ... »

فلتخلصنا من ذلك القحط الذي دام ثلاث سنين ، وليدم الله ظل مولانا الى الأبد !

فأما أخرجت من السجن ذلك الجاموس الأكل ، أو خصصت له مؤونة من أحد الأوقاف .

فيا من سعدت بك الذكور والاناث ، أنصفنا بعدالتك ، فانك أنت المستغاث ! »

فتوجه الى القاضى هذا الوكيل المهذب ، ونقل اليه شكاية هؤلاء ، بكل تفصيلاتها .

٦٢٥ فاستدعى القاضى ذلك المفلس من السجن للمثول أمامه ، ثم استفسر عن حاله من كبار أعوانه .

فثبت لدى القاضى كل ما تقدم به هذا الجمع في شكايتهم . فقال له القاضى : « انهض من هذا السجن ، ولتتوجه الى منزلك الموروث » .

فقال المفلس : « ليس لى منزل سوى احسانك . انتى مثل الكافر ، وسجنك هو جنتى ! »

فلو أنك أخرجتنى من السجن وأقصيتنى ، فلسوف أموت من الفاقة والكد » .

٦٣. فهو كابليس الذى كان يخاطب الله بقوله : « أنظرني الى يوم
يوم يبعثون^(١) » .

فاننى سعيد في سجن الدنيا هذا ، حيث أنى هاهنا أقتل أبناء عدوى !
فكل من كان منهم صاحب قوت من الايمان ، أو يمتلك رغيفا
تزود به للطريق ،

فاننى آخذه منه ، تارة بالمكر وتارة بالخداع ، حتى تتعالى منهم
صيحات الندم .

فأنا حينأ أهدهم بالفاقة والمسكنة ، وحينأ أحجب أبصارهم
بغدائر الشعر والخال ! »

٦٣٥ ان قوت الايمان قليل في هذا السجن ، والقليل الذى يوجد منه
مهدد بعدوان هذا الكلب !

وقوت الذوق يتحقق بالصلاة والصيام وبمائة من أفعال الخضوع ،
فيختلسه الشيطان دفعة واحدة !

أستعيذ الله من شيطانه قد هلكنا آه من طغيانه^(٢)

انه كلب واحد لكنه يجد سبيله الى الألوف ! وكل من تطرق
اليه الشيطان فقد أصبح هو الشيطان !

وكل من استشعرت منه البرودة فاعلم أن الشيطان كامن فيه !

ان الشيطان قد اتخذ من جلد هذا خباء !

٦٤. وحين لا يجد الشيطان صورة فانه يظهر لك في الخيال ، ليدفع
خيالك الى أن يقودك نحو الوبال .

فحينأ هو خيال اللهو وحينأ طيف الدكان . وطورا هو خيال العلم

(١) الأعراف ، ٧ : ١٤ .

(٢) هذا البيت عربي في الأصل .

وطورا خيال السكن والدار .
فحذار ، وأكثر من ذكر ربك في كل لحظة ، ولا يكن ذلك باللسان
وحده ، بل بالروح ذاتها .

فقال القاضي للمفلس : « أقم البينة على افلاسك » . فأجاب
بقوله : « هاك أهل السجن شهداء على ذلك » .
فقال القاضي : « انهم متهمون في شهادتهم ، ذلك لأنهم يهربون
منك وي يكون دما (من عدوانك) ،

٦٤٥ وهم جميعا يطلبون الخلاص منك ، فهذا الغرض ربما جعلهم
يشهدون بالباطل » .

فقال جميع أهل المحكمة : « نحن أيضا شهود على افلاس هذا
الرجل وعلى ادبار حاله » .
وكل من سأله القاضي عن حاله قال : « أيها المولى ! انقض يدك
من هذا الرجل » .

فقال القاضي : « طوفوا به حول المدينة وأعلنوا أن هذا مفلس ،
وعرييد مسرف .

ونادوا معلنين أمره في جميع الطرق . واقرعوا طبل افلاسه في كل
مكان .

٦٥٠ فلا يبعه أحد قط نسيئا ، ولا يقرضه إنسان قط دائقا .
فكل من يحضره الى هنا بدعوى احتيال ، فاني لن أبعث به بعد
ذلك الى السجن .

ان افلاسه قد أصبح ثابتا أمامي ، وليس في حوزته شيء قط ،
لا نقد ولا بضاعة » .

والانسان يقيم في حبس هذه الدنيا ، وذلك من أجل أن يثبت
افلاسه .

وان الله قد نادى أيضا بافلاس ابليس في القرآن الكريم ،
٦٥٥ قائلًا : انه مخادع مفلس قبيح القول ، فلا يكن أحد شريكاً له
ولا نديماً !

وان فعلت ذلك ، ثم اتخذته عذراً لك ، فهو مفلس ، فأنى لك أن
تنال منه ربحاً ؟

وحين اشتعلت هذه الفتنة ، أحضروا جمل كردى كان يبيع الحطب .
فأخذ الكردى المسكين يصيح وينتحب ، كما أنه أسعد الموكل
بدائق (على سبيل الرشوة) ،

لكنهم أخذوا بعيره من وقت الضحى حتى الليل ، ولم يجد صراخه
تفعلاً .

٦٦٠ وجلس فوق الجمل ذلك القحط الكبير ، وأما صاحب الجمل
فكان يجرى وراءه .

فسارعوا الى الطواف به من ناحية الى ناحية ، ومن شارع الى
شارع ، حتى عرفته كل المدينة عياناً .

وأمام كل حمام وكل سوق كان جميع الناس يتأملون شكله .
وكان هناك عشرة منادين من ذوى الأصوات الجهيرة ينادون
بالتركية والرومية والكردية والعربية :

« ان هذا رجل مفلس لا يملك شيئاً . فلا يقرضه أحد من الناس
فلساً . »

٦٦٥ انه لا يملك مثقال حبة لا ظاهراً ولا باطناً ! انه مفلس زائف

مخادع ، وقربة منتفخة !

فحذار ، حذار . لا تتعاملوا معه . وحينما ترونه فأحكموا عقد
أكياسكم^(١) .

فان أتم أحضرتهم هذا الرجل المنحل الى المحكمة ، فاني لن أرسل
جثة الى السجن .

انه لطيف القول ، لكن حلقه شديد الاتساع . يبدو مدثرا بجديد
الثياب ، لكنه من الداخل خلق الشعار^(٢) .

فلو أنه لبس هذا الثوب ليتخذ منه أداة للمكر ، فهو عارية
اتخذها ليخدع عامة الخلق .

٦٧- فلتعلم — أيها الرجل الطيب — أن لفظ الحكمة على لسان غير
الحكيم ليس الا حلا مستعارة .

فاللص قادر على أن يرتدى الحلة ، لكن كيف يستطيع ذلك
المقطوع اليد أن يأخذ بيدك ؟

وحين أقبل المساء ، نزل المفلس عن الجمل . فقال له الكردي ، ان
منزلي بعيد ، وقد تأخر الوقت .

لقد ركبت جملي منذ الصباح . وقد سامحتك في الشعر ، فهل
أتل من أن تدفع لي ثمن التبن ؟

(١) الشطر الثاني من البيت ترجم على أساس رواية مختلفة عن رواية
النص ، ذكرها نيكولسون في حاشية النص ووجدناها أقرب الى السياق .
ونص الشطر الثاني في هذه الرواية هو : « جونكه بينيدش كره محكم كنيد » .
(٢) نص الشطر الثاني من البيت يبدو غامض المعنى . ولكننا لو قرأناه
على النحو التالي : « بادثار ذو شعار شاخ شاخ » اتضح المعنى . وقد
جعلنا هذه القراءة أساسا للترجمة . وبهذا ينسجم معنى البيت مع
ما يليه .

فقال المفلس : « وفيهم كنا ندور حتى الآن ؟ وأين عقلك ؟ أليس في الدار أحد ؟ »

٦٧٥ لقد بلغ طبل افلاسى أجواز السماء السابعة ، وأنت لم تسمع قط بسوء تلك الواقعة ؟

فالطمع الساذج قد سد منافذ أذنيك ، وانه - يا بني - ليضم ويعسى !

فحتى اللبنيات والأحجار قد سمعت هذا البيان (الذى أخذ يردد) : « ان هذا ان العرييد مفلس خاوى الوفاض » .

لقد هتفوا بهذا النداء حتى المساء ، لكنه لم يطرق سمع صاحب الجمل ، لأنه كان ممتلئًا حافل النفس بالطمع .

ان الله قد ختم على الأسماع والأبصار ! وكم من الصور ، وكم من الأصداء وراء الحجب !

٦٨٠ وهو الذى يوصل الى العين ما يشاء من الجمال ومن الكمال ومن نظرات المحبة .

وهو الذى يوصل الى الاذن ما يشاء من الأنعام والبشائر أو من الصراخ .

ان الكون ملئ بالوسائل ولكنك تبقى بدون حيلة ، ما لم يفتح الله لك منفذا إليها .

ومع أنك قد تكون الآن غافلا عن تلك الحيلة ، فان الله يظهرها لك عيانا في وقت الحاجة .

ولقد قال الرسول ان الاله المجيد ، قد خلق لكل داء دواء .

٦٨٥ لكنك — بدون أمره — لا تستطيع أن تهتدى الى لون دواء علّيتك ولا رائجته .

فتنبه — أيها الباحث عن العلاج — ووجه عينك نحو اللامكان ، كما تتوجه عين القليل نحو الروح .

ان هذا العالم قد انبثق من اللامكان . ذلك لأنه من اللامكانية صار لهذا العالم مكان .

فلتعد ثانية من الوجود نحو العدم ان كنت ربانيا ، طالبا ربك .
ان هذا العدم هو مكان الدخل ، فلا تحد عنه ! أما هذا الوجود المبني على الزيادة والنقص فمكان الاتفاق .

٦٩٠ وما دام العدم هو مقرّ مصنع الحق ، فكل ما كان خارج هذا المقر فليس بذى قيمة .

فلتلهما بعض الكلام الدقيق ، الذي يستدرّ منك الرحمة ، أيها الاله الرفيق !

فالدعاء منك ، والاستجابة أيضا منك . والأمان منك والهيبة أيضا تكون منك .

ولو نطقنا بالخطأ فأصلح أخطاءنا ، فانك أنت المصلح ، يا سلطان الكلام .

ان لديك الكيمياء التي تبدل جوهره ، فلو كان نهرا من الدماء لجعلته نيلا !

٦٩٥ ومثل هذه الأفعال الكيماوية بعض قدراتك ، كما أن أمثال هذا الاكسير من أسرارك .

لقد مزجت الماء بالتراب ، ومن الطين والماء صوّرت جسد الانسان .

ثم أعطيته نسبا ، وخالا وعما ، وألقا من الأفكار وسرورا وهما !
ثم وهبت بعض الناس الخلاص ، ويسرت لهم البعد عن الهم
والسرور .

وحملتهم بعيدا عن الأهل والأقارب ، وعن طبيعتهم الذاتية ، وجعلت
كل جميل (في الدنيا) يبدو في أعينهم قبيحا !

٧٠٠ فكل من هؤلاء كان يرفض كل محسوس ، ولا يستمسك الا بما
خفى (عن الحواس) .

فعشقه ظاهر ، وأما معشوقه فمحتجب . والحبيب في الخارج ،
وأما الافتتان به ففي هذه الدنيا .

فلتتحرر من كل تعشق للصور ، حتى لا يكون لك تعشق لصورة ،
ولا لوجه امرأة .

فالصورة ليست هي المعشوق ، وسواء في ذلك أكان العشق
دنيويا أو أخرويا .

فذلك الذى تعشقت من أجل صورته ، لماذا تخليت عنه حينما
فارقت الروح ؟

٧٠٥ ان الصورة لم تبرح مكانها ، فلماذا هذا الانصراف ؟ أيها العاشق !
ألا فلتعد الى البحث عن معشوقك الحق !

فلو كان المعشوق هو ذلك المحسوس ، لكان كل ذي حس عاشقا
له .

ومن شأن العشق أنه هو الذى يزيد الوفاء ، فكيف يتحول الوفاء
ويتخذ صورة أخرى ؟

ان نور الشمس قد أشرق فوق جدار ، فاكتسب الجدار منها

نورا مستعارا .

فكيف سخرت قلبك لجدار من اللبن ، أيها الغر ؟ ألا فلتطلب
الأصل الذى يضىء على الدوام .

٧١٠ وأنت ، أيها المتعشق لعقله ، يا من رأيت نفسك أعظم من عبّاد
الصورة !

اعلم ان نور حسك قبس مستعار من نور العقل الكلى . انه
ذهب أشرق فوق نحاسك .

ان الجمال في البشر كقشرة التذهيب . والا فكيف صارت فانتك
قييحة كالحمار الهرم ؟

لقد كانت شبيهة بالملك ، فأصبحت مثل الشيطان ! ذلك لأن جمالها
كان مستعارا (ولم يكن من جوهرها) .

ان الخالق يأخذ هذا الجمال رويدا رويدا . وهكذا الغصن
يمضى نحو الذبول رويدا رويدا .

٧١٥ فاذهب ، واقرأ قوله تعالى : « ومن نعمه ننكسه في الخلق ^(١) » ،
واطلب القلب ، ولا تتلف على العظام .

فجمال القلب جمال خالد ، شفتاه تسقيانك من ماء الحياة .
بل انه هو الماء ، وهو الساقى ، وهو الثمل . فهذه الثلاثة تغدو

واحدا حينما يتحطم طلسمك .

وانك لن تدرك هذه الوحدة عن طريق القياس . فابذل خضوعك ،
وأقلل من الهراء ، أيها الخاوي من العرفان !

(١) يس ، ٣٦ : ٦٨ .

ان المعنى - عندك - ليس الا صورة مستعارة ، وما ابتهاجك الا بانسجام ظاهري شبيه بالقافية .

٧٢٠ فالمعنى هو الذى يستولى عليك ، ويجعلك بدون حاجة الى الصورة .

وليس المعنى هو الذى يجعل الانسان أعمى أصم ، ويزيد المرء تعشقا للصورة .

ان نصيب الأعمى هو ذلك الخيال الذى يضاعف الهموم .
أما نصيب العين فتلك الخيالات المنبعثة من فناء الذات .

وحروف القرآن هى الجوهر عند من فقدوا الابصار . فهؤلاء لا يرون الحمار ، ويوجهون ضرباتهم الى السرج .

فان كنت بصيرا فامض وراء الحمار ، فقد فرّ . والا ، فالى متى تحيك السرج ، يا عابد السرج !

٧٢٥ فما دام الحمار موجودا ، فالسرج يكون لك يقينا . فالخبز لن ينقطع عنك ما دمت ذا روح .

ان ظهر الحمار دكان ومال وربح! ودرّ قلبك هو الذخيرة لمائة من الأجساد !

فلتركب حمارا عارى الظهر ، يا أبا الفضول . أولم يمتط الرسول حمارا عارى الظهر ؟

ان الرسول قد ركب الحمار بلا سرج . بل انه أيضا قد سافر ماشيا .

لقد هرب حمار نفسك فاربطه في وتد . والا فالى متى يهرب من العمل وحمل الاثقال .

٧٣. ان عليه ان يحمل أعباء الصبر والشكر ، سواء أدام ذلك مائة عام أو ثلاثين أو عشرين .

وما حمل وازر قط وزر غيره . ولا حصد انسان شيئاً قط اذا لم يزرع .

فهذا^(١) طمع فجّ . فلا تأكل الفج يا بني ، فان أكل الفج مسبب لاعتلال البشر .

(ولا تحدّث نفسك قائلًا) : ان فلانا قد عثر بأحد الكنوز ، واني أريد ذلك أيضا ، فلا عمل ، ولا دكان ! »

فذلك شأن الحظّ ، وهو أيضا نادر . فالكسب واجب ما دام الجسم قادرا .

٧٣٥ ومتى كان التكسب مانعا للكنز ؟ فلا تنسحب من العمل ، فالكنز ذاته في أعقاب ذلك .

ولا تغد أسيرا للفظّة « لو » ، قائلًا : « لو أتتني فعلت هذا أو ذاك » .

فان الرسول رب الوفاق قد نهى عن قول « لو » ، وذكر أنها صورة من النفاق .

فالمنافق الذئب قد لقي حتفه وهو يقول « لو » ، لم يظفر بسوى الحسرة من هذا القول .

مثل

كان غريب يفتش في عجلة عن منزل يقطنه ، فأخذه صديق الى منزل خراب ،

(١) الاشارة هنا الى توقع الحصاد بدون زرع .

٧٤٠ وقال هذا الصديق : « لو أن هذا المنزل كان له سقف ، لكان

لك مسكن في جواري ،

وكان عيالك أيضا يستريحون فيه ، لو كانت في وسطه غرفة أخرى » .

فقال الغريب : « نعم ، ان من الخير أن يكون المرء بجوار أصحابه .

لكن أحدا - يا حبيبي - لا يستطيع أن يقيم في (لو) » .

ان جملة أهل الدنيا طلاب للسعادة . لكنهم في حжим من الحرص على السعادة الزائفة .

وجملة الشيوخ والأحداث قد أصبحوا طالين للذهب ، لكن أعين العامة لا تميز الذهب الأصيل من الزائف .

٧٤٥ ان الذهب الخالص قد أضفى التماعا على الزائف . فلا تتخير الذهب على أساس من الظن ، بدون محك .

فان كان لديك محك فامض في اختيارك ، والا ، فاقصد عالما واجعل نفسك رهن اشارته .

فلا بد لك من محك في حنايا روحك ، فان لم تكن تعلم ، فلا تمض في الطريق وحيدا .

ان صوت الغيلان يكون صوتا مألوفا . وتلك الألفة هي التي تجذبك نحو الفناء !

انه صوت ينادى قائلا : « حذار أيتها القافلة ! تقدموا نحوى . هاكم الطريق والصَّوَى (١) » .

(١) جمع صوة ، احجار تكون دليلا على الطريق .

٧٥٠ ان الغول ينادى كل شخص باسمه قائلا : « يا فلان » ، حتى يجعل

هذا السيد من الآفلين .

فحين يصل الى هناك يرى الذئاب والأسود . ويرى العمر ضائعا
والطريق بعيدا ، والوقت قد تأخر .

فلتخبرنى ، كيف يكون صوت الغول ؟ انه « أريد المال ، أريد الجاه
والروثق ! »

وهذه الأصوات تزار في باطنك . فلتمنعها ، حتى تتكشف لك
الأسرار .

ولتذكر الله ، ولتبدد أصوات الغيلان ، ولتحجب نرجس عينيك
عن هذا النسر (الجارح)^(١) .

٧٥٥ ولتميز كاذب الاصبح من صادقه . ولتفرق بين الكأس ولون
البيذ .

فعساك - بالصبر والمثابرة - ينبثق لك بصر روحى من هاتين
العينين ، اللتين تبصران الألوان السبعة .

فترى بهما ألوانا غير هذه الألوان . وتبصر بهما الجواهر بدلا
من الأحجار .

بل ما شأن الجواهر ؟ لعلك تصبح بحرا ، أو لعلك تصير شمسا
تذرع الفلك !

ان الصانع قد احتجب في مصنعه ، فادخل في هذا المصنع تر
الصانع عيانا .

(١) يشبه الاطماع التى تحجب الأبصار بنسر جارح يعدو على العيون
فيقتلعها بمخالبه .

٧٦٠ ولما كان المصنع قد نسج ستارا حول الصانع ، فانك لن تستطيع أن تراه خارج صنعه .

ولما كان المصنع هو محل وجود الصانع ، فكل من كان خارجه فقد غفل عن الصانع .

فلتدخل في هذا المصنع ، وأعنى به العدم ، حتى ترى الصنع والصانع معا .

ولما كان المصنع هو مكان الشهود الواضح ، ففي خارجه يكون احتجاب الأبصار .

ان فرعون العنيد قد اتجه الى تأكيد هذا الوجود المحسوس ، فلا جرم أنه كان أعمى عن ذلك المصنع .

٧٦٥ ولا جرم أنه أراد تغيير القدر ، حتى يحول القضاء عن بابه ! على حين كان القضاء ذاته يكتفم في كل لحظة سخريته من شوارب ذلك المحتال !

لقد قتل الآلاف من الأطفال الأبرياء ، حتى يتحول عنه حكم الاله وتقديره !

لقد ارتكب الآلاف من المظالم واراقة الدماء ، حتى لا يظهر في الدنيا موسى الرسول .

لقد أراق كل هذا الدم ، ومع ذلك ولد موسى ، وجيء به الى الدنيا لقهر فرعون .

٧٧٠ ولو أنه كان قد أبصر مصنع الاله الخالد ، لجمدت يداه وساقاه عن اصطناع الحيلة .

فقد كان موسى ينعم في منزل فرعون بالعافية ، على حين كان

فرعون في الخارج يقتل الأطفال جزافا !
وهكذا يكون صاحب النفس الأمانة الذي يبالغ في رعاية
الجسد ، ويظن بسواه ظن الخقد والضعيفة .
قائلا : « ان هذا عدو ، وذاك حسود بغيض ! » وليس له من
حسود ولا عدو سوى ذلك الجسد .
انه مثل فرعون ، وجسمه يكون له بمثابة موسى ، وهو يعدو
في الخارج هاتفا « أين العدو ؟ »
٧٧٥ ونفسه الحسية تقبع مدله في منزل البدن ، على حين أنه يعرض
يده في حقه على غيره !

كيف لام الناس شخصا على قتل أمه لاتهامه اياها بالزنى

ان الحق قد دفع ذلك الشخص الى أن يقتل أمه ، وذلك بطعنات
خنجره ، وضربات قبضته !
فقال له أحد الناس : « انك لخبث جوهرك لم تتذكر ما للأُمومة
من حق عليك !
لماذا قتلت أمك ؟ خبرني . قل لى ماذا صنعت ، أيها الخبيث
الطبع ! »
فقال القاتل : « لقد فعلت أمرا فيه عارها ، فقتلتها لأن في التراب
سترا لها » .
٧٨٠ فقال : « فلتقتل ذلك الرجل ، أيها الهمام ! » فقال القاتل :
« سيكون على اذن أن أقتل كل يوم رجلا !

لقد قتلتها فخلصت من دماء الخلق ! لقد قطعت حلقتها ، وذلك
خير من ضرب أعناق الخلق ! »

ان نفسك الحسية هى تلك الأم الخبيثة الطباع ، التى شاع
فسادها في كل ناحية .

فلتقتلها ، فانك من أجل هذه النفس الدنيئة تعتدى في كل لحظة
على عزيز .

وبها أصبحت هذه الدنيا الجميلة ضائقة بك . ومن جرائمها ، لك
مع الحق ومع الخلق صراع !

٧٨٥ فلو أنك قتلت النفس الحسية لخلصت من الاعتذار ، ولم يبق
لك عدو في هذه الدنيا .

فلو أن أحدا أثار حول قولنا هذا اشكالا فيما يتعلق بالأنبياء
والأولياء ،

قائلا : « ألم تكن النفس الحسية قتيلة عند الأنبياء ؟ فلماذا كان
لهؤلاء أعداء وحساد ؟ »

فلتصغ الآن يا طالب الصواب ، ولتستمع الى ما لمشكل هذه
الشبهة من جواب :

ان هؤلاء المنكرين كانوا أعداء لأنفسهم . ولهذا فقد وجهوا الى
أنفسهم مثل هذه الضربات .

٧٩٠ فالعدو هو الذى يتهجم على روح سواه ، وليس بعدو من تصدى
لذات روحه .

فالخفاش الحقيق ليس عدوا للشمس . لكنه في حجاب عدو لنفسه !
فاشراق الشمس هو الذى يقتله . ولكن ، هل كانت الشمس

تتحمل منه قط عناء ؟

ان العدو هو ذلك الذى يجيء منه العذاب . انه ذلك الذى يحجب
عن العقيق ضياء الشمس .

وجميع الكافرين هم حاجبو أنفسهم عن ذلك الشعاع الذى يفيض
من جوهر الأنبياء .

٧٩٥ وكيف يكون الخلق حجابا لبصر ذلك الفريد (الملهم) ؟ ان
هؤلاء قد أصابوا أعينهم بالعمى أو زيغ البصر .

انهم كالغلام الهندى الذى يحقد على سيده ، فيقتل نفسه ليغيظ
هذا السيد .

فهذا يسقط فوق رأسه من سطح القصر ، وذلك ليلحق الأذى
بسيده .

فلو أن المريض سلك سبيل العداوة مع الطبيب ، ولو أن الطفل
وجه عداؤه لمعلمه ،

فكلاهما في الحقيقة لا يقطع الطريق الا على نفسه ، وكلاهما
يغلق أمام نفسه طريق العقل والروح .

٨٠٠ فلو أن غاسل الثياب غضب على الشمس ، ولو أن السمكة غضبت
على الماء ،

فانظر أيا منهما يحيق به الضر ، وأيا تكون عاقبته سواد الطالع
من جراء ذلك !

فان كان الحق قد خلقك قبيح الوجه ، فحذار ، ولا تجمع الى
قبح الوجه قبح الطبع !

وان حرمك النعل فلا تمش في المحاجر ، وان كنت منشعبا
شعبتين فلا تنقسم الى شعب أربع .

وانك لتجهر بالحسد قائلًا : « أنا أقل من فلان ! ها هوذا طالعي
يزداد انحدارًا » .

٨٠٥ فالحسد ذاته نقصان وعيب آخر ، بل انه لأسوأ من جميع
النقائص .

ان ذلك الشيطان - حين شعر بسوء السمعة والعار من تخلفه
(عن آدم) - أوقع نفسه في مائة نقص وحرمان !
فالحسد قد جعله يطلب بلوغ القمة . ولكن أية قمة ؟ لعلها قمة
اهراق الدماء !

وكذلك أبو جهل استشعر العار من تفوق محمد ، ودفعه الحسد
الى أن يتعالى بنفسه الى القمة ، .
وكان اسمه أبا الحكم فصار أبا جهل . وكم من فاضل جعله
الحسد عديم الفضل !

٨١٠ وانى لم أر في عالم السعى والطلب كفاءة قط خيرا من جمال
الطبع .

ولقد جعل الله الأنبياء واسطة بينه وبين الخلق ، لكى يظهر ما
كمن فيهم من الحسد ، بقلقهم (ازاء بعث الرسل) .
ذلك لأنه لا أحد يشعر بالعار من الخضوع لله ، وما من مخلوق
على الأرض يكون حاسدا للخالق .

فالانسان يظن الرسول شخصا شبيها به ، ولهذا السبب فانه
يحمل له الحسد .

أما وقد أصبحت عظمة الرسول من الأمور المقررة ، فانها لم تعد
تشير الحسد في نفس انسان ، بعد أن لقيت منها القبول .

٨١٥ وليس يخلو أي دور من ولى قائم . وسيبقى امتحان الخلق حتى القيامة .

وكل من كان له طبع حميد فقد نجا ، وأما من كان ذا قلب هش كالزجاجة فقد تحطم .

فالإمام الحى القائم هو ذلك الولي ، سواء أكان من نسل عمر أم من نسل علي .

انه المهديّ والهادي ، أيها الباحث عن الطريق ! وهو محتجب عنك ، وفي ذات الوقت جالس في مواجهتك !

وهو مثل النور ، وأما العقل فهو له بمثابة جبريل . والوليّ الذي هو أدنى درجة منه كالقنديل ، يستمد منه النور .

٨٢٠ وأما ما هو أقلّ من هذا القنديل فمشكاتها . وللأنوار درجات في مراتبها .

ذلك لأن نور الحق له سبعمئة حجاب . واعلم أنّ هذه الحجب شبيهة بطباق متعددة .

ووراء كل ستار مقام لقوم ، وكل قوم مصطفىون وراء ستارهم (في تدرج) حتى الإمام .

وأهل الصف الأخير - لضعفهم - لا تطيق أعينهم مواجهة النور الذي أمامهم .

أما أهل ذلك الصفّ السابق على ضعف البصر ، فهم لا يحتملون التماع النور اذا زاد تقدمهم .

٨٢٥ والنور الذي هو حياة أول الخلق (وأعلاهم مقاما) يكون غناء لروح ذلك الأحوال ، وفتنة له .

لكنّ الحول يتناقص قليلا قليلا ، فاذا ما تجاوز المرء الأستار السبعمئة أصبح بحرا .

فالنار التى بها صلاح الحديد أو الذهب ، كيف يكون بها صلاح
السفرجل أو التفاح الرطب !
فللتفاح وللسفرجل كيان خفيف ، وهو — على خلاف الحديد —
يتطلب نارا لطيفة .

لكنّ مثل هذه الشّعلات تكون ضعيفة بالقياس الى الحديد ،
فانه جاذب للهبب ذلك التّنين .

٨٣. وذلك الحديد هو الدرويش الذى يتحمل المشاق . وهو تحت
المطرقة والنار أحمر الوجه سعيد !

فهو حاجب النار ، يغشاها بدون واسطة ، ويخوض في قلبها ، من
غير أن تربطه بها رابطة .

ان الماء وأبناء الماء لا ينالون من النار — بدون حجاب — طبخا
ولا جدوى .

وهذا الحجاب يكون قِدرًا أو طاسًا ، كما أنّ النعل وسيلة
السير للقدم .

أو يكون مكانا بين النار والماء حتى يغدو الهواء ساخنا ، ويحمل
الحرارة الى الماء .

٨٣٥ فالفقير هو ذلك الذى يكون بلا واسطة ، فيكون للنيران اتصال
مباشر بكيانه .

فهو قلب العالم ، الذى بوساطته يتحقق للجسد أداء مهمته بفن .
ولو لم يوجد القلب ، فكيف كان الجسد يعرف القيل والقال ؟
ولو لم يبحث القلب فهل كان الجسد يعرف البحث والتحري ؟
فموضع شهود الشعاع هو ذلك الحديد . وموضع شهود الله هو

القلب لا الجسد .

وهذه القلوب الجزئية أيضا - اذا قيست بقلب العارف - تبدو
شبيهة بالأجساد ، فقلب العارف هو المعدن الصافى .

٨٤٠ ان هذا الكلام يتطلب الكثير من الأمثلة والشرح ، لكننى أخشى
- (لو طال الكلام) - أن تتعثر أوهام العوام .

وقد تصبح من جرائه كل محاسننا مثالب ! وهذا الذى قلته لم
يكن الا عن تجرد من الذاتية .

فخير للقدم الأعوج أن يكون نعله أعوج . وما للمتسول من مكان
الا عند الباب .

كيف امتحن الملك هذين الغلامين اللذين كان

قد اشتراهما قبل فترة وجيزة

ان الملك اشترى غلامين فاضلين ثم أخذ يكلم أحدهما ، ويسمع
أليه .

فوجده ذكى القلب ، حلو الجواب . وما الذى ينبع من الشفة
السكرية ؟ انه السكر المذاب !

٨٤٥ فالمرء مخبوء وراء لسانه . وما هذا اللسان الا الستار الذى
يحجب بهو الروح .

فاذا ما عصفت الريح بهذا الستار ، تجلى لنا ما كمن فى صحن
الدار .

وهل بها جوهر أو قمح ، أو كنز من الذهب ؟ أم أنها مشوى
للحيات والعقارب ؟

أم أن بها كنزا والى جانبه ثعبان ؟ ذلك لأن كنز الذهب لا يكون بدون حارس .

لقد كان هذا الفتى يلقي الكلام بدون تأمل ، مثلما يلقيه سواه اذا تأمل خمسمائة مرة .

٨٥٠ فكأنما كان في باطنه بحر ، وهذا البحر كله كان يقذف بالجواهر ! وكأنما نور كل جوهرة انبثقت منه كان فرقانا بين الحق والباطل ! وهكذا نور الفرقان بالنسبة لنا . انه يفصل الحق عن الباطل ذرة ذرة .

ولقد صار نور الجواهر نورا لأعيننا . فكان منا السؤال وكذلك كان منا الجواب .

فان نظرت بعين حولاء رأيت القمر قمرين . فهذا النظر المشتبه مثل السؤال .

٨٥٥ فسدد بصرك نحو القمر ، لتراه واحدا ، وهذا هو الجواب .

وقل لفكرك : « لا تكن منحرف الابصار ، بل أحسن التأمل ! » فالفكر هو شعاع ذلك الجواهر .

فكل جواب دخل الى القلب عن طريق الأذن تقول لك عنه العين : « دعك من هذا ، واستمع الى » !

فالأذن سوقية ، وأما العين فأهل للوصال . العين من أصحاب الحال ، وأما الأذن فمن أهل المقال .

وفي استماع الاذن تبديل الصفات . وأما شهود العين ففيه تبديل الذات !

٨٦٠ فلو أن علمك بالنار أصبح يقينا من قول (سمعته عنها) فأولى بك أن تصلها ، لا أن تلزم هذا اليقين .
فما لم تحترق فانك لن تعاین اليقين . وان أردت اليقين فاجلس في صميم النار !
والأذن حين تكون متفتحة تغدو عينا . والا فان الذكر يغدو بها ملتويا ، غامضا .
وليس لهذا الحديث نهاية ، فلتعد لنرى ماذا كان من أمر الملك مع غلمانه .

كيف صرف الملك واحدا من غلاميه وساءل الآخر

ان الملك - حين رأى هذا الغلام من أهل الذكاء - أشار الى الغلام الآخر أن يقدم نحوه .
٨٦٥ وليس ذكرى الغلام بكاف^(١) الرحمة تصغيرا له . فقول الجَد :
« يا بنى » ليس من قبيل التحقير .
وحين مثل ذلك الغلام الآخر أمام الملك ، كان تنن الفهم أسود الأسنان .
ومع أن الملك قد ضاق بأنفاسه التتنة ، فانه أخذ يستجلى خفى أسرارهِ .
فقال له : « نظرا لما أنت عليه من شكل (زرى) ، وخبت أنفاس ، اجلس بعيدا ، ولكن لا تنصرف !

(١) أشار الشاعر الى الغلام في البيت السابق بكلمة « غلامك » والكاف التى تلحق بآخر الاسم في الفارسية تفيد التصغير أو الرثاء .

فأنك لى كاتب ومحرر ، ولست لى جليسا وصاحبا ورفيقا .
٨٧٠ وانى لمحدث علاجا لفمك هذا ، فأنت لى حبيب ، وأنا لك
خير طبيب .

فليس بلائق أن يحرق بساط جديد من جراء برغوث ، فهذا
منك اغلاق للعين .

فمهما يكن فلتجلس ، ولتحدثنا بقصتين أو ثلاثا ، حتى نرى بجلاء
صورة عقلك » .

ثم صرف غلامه الذكى الى ما يشغله ... الى حمام ، وأمره بأن
ينظف جسده .

ثم قال للغلام الآخر : « وأنت أيها الذكى » . انك بحق مائة غلام ،
لا غلام واحد !

٨٧٥ انك لست كما اظهرك لنا رفيقك هذا ! فهذا الحسود قد جعلنا
نلقاك بيروود !

لقد قال عنك انك لص ، منحرف سىء السيرة ، خسيس عديم
الرجولة ، الى غير ذلك من الصفات » .

فقال الغلام : « لقد كان دائما صادق القول . وانى لم أر مثيلا له
في صدق القول !

وصدق القول خلق راسخ في جبلته . فمهما يكن من قوله فليس
بخال من الصدق .

ولست أعلم اعوجاجا عند هذا النزيه الفكر . بل انى ازاءه لأتهم
ذاتى !

٨٨٠ فلعله يرى بى عيوباً لا أراها أنا في ذاتى ، أيها المليك ! » .

وكل من أبصر عيوبه قبل عيوب الآخرين ، كيف يبقى لأهيا عن
اصلاح ذاته ؟

فهؤلاء الخلق غافلون عن أنفسهم ، أيها الوالد . فلا جرم أن كلا
منهم مشغول بعيب سواه .

اننى - أيها السمنى - لا أرى وجهى ، بل أرى وجهك وأنت
ترى وجهى .

وأما ذلك الشخص الذى يرى وجه ذاته ، فنوره أجلى من نور
مخلوقات الله !

٨٨٥ فان يمت فابصاره يظل باقيا ، ذلك لأن بصره يكون بصر الخالق .
فليس من الحسن ذلك النور الذى يبصر به وجه ذاته ماثلا أمامه .
قال الملك : « الآن فلتذكر لى عيوب رفيقك ، ولتفعل مثلما فعل
حين حدثنى بعيوبك .

وذلك لأعلم أنك رؤوف بى ، وأنت أمين على ملكى وأعمالى » .
فقال الغلام : « أيها الملك . انى ذاكر لك عيوبه ، مع أنه بالنسبة
لى نعم الرفيق !

٨٩٠ ان عيوبه هى الحب والوفاء والرجولة ! عيوبه هى الصدق والذكاء
والوفاق !

وأقل عيوبه الجود والانصاف ؛ ذلك الجود الذى لا يضمن حتى
بالروح !

ان الخالق هو الذى أبدع الألوف من الأرواح ، فأى جود يكون
عند من لم يبصر ذلك ؟

فان أبصرها فمتى كان يبخل بالروح ؟ وكيف كان يغتم حزنا على
روح واحد ؟

ان الذى يبخل بالماء عند شاطئ النهر ، هو ذلك الذى لا يبصر
الماء فى النهر .

٨٩٥ ولقد قال الرسول : ان المرء لو علم علم اليقين ما يكون له من جزاء
يوم الدين ،

وأنه يثجزى عن كل حسنة بعشرة أمثالها^(١) ، لا نبعث منه فى
كل لحظة جود جديد^(٢) .

ان الجود جميعه منبعث من رؤية الجزاء ، فادراك الجزاء اذن مضاد
للخوف (والحرص) .

وأما البخل فهو عجز عن ابصار الجزاء . ان رؤية الدر هى التى
تسعد الغواص .

وعلى هذا فان العالم ليس فيه من هو بخيل ، فان أحدا لا يقامر
بشئ لا يرجو له بديلا .

٩٠٠ فالسخاء يأتى من العين لا من اليد . والرؤية هى التى تنفع ، وليس
بناج سوى البصير .

« (ولرفيقى) عيب آخر هو أنه برىء من الغرور . وهو دائم
البحث عن العيب فى كيانه الذاتى .

انه دائما يعيب ذاته ويتقصى عيوبها . وكان دائما رحيميا بجميع
الناس قاسيا على نفسه » .

فقال الملك : « كمالك مغالاة فى مدح رفيقك ! ولا تمتدح ذاتك
فى سياق مدحك اياه !

(١) انظر : سورة الأنعام ، ٦ : ١٦٠ .

(٢) لم أعثر على نص الحديث الذى يشير اليه الشاعر .

فلسوف أضعه موضع الاختبار ، ولربما يعتريك الخجل من جراء ذلك » .

كيف أقسم الغلام - لظهر ظنه - على صدق رفيقه ووفائه

٩٠٥ فقال الغلام : « لا وربى ! أقسم بالله العظيم ، مالك الملك الرحمن الرحيم .

ذلك الاله الذى أرسل الأنبياء ، لا لحاجة يتغيها ، بل بفضل وكبرياء .

ذلك الاله الذى خلق من التراب الذليل فرسانا مغاوير !
وطهرهم من مزاج أبناء التراب ، وجعلهم يرتقون فوق عوالم الأفلاك !

والذى خلق النور الصافى مجردا من النار ، فاذا به يتفوق على كافة الأنوار ،

٩١٠ ذلك النور البارق الذى أشرق على الأرواح ، فاذا بآدم يقبس منه العرفان .

وقد حصدت يد شيث ما أنبتة آدم ، فلما رأى آدم ذلك أسند اليه خلافته .

ونوح أيضا كان بتلك الجوهرة جديرا ، فكم كان يطر الدر في جواء بحر الروح !

وروح ابراهيم قد حفلت بتلك الأنوار الهائلة فخاضت لهيب النيران بدون خوف أو حذر .

واسماعيل - اذ كان قد ارتقى في مجرى هذه الأنوار - أسلم
رأسه الى النصل البارق (في كف أبيه) .

٩١٥ وروح داوود حميت بشعاع تلك الأنوار ، فلان الحديد في يده ،
وكانت في النسيج صنعا^(١) .

وسليمان اذ شب على وصال تلك الأنوار ، أصبحت الجن طائفة
له ، عبيدا لأمره .

ويعقوب اذ أسلم للقضاء رأسه ، رد لعينه النور بشذى ولده !
ويوسف البدرى المحيا حين رأى تلك الشمس ، أصبح هكذا يقظ
الفؤاد في تعبير الرؤيا .

والعصا حين شربت الماء من كف موسى بلعت في لقمة واحدة
ملك فرعون !

٩٢٠ وعيسى بن مريم حين وجد سلما الى هذه الأنوار ، سارع الى
أفق السماء الرابعة .

وحين تحقق لمحمد ذلك الملك والنعيم ، شق في لحظة قرص القمر
نصفين .

وأبو بكر حين صار آية للتوفيق ، أصبح صاحباً لمثل هذا المليك ،
وصديقا .

وحينما أصبح عمر ثملاً بهذا المعشوق ، غدا مثل القلب فاروقاً
بين الحق والباطل .

وعثمان اذ أصبح شاهداً لهذا العيان ، غدا نورا فياضاً ، وسمى
بذى النورين .

(١) اشارة الى براعة داوود في صناعة الدروع من زرد الحديد .

٩٢٥ والمرضى (على) حين أصبح — بفضل شهود محياه — بالغ
الوجود^(١) ، صار في مرج الروح أسد الله .

والجنيد حين رأى من جنده ذلك المدد ، أضحت مقاماته أكثر
من أن تعد .

وبإيزيد قد أبصر الطريق بمزيد (عرفانه) ، فأسماء الحق بقطب
العارفين !

وحينما أصبح الكرخى حارسا لمدينته ، صار خليفة العشق وغدا
ربانى الأنفاس .

وابن أدهم ساق مركبه سعيدا نحو هذا الجانب ، فأصبح لسلطين
العدل سلطانا .

٩٣٠ وشقيق حين شق ذلك الطريق العظيم ، صار شمس الرأى وغدا
حديد البصر .

وما أكثر من احتجب عنا من هؤلاء الملوك ، مع أنهم من ذوى
المقامات العالية ، في ذلك العالم الروحى !

ولقد حجبت غيرة الحق أسماء هؤلاء ، ولهذا فان أهل الفاقة
الروحية لا يهتمون بتلك الأسماء .

فبحق ذلك النور ، وبحق هؤلاء النورانيين ، الذين هم كالأسماك
في هذا البحر ...

هذا البحر الذى لو أسميته « بحر الروح » أو « روح البحر »
ما وفيته حقه . وانى ملتمس له اسما جديدا !

٩٣٥ بل بحق من أخرج الى الوجود هذا وذاك ، ومن تكون الأبواب

(١) حرفيا : « نائر الدر » .

بالنسبة اليه مثل القشور ...

ان صفات رفيقى وصديقى هذا ، أفضل مائة مرة مما أقوله عنها !
بل ان ما اعرفه عن وصف ذلك النديم ، لن يتسنى لك تصديقه ،
ان ذكرته لك ، أيها الكريم .

فقال الملك : « الام تحدثنى بهذه الصفة أو تلك من صفات
رفيقتك ؟ ألا فلتحدثنى الآن عن نفسك .

ماذا تملك ، وماذا حصّلت ؟ وأى درّ قد جلبته من أعماق البحر؟
٩٤٠ ففى يوم الموت يغدو حسّك هذا باطلا ، فهل لدى روحك نور
يكون رفيقا لقلبك ؟

وحين يملأ التراب في اللحد هاتين العينين ، هل لديك ما ينير
لك القبر ؟

وحينما تتمزق يدك وقدماك ، أ تكون لك قوادم وخوالب تحلق
بها روحك ؟

فما دام هذا الروح الحيوانى لا يبقى لك ، فمن الواجب أن ترسى
كيان روحك الباقي .

والشرط في قوله تعالى « من جاء بالحسنة^(١) » ليس الفعل فى
ذاته ، بل هو تقديم الفعل الى الله .

٩٤٥ وهل لديك جوهر انسان أو حمار ؟ وكيف تحمل هذه الأعراض
الفانية (الى الخالق) ؟

فهذه الأعراض من صلاة وصيام ، ما دامت لا تبقى زمانين فقد
انتفت .

(١) انظر : سورة الانعام ، ٦ : ١٦٠ .

فلست بمستطيع ان تنقل الأعراض ، لكنها تنقى الجوهر من
الأمراض .

فيتبدل الجوهر بهذه الأعراض ، كما تزول بالحمية الأمراض .
وان عرض الحمية ليغدو بالجهد جوهرًا ، كما يغدو الفم المر
بالحمية حلوا كالشهد .

٩٥. فالزراعة تجعل من التراب سنابل . ودواء الشعر يجعل من الشعر
سلاسل .

ونكاح المرأة كان عرضا وقد انتهى ، ولكن جوهر الأبناء قد
تحقق لنا عن طريقه .

وتزواج الخيل والجمال ليس الا عرضا ، والغرض منه انجاب
الصغار ، وهذا هو الجوهر .

وزراعة البستان أيضا هي عرض ، وأما الجوهر فحصاد البستان ،
وهذا هو الهدف .

واعلم أن ممارسة الكيمياء لون من الأعراض ، فاذا تحقق منها
جوهر فحصله .

٩٥٥ والصقل أيضا عرض ، أيها الكريم ! ومن هذا العرض يتولد
الجوهر صافيا .

فلا تقل : « انتى قد قدمت أعمالا » ، بل أظهر حصاد هذه
الأعراض ، ولا تحد عن ذلك .

فهذه الأعمال الموصوفة عرض ، فالزم الصمت ، ولا تذبح ظل
العنزة لتقدمه قربانا ! »

فقال الغلام : « أيها الملك ! ان قولك بامتناع نقل الأعراض لا
يحقق الا قنوط العقل .

أيها الملك . ان كانت الأعراض التى ذهبت لا تعود ، فليس أمام
العبد الا اليأس .

٩٦٠ فلو لم يكن للأعراض انتقال وحشر ، فما الأفعال الا باطل وما
الاقوال الا هراء (١) .

ان هذه الأعراض تنتقل ولكن بلون آخر . وحشر كل فان يكون
بصورة مختلفة .

ونقل كل شىء يكون على ما يليق به . وليس يلائم القطيع الا
سائقه .

فلكل عرض صورة في يوم الحشر . وصورة كل عرض لها دورها
(في الظهور) .

وانظر الى ذاتك . أولم تكن أنت أيضا عرضا ؟ أولم يكن كذلك
الميل الى النكاح ، ثم النكاح بما ينطوى عليه من غرض ؟

٩٦٥ وانظر الى تلك الديار والقصور . ألم تكن هذه في ذهن المهندس
خيالا ؟

فهذه الدار التى نراها جميلة ، متوازنة الصفة والسقف والباب ،
كانت عند المهندس خيالا عارضا ، وفكرا جكّاب من أصحاب
الحرف الآلة والعمد .

وما أصل كل حرفة وأساسها ؟ انه ليس سوى خيال ، ووهم
عارض وتفكر .

فانظر بتجرد الى جملة أجزاء العالم . وانظر كيف أنها لم تتحقق
الا من العرض .

(١) استعمل الشاعر هنا كلمة « فشر » ، وهى شائعة في اللهجة المصرية الحديثة .

٩٧. فما كان في أول الأمر فكرا أصبح في النهاية عملا . واعلم أن بناء العالم جاء على هذا النحو منذ الأزل .

فالثمار تكون أول الأمر فكرا بالفؤاد ، لكنها — من الوجهة العملية — تظهر في النهاية .

فأنت حين عملت وغرست الأشجار ، كنت تطالع في الحرف الأول نهاية قصتك .

ومع أن أول الشجرة أصل وأغصان وأوراق ، فهذه كلها مرسلة من أجل الثمار .

فالمفسر الذي كان لباب هذه الأفلاك ، أسفر في النهاية عن سيد حديث « لولاك » (١) .

٩٧٥ فهذا البحث والمقال مثال لنقل الأعراض . وهكذا أيضا هذا الأسد وابن آوى .

لقد كان جميع أهل هذا العالم أعراضا ، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » (٢) .

فمن أين تولدت هذه الأعراض ؟ من الصور ! وهذه الصور أيضا من أين تولدت ؟ من الفكر !

فهذا العالم ليس الا فكرة من العقل الكلى . فالعقل مثل المليك ، وأما الصور فهي الرسل .

(١) يقصد الرسول عليه السلام الذي يرى الصوفية أنه المقصود بالحديث القدسي القائل « لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك » .
(٢) الإنسان ، ٧٦ : ١ .

والعالم الأول هو عالم الامتحان ، وأما العالم الثانى فعالم الجزاء على هذا وذاك .

٩٨٠ فخدامك - أينها الملك - يرتكب جناية ، فيصبح هذا العرض قيذا وسجنا .

وإذا صنع خادملك فعلا حميدا ، أفلا يصبح هذا العرض خلعة ينالها جزاء لسعيه ؟

فهذا العرض مع الجوهر كالبيضة مع الطائر ، تلك تجيء من ذاك ، وذاك يجيء من تلك ، على التوالى .

فقال الملك : « فلنفترض أن هذا هو المراد . فلماذا لم تنجب أعراضك جوهرًا واحدًا ؟ »

فقال الغلام : « ان العقل (الكلى) قد أراد الخفاء لهذا ، حتى يبقى غيبا في عالمنا ، عالم الخير والشر !

٩٨٥ فانه لو كانت تتضح أشكال الفكر ، لما نطق الكافر والمؤمن الا بالذكر .

انه لو كانت هذه تتجلى ولا تحتجب ... لو كان نقش الكفر والدين يرتسم على الجبين ،

فهل كان يبقى في هذا العالم صنم أو عابد للصنم ؟ وهل كان انسان يجترى على السخرية ؟

ولكائنات دنيانا هذه كعالم القيامة . ومن ذا الذى يقترف الجرم والخطأ يوم القيامة ؟ »

فقال الملك : « ان الله قد حجب جزاء الاثم ، لكن هذا الحجاب مقصور على العامة ، ولا يمتد الى خواص الله .

٩٩٠ فلو أننى أوقعت فى الأسر أميرا لأخفيته عن الامراء الآخرين ،

وليس عن الوزير .

فالحق قد أظهر لى جزاء العمل ، كما كشف لى ألؤفا من صور الأعمال .

فاذكر لى علامة واحدة ، أعلم منها كل شىء ، فان الغمام لا يحجب البدر عنى » .

فقال الغلام : « فما الذى تريده من قولى ، ما دمت عليما بكل ما كان ؟ »

فقال الملك : « ان حكمة اظهار الدنيا كانت فى جعل المعلوم عيانا ظاهرا !

٩٩٥ والخالق قبل ان يظهر ما كان قد علمه ، لم يثلث على الخلق ألم المخاض وعناءه .

وانك لست بمستطيع أن تجلس لحظة واحدة بدون عمل . بدون أن ينبثق منك شر أو خير .

وهذه الدوافع الى الأعمال انما هى موكلة بك لتجعل من شرك عيانا .

فأنى يتحقق السكون « لبكرة الخيط » التى هى الجسد ، حينما يكون الضمير هو الذى يجذب طرف الخيط ؟

والقلق الذى تعانيه هو علامة ذلك الجذب . وان خلوك من العمل ليكون عندك شبيها بنزع الروح .

١٠٠٠ فهذا العالم وذلك العالم يلدان على الدوام . وكل سبب أم ، وهذه تلد الأثر .

وحيثما يولد الأثر يصبح هو الآخر سببا ، حتى تتولد منه الآثار العجيبة .

فهذه الأسباب سلالات يتبع بعضها بعضا . والعين (التى ترى ذلك) يجب أن تكون مضيئة نافذة الأبصار .

ولقد وصل الملك في حديثه مع الغلام الى هذا الحد ، حتى أبصر فيه علامة لم تكن ظاهرة .

ولئن أبصرها ذلك الملك المتطلع فليس هذا بعيد . لكننا لسنا في حل من ذكر ما أبصر .

١٠٠٥ وحيثما عاد الغلام الآخر من الحمام ، دعاه هذا الملك الهمام الى الاقتراب منه .

وقال له : « صحة لك ونعيم دائم ! كم أنت لطيف ظريف مليح الوجه !

أواه ، لو لم يكن فيك ذلك الذى يذكره عنك فلان ..
لأصبح سعيدا كل من شهد وجهك ، فان رؤية وجهك تعدل ملك الدنيا ! »

فقال الغلام : « ألا فلتذكر لى - أيها الملك - اشارة لما ذكره عنى ذلك الخرب الدين » .

١٠١٠ فقال الملك : « ان أول وصفه لك أنك ذو وجهين ، وأنت في الظاهر دواء ، وفي الخفاء بلاء ! »

فحيثما استمع من الملك الى خبث رفيقه جاش على الفور بحر غضبه .

وأزبد ذلك الغلام واحمر لونه ، حتى تجاوز موج هجائه كل حد !

وقال : « انه منذ أول لحظة ترافقنا بها ، كان يأكل الروث كالكلب
ابان القحط » .

فلما تتابع منه الهجو تتابع دقات الجرس ، أطبق الملك بيده على
شفتي الغلام ليسكته .

١٠١٥ وقال : « اننى قد استطعت بذلك أن أميز بينك وبينه . ان التتن في
روحك ، وأما هو فالتتن في فمه .

فلتجلس بعيدا عنى أيها التتن الروح ، حتى يكون هو الأمير
وتكون أنت المأمور .

ولقد جاء في الحديث أن تسبيح المنافق مثل النبات الأخضر في
المزابل^(١) . فاعلم ذلك أيها العظيم .

ولتعلمن أن الصور المليحة الطيبة لا تساوى فلسا ان اقترنت
بقبيح الخصال .

وان تكن صورة المرء حقيرة زرية وكان خلقه رضىا فمت عند
قدميه .

١٠٢٠ واعلم أن صورة الظاهر مآلها الى الفناء ، وأما عالم المعنى فيبقى
خالدا !

فالى متى تلهو بعشق الابريق ؟ دعك من صورة الابريق واطلب
الماء .

انك قد رأيت الصورة ولكنك غافل عن المعنى . فالتمس الدرة من
الصدف لو كنت عاقلا !

(١) لم أعر على نص حديث يقارب ما ذكره الشاعر .

وأصداف القوالب في هذه الدنيا ، مع أنها جميعا تستمد الحياة
من بحر الروح ،
ليست تنطوى كلها على الجوهر ، فافتح عينيك جيدا ، وتأمل
باطن كل منها ،

١٠٢٥ لترى ما تحويه هذه وما تحويه تلك ، وتخبر من بينها فانك قليلا
ما تجد الدرّ الثمين .

فلو توجهت الى الصورة فان الجبل أعظم في ضخامته من مئات
كثيرة من اليواقيت .

وباعتبار الصورة أيضا فان يديك ورجليك وشعرك تفوق بأحجامها
مائة من صورة عينيك .

لكنه ليس بسر خفيّ عليك أنك ترجح العينين على كافة الأعضاء.
وبفكرة واحدة تخطر في الضمير ، قد ينقلب مائة عالم رأسا على
عقب ، في لحظة واحدة .

١٠٣٠ ومع أن جسم السلطان في الصورة فرد واحد ، فان آلاف الجنود
يهرعون لمتابعتنه .

وشكل هذا الملك أيضا وصورته يحكمهما فكر واحد محتجب .
ولتأمل هؤلاء الخلق الذين لا يحصون عدا وقد جعلتهم فكرة
واحدة يتدفقون كالسيل فوق الأرض .

فهذا الفكر يبدو صغيرا أمام الخلق ، لكنه كالسيل قد ابتلع
الدنيا واكتسحها .

فاذا كنت ترى أن كل حرفة في هذه الدنيا قائمة على الفكر ،

١٠٣٥ وأن الديار والقصور والمدائن ، والجبال والصحارى والأنهار ،
وكذلك الأرض والبحار والشمس والفلك ، كل أولئك تستمد
منه الحياة كما يستمد السمك حياته من البحر ،
فلماذا أنت في بلاهتك أيها الأعمى تعد الجسد سليمان ، والفكر
نملة ؟

ان الجبل يبدو عظيما أمام عينيك ، فالفكر عندك كالقار والجبل
كالذئب .

والعالم يتجلى لك هائلا عظيما ، فترتعد وتهلع من السحاب والرعد
والسماء .

١٠٤٠ أما بالنسبة الى عالم الفكر - يا أخس من حمار - فأنت آمن
غافل كالصخرة الصماء !

فما دمت صورة لا نصيب لها من العقل ، فلست بآدمى الصفات ،
وما أنت الا حمار صغير .

انك لجهلك تحسب الظل شخصا ، ولهذا فقد أصبحت الشخصية
في نظرك لهوا يسيرا !

فمهلا الى ذلك اليوم الذي ينطلق فيه الفكر والخيال محلقين
بقوادم وخوالف ، لا يخفيهما حجاب .

اذ ذاك ترى الجبال وقد أصبحت كالعهن المنفوش ، وهذه الأرض
الباردة الساخنة وقد أصبحت عدما !

١٠٤٥ ولن ترى اذ ذاك سماء ولا أنجما ولا وجودا ، وليس سوى اله
واحد حي ودود .

واليك قصة قد تكون صادقة أو كاذبة ، تعين على ايضاح هذه
الحقائق :

كان أحد الملوك قد آثر بكرمه غلاما من غلمانه على جملة خدامه .
فكان راتبه يعدل ما يتقاضاه أربعون أميرا ، ولم يكن ينال عشر
هذا المقدار مائة وزير !
فكان لكمال طالعه واقبال بخته مثل أياز ، أما الملك فكان محمود
زمانه .

١٠٥. وكانت روحه في أصلها ، قبل هذا الجسد ، مرتبطة بروح الملك ،
وثيقة القربى بها !

ولا اعتبار الا لما كان قبل الجسد ، فدعك من كل ما هو جديد
الحدوث .

وهذا شأن العارف ، فهو ليس بأحول ، وعينه متطلعة الى أقدم
الغراس .

فحيثما زرع قمح أو شعير فعينه مترقبة سواء في الليل أو في النهار .
وما ولدت الليالى الا ما كانت حاملة به . فما الحيل والمكر الا
هواء وهباء .

١٠٥٥ فكيف يناغى القلب بالحيل الرائعة من كان يرى أن لله حيلة
مسلطة فوق رأسه ؟

انه لصيد يلتمس صيدا^(١) ، فأقسم بحياتك ، لن ينجو هذا الصائد
ولا شباكه .

فلو أن مائة عشب نمت ثم عراها الذبول ، ففي العاقبة لا ينمو

(١) حرفيا : « انه لاسير شباك يمد شباكه » .

الا ما غرسه الله .

فها هو ذا الانسان قد ألقى بغراس جديدة فوق الغراس الأولى .
فهذه الغراس المستحدثة فائية ، وأما الغراس الأولى فراسخة .
ان الغراس الأولى صالحة منتقاة ، وأما البذور الثانية فهي فاسدة
عفنة .

١٠٦. فاطرح عنك هذا التدبير أمام الخبيب ، مع أن تدبيرك مقتبس
من تدبيره .

ان الذى رفعه الحق هو الذى يكون له اعتبار ، وما غرسه في
البداية هو الذى ينمو آخر الأمر .

فكل ما زرعه فازرعه من أجله ، ان كنت — أيها المحب — أسير
المحبة .

ولا تدر في فلك النفس السارقة (الأمتارة بالسوء) وفعالها . فكل
ما ليس من فعل الحق فهو عدم مطلق .

وذلك من قبل أن ينجلي يوم الدين ، واذ ذاك يفتضح لص الليل
أمام المالك .

١٠٦٥ فيكون المتاع الذى سرقه بفن وتدبير لا يزال فوق عنقه يوم
الدين .

ان آلاف العقول قد تنطلق مجتمعة ، فتحتال للصيد بشباك غير
شباكه ،

فتجد أنفسها أسارى شباك أقوى وأوفى . وكيف يظهر القش
قوته أمام الريح ؟

فان أنت قلت : « ما فائدة الوجود ؟ » فلسؤالك هذا فائدة أيها
العنيد .

فان لم يكن لسؤالك هذا فائدة فما الداعى لأن أستمع اليه عبثا
وبدون جدوى ؟

١٠٧٠ وان كانت لسؤالك هذا فوائد متعددة ، فلماذا يكون العالم بدون
فائدة ؟

وان يكن العالم من جهة عديم الفائدة ، فهو من جهات أخرى
حافل بالفوائد .

وان كان ما يفيدك غير مفيد لى فلا تتخل عنه ، طالما كان مجديا
لك .

لقد كان حسن يوسف مفيدا للعالم كله ، مع أنه بالنسبة لاختوته
كان عبثا لا جدوى منه .

ولحن داود كان هكذا محببا الى القلوب ، لكنه لم يتجاوز - في
أذن المحرومين - صوت الآلة الخشبية .

١٠٧٥ وماء النيل كان أغزر من ماء الحياة ، لكنه ازاء الكافرين
والمنكرين كان دما !

والاستشهاد حياة للمؤمن على حين أنه للمنافق موت وتعفن !
فخبرنى : أية نعمة بهذا العالم لا تكون احدى الأهم محرومة منها؟
فما فائدة السكر للثور والحمار ؟ ان كل نفس لها غذاء مباين لما
تغتذى به سواها .

لكنها اذا تعلقت بقوت عارض ، فالنصيحة هى التى تروضها
(على تركه) .

١٠٨٠ كمثل ذلك الشخص الذى - من اعتلاله - أولع بالطين ! فمع
أنه كان يتصور الطين غذاءه ،

فقد نسي قوته الأصلي ، وولى وجهه نحو قوت المرض .
لقد ترك الشهد وتناول السم . والتهم قوت العلة كأنه طعام دسم .
وقوت البشر في الأصل هو نور الله . أما القوت الحيواني فغير
لائق بهم .

لكن القلب وقع في هذا لاعتلاله ، فأخذ يتناول صباح مساء من
هذا الماء والطين .

١٠٨٥ فغدا شاحب الوجه ، واهى الساقين ، خفيف اللب . فأين منه
غذاء السماء (١) .

فذلك غذاء الخواص في دولة (الايمان) ، وتناوله يكون بدون
حلق ولا أداة .

ان غذاء الشمس مستمد من نور العرش ، وأما غذاء الحساد
والشياطين فهو من دخان الأرض .

ولقد قال الحق عن الشهداء انهم أحياء يرزقون (٢) ، وما كان
تناول هذا الغذاء يقتضى فما ولا طبقا .

بل القلب يتزود بغذاء من كل حبيب ، ويتحلى من كل علم بصفاء .
١٠٩٠ وصورة كل آدمى كأنها كأس ، والعين وحدها هي التي تدرك
معناها .

وأنت تتزود بشيء من لقاء كل انسان ، وتظفر بفائدة من ملاقة
كل قرين .

(١) حرفيا : فأين غذاء « والسماء ذات الحبك » . (الذاريات ، ٥١ :

(٧) .

(٢) انظر : سورة آل عمران ، ٣ : ١٦٩ .

فالنجم حين يصبح قرينا لنجم آخر ، فمن اليقين أن يتحقق بذلك ما يناسبهما من أثر .

وحين يقترن الرجل والمرأة يولد البشر ، وكذلك باقتران الحجر والحديد يتولد الشرر .

ومن قران التراب بالامطار تكون الثمار والخضرة والرياحان .

١٠٩٥ ومن قران الخضرة بالانسان يكون سرور القلب وتفريج الهم والسعادة .

ومن قران السعادة بأرواحنا ينبثق الخير والاحسان فينا .

فالاجساد تصبح متقبلة للطعام ، حينما تتفتح شهيتها بالرياضة والنزهة .

وحمرة الوجه تكون من اقترانه بالدم . والدم يتدفق بفعل الشمس الجميلة الوردية اللون .

وخير الألوان هو اللون الأحمر ، وهذا من الشمس ، وهو يقبل منها اليينا .

١١٠٠ وكل أرض أصبحت قرينة لزحل ، صارت ملحة ولا مجال للزرع فيها .

وقوة الفعل تنبثق من الاتفاق عليه ، كما يكون من اقتران الشيطان بأهل النفاق .

فهذه المعاني الصادقة وان لم تكن ذات مجد ورواء (في الدنيا) فلها من الفلك التاسع مجد ورواء !

والمجد والرواء ليسا سوى عرض في الخلق ، على حين أنهما ماهية لمن له الأمر والمقدرة .

ان الخلق يتحملون الذل في سبيل المجد والرواء . وهم - على
أمل العز - سعداء في مذلتهم !

١١٠٥ انهم على أمل العز أياما عشرة حافلة بالقلق ، قد جعلوا رقابهم
من الهم ناحلة كالمغزل .
فلماذا لا يقبلون الى هنا ، حيث أقيم في عزة تغمرها اشراقة
الشمس .

ومشرق الشمس برج أسود اللون ، أما شمسى فانها فوق
المشارك !

ان مشرقها هو نسبتها الى الذرات العالقة بها . فذاتها لم ترتفع
قط ولم تنخفض .

ومع أنى متخلف وراء ذراته ، فأنا في العالمين شمس لا تغشاها
الظلال !

١١١٠ وهأنذا دائب الدوران حول الشمس ، فما أعجبها ! ولا سبب
لهذا سوى جلال الشمس .

وهذه الشمس مطلعة على الأسباب ، لكنها غير مرتبطة بحبال
الأسباب .

ولقد قطعت الأمل ألوف المرات . مم ؟ من هذه الشمس ! فهل
تصدق قولى ؟

لا . لا تصدق أنتى أصبر عن الشمس ، أو أن السمك يصبر عن
الماء .

وحتى لو أنتى يئست ، فان يأسى ذاته من صنع الشمس ، أيها
الرفيق الطيب !

١٢١٥ وكيف تنقطع حقيقة الصنع من نفس الصانع ؟ أم كيف يغتدى وجود الا من الوجود المطلق ؟

فجملة الموجودات ترتعى في هذه الروضة ، وسواء في ذلك البراق أو الخيل العرب أو الحمير !

والذى لم يبصر دوران هذا البحر يستقبل بوجهه - في كل لحظة - محرابا جديدا .

فهو قد شرب من البحر العذب ماء ملحا ، فأعماه ذلك الماء الملح . والبحر يقول : « أيها الأعمى ! اشرب بيدك اليمنى من مائى لعلك تغدو بصيرا » .

١١٢٠ واليد اليمنى هنا هى الظن الصادق ، الذى يعلم أين سبيل الخير وسبيل السوء .

أيها الرمح . انك حين تستقيم ، وحين تعوج ، فما هوذا صانع الرماح !

وان عشق شمس الدين قد قلم أظافرى . والا فكيف لا أجعل هذا الأعمى بصيرا ؟

فيا حسام الدين ، يا ضياء الحق ! ألا فلتعجل بمداواته ، مهما عميت عين الجسود .

ان توتيا^(١) الكبرياء لعاجلة الأثر ، وهى الدواء المبدد للظلمات (التى تعمى) أهل العناد .

(١) انظر عن التوتيا : ابن البيطار : الجامع للمفردات الطبية ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

١١٢٥ فهذه لو مسّت عين أعمى لا تنزعت منها ظلمة مائة من الأعوام !
فاعمل لمداواة جميع العميان الا الحسود ، فانك لن تلقى منه
الا الجحود .

ولا تجّد بروح منك على حاسدك ، حتى ولو كنت أنا ذلك
الحاسد ، بل دعنى للحسد يهلكنى !
فهذا الذى يكون حاسدا للشمس ، ذلك الذى يضنيه وجودها
ألما ،

تأمل علته تلك التى لا دواء لها . واهأ عليه ! تأمل ذلك الذى
سقط في قاع البئر الى الأبد !

١١٣. ان هذا يحتم انتفاء شمس الأزل ، فقل لى ، كيف يتحقق مراده
هذا ؟

ان الباز هو الذى يرجع ثانية الى المليك . أما ذلك الذى ضلّ
طريقه فهو باز أعمى .

لقد ضلّ طريقه فهبط في احدى الخرائب ، ثم وقع بين البوم
في تلك الأرض الخراب .

وهو نور خالص مقبّس من نور الرضى ، لكن أمير جيش القضاء
قد أعماه !

لقد نثر التراب في عينيه ، وأضله الطريق ، ثم ألقي به بين البوم
في احدى الخرائب .

١١٣٥ وفوق ذلك أخذت البوم تضربه فوق رأسه ، وتقتلع من جناحيه
القوادم والخوائف الحسان .

وعلا الصياح بينها ، وكانت تقول : « لقد جاء ليغتصب منا
مكاننا » .

فكانت مثل كلاب الحيّ الغاضبة الرهيبة ، وقد علقت بأذيال دلق
درويش غريب ،

وكان الباز يقول : « أى تناسب بينى وبين البوم ؟ انى أنزل
لها عن مائة مكان مثل هذا .
وما كان مرادى ان أنزل بهذا المكان ، بل انى كنت راجعا الى
المليك .

١١٤٠ فيا أيها البوم ، لا تقتلوا أنفسكم . انى لست مقيما هنا بل
عائد الى وطنى .

فهذا الخراب يبدو في أعينكم عمرا ، أما أنا فلي عودة الى
ساعد الملك ! »

فقلت البوم : « انّ الباز يحتال ، حتى يقتلحكم من منزلكم
ودياركم .

وانه لمستول بالمكر على ديارنا ، ولسوف يقتلعنا بالنفاق من
أوكارنا .

انّ هذا المولع بالاحتيال يتظاهر بالشعب ، مع أنه — والله —
أسوأ من كل الطامعين !

١١٤٥ انه من الحرص يأكل الطين وكأنه الدبس ، فلا تسلموا — أيها
الرفاق — ذيل الشاة للدب .

انه يباهى بالمليك ، وبكف المليك ، حتى يجعلنا — نحن البسطاء —
نضلّ السبيل .

وأى تجانس بين طائر صغير وبين الملك ؟ فان كان لديكم قليل من
العقل فلا تستمعوا اليه .

أهو من جنس الملك أو جنس الوزير ؟ وهل يكون الثوم ملائماً
لحلوى الجوز ؟

وأما قوله - بمكر واحتيال وفن - « ان السلطان وحشمه
يبحثون عني » .

١١٥. فهاكم جنونا لا يتقبله العقل ! وهاكم مباهاة غرّ ، وفخا يختطف
الرؤوس !

فلا بد من البلاهة لتصديق هذا ، والا فما للملك وهذا الطائر
الصغير النحيل ؟

فان كانت أصغر بومة تحطم رأسه ، فأنى له العون من المليك ؟
فقال الباز : « لو أنها كسرت لى ريشة واحدة ، لاقتلع ملك الملوك
موطن البوم من أساسه !

فما البومة في ذاتها ؟ انه لو آذى قلبى باز أو نالنى بجفائه ،
١١٥٥ لجعل المليك في التلال والوهاد يبادر تضمّ تلالا من رؤوس
البيزان !

وان عنايته لهى حارسى ، فحيثما توجهت فالمليك يتبعنى .
وخيالى مقيم في قلب السلطان . وبدون خيالى يكون قلب
السلطان سقيما .

فحينما يطيرنى المليك في مسالكه ، فانى أرتفع الى أوج القلب،
كشعاع أنواره !

وأطير مثل القمر ومثل الشمس . وأمزق أستار السماء !
١١٦. وان استنارة العقول لهى من فكرى ! وان انفطار السماء لهو
من فطرتى !

فأنا باز ولكن العنقاء تحار في أمرى ! فما البومة حتى تدرك كامن
سرى ؟

ومن أجلى تذكر المليك سجنه ، فاطلق سراح آلاف من السجناء !
لقد جعلنى في لحظة رفيقا للبوم ، ثم جعل البوم بأنفاسى ييزانا !
فما أسعد بومة صادفت مطارى ، وفهمت لحسن طالعها أسرارى !
١١٦٥ ألا فلتعلقوا بى لتصبحوا سعداء ، وتصيروا ييزان المليك برغم
كونكم من البوم .

فمن كان حبيبا لمثل هذا المليك ، فلماذا يكون غريبا ، مهما
اختلفت عليه المنازل (١) ؟

ومن كان المليك دواء آلامه ، فانه لا يكون بلا نصيب ، مهما
ناح مثل الناي .

اننى مالك الملك ، ولست الذى يهلع من قرع الطبول ، فالمليك
هو الذى يقرع لي الطبول من جانبه .
وطبل الباز (الذى ألبيه) هو نداء « ارجعى (٢) » . والله
شاهدى بالرغم من المدعى .

١١٧٠ اننى لست من جنس ملك الملوك ، فما أبعدنى عن ذلك ! وانما
أنا مستضىء بنور من تجليه .

والتجانس لا يكون على أساس الشكل والذات ، فالماء يتجانس
مع التراب في النبات .

والريح تتجانس في قوامها النار . والخمر تصبح متجانسة مع

(١) حرفيا : مهما حط في أى مكان .

(٢) انظر : سورة الفجر ، ٨٩ : ٢٨ .

الطبع الانسانى .

ولما كان جنسنا مغايرا لجنس مليكنا ، فقد أصبحت ذواتنا فانية
في سبيل ذاته .

وحينما فنيت ذواتنا بقي فردا . وانى لأغدو كالغبار أمام حوافر
جواده (١) .

١١٧٥ والروح تغدو ترابا وتبقى علامات أقدامه منطبعة فوق ترابها .
ألا فلتصبح ترابا تحت قدميه لتظفر بتلك العلامات ، فانك —
حينذاك — تصير تاجا فوق رؤوس الماجدين !

فلا تدع لصورتى سبيلا الى خداعك ، ولتأكل هنيئا من نقلى ،
قبل انتقالى .

فكم من أناس أغلقت الصورة أمامهم السبيل ، فتهجموا عليها ،
فكان تهجمهم على الله !

وأخيرا فان هذه الروح مرتبطة بالبدن ، فهل هناك من شبه
قط بين هذه الروح وبين البدن ؟

١١٨٠ فاشراق نور العين قرين لقطعة من الشحم (٢) ، ونور القلب كامن
في قطرة من الدم .

والفرح في الكلى وأما الحزن ففى الكبد . والعقل مثل الشمعة
داخل لباب الرأس .

وهذه العلائق ليست بدون كيف ولا شبه . ولكن العقول ضعيفة
في ادراك الكيف .

(١) انى لاتحرك مستجيبا لأدنى سبب من أسبابه ، كما يتحرك الغبار
حينما تثيره حوافر الفريس .
(٢) يقصد بقطعة الشحم هنا بياض العين .

ان الروح الكلى قد التحم بالروح الجزئية ، فأخذت هذه درة
منه وجعلتها في جيبها .

فعدت الروح — من احتكاك تلك الدرة بجيبها — حاملا كرميم ،
تلك التى حملت مسيحا يسحر القلوب .

١١٨٥ وليس المسيح هو من كان يمشى على اليابسة والماء ، بل انه ذلك
المسيح الذى سما فوق حدود المكان .

فحينما تلقت الروح حملها من روح الروح ، تلقى العالم كله
حملا من مثل تلك الروح .

وهكذا يلد العالم عالما آخر ، وتبدو حقيقة الحشر لهذا الجمع
الحاشد (من البشر) !

ولو أننى حكيت وعددت حتى يوم الساعة ، فسأبقى مقصرا في
ايضاح ذلك الحشر .

فهذه الأقوال كلها تعنى دعاء « يا رب ! » ، وكلماتها شِبَاكَ
أنفاس طرحتها شفاه حلوة .

١١٩٠ فكيف يقصر المرء ، وكيف ينطوى على نفسه ، ما دام جواب
« لبيك » يستجيب لدعاء « يا رب » .

فكلمة « لبيك » هى (ذلك الجواب الالهى) الذى لا تستطيع
سماعه ، لكنك تتذوقه بكل كيائك ، من الرأس الى القدم .

كيف القى ظامىء فوق قمة جدار

احجارا في مجرى الماء

يُحكى أن جدارا عاليا كان مقاما على شاطئ نهر ، وأنه كان
فوق هذا الجدار رجل ظامىء يلقى العناء .

وكان هذا الجدار مانعا له من الماء. فكان في ألم من أجل الماء
مثل السمك .

وفجأة ألقى بحجر في الماء ، فوقع صوت الماء في أذنه مثل الخطاب .
١١٩٥ لقد كان لصوت الماء في سمعه فعل النيذ ، أو فعل حديث محبوب
حلو لذيد .

فلصفاء صوت الماء ، أخذ ذلك المبتلى يقتلع الأحجار من الجدار
ويلقى بها في الماء .

فهتف به الماء قائلا : « أية فائدة (حققها) من ضربك اى
بالأحجار ؟ »

فقال الظمان : « أيها الماء . ان لى من ذلك فائدتين . ولهذا فلن
أقلع عن هذا الصنع .

فالفائدة الأولى هى سماع صوت الماء ، ووقع هذا عند الظماء
مثل الرباب .

١٢٠٠ فهذا الصوت صار شيها بصوت اسرافيل . وبفعل هذا تنبثق
الحياة في الموتى .

أو هو كصوت الرعد في أيام الربيع . يظفر منه البستان بمتعدد
الصور .

أو هو مثل أيام الزكاة عند الدرويش ، أو مثل رسالة الخلاص
عند السجين !

أو كصوت الرحمن الذى كان يصل الى محمد من اليمن ، وذلك
من غير أن ينقله فم .

أو كعبير أحمد الرسول المصطفى ، حين يدرك بشفاعته أحد
العصاة .

١٢٠٥ أو مثل شذى يوسف الطيب اللطيف ، اذهب على روح يعقوب
بعد أن براه الأسى .

والفائدة الثانية أننى كلما اقتلعت حجرا من هذا الجدار ، أقرب
من الماء المعين .

فكل حجر اقتلع من ذلك الجدار العالي ، كان مدعاة الى انخفاضه .
وانخفاض الجدار هو السبيل الى القرب ، والاتصال عنه هو
العلاج المؤدى الى الوصال .

فاقتلاع تلك الأحجار المتماسكة مثل السجود . والسجود موجب
للقرب ، كما جاء في قوله تعالى : « واسجد واقترب ^(١) » .

١٢١٠ فما دام ذلك الجدار شامخا بعنقه ، فهذا مانع له من أن يخفض
هامته .

وليس لى سبيل الى أن أسجد فوق ماء الحياة ، ما لم أجد
الخلاص من ذلك الجسم الترايبى .

وكل من كان — فوق الجدار — أكثر ظمأ ، فانه يكون أسرع
في اقتلاع الحجر والمدر .

وكل من كان أكثر عشقا لصوت الماء ، كانت الحجارة التى يقتلعها
من السور أكبر حجما .

وهو من سماع صوت الماء يغدو مليئا بالخمر حتى العنق ، أما
الغريب فلا يسمع من ذلك الا مجرد الصوت .

١٢١٥ فما أسعد ذلك الذى يغتنم أيامه الأولى ، ويؤدى بها دينه ،

(١) انظر : سورة العلق ، ٩٦ : ١٩ .

تلك الأيام التي تكون له فيها قدرة وصحة وقوة قلب وشدة
بأس .

حيث الشباب مثل بستان أخضر ريان ، ينضج — بدون تقصير —
حصادا وثمارا .

وحيث ينايع القوة والشهوة جارية ، تغدو أرض الجسد بها
مخضلة يانعة .

وحيث الدار معمورة وسقفها سامق رفيع ، وأركانها معتدلة ،
لم يشوهها ترميم ولا ركائز .

١٢٢. وذلك قبل أن تحلّ أيام الهرم ، فتربط جيدك بحبل من مسد^(١) .
وقبل أن يصبح التراب ملحا منحلا واهيا ، والتراب الملح لا ينبت
قط نباتا طيبا .

وقبل أن يغدو ماء القوة وماء الشهوة منقطعا ، فلا يكون للانسان
نفع في نفسه ولا في غيره .

ويتراخى حاجب العين كالجبل فوق ذيل الدابة . وتصبح العين
دامعة وتغشاها الظلمة .

ويغدو الوجه من التشنج شبيها بظهر الحرياء ، ويقلع عن العمل
النطق والتذوق والأسنان .

١٢٣. ويكون النهار قد ولى ، والحمار أعرج ، والطريق طويلا ،
والحانوت قد خرب ، والعمل أصابه البوار .

وجذور الخلق السيء قد أصبحت راسخة ، والقوة على اقتلاعها
قد أصابها الوهن !

(١) في البيت اقتباس من آية كريمة . انظر : سورة المسد ، ١١١ : ٥ .

كيف امر الوالي احد الرجال قائلا :
« اقتلع ذلك الشوك الذى زرعته فوق الطريق »

ومثال ذلك هذا الشخص الغليظ ، الناعم الحديث ، الذى غرس الشوك في وسط الطريق .

وكان العابرون بهذا الطريق يلومونه ، وكم طلبوا اليه أن يقتلع الشوك ، لكنه لم يفعل ذلك !

وكان نبات الشوك يزداد نموا في كل لحظة ، وصارت أقدام الناس من وخزه تقطر دما .

١٢٣. وكانت الأشواك تمزق ثياب الخلق ، وأما أقدام الدراويش فما أقسى ما نالها من الألم !

وحينما دعاه الحاكم بجدّ الى اقتلاع هذه الأشواك ، قال :
« نعم . سوف أقتلعها ذات يوم » .

وبقى مدة يعد في يومه أن يفعل ذلك في غده ، حتى صارت دوحة الشوك راسخة الكيان .

فقال له الحاكم ذات يوم : « أيها الحانث بوعدده . أقبل لانتفاذ أمرنا ، ولا تلزم التراجع عنه » .

فقال الرجل : « الأيام — يا عم — بيننا ! » . فقال الحاكم : عجّل ، ولا تماطل في أداء ديننا » .

١٢٣٥ فيا من دأبت على قولك « غدا » ، اعلم أنه في كل يوم يمرّ من الزمان ،

تغدو هذه الشجرة الخبيثة أقوى شبابا ، ويغدو مقتلعها شيخا عاجزا .

وتكون شجرة الشوك (قد ازدادت) قوة وارتفاعا ، في حين أن
مقتلع الشوك قد ازداد هرما وانحدارا .
وشجرة الشوك ، في كل يوم وكل لحظة ، ذات اخضرار ونضرة ،
أما مقتلع الشوك فيزداد في كل يوم علة وذبولا .
فهى تزداد شبابا وأنت تزداد شيخوخة ، فسارع ، ولا تكن
مضيعا لوقتك .

١٢٤٠ واعلم أن كل خلق قبيح فيك انما هو شجرة شوك ! ولكم وخزت
الأشواك قدميك آخر الأمر !

وما أكثر ما غدوت جريحا بطباع ذاتك ! انك لست بذى احساس !
بل أنت غاية في انعدام الحس !

فان كنت ازاء تجريح غيرك من الناس - الذين يرميهم بذلك
خلقك القبيح -

تغفل عن فعلك أحيانا ، أفلست هكذا غافلا عما تحدثه بنفسك
من جراح ؟ انك لعذاب لنفسك ولكل من عداك !

فلتحمل الفأس ، ولتضرب مثل الرجال ! اقتلع مثل على باب
خير هذا !

١٢٤٥ أو اجعل هذا الشوك مقترنا بشجرة ورد . اجعل النار مقترنة
بنور الحبيب .

حتى يسحب نورهُ ما فيك من نار ، ويجعل وصلته أشواكك
بستان ورد .

فانك مثيل لنيران الجحيم ، أما المرشد فمؤمن . والمؤمن ذو مقدرة
على اخماد النار .

فلقد أخبر المصطفى عن نطق الجحيم ، وأنها تغدو من خوفها
مخاطبة للمؤمن .

تقول له : جز يا مؤمن ، فقد أطفأ نورك لهبى (١) .

١٢٥٠ فنور المؤمن هو الذى يهلك النار . والصدق لا يمكن دفعه الا
بضده .

والنار تكون يوم العدل مضادة للنور . فهذه قد انبثقت من
قهر الله ، وذاك من فضله .

فان كنت تريد دفعا لشر النار ، فابعث الى قلبها بماء الرحمة .
والمؤمن هو ينبوع ماء الرحمة هذا . أما ماء الحياة فهو روح
المحسن الطاهر .

ولهذا فان نفسك الأماراة بالسوء تغدو هاربة منه ، لأنك من النار،
وأما المؤمن فهو ماء سلسيل .

١٢٥٥ والنار تولى هاربة من الماء ، فالنار تلقى من الماء الهلاك والدمار .
وحسبك وفكرك كلاهما من النار ! وأما حس الشيخ وفكره فهما
نور لطيف !

فعندما يقطر ماء نوره فوق النار ، يعلو أزيزها وتبدلح .
فاذا ما أزمت فقل لها : « موتا وهلاكاً » ، واذا ذاك يغدو جحيم
نفسك بردا .

وحينذاك لا يحترق به بستانك ، ولا يشتعل به عدلك واحسانك !

(١) الشاعر قد ذكر الحديث هنا بتصرف ، وقد اوردناه بنصه في
الترجمة . وقد روى هذا الحديث في حلية الأولياء لأبى نعيم الاصفهاني ،
عن يعلى بن منبه قال : قال رسول الله : تقول النار للمؤمن يوم القيامة ،
جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى . (المنهج القوى ، ج ٢ ، ص
٢٩٥) .

١٢٦٠ وكل ما تزرعه بعد ذلك يغدو ثمرا ، ويثبت لك الشقائق

والنسرين والنمام !

لقد عدنا لنقطع الطريق المستقيم بالعرض ، فلنعد أيها السيد . أين طريقنا ؟

وكنا قد شرحنا لك أيها الحسود ، أن حمارك أعرج والمنزل بعيد ، فسارع بانطلاقك .

فالعام قد فات أوانه ، وليس هذا بوقت الغرس . فلم يبق الا سواد الوجه والفعل القبيح .

ان الدود قد أصاب أصل شجرة الجسد ، فوجب اقتلاعها والقائها في النار .

١٢٦٥ حذار حذار أيها السائر على الطريق ، فقد تأخر الوقت ، وشمس العمر قد تدانت من بئر المغيب .

وفي يوميك اللذين تملك فيهما القوة ، انشر جناحك محلقا في طريق الجود !

وازرع ذلك القدر الذي بقى لك من البذور ، ينبت لك من هاتين اللحظتين عمر مديد !

ولكى لا يخبو هذا السراج اللألاء ، سارع باصلاح فتيله وامداده بالزيت .

وكن حذرا ، ولا تقل « غدا » ، فكم من غد قد مضى ، فلم تبق لك قط أيام للغرس .

١٢٧٠ واستمع الى نصحي ، وأنت بعد في عنفوان قواك الجسدية : ان كنت تميل الى الجديد ، فتخلص من القديم .

أغلق شفتيك ، وافتح كفا مليئة بالذهب . ودعك من بخل الجسد ،
وأقبل على الجود .

وترك الشهوات واللذات سخاء . وما نهض قط انسان صار
غريق شهواته .

وهذا السخاء غصن من سرو الجنان . فواها على من رمى من
كفه مثل هذا الغصن .

والتخلي عن الهوى هو العروة الوثقى . فهذا الغصن يرتفع بالروح
الى السماء .

١٢٧٥ واذا ذاك يرفعك غصن السخاء - أيها المؤمن - فتتسامى معه الى
أصله .

انك يوسف الحسن ، وهذا العالم مثل البئر . والحبل (الذى
يخلصك) هو الصبر على أمر الله .

يا يوسف ، ها هوذا حبل (النجاة) قد تدلى ، فتعلق به بكلتا
يديك ، ولا تغفل عنه ، فقد تأخر الوقت .

والحمد لله أنه قد أدلى هذا الحبل ، فهنا ، قد امتزج فضله
برحمته .

وذلك لترى عالم الروح الجديد ، وهو عالم بالغ الظهور ، وان
احتجب عن العيان .

١٢٨٠ فعالم الفناء هذا قد صار كأنه الوجود (الحق) ، وأما عالم الوجود
(الحق) فقد صار بالغ الخفاء !

كالتراب يتلاعب فوق الهواء ، ويبدى مظهرها كاذبا وينشر أستارا .
فهذا عاطل أجوف ظاهره العمل . وأما ذلك المحتجب فهو لبه
وأصله .

فالتراب مثل الآلة في يد الهواء ، أما الهواء ، فاعلم أنه عال ،
وأنه رفيع المصدر .

فالعين الترابية هي التي يقتصر ابصارها على التراب . أما العين
التي تبصر الهواء فهي من نوع آخر .

١٢٨٥ فالحصان يعرف الحصان لأنهما شبيهان . وكذلك الفارس يعلم
أحوال نظيره من الفرسان .

وعين الحس هي الحصان وأما نور الحق فهو الفارس . ولا جدوى
للحصان بدون الفارس .

فخلص حصانك من الخلق القبيح ، والا فانه لا يكون مقبولا عند
المليك .

وعين الحصان تهتدي في السير بعين المليك . وبدون عين المليك
يسوء حال تلك العين .

ولو أنك دعوت عيون الخيل الى أى مكان سوى العشب
والمرعى ، لكان جوابها : « لا » ، « لماذا ؟ »

١٢٩٠ أما حين يمتطى نور الحق نور الحس ، فان الروح تغدو مشتاقة
الى الحق .

وماذا يعرف الحصان — بدون راکبه — عن رسم الطريق ؟ فمن
أجل أن يعرف الطريق الملكى ، لا بد له من فارس ملك !

فتوجه نحو حس يكون النور رائده ، ذلك لأن النور صاحب
كریم للحس .

ونور الحق هو الذى يزين نور الحس ، وذلك معنى قوله تعالى :

« نور على نور^(١) » .

ونور الحس يجتذب الانسان نحو الثرى ، وأما نور الحق فيسمو به نحو العلى .

١٢٩٥ ذلك لأن المحسوسات عالم أدنى . بل ان نور الحق شبيه بالبحر، وأما الحس فمثل قطرات الندى !

لكن راكب الحس هذا لا يكون ظاهرا الا في جميل الأثر وطيب الكلم .

ان نور الحس مع غلظه وكثافته يكون مستترا في سواد العينين . فما دمت لا ترى بالعين هذا النور الحسى ، فكيف تستطيع أن ترى بها ذلك النور الروحى ؟

ان نور الحس — برغم غلظه — محتجب عن الأبصار ، فكيف لا يكون خفيا ذلك الضياء الصافى ؟

١٣٠٠ فهذا العالم كالقشة في أيدي رياح الغيب ، وقد أصبح العجز ازاءها شيمة له^(٢) . ذلك لأن حكم الغيب ،

حينما يرفعه وحينما يخفضه ، وطورا يهبه السلامة وطورا يحطمه ! وقد يوجهه حينما نحو اليمين ، وحينما نحو الشمال ! وحينما يجعله بستان ورد وحينما يجعله شوكا !

فتأمل كيف أن اليد مختلفة ، والقلم يرسم الخطوط ! وكيف أن الحصان يتجول وفارسه غير ظاهر للعيان !

وتأمل كيف أن السهم منطلق ، على حين قد خفى القوس . وتأمل كيف أن الأرواح ظاهرة ، وكيف احتجب روح الروح !

(١) انظر : سورة النور ، ٢٤ : ٣٥ .

(٢) حرفيا : « وقد اتخذ العجز حرفة له » .

١٣٠٥ ولا تحطم السهم فانه سهم المليك ، وليس سهما ثانيا ، بل هو منطلق من قوس العليم الخبير .

ولقد قال الحق : « وما رميت اذ رميت ^(١) » . ان فعل الحق سابق على كل الفعال .

فحطم غضبك ولا تحطم السهم . ان عين غضبك هي التي تبصر الحليب دماء !

وقبل السهم — ذلك السهم المملخ بالدماء ، المبلل بدمك أنت — ثم احمله الى المليك .

فهذا العالم المتجلى للعيان عاجز مقيد ضعيف ، وأما ذلك المحتجب فعنيف أبى !

١٣١٠ اتنا نحن الصيد ، فلمن تكون مثل هذه الشباك ؟ ونحن كرة الصولجان ، فأين الضارب بالصولجان ؟

أين هذا الحائك الذي يمزق ويحيك ؟ وأين ذلك النفاط الذي يطفئ ^(٢) ويشعل ؟

فهو حينما يجعل الكافر صديقا ، وحينما يجعل الزاهد زنديقا !
ذلك لأن المخلص يكون في خطر من الشباك ، ما لم يظفر بالخلاص الكامل من ذاتيته .

فهو يكون على الطريق ، وما أكثر قطاع الطريق . وان الناجي لهو الذي يكون في أمان الله .

١٣١٥ فان لم يغدُ مرآة صافية ، فهو (مجرد رجل) مخلص ، وهو لم يصد الطائر بعد ، بل ما يزال يقتنص .

(١) الأنفال ، ٨ : ١٧ .

(٢) حرفيا : ينفخ ، والمقصود بالنفخ هنا الاطفاء ، كما يتضح من السياق .

والمخلص يلقي النجاة حين يكتمل له الخلاص . فهو اذ ذاك يبلغ
مقام الأمن ويتحقق له الفوز .

وما عادت مرآة قط الى سابق عهدها حديدا ، ولا ارتد الخبز
فصار قمح البيدر .

ولا عنب ناضج عاد فجأ ، ولا ثمار ناضجة عادت بواكير .
فابلغ النضج وابتعد بنفسك عن التغير . اذهب ، واغد نورا مثل
برهان المحقق (١) .

١٣٢٠ فانك ان خلصت من ذاتيتك غدوت كلك برهانا . وما دمت لم
تعد عبدا غدوت سلطانا .

وان أردت العيان فقد أظهره صلاح الدين . فقد جعل الأعين
مبصرة ، وجلاها !

فكل عين استضاءت بنور الوحدانية ، كانت تبصر الفقر في عينيه
وسيماه .

ان الشيخ مثل الحق ، فعَّال بدون آلة . فهو يلقي مريديه دروسا
بدون قول !

فالقلب في يده كالشمع الرقيق الطيع . وهو يدمغه تارة بالعار
وتارة بالفخار .

١٣٢٥ فالصورة المنطبعة على الشمع شبيهة بالخاتم . ولكن ، ماذا يحاكيه
نقش هذا الخاتم ؟

انه محاكاة لفكر هذا الصائغ . فهي ذى سلسلة مترابطة
الحلقات .

(١) في هذا البيت تمجيد لبرهان الدين محقق الترمذي استاذ الشاعر .

وهذا الصدى في جبال قلوبنا صوت من ؟ وحينما هذا الجبل ملئ
بذلك الصوت ، وحينما هو خال منه .

فحيثما كان حكيم ، وأينما كان استاذ ، فلا يكن جبل قلبه خاليا
من ذلك الصوت .

ومن الجبال ما يجعل الصوت الذى يتلقاه ضعفين ، ومنها ما
يضاعفه مائة مرة ..

١٣٣٠ وان الجبل ليفجر — من هذا الصوت والمقال — مائة ألف عين
من الماء الزلال .

فاذا ما فارق الجبل ذلك اللطف ، صارت المياه في الناييع
دماء .

ان هذا المليك الأكبر قد مر بنعليه المباركتين على جبل الطور
فجعله ياقوتا .

لقد تقبلت أجزاء الجبل الروح والعقل ، فهل نحن — أيها القوم —
أقل من الحجر ادراكا ؟

فليس في الروح نبع واحد يتفجر ، ولا الجسم قد غدا يانع
الخضرة مزدهرا !

١٣٣٥ وما تتردد أصوات الشوق في جنباته ، ولا هو اتشى من
صفاء جرعة الساقى .

فأين الحمية التى تقتلع بالفأس والرمح مثل هذا الجبل بأكمله ؟
فلعل قمرا يشرق فوق أجزائه ! لعل نور البدر ينفذ خلاله ، ويجد
سبيلا فيه !

فما دامت القيامة سوف تقتلع الجبال ، فكيف يكون سبيلها
لتنشر فوق رؤوسنا الظلال ؟
ومتى كانت القيامة (الروحية)^(١) أقل من قيام الساعة ؟ ان
هذه القيامة (الكبرى) كالجرح ، وأما البعث الروحي فهو
كالمرهم !

١٣٤٠ فكل من عرف هذا المرهم فقد أمن الجراح . وكل مئسء أبصر
هذا الحسن فانه محسن .

فما أسعد القبيح الذي غدا الجميل له نديما ! وواها على مليح
ورديّ المحيا غدا الخريف له قرينا !
ان الخبز الميت — حين يصبح رفيقا للروح — يغدو حيا ، بل
يغدو عين الحياة !

والحطب المظلم يصير رفيقا للنار ، فيذهب عنه اظلامه ، ويغدو
كله أنوارا !

ان الحمار الميت — حين سقط في منجم الملح — تخلص عن
حماريته ، وعن تحلل جسده .

١٣٤٥ وصبغة الله^(٢) تكون من وعاء لون الوجدانية . ففيه تغدو
الألوان المتنوعة لونا واحدا !

فاذا وقع في هذا الوعاء أحد ، وقلت له : « قم » ، فانه يقول
لك طربا : « انتى أنا الوعاء ، فلا تلمنى » .

(١) « القيامة الروحية » هى الوصول الى حال اليقظة الروحية بعد
التخلص من سلطان الحس وشهوات الجسد .

(٢) انظر : سورة البقرة ، ٢ : ١٣٨ .

وان قوله : « أنا الوعاء » لهو عين قول : « أنا الحق » . وهل
سوى الحديد ما يحوز لون النار ؟
فلون الحديد يحى في لون النار . وكأنا الحديد في صمته
يباهى بناريتة !

فحينما غدا - في حمرة - مثل ذهب المنجم ، فهو يباهى بدون
لسان قائلا : « أنا النار ! »

١٣٥٠ لقد صار مهيبا بلون النار وطبيعتها . فهو يهتف قائلا : « انتى
أنا النار ، أنا النار ! »

انتى أنا النار ، فان كنت في شك من ذلك أو ريب ، فلتجرب
ولتضع فوقى يدك .

انتى انا النار ، فان كان لك في ذلك اشتباه ، فضع وجهك فوق
وجهى لحظة واحدة !

والانسان حين يقتبس النور من الله ، يكون الجدير بسجود
الملائكة ، لأن الله اجتباها .

وكذلك يكون جديرا بسجود الانسان ، الذى خلصت روحه
من الشك والطغيان ، مثل الملائكة .

١٣٥٥ وما النار ؟ وما الحديد ؟ ألا فتغلق شفتيك ، ولا تهزأ بلحية
تشبيه المشبه .

ولا تضع قدمك في البحر ، وأقلل من حديثك عنه . ولتقف على
شاطئ البحر صامتا ، تعض (من الحيرة) شفتيك .

ومع أنه لا طاقة لمائة مثلى بالبحر ، فانه لا اضطبار لى عن أن أغدو
غريق لجه !

فليكن روحى وعقلى فداء للبحر . فهذا البحر هو الذى أدى دية العقل والروح .

فما دامت لى قدم تسعى ، فانى مندفع اليه . وحين لا تبقى لى قدم فأنا فيه مثل البط .

١٣٦٠ والحاضر - ولو كان عديم الأدب - خير من الغائب . فالحلقة - مع أنها معوجة - أليست فوق الباب ؟

أيها الملوّث الجسد . لتدر حول الحوض . والا فكيف يتطهر خارج الحوض انسان ؟

بل ان الطاهر - الذى أقام بعيدا عن الحوض - هو أيضا قد وقع بعيدا عن طهارة ذاته .

فطهارة هذا الحوض لا حدود لها ، أما طهارة الأجسام ، فهى طفيفة القدر .

والقلب حوض ، لكنه محتجب ، ولهذا فان له سيلا خفيا الى البحر !

١٣٦٥ فطهارتك المحدودة تحتاج الى مدد ، والا فان العدد يتناقص بالاتفاق .

لقد قال الماء للملوّث : « أسرع الىّ » ، فقال الملوّث : « اننى أخجل من الماء ! »

فقال الماء : « وكيف يذهب عنك هذا الخجل بدونى ؟ أم كيف يزول بدونى هذا التلوّث ؟

فكل ملوّث قد احتجب عن الماء فانه مصداق لقول القائل : « الحياء يمنع الايمان » .

ان سلم حوض الجسد قد لوّث القلب ، أما حوض القلب فقد
طهر بمائة الأجساد .

١٣٧٠ فلتكن - يا بنى - قريبا من سلم حوض القلب ، وتنبه ، وكن
حذرا من سلم حوض الجسد .

وبحر الجسد ، وبحر القلب يلتقيان ، « بينهما برزخ لا يبغيان ^(١) » .
فان كنت مستقيما ، أو كنت معوجا ، فتقدم زاحفا نحوه ، ولا
تتهقر عنه ^(٢) .

فان كان في القرب من الملوّك خطر على الروح ، فان أهل الهمم
لا يصبرون عن ذلك القرب !
فالملك اذ كان أحلى من السكر ، فخير للروح أن تذهب فداء
لحلاوته .

١٣٧٥ فيا أيها اللائم ! لتنعم أنت بالسلامة . وأنت يا طالب السلامة !
انك واهى العرى .

ان روحى كالتنور ، وهى سعيدة بالنار ! وحسب التنور أنه منزل
النار .

وللعشق محروقات مثلما للتنور . وكل من عمى عن ذلك فليس
بتنور .

وحيثما أصبح غذاؤك الاعراض عن غذاء الحس ، تحقق لك الروح
الباقى ، وانصرف عنك الموت .

(١) الرحمن ، ٥٥ : ٢٠ .

(٢) تقدم نحو خالقك مهما كان التقدم بطيئا ، ولا تتراجع عن قربك
قيد أنملة .

وحينما استولى عليك ذلك الحزن الذى يزيد السرور ، شاع
الورد والسوسن في روضة روحك !
١٣٨٠ وأصبح أمنا لك ما يخيف سواك . ان البط لقوى في البحر ،
وأما الطيور الأليفة فواهية ضعيفة .
هأنذا قد عاودنى الجنون ، أيها الطبيب ! وها هوذا الوجد قد
عاودنى ، أيها الحبيب !
وان حلقات سلسلتك لذات فنون ، وكل حلقة منها تهب لونا
من الجنون .
فعطاء كل حلقة فن مختلف عن سواه ، ولهذا فان لى في كل
لحظة جنونا فريدا !
ولهذا فان قول القائل : « الجنون فنون » ، قد أصبح مثلا .
ويصدق هذا — بخاصة — على سلاسل هذا الأمير الأجل .
١٣٨٥ ومثل هذا الجنون قد حطم عندى كل قيد ، حتى غدا كل مجنون
يسدى الى النصيح !

كيف جاء الرفاق الى بیمارستان من أجل ذى النون قدس الله سره العزيز

هكذا وقع لذى النون المصرى : أن ولها وحنونا جديدا قد
تولدا عنده !
وازدادت حدة طبعه حتى تجاوزت الآفاق ، نافذة بمرارتها^(١) الى
الأكباد .

(١) حرفيا : مصيبة بملحها الأكباد .

فحذار أيتها الأرض الملحة ، ولا تقيسى ملحك بملح الشيوخ
الطاهرين .

فلم يكن للخلق طاقة بجنونه . لقد كانت ناره تمحو لحاهم !
١٣٩٠ . وحينما أصابت ناره لحي العوام ، فانهم قيدوه وأدخلوه السجن .
وليس في الامكان جذب هذا اللجام ، مهما ضاق العوام بهذا
الطريق (١) .

ان هؤلاء الملوك قد استشعروا الخوف على أرواحهم من العوام ،
فهؤلاء عمى ، والملوك ليست لهم علامة ظاهرة !
فحينما يكون الحكم في يد المعربدين ، فلا جرم أن ذا النون
يكون في السجن !

ان الملك يمتطي جواده ويمضى وحيدا ، فيغدو — كما تغدو
الدرّة اليتيمة — (ألعوبة) في أيدي الأطفال .

١٣٩٥ وما الدرّة (اذا قيست به) ؟ انه بحر قد تحجب في قطرة ! انه
شمس قد اختفت في ذرّة !

انه شمس قد تبدّت في صورة ذرة ، ثم كشفت وجهها رويدا
رويدا !

ولقد فنيت بها جميع الذرات ، والعالم كله سكر بها ثم صحا !
وحينما يكون قلم (الحكم) في يد غدار ، فلا شك أنه يقضى
بشنق المنصور (٢) !

(١) وليس في الامكان وقف اندفاع الصوفى مهما ضاق العوام بطريق
التصوف .

(٢) الحسين بن منصور الحلاج .

وحينما يكون للسفهاء هذا الأمر والسلطان ، فلا بد أنهم
« يقتلون الأنبياء ^(١) ! »

١٤٠٠ ومن السفه قال هؤلاء القوم الضالون للأنبياء : « انا تطيرنا
بكم ^(٢) » .

فتأمل جهل المسيحي الذي يلتمس الأمان من ذلك السيد الذي
صلب .

فان كان — كما يقول — قد صلب على أيدي اليهود ، فكيف
يستطيع أن يمدده بالعون ؟

ومهما تفجر بالدم قلب ذلك المليك من أجلهم ، فكيف تتحقق
العصمة التي ينطوى عليها حضوره بينهم ^(٣) ؟

ان الذهب الخالص والصائغ هما أكثر من سواهما تعرضا لخطر
المزيف الخائن .

١٤٠٥ وكل مليح كيوسف يتوارى من حسد القباح ، ذلك لأن أعداء
الملاح يعيشون في لهيب (الحسد) .

ان الذين هم في ملاحه يوسف يعيشون في بئر من حسد اخوانهم .
وان هؤلاء — من الحسد — ليسلمون يوسف للذئاب .

وما الذي أصاب يوسف المصري من جراء الحسد ؟ لقد كان
هذا الحسد ذئبا كبيرا كمن له في الخفاء !

فلا جرم أن يعقوب الحليم ، كان دائم الخوف والشفقة على
يوسف من هذا الذئب .

(١) انظر : سورة آل عمران ، ٣ : ١١٢ .

(٢) انظر : سورة يس ، ٣٦ : ١٨ .

(٣) حرفيا : التي ينطوى عليها (قوله تعالى) : « وانت فيهم » .

(٨ : ٣٣) .

ولم يحم حول يوسف قط ذئب ظاهر . لكن هذا الحسد جاوز
في أثره فعل الذئاب !

١٤١٠ فذئب الحسد هذا قد ضرب ضربته ، ثم جاء العذر اللبق ، (قائلا) :
« انا ذهبنا نستبق .. (١) » .

وليس لآلاف من الذئاب مثل هذا المكر . لكن هذا الذئب
يفتضح في النهاية ، فاصبر وانتظر .

ذلك لأن حشر الحاسدين في يوم العقاب ، يكون بدون شك
على صورة الذئاب !

وحشر الحريص الخسيس ، آكل الجيف ، يكون على صورة
الخنزير يوم الحساب .

وأما الزناة فتكون أعضاؤهم المستورة خبيثة الرائحة ، وكذلك
يفوح التنن من أفواه شاربي الخمر !

١٤١٥ وأما التنن الخفى الذى كان يدرك القلوب ، فيكون يوم الحشر
محسوسا ظاهرا .

ان الوجود الآدمى مثل الأجمة ، فكن حذرا من هذا الوجود
ان كنت من أصحاب تلك الأنفاس (الالهية) .

ففى وجودنا آلاف من الذئاب والخنازير . وفيه الصالح والطالح ،
والحسن والقبيح .

والحكم يكون لذلك الخلق الذى تتحقق له الغلبة . فحين يكون
الذهب أكثر من النحاس عُدَّت السبيكة ذهباً .

فالسيرة التى تكون غالبية على وجودك ، هى أيضا تلك الصورة
التي يجب أن تكون عليها يوم الحشر .

(١) انظر سورة يوسف ، ١٢ : ١٧ .

١٤٢٠ فحينما يدخل الكيان البشرى " ذئب ، وحينما يدخله مليح يوسفى "
الوجه مثل القمر .
والخصال الصالحة والكريهة تنتقل من صدر الى صدر خلال
طريق خفى " !
بل ربما انتقلت الحكمة والعلم والفضل من الآدمى الى الشور
والحمار !
فالحصان المتعثر يغدو منطلقا طيعا ، والدب يرقص ، والعنزة
تؤدى السلام .
واتقل الحرص من الانسان الى الكلب ، فأصبح هذا راعيا أو
صيادا أو حارسا .
١٤٢٥ واتقل الصلاح من أصحاب الكهف الرقود الى كلبهم ، فأصبح
هذا ممن يطلبون الله .
وفي كل لحظة ينبثق في الصدر نوع جديد ، فتارة هو شيطان
وتارة هو ملك وتارة هو وحش كاسر !
فمن هذه الأجمة العجيبة - التى تعرفها جميع الاسود - طريق
خفى " يصلها بشباك الصدور .
فيا من أنت أقل من الكلب ! اسرق من الباطن جوهرة الروح .
اسرقها من صدور العارفين .
فما دمت لصا ، فلتسرق مرة هذه الدرة اللطيفة ، وما دمت ستغدو
حاملا فهذا عبء شريف .

كيف فهم المريدون أن ذا النون لم يجن

وانما قصد التظاهر بالجنون

١٤٣٠ لقد ذهب الرفقاء الى السجن من جراء قصة ذى النون ، وأبدوا
في تلك القصة رأيا .

قائلين : « انه فعل ذلك عن قصد أو لحكمة ، فهو في هذا الدين
قبلة ، وهو فيه آية !

فكم هو بعيد عن عقله المماثل للبحر ، أن يغدو الجنون دافعا
إياه الى السفه .

وحاش لله أن ذا النون — وهو في كمال جاهه — تحجب بادره
سحب المرض !

لقد دخل هذا المنزل تحاشيا لشر العوام . وهو من عار العقلاء
قد صار مجنوننا !

١٤٣٥ انه من عار العقل الغبي الذي يقدر البدن ، ذهب متعمدا ،
وأصبح مجنوننا .

(قائلا) : « أحكموا قيدي ، واضربوني على رأسي وظهري
بأذناب البقر ، ولا تبحثوا عن (أسباب) ذلك !

لعلني أجد الحياة في ضربات هذه الشياطين ، كما اقتبس القليل
حياة من بقرة موسى ، أيها الثقة .

لعلني بضربة ذنب البقرة يحسن حالي ، وأغدو سعيدا كما غدا
القتيل ببقرة موسى .

لقد بعث القليل حيا بضربة من ذنب البقرة ، كما غدا النحاس
بالكيميااء ذهباً خالصاً !

١٤٤٠ لقد نهض القليل ، ثم نطق بالأسرار . وكشف عن هذه العصابة المتعطشة للدماء !

وقال : « ان من الواضح أن هذه الجماعة قد قتلتني . وهى ذاتها الآن تثير الخصومة من أجلى » .
وحيثما يقع القتل بهذا الجسم الغليظ ، يكون فى ذلك حياة للكيان الذى يدرك الأسرار .

فترى روحه الجنة والنار ، وتعلم أيضا جملة الأسرار .
وتكشف عن الشياطين الدائبة على سفك الدماء ، كما تظهر شباك الخداع والرياء .

١٤٤٥ وان قتل البقرة لهو من شرط الطريق ، فلعل الروح يفيق بضربة من ذنبها .
فسارع الى قتل بقرة نفسك حتى يغدو روحك المستتر حيا واعيا .

عود الى حكاية ذى النون ، قدس الله روحه

حينما اقترب منه هؤلاء الأفراد ، صاح بهم قائلا : « من أنتم ؟ اتقوا الله ! » .

فأجابوه بأدب : « اتنا من الأصدقاء ، وقد جئنا الى هنا سائلين عنك بأرواحنا .

كيف أنت يا من عقله بحر متعدد الفنون ؟ وأى بهتان نسب الى عقلك الجنون ؟

١٤٥٠ وكيف يرقى الى الشمس دخان موقد الحمام ؟ أم كيف يستطيع
الغراب التغلب على العنقاء ؟
فلا تحجب الحقيقة عنا ، بل وضح لنا ذلك الأمر . اننا محبوك ،
فلا تعاملنا على هذا النحو !
فليس ينبغي للمرء أن يبعد عنه محبيه ، أو يخدعهم بالتظاهر
والادعاء .
ألا فلتوضح لنا السر ، أيها المليك ! ولا تحجب وجهك خلف
السحاب ، أيها البدر !
فنحن محبون صادقون ، وقد جرحنا قلوبنا ، فنحن قد جعلناها
مرتبطة بك في كلا العالمين .
١٤٥٥ فابتدروهم بفاحش القول وجزاف السباب ، وتلفظ بالهراء مثل
المجانين !
وقفز ثم أخذ يقذف بالحجارة ويلوح بالعصا ، فهرب الجميع خوفا
من ضرباته .
فقهقه ضاحكا ، وهز رأسه ثم قال : « تأمل غرور هؤلاء
الأصدقاء (١) !
تأمل الأصدقاء ! فأين علامة الصداقة عندهم ؟ ان الألم حبيب الى
الأصدقاء مثل الروح !
فكيف يتنحى الصديق عن ألم صديقه ؟ ان الألم هو اللب ،
والصداقة له بمثابة القشور .

(١) حرفيا : « تأمل هواء لحي هؤلاء الأصدقاء » .

١٤٦٠ أو لم يغد من علائم الصداقة الحق أن يكون الانسان سعيدا في
البلاء والعناء وعند نزول المحن ؟
فالصديق مثل الذهب والبلاء مثل النار ، والذهب الخالص يكون
سعيدا في قلب النار » .

كيف امتحن سيد لقمان حكمة لقمان

ألم يكن من أمر لقمان — الذى كان عبدا طاهرا ، وكان مجتهدا
في الخدمة ليل نهار —
أن سيده كان يجعله مقدما في الأمور ، وكان يعتبره أفضل من
أبنائه ؟

فلقمان كان ابنا لأحد العبيد ، لكنه — مع ذلك — كان سيذا ،
وكان حرا من الهوى .

١٤٦٥ ان أحد الملوك قال للشيخ في معرض الحديث : « سلني أن أنعم
عليك ببعض العطاء » .

فقال الشيخ : « أيها الملك ! أما تستحي أن تقول لى مثل هذا
القول ؟ ألا فلتترفع عن ذلك !

انى أملك غلامين ، كلاهما ممتن حقير ، لكن كلا منهما سلطان
عليك وأمير ! »

فقال الملك : « ومن هذان ؟ ان قولك هذا لخاطيء » . فقال
الشيخ : « أحدهما هو الغضب ، وأما الثانى فهو الشهوة » .

فاعلم أن الملك الحق هو الذى تحرر من الملك . فهذا يكون بازغ
النور بدون قمر ولا شمس !

١٤٧٠ وما ملك الكنز الا من كانت ذاته هي الكنز ، كما أن الوجود

(الحق) لا يتحقق الا لمن كان عدوا لوجوده الذاتى !

ان سيد لقمان كان في الظاهر شبيها بالسادة . لكن هذا السيد في

الحقيقة كان عبدا ، ولقمان سيده !

وكم لهذا من أشباه في عالمنا المعكوس . فالجوهر في نظر الناس

أدنى مقاما من القش .

لقد أصبحت كلمة « مفازة » اسما لكل (نوع من) الصحارى .

وهكذا أصبحت الأسماء والألوان فخا لعقولهم .

وعند فريق منهم أن الثياب هي التى تعرف بالانسان . فمن لبس

القباء يقال عنه : « انه من العامة » .

١٤٧٥ وفريق يحكمون بظاهر الزهد المبني على النفاق . ولا بد من

نور ليكون المرء بالزهد خيرا (١) .

لا بد من نور برىء من التقليد والتضليل ، لتتسنى معرفة المرء

بدون فعل أو قول .

نور ينفذ الى القلب عن طريق العقل ، فيرى حقيقة الحال ، ولا

يكون مقيدا بالنقل .

وان خواص علام الغيوب من بين العباد ، هم في عالم الروح

جواسيس القلوب (٢) .

(١) حرفيا : « لا بد من نور ليكون المرء جاسوس زهد » . والمعنى : لا

بد من نور لتعرف حقيقة الزهد ، وهل هو صدق أو رياء . فالجاسوس هنا يقصد به من يعرف الأسرار .

(٢) « جواسيس القلوب » معناها : المطلعون على أسرار القلوب .

فمنهم من يدخل القلب مثل الخيال ، فيغدو سر الحال منكشفا
أمامه .

١٤٨٠ وماذا في جسم العصفور من طاقة أو مقدرة تكون خافية على
عقل الباز ؟

وماذا يكون سر المخلوقات أمام من أصبح مدركا لأسرار
الوحدانية ؟

وهذا الذي يكون مسيره فوق الأفلاك ، أى مشقة يلاقيها من
السير فوق الأرض ؟

وما دام الحديد قد غدا في كف داوود مثل الشمع ، فكيف يكون
الشمع في راحته ، أيها الظلوم ؟

ان لقمان كان سيدا في صورة عبد . وما كانت العبودية الا ديباجة
فوق ظاهره !

١٤٨٥ فحين يذهب السيد الى مكان لا يكون فيه معروفا ، فانه يتلبس
خادمه لباسه .

ويلبس هو ثياب غلامه ، ثم يجعل الغلام مقدما عليه .
ويمشى وراءه كما يفعل العبيد في الطريق ، وذلك لكي لا يعرفه
أحد .

ويقول : « أيها الغلام . تقدم أنت واجلس في مكان الصدارة .
وسأحمل أنا نعلك كما يفعل أحقر العبيد !

وعاملنى بشدة واشتمنى ، ولا يكن منك لى أى توقير !
١٤٩٠ وسوف أعتبر أن خدمتك لى هى تركك الخدمة ، وذلك لكي
أغرس بذور الحيلة في أرض الغربة » .

ان السادة كانوا يفعلون فعل العبيد ، حتى يظن أنهم من العبيد .
لقد كانوا مترعين بالسيادة وعيونهم مملوءة بها ، فمارسوا تلك
الأعمال برضاء واقبال !

أما غلمان الهوى فهم على عكس ذلك . انهم يتظاهرون بأنهم
سادة العقل والروح !

ومن السيد يأتي نهج التواضع . أما العبد فلا يجيء منه سوى
أخلاق العبيد .

١٤٩٥ فلتعلم أن الأمور هكذا تبدو عكس ما هي عليه بين هذا العالم
وذاك العالم .

ولقد كان سيد لقمان عارفا بتلك الحال الخفية عند لقمان ، وكان
قد شهد من العلامات ما يدل عليها .

فهذا العابر السبيل كان يعرف السر جيدا ، لكنه تابع سيره^(١)
(ملتزما الصمت) من أجل المصلحة .

وكان من البداية يريد تحريره ، لكنه كان ينشد رضاء لقمان ،
فقد كان هذا مراد لقمان حتى لا يعرف أحد سره ، وهو الأسد
الشجاع !

١٥٠٠ وأى عجب في أن تكتتم السر عن الأشرار ؟ ان العجب ليس الا في
كتمانك السر عن نفسك .

ألا فلتخف عملك عن عينيك ، حتى يسلم عملك من العين
الحاسدة !

(١) حرفيا : لكنه كان يسوق حماره .

ولتسلم نفسك الى شباك الماثوبة . ثم انتزع من ذاتك شيئاً حينما تكون خارجاً عن وعيك^(١) .

ان الرجل الطعين يُعطى الأفيون حتى يُستطاع اخراج رأس الحربة من جسده .

وفي ساعة الموت يغدو مشغولاً بهذا المخدر ، في حين أنهم يمزقونه ألماً ويذهبون بحياته .

١٥٠٥ فأنت كلما أسلمت فؤادك الى فكرة (تتملكه) ، يُسلب منك شيء في الخفاء .

ومهما يكن لك من تفكر أو تحصيل ، فان اللص يدخل عليك من ذلك الجانب الذي تستشعر منه الأمان .

فليكن اشتغالك اذن بما هو أهم ، حتى يكون ما يسلبه اللص منك هو الأدنى قيمة .

ان التاجر اذا سقطت بضائعه في الماء ، سارعت يده الى استنقاذ أثمنها .

ولما كان من المحتم أن شيئاً سيضيع في الماء ، فلتقل بترك الأدنى ولتتخذ ما هو أفضل .

كيف ظهر فضل لقمان وحكمته أمام ممتحنيه

١٥١٠ ان كل طعام كان يُحضر الى السيد ، كان يبعث به مع شخص الى لقمان ،

(١) المراد « بانتزاع شيء من الذات حينما يكون المرء خارج الوعي » أن يخلص الانسان الذات من انانيتها .

حتى يضع لقمان يده فيه ، وكان قصد السيد من ذلك أن يأكل
فضلة طعامه .

لقد كان يأكل بقية طعامه ، فينتشى بها . أما الطعام الذى لم يأكل
منه لقمان فقد كان يرميه !

وان أكل منه فذلك كان بدون رغبة ولا اشتها . لقد كان ارتباطه
به لا انفصام له .

(وذات يوم) أهديت اليه بطيخة ، فقال (لأحد الغلمان) :
« اذهب وادع ولدى لقمان » .

١٥١٥ وحينما اقتطع منها قطعة وناولها إياها ، أكلها وكأنما هو يأكل
السكر أو الشهد .

ومن التذاذة بتذوقها ناوله قطعة ثانية ، وظل (يعطيه) حتى أكمل
سبع عشرة قطعة .

وبقيت قطعة فقال السيد : « سوف أكل أنا هذه القطعة ، لأرى
كم هى حلوة هذه البطيخة .

ان لقمان يتناولها ملتذا ، حتى أن تذوقه لها قد جعل الطباع
تشتهيها ، وتلتمس لقمه منها » .

فحين تناولها السيد وجد لحموضتها مذاق النار ، فالهبت لسانه
وأحترق بها حلقه !

١٥٢٠ وأذهله طعمها المر عن نفسه حيناً ، ثم قال بعد ذلك للقمان :
« يا من أنت الروح والوجود !

كيف جعلت هذا السم ترياقاً ؟ أم كيف تصورت هذه القسوة
لظفا ؟

أى صبر هذا ؟ ومن أى وجه هذا الجلد ؟ أم لعلك تعد الحياة
عدوا لك ؟

لماذا لم تتعلل بحيلة تحتج بها ، قائلا : « ان لى عذرا ، فمهلا على
برهة من الزمان » .

فقال لقمان : « اننى من يديك المنعمتين كم أكلت ، حتى انحنيت
خجلا !

١٥٢٥ وقد استحييت ألا أستسيغ المر من كفك مرة واحدة ، يا صاحب
المعرفة !

فما دامت كل أجزائى قد نبتت من انعامك ، وما دمت غريق حبك
وشباكك ،

فان أنا صرخت واستغثت من تذوق مرارك مرة واحدة ، فليُحِث
فوق كل أعضائى تراب مائة طريق !

لقد كان لهذا البطيخ حلاوة يدك السكرية العطاء ! وكيف كانت
هذه تدع أية مرارة في البطيخ ؟ «
ان المحبة تجعل المر حلو المذاق ! وبالمحبة يغدو النحاس ذهبى
(الصفات) !

١٥٣٠ وبالمحبة يغدو المعتكر ذا صفاء ! وبالمحبة تكون الأوجاع هى
الشفاء !

وبالمحبة يثبث الميت حيا ! والمحبة هى التى تجعل من الملك عبدا .
وهذه المحبة انما هى نتيجة المعرفة . ومن ذا الذى جلس جزافا على
مثل هذا التخت ؟

وكيف تلد المعرفة الناقصة مثل هذا العشق ؟ انها تلد عشقا ناقصا
يتعلق بالجماد !

فاذا ما أبصر في جماد لونا مطلوباً ، فكأنما سمع صوت حبيب
يدعوه بالصغير .

١٥٣٥ ان المعرفة الناقصة لا تحسن التمييز . فلا جرم أنها تحسب البرق
شمساً .

فالرسول حين قال ان الناقص ملعون ، كان تأويل النقص هنا
نقصان العقل .

ذلك لأن ناقص الجسم يكون موضعاً للرحمة . وكيف يليق
بالمرحوم اللعن والايذاء ؟

أما نقص العقل فهو المرض الخبيث . انه موجب للعة ، الجدير
بأن يتقصى صاحبه (عن حضرة الخالق) .

ذلك لأن اكمال العقول ليس بعيد المنال ، أما اكمال الأبدان فأمر
ليس في المقدور .

١٥٤٠ فكل كافر بعيد (عن لقاء ربه) ، لم ينبثق كفره وفرعونيته الا من
نقصان عقله !

أما (المبتلى) بنقصان البدن فقد جاءه الفرج في قوله تعالى :
« ليس على الأعمى حرج ^(١) » .

ان البرق يكون آفلاً مفرط البعد عن الوفاء . وبدون الصفاء لن
تعرف الآفل من الباقي .

البرق يضحك ، فعلى من يضحك ؟ خبرني ! انه يسخر من المرء
الذي جعل قلبه متعلقاً بنوره .

(١) الفتح ، ٤٨ : ١٧ .

ان أنوار الفلك مقطعة الأرجل ، فأين هي من ذلك النور الذى
لا هو شرقى ولا غربى (١) .

١٥٤٥ واعلم بأن البرق مثال لمن يخطف الأبصار (٢) ، أما النور الباقي
فهو الذى يُمدها بالعون (٣) .

فركوبك الفرس فوق زبد البحر ، أو قراءتك كتابا في نور البرق ،
هما - بدافع الحرص - عمى عن ابصار العواقب . انهما سخرية
منك بقلبك وعقلك !

فمن خصائص العقل أنه بصير بالعواقب . أما النفس فهى التى
لا ترى العواقب .

فالعقل الذى تغلبت عليه النفس أصبح نفسا . انه المشتري ، تغلب
زحل عليه ، فصار نحسا .

١٥٥٠ فأدر في ذلك النحس هذا النظر ، وتأمل حقيقة من صنع لك
النحس .

ان ذلك النظر الذى يشهد هذا الجبر والمد ، قد شق في النحس
سيلا الى السعد .

ذلك لأنه (الخالق) يحولك دوما من حال الى حال ، مظهرا لك
الضد بضده ابان الانتقال .

واذ ذاك يتولد لك الخوف من أن تكون من أصحاب الشمال .
وما يشتاق لذة أصحاب اليمين الا الرجال .

(١) انظر : سورة النور ، ٢٤ : ٣٥ . (٢) انظر : سورة البقرة ، ٢ : ٢٠ .
(٣) حرفيا : « أما النور الباقي فانه لها كل الانصار » .

ويكون لك جناحان^(١) ، فالطائر ذو الجناح الواحد يعجز عن الطيران ، أيها المفضل !

١٥٥٥ فلتسمح لى - يا الهى - ألا أعود الى الكلام ، أو هب لى اذنًا بأن أبوح بكل شئ .
وان لم ترد لى هذا ولا ذاك ، فالأمر اليك . فأنى للمرء أن يعرف أين يكون مقصدك .

فلا بد من روح ابراهيم ، لكى يبصر المرء بنورها الفردوس والقصور فى صميم النار !
ويرقى درجة درجة الى القمر ثم الشمس ، ولا يبقى مثل الحلقة أسير الباب .

ثم يتجاوز السماء السابعة مثل الخليل ، قائلاً : « لا أحب الآفلين^(٢) » .

١٥٦٠ ان عالم الجسد هذا مورد للخطيئة ، الا بالنسبة لمن تخلص من الشهوة والهوى .

تتمة قصة الحسد الذى أضمره هؤلاء الحشم

لذلك الغلام الذى كان أثيراً عند السلطان

ان قصة المليك والأمراء ، وحسدهم ذلك الغلام الخاص الذى كان سلطان الحكمة ،

(١) الجناحان يراد بهما الخوف والرجاء المشار اليهما فى البيت السابق .

(٢) الأنعام ، ٦ : ٧٦ .

قد أبعدنا عنها ما جرنا اليه استطرادنا في القول . وقد وجبت
العودة اليها الآن لأكملها .

فكيف لا يعرف بستانى الملك — ذلك الموفق السعيد — كيف يميز
بين شجرة وشجرة ؟

بين تلك الشجرة التى هى مرة منبوذة ، وذلك الشجر الذى تعدل
واحدة منه سبعمائة شجرة .

١٥٦٥ وكيف يسوى بينهما في الرعاية حين ينظر اليهما بعين العاقبة ؟
ومهما بدت هذه الأشجار متشابهة ساعة النظر اليها ، فما الغاية
منها ؟ انها الثمار .

ان الشيخ الذى تحقق له أن ينظر بنور الله ، أصبح عارفا بالنهاية
والبداية .

لقد أغلق في سبيل الحق تلك العين التى ترنو الى حظيرة (الدنيا) ،
وسارع الى فتح تلك العين التى تبصر العاقبة .

وهؤلاء الحاسدون كانوا أشجارا رديئة . لقد كانوا ذوي جوهر
مر ، وطالح منحوس !

١٥٧٠ لقد كانوا يجيشون بالحسد ويثربدون ، وكانوا ينشرون المكر
في الخفاء .

وذلك ليُطيحوا برأس ذلك الغلام الأثير ، ويقتلعوا جذوره من
الزمان .

وكيف يغدو فانيا وقد كان المليك روحه ؟ وأما جذوره فقد كانت
في عصمة الله .

ولقد وقف الملك على هذه الأسرار ، لكنه لزم الصمت مثل أبى

بكر الربابي (١) .

وبينما هو يشهد قلوب ذوي الجوهر الخبيث ، كان يصفق يديه
(ساخرا) من هؤلاء الخزافين .

١٥٧٥ لقد كانوا قوما محتالين يصطنعون المكر ، ليغرقوا المليك في كوب
فقاع !

وكيف يتسع كوب الفقاع - أيها الحمير - لملك بالغ العظمة ،
لا حدود له ؟

لقد كانوا يحيكون شبكة للمليك ، لكنهم في عاقبة الأمر تعلموا
منه ذلك التدبير .

فما أنحس التلميذ الذي يشرع في منافسة أستاذه ، ويتصدى له !
ولأى أستاذ (يكون هذا التصدى) ؟ انه أستاذ الكون الذي
يستوى أمامه الظاهر والمكنون !

١٥٨٠ لقد صارت عينه ناظرة بنور الله فمزقت بذلك حجب الجهل .
وهذا التلميذ قد تحجب أمام ذلك الحكيم بستار من قلبه المهلهل
كالبساط البالي !

فهذا الستار يضحك منه بمائة فم ، كل فم منها غدا ثغرة (تتكشف
من خلالها أسرارها) .

فيقول الأستاذ للتلميذ : « يا أخس من الكلب ! أما عندك وفاء
لي ؟ »

(١) يذكر الشراح ان ابا بكر الربابي كان احد الصوفية الموليين وانه
لزم الصمت مدة طويلة ، بلغت سبعة أعوام ، وانه كان اذا سمع كلاما
موجبا للقهر تحمله وضرب الارض برجله . انظر المنهج القوى ، ٢ ، ٣٦٣
وكذلك تعليقات نيكولسون .

فهب أنتى لست أستاذًا يقطع الحديد ، وهب أنتى مثلك تلميذ
عمي القلب ،

١٥٨٥ ألم يكن لك منى عون في نفسك وروحك ؟ وبدونى ما كان
ينساب من أجلك ماء !

فقلبى كان مصنعا لحسن طالعك ، فلماذا تحطم هذا المصنع ، أيها
الخالى من الرشد ؟

انك تقول : « لقد كنت أقدح النار في الخفاء » . أوليست هناك
نافذة بين القلب والقلب ؟

فهو في العاقبة يطلع من هذه النافذة على فكرك . فالقلب يشهد
على ما يدور في خلدك .

وهب أنه — لكرمه — لا يعنف في مواجهتك ، ويتسم لكل ما
تحدثه به ، ويقول : « نعم » .

١٥٩٠ فليس ابتسامه لأنه ملتذ بريائك ، بل هو يضحك (هازئاً) من
خفى أفكارك !

فالخداع قد أضحى جزاء للخداع ، فاضرب بكأس تضرب بكوز ،
ذلك جزاء وفاق .

فلو أنه كان قد ابتسم لك بسمة الرضى ، لتفتحت لك مئات
الألوف من الورود .

فقلبه ان أقدم برضاء على عمل ، فاعلم أنه مثل الشمس تدخل
برج الحمل .

فبها يضحك النهار ويزدهر الربيع . وبها تتفتح الأزاهير وتمازج
خضرة الرياحين .

١٥٩٥ وآلاف البلابل والقمارى تصب غناءها في هذا العالم المحروم .
 فان أنت أبصرت أوراق روحك مصفرة ثم مسودة ، فكيف
 لا تدرك غضب المليك ؟
 ان شمس المليك في برج العتاب تجعل الوجوه سوداء مثل
 الكتاب^(١) .
 وأرواحنا أوراق لعطارد (يخط فيها) ، وهذا البياض وذاك
 السواد ميزاننا .
 ثم يعود فيخط منشورا بمداد أحمر وأخضر ، وذلك لتنجو الأرواح
 من الكتابة والعجز .
 ١٦٠٠ ولقد جاء خط الريح باللون الأحمر والأخضر ، بل هو — لو
 تأملته^(٢) — شبيه بخط قوس قزح .

كيف شع تعظيم كتاب سليمان — عليه السلام — من صورة الهدد الحفيرة الى قلب بلقيس

مائة رحمة على بلقيس ، تلك التى وهبها الله عقل مائة رجل !
 لقد حمل الهدد اليها كتابا ، عليه خاتم سليمان ، وبه بضع كلمات
 ذات بيان .
 فقرأت تلك النكات ذات الشمول ، ولم تنظر باحتقار الى الرسول .
 لقد رآته عينها هدهدا ، أما روحها فقد أبصرته عنقاء ! ورآه حسها
 مثل الزبد وأما قلبها فرآه مثل البحر !

(١) فضلنا هنا رواية « همجون كتاب » على « همجون كباب » ، لأنها
 أوثق ارتباطا بمعانى الأبيات التالية .
 (٢) حرفيا : « وهو في الاعتبار ... »

١٦٠٥ ان العقل - من جراء هذه الطلاسم ذات اللونين - في حرب مع
الحس كحرب محمد مع أمثال أبى جهل .

فعند الكفار أن أحمد ليس سوى بشر ، ما داموا لم يشهدوا منه
معجزة شق القمر .

فعينك التى لا تتجاوز شهود الحس جديرة بأن تملأ بالتراب . ان
عين الحس عدو للعقل والدين !

ولقد وصف الله عين الحس بأنها عشواء ، ونعتها بأنها عابدة
للصنم ، عدو لنا .

ذلك لأنها أبصرت الزبد ولم تبصر البحر ، وكذلك لأنها شهدت
الحال ولم تشهد الغد .

١٦١٠ ان سيد الغد والحال أمامها ، لكنها لا ترى من الكنز مثقال
شعيرتين !

فلو أن ذرة حملت رسالة من تلك الشمس ، لغدت شمس الدنيا
خادمة لتلك الذرة !

والقطرة التى جاءت سفيرا من بحر الوحدة ، تكون البحار السبعة
من أساراها !

ولو أن سفيره كان حفنة من تراب ، لخفضت الأفلاك رؤوسها
أمام ترابه !

فتراب آدم حين غدا سفيرا للحق ، خفضت رؤوسها له ملائكة الحق .

١٦١٥ ولأى شىء كان انشقاق السماء^(١) ؟ ان ذلك لأن ترايا قد فتح
عيننا !

(١) انظر : سورة الانشقاق ، ٨٤ : ١ .

ان التراب يرسب تحت الماء لكثافته . لكن تأمل ذلك التراب الذى
تجاوز العرش مسرعا !

فاعلم اذن أن لطافة الماء ليست من الماء ، وانها ليست سوى عطاء
المبدع الوهاب .

فلو أنه جعل الهواء والنار سفليين ، ولو أنه جعل الشوك يتفوق
على الورد ،

فهو الحاكم وهو الله يفعل ما يشاء . وهو الذى يبعث الدواء من
عين البلاء !

١٦٢. فلو أنه جعل الهواء والنار سفليين ، وجعلهما ظلمة وكدرا وثقلا ،
ولو أنه جعل الثرى والماء علويين ، وجعل طريق الأفق ممهدا
تطويه الأقدام ،

فقد أصبح من اليقين أن الذى يعز من يشاء هو الذى قال
لكائن ترابى : « انشر جناحك » .

وهو الذى قال للنار : اذهبي ، وكوني ابليس ، واهبطي
بتلبيسك الى حضيض الأرض السابعة .

يا آدم ، أيها الترابى ! اصعد فوق السها ! وأنت يا ابليس
أيها النارى ! اهبط الى حضيض الثرى !

١٦٢٥ اننى لست الطبائع الأربع^(١) ولا العلة الأولى ، وانما أنا الباقي
والمتصرف على الدوام .

وفعلى مستقيم وليس بذى علة . كما أن تقديرى لا علة فيه ،
أيها السقيم .

(١) الطبائع الاربع هى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة .

وانى لأبدل عادتي حين أشاء ، وأقر هذا الغبار الثائر حين
أريد .

وأقول للبحر : « هيا ، كن مليئا بالنار » . وأقول للنار :
« اذهبي ، وكوني بستان ورد » .

وأقول للجبل : « كن خفيفا كالصوف^(١) » . وأقول للفلك :
« كن ممزقا متداعيا أمام العين » .

١٦٣. وأقول : « أيتها الشمس ، كونى مقترنة بالقمر » ، وأجعلهما معا
كقطعتين من السحاب الأسود .

ونحن الذين نجفف عين الشمس ، ونجعل بالقدرة عين الدم
مسكا .

والشمس والقمر يغدوان كثورين أسودين ، يثقل الاله
عنقيهما بالأعباء .

انكار المتفلسف قراءة « ان اصبح مأؤكم غورا »

كان أحد المقرئين يقرأ من الكتاب (قوله تعالى) : « ان أصبح
مأؤكم غورا^(٢) » ، يعنى « لو أننى حبست الماء عن العين ،
وحببت المياه في الأغوار ، وجففت العيون وجعلت الأرض
قاحلة ،

(١) اشارة الى قوله تعالى « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » . سورة
القارعة ، ١٠١ : ٥ .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : « قل أرايتم ان اصبح مأؤكم غورا فمن يأتاكم
بماء معين » . (سورة الملك ، ٦٧ : ٣٠) .

١٦٣٥ فمن ذا الذي يعود بالماء ثانية الى العيون ، سوى أنا ، من تنزه عن
مثيل في الفضل والجلال » .

وكان يمر بجوار المكتب حينذاك متفلسف منطقي مستهان القدر .
فحينما استمع الى الآية قال ساخرا : « سوف نحصل على الماء
بالمعول .

انا بضربة الفأس ، وحدة المعول نخرج الماء من جوف الأرض الى
سطحها^(١) » .

ونام تلك الليلة ، فرأى في المنام أن رجلا شجاعا ضربه ضربة أعمت
كلتا عينيه ،

١٦٤٠ وقال له : « أيها الشقي ! ان كنت صادقا فاستنبط بالفأس بعض
النور من نبعي عينيك » .

ونفض الرجل في الصباح فوجد عينيه قد عميتا . ووجد أن النور
الفياض قد اختفى منهما !

فلو أنه اتحب واستغفر ربه لرد اليه — بكرم الله — ما فارقه من
نور البصر !

لكنه لم يكن في وسعه الاستغفار ، فمذاق التوبة ليس نقلا لكل
نشوان .

ان قبح أعماله وشؤم جحوده قد أغلقا أمام قلبه سبيل التوبة .

١٦٤٥ ان قلبه بقسوته صار مثل وجه الصخر . فكيف تستطيع التوبة أن
تشقه من أجل الغراس .

فأين مثيل شعيب حتى يجعل الجبل بدعائه تربة للزراعة .

(١) حرفيا : « من أسفل الى أعلى » .

ان الأمر الصعب المستحيل قد غدا ممكنا بضراعة الخليل وإيمانه .
وكذلك بسؤال المقوقس للرسول ، صارت أرض صخرية مزرعة
كاملة الصفات !

وعلى العكس من ذلك انكار المرء ، فهو يجعل الذهب نحاسا
والصلح حربا !

١٦٥٠ ان هذا الغش بمثابة كهرباء المسخ ! وانه ليحول الأرض الخصبة
الى حجارة وحصى !

وليس كل قلب بمأذون أن يخر ساجدا ، فجزاء الرحمة ليس نصيبا
لكل عامل .

فحذار ، لا تقترب الجرم والاثم مستندا الى ذلك ، (قائلا) :
« لسوف أتوب ثم ألتجىء الى الله » .

فلا بد للتوبة من لهيب وماء ! لا بد للتوبة من برق وسحاب !
ولا بد للشار من نار وماء . وتلك الظاهرة يلزم لتحقيقها البرق
والسحاب .

١٦٥٥ فبدون برق القلب وسحاب العينين ، كيف كانت تسكن نار التهديد
والغضب ؟

وكيف كانت تنمو خضرة ذوق الوصال ، أم كيف كانت تجيش
العيون بالماء الزلال ؟

وكيف كانت حديقة الورد تبوح بسرها للبستان ؟ أم كيف كان
البنفسج يرتبط بالعهد مع الياسمين ؟

وكيف كان شجر الغرب ييسط أيديه في الدعاء ؟ أم كيف كانت
أية شجرة تعلو برأسها في الهواء ؟

وكيف كانت البراعم ذات الأكمام الحافلة بالنثار تنفض أكامها أيام الربيع ؟

١٦٦٠ ومتى كانت حدود الأقاليم تشتعل بلون الدماء ؟ ومتى كان الورد يبرز العسجد من أكياسه ؟

ومتى كان البلبل يأتي ويشم عبير الورد ؟ ومتى كانت الفاخنة تهتف « كو كو » كأنها تقول « أين ؟ أين ؟ ^(١) » .

ومتى كان اللقلق يهتف بروحه « لك لك » ؟ وماذا تعني « لك » ؟ انها تعني : « لك الملك أيها المستعان » .

وكيف تظهر الأرض أسرار الضمير ؟ وكيف يغدو البستان منيرا كالسما ؟

ومن أين قد جاء بهاتيك الحلل ؟ انها كلها من كريم رحيم .
١٦٦٥ فهذه اللطائف كلها علامة للشاهد . انها آثار القدم (يقتفيها) الرجل العابد .

وليس يسعد بالأثر الا من رأى المليك . أما من لم يره فليس له اقتباه الى ذلك .

فروح ذلك الانسان الذي في ساعة « ألت » ، رأى ربه ، وغدا ذاهلا ثملا ،

هو الذي يعرف رائحة الخمر ، لأنه قد احتسى الخمر . ومن لم يكن قد احتساها فانه لا يعرف شذاها .

ذلك لأن الحكمة مثل الناقة الضالة ، لكنها كالمنادي ، دالة للملوك .

(١) حرفيا : « ومتى كانت الفاخنة تهتف (كوكو) كأنها طالب » . و « كو » معناها « أين ؟ » .

١٦٧٠ وانك لترى في منامك وجهها لطيفا ، وهذا يعطيك وعدا وعلامة ،
(قائلا) ان مرادك سوف يتحقق، وآية ذلك أن فلانا سوف يزورك
في الغد .

ومن علامات ذلك الزائر أن يكون راكبا . ومن علاماته أنه
يحتضنك .

ومن علاماته أنه سوف يواجهك مبتسما . ومن علاماته أنه سوف
يطوى أمامك ساعديه .

ومن العلامات أنه حين يجيء الغد - فانك لافتتانك بهذا الحلم -
لا تخبر به انسانا .

١٦٧٥ ومن تلك العلامات أيضا قول الحق لذكريا : « آيتك ألا تكلم
الناس ثلاثة أيام^(١) » .

فالزم الصمت ثلاثة أيام مهما أصابك من خير أو شر . فهذه آية منبئة
بأن يحيى سوف يأتي اليك .

ولا تنبس بكلمة طيلة الأيام الثلاثة . فان هذا السكوت آية
حصول مرادك .

فحذار ، ولا تبج في القول بتلك العلامة . واجعل هذا الكلام خبيثا
في قلبك .

وهكذا يحدثه بهذه العلامات الحلوة كالسكر . بل ماذا تكون
هذه ؟ انه ينبئه بمائة أخرى .

١٦٨٠ فهذه علامة بأنك سوف تتلقى من الله ذلك الملك الذى كنت
تنشده -

(١) انظر : سورة آل عمران ، ٣ : ٤١ .

ذلك الذى بكيت من أجله خلال الليالى الطوال ! ذلك الذى كنت
تتحرق بالضراعة من أجله خلال الأسحار !
ذلك الذى — بدون تحقيقه — غدا نهارك مظلما ، وغدا عنقك نحيفا
كالمغزل !

ذلك الذى قدمت كل ما تملك زكاة في سبيله ، فعدت بضاعتك
شبيهة بزكاة الذين يتخلون عن كل شىء .
فتخليت عن متاعك ونومك ولون وجهك ، وجعلت رأسك فداء
لمرادك ، وغدوت في نحول الشعرة^(١) !

١٦٨٥ ولكم (في سبيله) جلست في النار مثل العود ، وكم تصديت
للسيف مثل الخوذة .

ومن أمثال هذه الاندفاعات — التى لا حيلة فيها — مئات الآلاف ،
وكلها من صفات العشاق التى لا يسعها حصر !
وأقبل الصبح بعد أن رأيت في ليلك هذا الحلم ، فغدا نهارك مظفرا
بتلك البشائر .

فأدرت عينيك نحو الشمال ونحو اليمين ، متفكرا ، أين تلك الآية
وأين هاتيك العلامات ؟

فها أنت ذا ترتعد كورقة النبت (قائلا) : « أواه لو مضى النهار
بدون أن تظهر تلك الآية » .

١٦٩٠ وها أنت ذا تجرى في الشوارع والأسواق والديار ، كما يجرى
رجل قد أضاع عجلا !

(١) يصف هنا الصوفى الذى يتخلى عن كل متع الحياة ومغرياتها المادية .

خيرا أيها السيد ؟ ولأي شيء جريك هذا ؟ ومن ذا الذي يخصك ،
وقد أضعته هنا ؟

فتقول : « انه خير ، ولكن خيري أنا لا يجوز أن يعرفه أحد
سواي !

فلو أنني تحدثت عنه لضاعت مني آيتي . وان ضاعت الآية ، فقد
حان وقت الموت » .

وها أنت ذا تحمق في وجه كل راكب ، فيقول لك : « لا تحمق
في وجهي كالمجنون ! »

١٦٩٥ فتقول له : « اننى قد فقدت صاحباً . وقد وليت وجهي لطلبه
والبحث عنه .

فيا أيها الراكب ، كن رحيماً بالعشاق ، ومهد لهم الأعذار! أدام
الله لك السعادة » .

فحينما اجتهدت في الطلب تحقق لك النظر . والجد لا يخطيء ،
كما جاء في الخبر .

فقد أقبل — على غير توقع منك — فارس سعيد ، وإذا به يضمك
بقوة الى صدره .

وإذا بك تفقد الوعي ، وتقع فوق ظهره . فيقول من لا خبر
عنده : « ان هذا لخداع وتفاق » .

١٧٠٠ وأى بصر لهذا بما يداخل سواه من الوجد ؟ انه لا علم له بمن
تنبئ بوصاله هذه العلامة .

ان هذه العلامة ذات مغزى لمن أبصرها (من قبل) . أما سواه
فكيف تتضح له هذه العلامة ؟

فالمرء تتلقى روحه روحا ، كلما أقبلت من الخالق احدى الآيات .
انها الماء وقد أقبل نحو السمكة المسكينة . فهذه العلامات هي
ما يعنيه قوله تعالى : « تلك آيات الكتاب ^(١) » .

وهذه الآيات التي خص بها الأنبياء ، وقف على ذلك الروح الذي
يكون من العارفين .

١٧٠٥ لقد بقى هذا الكلام ناقصا وبدون قرار . فلا طاقة لى فاعذرني ،
انى فقدت فؤادى !

وكيف يستطيع امرؤ أن يعد الذرّات ، وبخاصة من كان قد
ذهب بعقله العشق !

فهاأنذا أعد أوراق البستان ! وهاأنذا أحصى أصوات البط
والغربان !

وليس يحصيها عدّ ، لكني أعدها ليكون ذلك سيلا لرشد
المتحن .

ولو أنك عددت نحس كيوان أو سعد المشتري فما للحصر سبيل
الى ذلك .

١٧١٠ لكن من الواجب شرح بعض من هذين الأثرين ، أغنى ما ينجم
عنهما من نفع أو ضرر .

وذلك ليعلم أهل السعد والنحس قدرا يسيرا من آثار القضاء .
فمن كان طالعه المشتري غدا سعيدا بابتهاجه ونباهة شأنه .
ومن كان طالعه زحل ، فلا بد له أن يكون في الأمور محتاطا من
كل الشرور .

(١) هذه العبارة وردت في مواضع عدة من القرآن الكريم . انظر مثلا :
سورة يونس ، ١٠ : ١ .

ولو أتنى حدثت زحلي الطالع عن نار زحل ، لاحترق بها ذلك
المسكين !

١٧١٥ لقد أذن لنا الله (أن نذكره) اذ قال : « اذكروا الله^(١) » . فقد
رآنا في النار فوهبنا النور .

وقال : « مع أتنى منزّه عن ذكركم ، ومع أن تصاويركم ليست
لائقة بي ،

فانه لا سبيل — أمام المولع بالتصوير والخيال — الى ادراك ذاتنا
بدون مثال .

وان التصور الجسماني لخيال ناقص . فوصف الجلالة برىء من
تلك (التصورات الحسية) .

فلو أن شخصا يقول : « ان المليك ليس بجائك » . فأى مدح
هذا ؟ لا بد أن قائله من الجهلاء .

كيف أنكر موسى عليه السلام مناجاة الراعى

١٧٢٠ رأى موسى راعيا على الطريق ، وكان هذا يردد : « الهى ، يا من
تصطفى (من تشاء) ،

أين أنت حتى أصبح خادما لك ، فأصلح نعليك ، وأمشط رأسك !
وأغسل ثيابك ، وأقتل ما بها من القمل ! وأحمل الحليب اليك ،
أيها العظيم !

وأقبل يدك اللطيفة وأمسح قدمك الرقيق ، وانظف مخدعك حين
يجىء وقت المنام .

(١) انظر : سورة الأحزاب ، ٣٣ : ٤١ .

يا من فداؤك كل أغنامي ! ويا من لذكرك حنيني وهيامي ! »
 ١٧٢٥ وأخذ الراعى يردد هذا النمط من هراء القول . وراه موسى ،
 فناداه قائلاً : « مع من تتحدث أيها الرجل ؟ »
 فقال الراعى : « مع ذلك الشخص الذى خلقنا . مع من ظهرت
 بقدرته هذه الأرض ، وتلك السماوات » .
 فقال موسى : « حذار ، انك قد أوغلت في ادبارك . وما غدوت
 بقولك هذا مسلماً بل صرت من الكافرين .
 ما هذا العبث وما هذا الكفر والهذيان ؟ ألا فلتحش فمك بقطعة
 من القطن .
 ان تنن كفرك قد جعل العالم كله منتناً ! بل ان كفرك قد مزق
 ديباجة الدين !
 ١٧٣٠ ان النعل والجورب يليقان بك . ولكن متى كان مثل هذين يليقان
 بالشمس ؟
 فلو أنك لم تغلق حلقك عن مثل هذا الكلام ، فان ناراً سوف
 تندلع وتلتهم الخلق !
 وان لم تكن النار قد أندلعت فما هذا الدخان ؟ ولماذا أصبحت
 نفسك مسودة وروحك مردوداً ؟
 وان كنت تعلم أن الله هو الحاكم ، فكيف اعتقدت بمثل هذا
 السفه والوقاحة ؟
 ان صداقة الأحمق هى عين العداوة . وما أغنى الحق تعالى عن
 مثل هذه العبادة !
 ١٧٣٥ فمع من تتحدث ؟ أمع العم أو الخال ؟ وهل الجسم والحاجة من
 صفات ذي الجلال ؟

ان الحليب يشربه من يكون قابلا للنشأة والنماء . والتعل يلبسه من هو بحاجة الى القدم .

وحتى لو كان هذا القيل والقال (موجها) لعبد الله الذي قال عنه الحق : « انه ذاتي وأنا ذاته » ،

هذا العبد الذي هو مغزى حديث الحق : « مرضت فلم تعدني . لقد غدوت مريضا ، وليس عبيد وحده هو الذي مرض » ،
لكان مقالك هذا عبثا وهراء في حق هذا العبد ، بعد أن غدوت له سمعا وبصرا (١) .

١٧٤٠ ان التحدث بدون أدب مع خواص الحق ، يميم القلب ويجعل الصحائف سودا .

فمع أن الرجال والنساء جميعا من جنس واحد ، فانك لو سميت رجلا « فاطمة » ،

لسعى لقتلك ان وجد الى ذلك سبيلا ، مع أنه قد يكون حسن الخلق حليما وادعا .

ان اسم فاطمة مدح في حق النساء ، لكنك لو دعوت رجلا به كان كطعن السنان !

واليد والقدم هما في حقنا من صفات المديح . لكنهما في حق الخالق المنزه ذم !

١٧٤٥ وقوله : « لم يلد ولم يولد » هو الوصف اللائق به ، مع أنه خالق الوالد والمولود .

(١) حرفيا : « وقد غدا بى يسمع وبى يبصر » .

وكل ما كان جسما فالولادة صفة له . وكل ما يولد فهو من هذا
الجانب من النهر .
ذلك لأنه من عالم الكون والفساد ، فهو مهين . ومن المحقق أنه
حادث ويقتضى محدثا » .
فقال الراعى : « يا موسى ، لقد ختمت على فمي ! وها أنت ذا قد
أحرقت بالندم روحي ! »
ومزق ثيابه ، وتأوه ، ثم انطلق مسرعا الى الصحراء ، ومضى .

كيف عاتب الحق تعالى موسى عليه السلام من اجل الراعى

١٧٥٠ فجاء موسى الوحي من الله (قائلا) : « لقد أبعدت عنى واحدا
من عبادى !
فهل أتيت لعقد أواصر الوصل ، أم أنك جئت لايقاع الفراق ؟
فما استطعت لا تخط خطوة نحو ايقاع الفراق ، فأبغض الحلال^(١)
عندى هو الطلاق !
لقد وضعت لكل انسان سيرة ، ووهبت كل رجل مصطلحا للتعبير،
يكون في اعتباره مدحا على حين أنه في اعتباره ذم . ويكون في
مذاقه شهدا وهو في مذاقك سم !
١٧٥٥ اننى منزّه عن كل طهر وتلوّث ، وعن كل روح ثقلت (في عبادتى)
أو خفّت .

(١) حرفيا : « أبغض الأشياء ... »

والتكليف من جانبى لم يكن لربح أنشده . لكن ذلك كان لكى
أنعم على عبادى .

فأهل الهند لهم أسلوبهم في المديح . ولأهل السند كذلك أسلوبهم .
ولست أغدو طاهرا بتسييحهم ، بل هم المتطهرون بذلك ، الناثرون
الدر .

ولسنا ننظر الى اللسان والقال ، بل نحن ننظر الى الباطن والحال .
١٧٦. فنظرنا انما هو لخشوع القلب ، حتى لو جاء اللسان مجردا من
الخشوع .

فالقلب يكون هو الجوهر ، أما الكلام فعرض . والعرض يأتى
كالطفيلى أما الجوهر فهو المقصد والغرض .

فالى متى هذه الألفاظ ، وذلك الاضمار والمجاز ؟ انى أطلب لهيب
(الحب) ، فاحترق ، وتقرب بهذا الاحتراق !

أشعل في روحك نارا من العشق ، ثم احرق بها كل فكر وكل
عبارة !

يا موسى ! ان العارفين بالآداب نوع من الناس ، والذين تحترق
نفوسهم وأرواحهم (بالمحبة) نوع آخر » .

١٧٦٥ ان للعشاق احتراقا في كل لحظة ! وليس يفرض العشر والخراج
على قرية خربة !

فلو أنه أخطأ في القول فلا تسمه خاطئا . وان كان مجللا بالدماء ،
فلا تغسل الشهداء .

فالدّم أولى بالشهداء من الماء ! وخطأ المحب خير من مائة صواب !
فليس في داخل الكعبة رسم للقبلة . وأى ضرر يحيق بالغواص

ان لم يلبس النعل الواقى من الغوص في الثلوج ؟
فلا تلتمس الهداية عند السكرى . وكيف تطلب ممن تهلمت
ثيابهم رفو تلك الثياب ؟
١٧٧. ان ملة العشق قد انفصلت عن كافة الأديان . فمذهب العشاق
وملتهم هو الله .
ولو لم يكن للياقوتة خاتم فلا ضير في ذلك . والعشق في خضم
الأسى ، ليس مثيرا للأسى !

كيف جاء الوحي موسى - عليه السلام - موضحا عذر ذلك الراعى

ولقد ألقى الله - بعد ذلك - أسراراً في أعماق قلب موسى ،
ليست مما يباح به .
لقد تدفقت الكلمات الى قلب موسى ، وامتزج الشهود بالكلام .
فكم ذهل عن ذاته وكم عاد الى الوعى ! وكم طار محلقاً من الأزل
الى الأبد !
١٧٧٥ فلو أننى شرحت أكثر من هذا لكان من البلاهة . ذلك لأن شرح
هذا يتجاوز علمنا .
ولو أننى ذكرته لاقتلعت العقول ! ولو أننى كتبتة لانشق كثير من
الأقلام !
فحين سمع موسى هذا العتاب من الحق ، هرع وراء الراعى موغلا
في البيداء .

وانطلق مقتنيا آثار قدمي ذلك الحيران . فكان ينثر الغبار من
أذيال الصحراء .

وان خطوة قدم الانسان الموله لهي متميزة عن خطي الآخرين .
١٧٨٠ فتارة يمضي مستقيما كالرخ من القمة نحو القرار . وتارة يمضي
بخطي متقاطعة مثل القيل^(١) .

وتارة يمضي كالموج متطاولا رافعا علمه . وتارة يمضي زاحفا
فوق بطنه كالسمكة .
وتارة يخط وصف حاله فوق التراب ، كالرمال الذي يضرب
الرمال .

وفي النهاية أدرك موسى الراعي ورآه . وقال البشير (للراعي) :
« ان الاذن قد جاء !

فلا تلتمس آدابا ولا ترتيبا ، وانطق بكل ما يبتغيه قلبك الشجي !
١٧٨٥ ان كفرك دين ، ودينك نور للروح ! وانك لآمن ، والعالم بك
في أمان !

أيها المعافي ! ان الله يفعل ما يشاء . فاذهب ، وأطلق لسانك بدون
محابة^(٢) » .

فقال الراعي : « يا موسى . اني قد تجاوزت ذلك . انني الآن
مجلل بدماء قلبي !

لقد تجاوزت سدرة المنتهى . وخطوت مائة ألف عام في ذلك
الجانب !

(١) الإشارة هنا لقطع الشطرنج وطريقة نقل الرخ والفيل .

(٢) بدون أية مراعاة للمجاملة ولطيف القول .

انك قد أعملت سوطك ، فدار حصاني ، فبلغ قبة السماء ، ثم
تجاوز الآفاق !

١٧٩٠ فعسى الله أن يجعل جوهرنا الانساني نجى سر لاهوته . وليبارك
الله لك يدك وساعدك !

فالآن قد تجاوز حالى نطاق القول . فهذا الذى أقوله ليس حقيقة
حالى » .

انك تبصر النقش الذى يكون في المرأة . وهذا النقش صورتك
أنت ، وليس صورة المرأة .

والأنفاس التى ينفثها لاعب الناي في الناي ، هل تنتمى للناى ؟
لا ، بل هى منتمية للرجل .

فكن متنبها حين تنطق بالحمد والثناء ، واعلم أنهما شبيهان بهراء
ذلك الراعى !

١٧٩٥ فحمدك ان بدت أفضليته بالقياس الى حمد الراعى ، فانه بالقياس
الى الحق عاجز أبتر !

فلکم تقول — حين يرتفع الغطاء — « ليس هذا ما كانوا يظنون » .
فقبول ذكرك هذا انما هو من الرحمة . لقد رخص لك به ، مثل
صلاة المستحاضة !

فصلاتها تكون ملوثة بالدماء . وذكرك يكون مشوبا بالتشبيه
والكيف !

والدم نجس ، لكنه يغسل بالماء ، لكن للباطن نجاسات ،
لا تتناقص من باطن الرجل المجد ، الا بماء لطف الخالق ! ١٨٠٠
فليتك في سجودك كنت تدير وجهك ، وتدرک معنى دعائك :
سبحان ربى .

قائلا : « يا من سجودى مثل وجودى ، غير جدير به ، ألا فلتهبنا
الخير جزاء منك على شرنا ! »

ان هذه الأرض لتحمل أثرا من حلم الحق . فهي قد تلقت النجس
ولكنها جادت بالورد ثمارا !

انها تحجب لنا أقدارنا ، ولقاء ذلك تنبت منها الأزاهير !
١٨٠٥ فحين رأى الكافر أنه في العطاء والجود أقل من التراب ، وأدنى
أصالة منه ،

وأنه لم ينبت من وجوده ورد ولا ثمار ، وأنه لم ينشد سوى
فساد كل ما هو نقى ،

قال : « اننى قد تقهقرت في السير ، فواحسرتاه ! (يا ليتنى كنت
ترابا^(١)) .

يا ليتنى ما اخترت السفر من تراييتى ، اذن لكنت ألتقى الحب كما
يتلقاه التراب .

فحينما قمت بالسفر امتحننى الطريق . فماذا كانت الهدية التى
جلبتها من هذا السفر ؟ »

١٨١٠ فهو من جراء كل هذا الميل نحو التراب ، لم يكن يبصر أمام
وجهه أية فائدة للسفر .

لقد كان اعراضه بوجهه هو ذلك الحرص والطمع ! أما توجهه
نحو الطريق فكان ذلك الصدق ، وتلك الضراعة !

فكل عشب يكون له ميل نحو العلا ، فهو في ازدياد وحياة ونماء .
فاذا ما حول رأسه نحو الثرى ، فهو في تضاؤل وذبول ونقص
وغبن .

(١) سورة النبأ ، ٧٨ : ٤٠ .

فحينما يكون ميل روحك الى العلو ، فأنت في ارتقاء ، ويكون مرجعك الى هناك .

١٨١٥ وان كنت منقلبا فوق رأسك متوجها نحو الأرض ، فأنت آفل ، والله لا يحب الآفلين^(١) .

كيف سأل موسى - عليه السلام - الحق تعالى

عن سر غلبة الظالمين

فقال موسى : « أيها الكريم الفعّال . يا من ذكرك لحظة واحدة يعدل عمرا طويلا !

لقد رأيت نقوشا مشوهة عوجاء من الماء والطين ، فاعترض قلبي عليها كما فعلت الملائكة .

فماذا يكون القصد من تصوير نقش ثم غرس بذور الفساد فيه ؟
أو من اشعال نار الظلم والفساد، التي تحرق المسجد والساجدين ؟
١٨٢٠ ولماذا اثاره نبع الدموع الدامية ، أو الملوثة بالدم^(٢) ، من أجل
الضراعة ؟

وانى لأعلم يقينا أن هذا عين حكمتك ، لكن مقصودى هو العيان
والمشاهدة .

فذلك اليقين يدعونى الى أن ألزم الصمت ، وأما الحرص على
المشاهدة فيدفعنى الى الجيشان !

(١) انظر قوله تعالى ، حكاية عن ابراهيم : « لا أحب الآفلين » .
(٦ : ٧٦) .

(٢) حرفيا : « الدموع الدامية أو الصفراء ... » .

لقد كشفت للملائكة سرى ، (وأظهرت) أن مثل هذا الشهد
جدير بأن (تكتنفه) الأبر !
فعرضت عليهم نور آدم عيانا ، فانجلت بذلك المشكلات أمام
الملائكة .

١٨٢٥ وحشرك هو الذى يخبر عن سر الموت ، كما تنبىء الثمار عن سر
الأوراق .

والدم والنطفة هما سر الحسن الآدمى ، فالقطة — فى النهاية —
سابقة على كل كثرة .

فالطفل الجاهل يبدأ بغسل اللوح ، وبعد ذلك يكتب فوقه
الحروف .

والله يجعل القلب دما ودمعا مستهانا ، وبعد ذلك يخط فوقه
الأسرار !

ففى وقت غسل اللوح ، يجب على الطفل أن يعلم أن اللوح
سيجعل دفترا .

١٨٣٠ وحينما يوضع أساس لأحد المنازل ، فان أساس المنزل القديم
يقتلع فى أول الأمر .

والطين يرفع من قاع الثرى فى البداية ، حتى تستطيع — فى
النهاية — أن تسحب الماء المعين .

والأطفال يكونون من الحجابة بكاء مرا ، ذلك لأنهم لا يعلمون
سر ذلك الأمر .

أما الرجل فهو يدفع الذهب للحجّام ، ويعتز بالابرة التى تشرب
الدماء !

والحمال يجرى نحو الحمل الثقيل ، ثم يختطف ذلك الحمل من الآخرين .

١٨٣٥ فتأمل صراع الحملين من أجل الحمل . فهكذا يكون اجتهد البصير بالأمور .

ولما كانت الأحمال هي أساس الراحة ، فإن المرارة أيضا هي البشير بالنعمة .

ولقد حُفَّت الجنة بمكروهاتنا ، كما حُفَّت النار بشهواتنا^(١) .
فالبذرة التي انبثقت عنها مادة نارك ليست سوى غصن ندى^(٢) .
وأما من احترق بالنار^(٣) فهو قرين الكوثر !
وكل من كان في السجن قرين المحنة ، فذلك جزاء له على لقمة وشهوة !

١٨٤٠ وكل من كان في القصر قرين السعادة ، فذلك جزاء له على كفاح وعناء !

وكل من رأته فريدا بما يحوز من ذهب وفضة ، فاعلم أنه قد لزم الصبر في تكسبه .

فحينما تصبح العين نقّاذة فانها تشاهد (الحقيقة) بدون أسباب .
أما أنت — يا أسير الحبس — فلتنصت الى الأسباب .

(١) هذا البيت مقتبس من حديث عن أبي هريرة رواه أحمد في مسنده وكذلك رواه مسلم . ونص الحديث أن الرسول قال : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » .

(٢) يقصد « بالغصن الندى » اللذات والشهوات . (٣) من عانى نار مجاهدة النفس ، ومكافحة الأهواء .

وكل من تحررت روحه من سلطان الطبائع ، فهو الذى بلغ منزلة
تجاوز الأسباب .

فاذ ذاك تبصر العين نبع معجزات الأنبياء ، غير مقترن بالأسباب ،
ولا منبعث من الماء والعشب .

١٨٤٥ فهذا السبب شبيه بما بين الطبيب والعليل ، أو هو مثل ما بين
السراج والقتيل .

فاقتل لسراج ليلك فتिला جديدًا ، وكن على علم بأن ضياء
الشمس أنقى من كل ذلك .

اذهب ، وهبىء الطين من أجل سقف الدار ، وكن على علم بأن
سقف السماء منزله عن الطين !

أواه ! لقد انقضت خلوة الليل وبزغ النهار ، ساعة أن غدا حبيبنا
مبددا لنا الهموم .

وما يكون تجلى البدر الا في الظلام . فلا تنشدد مثراد القلب الا
بعناء القلب !

١٨٥٠ لقد أعرضت عن عيسى ، وربيت الحمار^(١) ، فلا جرم أنك
كالحمار خارج الأستار !

والعلم والعرفان هما طالع عيسى ، وليس طالع الحمار ، أيها
الحمارى الصفات .

انك تسمع أنين الحمار فتستشعر الرحمة . ثم أنت لا تدري
— أيها الحمار — أن حمارا يسيطر عليك^(٢) .

(١) لقد أعرضت عن الروح وربيت الجسد .

(٢) حرفيا : « يأمرك » .

فكن رحيمًا بعيسى ولا تكن رحيمًا بالحمار ! ولا تجعل الطبع
سيدًا على عقلك !

ولتدع الطبع يبكى بكاء حارًا مريرا ! ولتأخذن منه لكى تؤدى
دين الروح !

١٨٥٥ لقد قضيت السنين غلامًا للحمار ، فكفاك هذا . ذلك لأن غلام
الحمار يكون متخلفًا وراء الحمار .

ونفسك هى المراد من قول الرسول « أخروهن ... » فالنفس
يجب أن تكون الأخيرة في حين أن العقل يكون الأول .

وهذا العقل الوضيع قد أصبح شريكًا للحمار في مزاجه ! فليس له
تفكر الا في طريقة للحصول على العلف !

أما حمار عيسى فقد تخلق بمزاج القلب ، واتخذ له منزلا في مقام
العقلاء .

ذلك لأن العقل كان غالبا والحمار ضعيفا ، فالراكب القوى قد
جعل الحمار نحيفا .

١٨٦٠ وهذا الحمار الذابل قد غدا تنينا ، من جراء ضعف عقلك ، يا من
لست تعدو في قيمتك الحمار !

فلو أن عيسى جعلك عليل القلب ، فلا تتركه ، فان منه أيضا
تجنيك الصحة !

وكيف أنت مع الآلام يا عيسى ، يا صاحب الأنفاس العيسوية ؟
انه ليس في العالم كنز بدون ثعبان .

وماذا تستشعر يا عيسى من رؤية اليهود ؟ وكيف أنت يا يوسف
مع المكار الحسود ؟

لقد كانت كل أيامك ولياليك وقفا على هؤلاء الحمقى ، وكنت
تمدهم بالحياة وكأنك الليل والنهار !

١٨٦٥ فأها من هؤلاء المجردين من الفضل ، ذوى الوجوه المصفرة !
وأى فضل يتولد من الصفراء ؟ لا شيء سوى ألم الرأس !
فلتفعل بالنفاق والاحتيال والسرقة والخداع ما تفعله بها شمس
المشرق .

فأنت في الدنيا والدين غسل ، ونحن خل . وعلاج هذه الصفراء
هو مزيج الخل والعسل .
ونحن نزيد الخل لأننا قوم نعانى من الزحير . فلتزد أنت العسل ،
ولا تمسك كرمك عنا !

فهذا ما كان لائقا بنا ، وهكذا جاء فعلنا . والرمال في العين ماذا
تزيدها ؟ لا شيء الا العمى .

١٨٧٠ وذاك ما كان لائقا بك ، أيها الكحل العزيز ! فكل من ليس
بشيء يجد عندك شيئا .

ولقد أصبح قلبك مكتويا بنار هؤلاء الظالمين . ولم يكن لك من
خطاب سوى قولك : « اهد قومي ^(١) » .

انك منجم العود ، فلو أنهم أشعلوا بك النار ، لملؤوا هذا العالم
بالعطر والريحان .

ولست أنت بذلك العود الندى تنتقص منه النار ، ولا أنت بذلك
الروح الذى يغدو أسير الحزن .

(١) اشارة الى ما روى من أن الرسول عليه السلام - حينما كسرت
سنه في غزوة أحد - دعا ربه قائلا : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » .

فالعود يحترق ، ويبقى منجم العود بمنأى من الاحتراق ! وكيف
تحمل الريح على منبع النور ؟

١٨٧٥ يا من (قبست) منك السماوات الصفاء ! يا من جفاؤك أحلى
من الوفاء !

ذلك لأنه لو وقع من العاقل جفاء ، فانه يكون أفضل من وفاء
الجاهلين .

ولقد قال الرسول : « عداوة العاقل ، خير من صداقة الجاهل » .

كيف أزعج أمير رجلا نائما كانت أفعى

قد دخلت في فمه

كان أحد العقلاء ممتطيا صهوة حصان ، (فمر بالقرب من) أفعى
كانت تدخل في فم رجل نائم .

ولقد أبصر ذلك الراكب الأفعى ، فسارع اليها ليفزعها ، لكن
الفرصة أفلتت .

١٨٨٠ ولما كان لهذا الرجل مدد كبير من عقله ، فانه ضرب النائم بضع
ضربات قوية بالدبوس .

فحملته ضربات ذلك الدبوس القوى على الفرار حتى التجأ الى
احدى الاشجار .

وكان قد تساقط من الشجرة تفاح كثير ، وغدا عفنا . فقال الأمير :
« كل من هذا ، يا من تعلق بالآلام ! »

وأعطى الرجل كثيرا من التفاح ليأكله ، حتى صار ذلك التفاح
يتساقط من فمه .

فصاح قائلاً : « وما نهاية هذا ، أيها الأمير ؟ لماذا تسلطت علي ؟
وماذا صنعت بك ؟

١٨٨٥ فان كنت من الأصل تستشعر عدااء لروحي ، فاضرب بسيفك
ضربة واحدة ، وأرق دمي !

فما أشأم تلك الساعة التي ظهرت لك فيها ! وما أسعد من لم يقع
بصره على وجهك !

فلا جنائية ، ولا اثم ، ولا كثير ، ولا قليل . ان الملحدين لا يجيزون
هذا الظلم .

ان الدم ليتفجر من فمي مع الكلمات ! فلتجزه على ذلك يا الهى
في النهاية » .

وكان في كل لحظة يلقي سبابا جديدا . أما الأمير فكان يضربه ،
(قائلاً) : « اجر في هذه الصحراء » .

١٨٩٠ فمن ضربات الدبوس ، (ومن خوف) ذلك الفارس المنطلق
كالريح ، كان الرجل يعدو ، ثم يعود فيسقط فوق وجهه .

لقد كان ممتلئا بالطعام ، مثقلا بالنعاس ، مرهقا . وقد أصابت
قدميه ووجهه آلاف الجراح .

وظل حتى المساء يجره ثم يرخى له العنان ، حتى أصابه القىء من
تأثير الصفراء .

فخرجت منه المأكول ، رديئها وطيبها . وقفزت الأفعى خارجة منه
مع ذلك القىء .

فحينما رأى أن تلك الأفعى قد خرجت من جوفه ، سجد أمام ذلك
الطبيب الفعال !

١٨٩٥ وما أن أبصر تلك الأفعى السوداء الرهيبة ، القبيحة الجسيمة ،
حتى ذهبت عنه تلك الآلام .

وقال : « انك أنت جبريل الرحمة ! أم لعلك الاله الذى هو ولى
النعمة !

فبوركت تلك الساعة التى رأيتك فيها ! لقد كنت ميتا ، وأنت
وهبتنى روحا جديدا !

لقد كنت لى طالبا ، كما تفعل الأمهات . وكنت أنا هاربا منك
كما تفعل الحمير .

فالحمار يدفعه الغباء للفرار من صاحبه . وصاحبه يدفعه كرم
العنصر الى اقتفاء أثره .

١٩٠٠ وهو لا يطلبه من أجل نفع ولا ضرر . لكنه يطلبه حتى لا يمزقه
ذئب أو وحش كاسر .

فما أسعد هذا الذى يرى وجهك ، أو يقع فجأة على جادتك !
يا من أثنت عليك الروح الطاهرة ! لكم وجهت اليك من الكلمات
ما هو عبث وهراء !

فيا أيها السيد الملك الأمير ! انى لم أتكلم ، بل جهلى هو الذى
تكلم ، فلا تؤاخذنى على ذلك !
فلو أننى عرفت القليل عن هذه الحال ، فكيف كنت أستطيع
النطق بالسخف ؟

١٩٠٥ ولو أنك حدثتنى بإشارة واحدة الى تلك الحال ، لكنت قد
لهجت بالثناء عليك ، يا مليح الخصال !

لكنك كنت مشيرا بالتزامك الصمت ، وكنت فى صمتك تضربنى
فوق رأسى !

فصار رأسى ذاهلا ، وطار العقل من رأسى ، وبخاصة لأن رأسى
هذا قليل العقل .

فاصفح عنى يا من أنت مليح الوجه والفعال . وتجاوز لى عما
وجهته اليك بدافع من الجنون .

فقال الأمير : « لو أنتى كنت نطقت بإشارة الى ذلك ، لذابت
مرارتك في الحال رعبا^(١) .

١٩١٠ ولو أنتى كنت قد ذكرت لك أوصاف الأفعى ، لكان الخوف
قد جلب على روحك الدمار !

ولقد قال المصطفى : لو أنتى أفضت في شرح ذلك العدو الكامن
في أرواحكم ،

لتفجرت مرائر الشجعان ، ولما سلك أحدهم سبيلا ، ولا اهتم
بعمل .

ولما بقيت لقلبه حرارة في الضراعة . ولا بقيت لجسمه قوة على
الصوم والصلاة !

ولغدا عدما مثل الفأر أمام القط ! ولزلزل مثل الحمل أمام الذئب !
١٩١٥ ولم تبق عنده حيلة ولا حراك . ولهذا فقد جعلت سكوتى عن
ذكر هذا تدعيما لكم .

فهاأنذا صامت مثل أبى بكر الربابى . وهاأنذا أضرب الحديد
بيدى مثل داوود .

حتى يغدو المحال بيدى محققا . ويصير الطائر المقتقد جناحيه ذا

(١) حرفيا : «لغدت مرارتك في الحال ماء» . والمرارة تذكر كثيرا على
انها موطن الشجاعة في الرجل .

قوادم :

فما دام الخالق قد قال : « يد الله فوق أيديهم ^(١) » ، فإن الله قد أعلن أن أيدينا هي يده .

ولهذا فاني على يقين أن لى يدا طولى ، تصل الى ما فوق السماء السابعة !

١٩٢٠ . ولقد أظهرت يدي فضلها فوق السماء . فيا قارئ القرآن ! أقرأ آية شق القمر ^(٢) .

وهذا الوصف أيضا انما هو من أجل ضعف العقول ! وكيف يتسنى شرح القدرة للضعفاء ^(٣) ؟

ولسوف تعلم بنفسك حين ترفع رأسك من غفوتك ، أن قد حان اختتام (قولى) ، والله أعلم بالصواب .

فأنت لم تكن ذا قوة على تناول الطعام ، ولا كان لك سبيل الى القيء ، ولا اهتمام به ^(٤) .

وكنت أستمع الى فحشك وأسوق حمارى . وكنت أتمتم بقولى : « رب يسر » .

١٩٢٥ . ولم يكن لدى اذن بأن أبوح بالسبب . ولا كانت لى قدرة على أن أقول بتركك .

وكنت فى كل لحظة أهتف من آلام قلبى : « اللهم اهد قومى ، انهم لا يعلمون » .

(١) سورة الفتح ، ٤٨ : ١٠ .

(٢) سورة القمر ، ٥٤ : ١ .

(٣) اظهار المعجزة المشهودة كان ضرورة أملاها ضعف عقول الناس فالضعفاء عاجزون عن تصور معنى القدرة بدون دليل محسوس .

(٤) الخطاب هنا موجه الى الرجل الذى ابتلع الثعبان .

وكان ذلك الرجل الذى برىء من الألم يوالى السجود (قائلًا) :
« يا من أنت لى سعادة واقبال وكنز !

لسوف تلقى جزاءك من الله أيها الشريف ! فليس يملك القوة على
شرك هذا الضعيف !

ان الحق هو الذى سيؤدى شركك ، أيها المقتدى ، فليست لى
شفة ولا فم^(١) ولا صوت كفاء ذلك » .

١٩٣٠ فعلى هذا المثال تكون عداوة العقلاء . ان سمهم يكون بهجة
للروح !

أما صداقة الأبله فهى عناء وضلال . فاستمع الى هذه الحكاية ،
على سبيل المثال :

الاعتماد على تودد الدب ووفائه

كان تنين يجتذب (بين فكيه) دبا ، فأقبل رجل شجاع ، وقام
بنجدته .

والرجال الأبطال فى هذا العالم هم المدد ، حينما تدرك أسماعهم
صرخات المظلومين .

انهم يستمعون من كل جانب الى صرخات المظلومين ، فيسرعون
نحوها مثل رحمة الله .

١٩٣٥ فهؤلاء هم العمدة لهذه الدنيا المتداعية ! هؤلاء هم الأطباء
لخفى " الأدواء !

(١) حرفيا : فك .

أنهم محض محبة وعدالة ورحمة ! بل هم مثل الحق بريئون من
العلة والرشوة !

(فان سألت أحدهم) : « لماذا تبادر الى منح (المستغيث) كل
هذا العون ؟ » أجابك قائلا : « دافعى الى ذلك حزنه وافتقاره » .
ان المحبة هى صيد الرجل الشجاع ، وليس للدواء ما ينقّب عنه
في الدنيا سوى المرض .

فحيثما يوجد المرض يذهب اليه الدواء . وحيثما توجد القيعان ،
يندفع نحوها الماء .

١٩٤٠ فان كنت بحاجة الى ماء الرحمة ، فامض وكن للتواضع ملتزما ،
ثم اشرب بعد ذلك خمر الرحمة وكن بها منتشيا .
وسوف تتوالى الرحمات حتى تغمرك . فلا تقتصر — يا بنى —
على الدخول تحت رحمة واحدة .

واجعل الفلك تحت قدمك ، أيها الشجاع ! واستمع من فوق
الفلك الى ألحان السماع !
وأخرج من أذنك قطن الوسواس ، حتى ينفذ الى سمعك هتاف
الأفلاك .

ونظف كلتا عينيك من شعر العيب ، لتستطيع شهود حديقة الغيب
وبستانه .

١٩٤٥ وادفع عن ذهنك وعن أنفك الزكام ، حتى تنفذ الى مشامك
نسمات الله .

ولا تدع (في كيانك) قط أثرا للحمى أو الصفراء ، وذلك لكى
تجد للكون مذاق السكر .

وعالج رجولتك ، ولا تتخذ العنة مهربا ، حتى تظهر لك مائة
لون من ملاح الوجوه .

وانزع قيد الجسد عن قدم الروح ، لتكون قادرة على التجول
حول المنتدى .

وأبعد عن يدك وعنقك غلّ البخل . وحقق لنفسك حظا جديدا في
هذا الفلك العتيق !

١٩٥٠ وان لم تقدر على ذلك فطر الى كعبة اللطف ، واعرض عجزك هذا
على المعين .

فالنواح والبكاء ذخيرة عظيمة ، أما الرحمة الكلية فهي المربى الذى
يفوقهما قوة واقتدارا .

ان المربية والأم لتلتمسان الذرائع (للعطف) . وانهما — لهذا —
تترقبان بكاء الطفل .

ولقد خلق الله لك طفل الحاجات ، وذلك لكي يبكى فيأتيه —
اذ ذاك — الحليب .

قال تعالى : « قل ادعوا الله ^(١) » ، ولا تكفوا عن الضراعة ، وذلك
لينهمر عليكم حليب رحماته .

١٩٥٥ فهزيم الرياح ، والسحب التى تمطر الحليب ، هما لتفريج همنا ،
فاعتصم بالصبر ساعة .

ألم تسمع قوله تعالى : « في السماء رزقكم ^(٢) » ؟ فلماذا تشبثت
بهذا المكان الوضيع ؟

(١) سورة الاسراء ، ١٧ : ١١٠ .

(٢) انظر : سورة الذاريات ، ٥١ : ٢٢ .

فاعلم أن خوفك ويأسك هما صوت الغول الذى يجتذب أذنك الى قرارة الوضاعة .

وكل نداء يجتذبك نحو العلا ، فاعلم أنه قد جاءك من الأعلى .
وأما كل نداء يستثير فيك الحرص ، فاعلم أنه صوت الذئب الذى يمزق الناس !

١٩٦٠ وليس الارتفاع هنا باعتبار المكان ، بل انه هو كلّ تعال نحو العقل والروح .

وكل سبب قد جاء أسمى من الأثر . فالحجر والحديد هما أكثر تفوقا من الشرر .

فهذا رجل قد احتل مكانة أرفع من آخر يشمخ برأسه ، مع أنه — في الصورة — قد جلس الى جانبه .

فالارتفاع هنا هو من ناحية الشرف . فالمكان النائب عن صدارة الشرف يستخف به .

والحجر والحديد — من جهة سبقهما في العمل — هما جديران بهذا التفوق .

١٩٦٥ لكن ذلك الشرر — (انظر اليه) من جهة المقصود منه — كان من هذا الوجه أكثر تفوقا من الحديد والحجر .

ان الحجر والحديد هما البداية ، وأما الشرر فهو النهاية ؛ لكن هذين هما الجسد ، وأما الشرر فهو الروح .

ولئن كان هذا الشرر متأخرا في الزمان ، فانه في الصفة أسمى من الحجر والحديد .

فالغصن أسبق في الزمن من الثمار . لكن الثمار أكثر فضلا من الأغصان .

ولما كان المقصود من الشجر هو الثمر . فالثمر هو الأول ، وأما الشجر فهو الآخر .

١٩٧٠ ان الدب — حين استغاث من التنين — أنقذه من بين مخالفه رجل شجاع .

فالحيلة والرجولة قد تضافرتا معا ، فاستطاع (الرجل) أن يقتل التنين ، بهذه القوة .

فالتنين قوى ، لكنه ليس بصاحب حيلة . وهناك أيضا حيلة فوق حيلتك !

فحينما ترى حيلتك فارجع ، وعد الى البداية ، لترى من أين أتت .

فكل ما كان في المنخفض فقد جاء من القمم . فسارع وارفع بصرك نحو الأعلى .

١٩٧٥ ان النظر الى أعلى يهب البصر نورا ، مع أنه في بداية الأمر بلاء ، يخطف الأبصار !

فلتجعلنّ العين أليفة للنور . وان لم تكن خفاشا ، فانظر نحو ذلك الجانب .

وان ابصارك للعاقبة لهو علامة اشراق نورك .. أما الشهوة العاجلة فهي حقيقة قبرك !

فمن كان بصيرا بالعاقبة ، وقد شهد مائة لعبة ، لا يرقى الى مشابهته من سمع بلعبة واحدة .

لقد أصبح هذا مغترا بتلك اللعبة الواحدة ، الى حدّ أن التكبر أبعده عن الأساتذة .

١٩٨٠ فهو كالسامريّ حينما شهد في نفسه مثل هذا الفضل ، فدفعه
الكبر الى عصيان موسى .

انه كان قد تعلم هذا الفضل من موسى ، ثم أغمض العينين
عن معلمه .

فلا جرم أن موسى قد لعب لعبة أخرى ، محت لعبة السامريّ
واختطفت حياته !

فما أكثر المعرفة التي تسرع الى الرأس ، فتؤدي الى تفوقه ، ثم
هي ذاتها تذهب بالرأس !

فان كنت تريد ألا يذهب رأسك ، فكن قدما . ثم التجيء الى
حمى قطب من أصحاب الرأي .

١٩٨٥ ولئن كنت ملكا فلا تعتبر نفسك أسمى منزلة منه ! وان كنت
شهيدا فلا تحصد سوى نباته .

ان فكرك صورة أما فكره فهو روح ! وتقدك زائف ، وأما نقده
فهو المنجم !

انه أنت فابحث عن ذاتك فيه ! واهتف : « كو كو^(١) » ، وطر
كالفاخته نحوه .

فان لم ترد أن تخدم (الشيوخ) من أبناء الجنس الانساني ، فأنت
مثل الدب في فم التنين !

فلعل استاذنا يقوم بانقاذك ، ويسحبك بعيدا عن الخطر .

١٩٩٠ وما دمت لا تملك القوة فالزم الضراعة . وما دمت أعمى فلا تتمرد
على البصير .

(١) « كو كو » معناها « اين اين ؟ » ، فهنا تورية بين لفظ
الكلمة وبين معناها .

وانك لأسوأ من الدب ، لأنك لست تنوح من الألم . فالدب قد
نجا من الألم حينما استغاث .
الهي ! اجعل قلوبنا الحجرية مثل الشمع ! واجعل ضراعتنا اليك
حلوة ، مستجابة برحمتك !

كيف قال سائل أعمى : « اننى اعانى
من عمى مضاعف ! »

كان أعمى قد دأب على أن يقول : « أمانا ، فانى أقاسى لوئىن
من العمى ، يا أهل الزمان !
فاتبھوا ، واشفقوا علىّ اشفاقا مضاعفا ، ما دام لى نوعان من
العمى ، أنا واقع بينهما » .

١٩٩٥ فقال أحدهم له : « انا نرى لك عمى واحدا . فما هو العمى الآخر؟
أظهره لنا ! »

فقال : « اننى قبيح الصوت خشن الدعاء ! وقد اقترن قبح
الصوت عندى بالعمى !

فصوتى القبيح صار مصدرا للغم . ومن وقع صوتى ينكمش
عطف الخلق .

وان صوتى القبيح لينطلق الى كل مكان ، فيغدو مصدرا للسخط
والغم والبغضاء .

فضاعفوا رحمتكم لهذا العمى المضاعف ! وأفسحوا مجالا لهذا
الذي لا مجال له » .

٢٠٠٠ ولقد تناقص - بهذه الشكوى - قبحُ صوته ، وُصار الناس - في

العطف عليه - قلبا واحدا !

فلطفُ صوت قلبه - حين أعلن السرّ - قد جعل صوته لطيفا .

وأما من كان صوت قلبه قبيحا ، فإن عماء المثلث يبعده بعدا
سرمديا .

لكن الوهايين (من أصل الكمال) يمنحون بدون ما سبب ، فلعلهم
يضعون يدا فوق رأسه القبيح .

فحين غدا صوت ذلك السائل حلوا مثيرا للشفقة ، كانت تليّن
له كالشمع قلوب من تحجرت قلوبهم .

٢٠٠٥ أما ضراعة الكافر فهي اذ كانت قبيحة كالنهيق ، فانها - من جراء
ذلك - لم تقترن بالاجابة .

ان قوله تعالى : « اخسئوا^(١) » ، قد انطبق على قبيح الصوت ،
الذى هو كالكلب ، ثمل بدم الخلق .

ولما كانت ضراعة الدب قد اجتذبت الرحمة ، وضراعتك لم تكن
كذلك ، بل كانت قبيحة ،

فاعلم أنك سلكت ازاء يوسف^(٢) مسلك الذئب ، أو أنك شربت
من دم برىء !

فقدم التوبة ثم استفرغ ما شربت . وان كان جرحك قديما ، فاذهب
وداوه بالاكتواء .

(١) انظر : سورة المؤمنون ، ٢٣ : ١٠٨ .

(٢) انظر : سورة يوسف ، ١٢ : ٨ - ٢٠ .

تتمة حكاية الدب ، وذلك الأبله ، الذى كان

قد ركن الى وفائه

٢٠١٠ ان الدب حين خلص من التنين ، ورأى هذا الكرم من ذلك الرجل

الجسور ،

ذلك الدب المسكين أصبح مثل كلب أصحاب الكهف ، مقتفيا أثر

من حمل عنه العبء !

وقد استلقى من العناء ذلك المسلم ، وصار الدب — لتعلقه به —

حارسا له !

ومرّ به رجل فقال له : « ما الحال ؟ وما صلة هذا الدب بك ،

أيها الأخ ؟ »

فذكر له القصة وحديث التنين ، فقال الرجل : « لا تعلق قلبك

بدب ، أيها الأحق .

٢٠١٥ ان صداقة الأبله أسوأ من عداوته . فأولى بك أن تدفعه عنك

بكل حيلة تعلمها . »

فقال صاحب الدب : « والله ما قال هذا الا عن حسد ! والا فأى

خليقة للدب تراها فيه ؟ أنظر الى هذه المحبة ! »

فقال الرجل : « ان مودة الحمقى لخادعة . وحسدي هذا خير لك

من محبة الدب !

فهيا ، أقبل معى ، وادفع عنك هذا الدب . لا تتخذ الدب صفيا !

لا تترك أبناء جنسك ! »

فقال صاحب الدب : « اذهب عنى . اذهب لشأنك ، أيها

الحسود ! » فقال الرجل : « لقد كان هذا شأني ، لكنه لم يكن من نصيبك ^(١) .

٢٠٢. اننى لست أقل من الدب ، أيها الشريف . فلتتركه ، حتى أصبح لك رفيقا .

فقلبي يرتعد قلقا من أجلك . فلا تدخل الأجمة مع مثل هذا الدب . فقلبي هذا لم يرتعد قط جزافا . انه نور الحق ، ولا ادعاء في ذلك ولا غرور .

اننى مؤمن ، وقد أصبحت ناظرا بنور الله . فحذار حذار . اهرب من بيت النار هذا ! »

لقد قال عابر السبيل كل هذا ، ولم ينفذ قوله الى أذن صاحب الدب ، فسوء الظن سد عظيم بين المرء وسمعه .

٢٠٢٥ وأمسك الرجل بيد صاحب الدب ، فسحبها ذلك منه . فقال : « سأصرف الآن ما دمت لست بصاحب رشيد » .

فقال صاحب الدب : « اذهب ولا تحمل الهم من أجلى . وأقلل من تكلف العرفان ^(٢) ، يا أبا الفضول ! »

فعاد الى مخاطبته قائلا : « اننى لست عدوا لك . ولو أنك أقبلت ورائي لكان ذلك لطفاً منك » .

فقال صاحب الدب : « انى مثقل بالنعاس ، فاتركنى واذهب » . فقال الناصح : « لیتك تنقاد ^(٣) للرفيق في آخر الأمر ،

(١) لم يكن من نصيبك ان تفيد من نصحي لك وتدخل في امرك . فقد كان نصحي اياك واجبا افترضته على نفسي ، وشأنا يعينى .

(٢) حرفيا : « وأقلل من نحت العرفان ... » .

(٣) حرفيا : « كن منقادا للرفيق ... » .

حتى تنام في ظل عاقل ، وفي جوار محب من أصحاب القلوب ! »
٢٠٣. فاستولى الخيال على صاحب الدب ، لما أبداه هذا الرجل من
دأب ، وسرعان ما تملكه الغضب ، وتغير وجهه ،
قائلا : « لعل هذا جاء للعدوان على . أم لعله قاتل ، أو سائل
طامع ، أو أتوني »^(١) حقير ،
أو أنه قد عقد رهانا مع أصدقائه على أن يخيفني من صجة هذا
الجليس ! »

ومن خبت ضميره لم يرد بخاطره قط أى ظن حسن .
وكان كل ظنه الحسن موقوفا على الدب ! فلعله كان من ذات
جنس هذا الدب !
٢٠٣٥ فالخسنة^(٢) قد جعلته يتهم أحد العقلاء ، ويعتقد أن الدب من
أهل المحبة والعدالة .

كيف قال موسى - عليه السلام - لعابد العجل :
« أين خيالك المتفكر ، وأين حزمك ؟ »

قال موسى لرجل ثمل بالخيال : « يا من ساء ظنك من جراء شقائك
وضلالك !
لقد كان لك مائة شك في نبوتى ، مع مثل هذا البرهان ، وهذا
الخلق الكريم !

(١) « الأتوني » هو الذى يشعل النار في الحمامات ، وكان هذا العمل
من المهن الحقيرة .
(٢) حرفيا : فالكلبية ...

ولقد شهدت منى آلاف المعجزات ، فتضاعفت بها أوهامك وظنونك
وشكك مائة مرة !

لقد كنت تضيق بما ينتابك من خيال ووسواس ، فتوجه الطعن
الى نبوتى !

٢٠٤٠ انى رفعت التراب من قاع البحر عيانا ، حتى أنقذتكم من شر
آل فرعون !

وكانت المائدة والأطباق تنزل من السماء طوال أربعين عاما !
وبدعائى تفجر الماء^(١) من الحجر !

فهذه ، ومائة من أمثالها ، وكل هذه الدلائل الحارة والباردة ، لم
تنتقص من الأوهام عندك ، أيها البارد !

لقد أطلق العجل خوارا ، فسجدت مسحورا ، وهتفت قائلا : أنت
الهى !

فكأنما طوفان قد جرف اليك تلك الأوهام ، وتغلب النوم على
عقلك البارد .

٢٠٤٥ فكيف لم تستشعر سوء الظن ازاءه ! وكيف سجدت على هذه
الصورة ، أيها القبيح الوجه ؟

ولماذا لم يتطرق اليك خيال عن تزويره^(٢) ، أو عن فساد سحره
الذى يستولى على الأحقق ؟

فمن ذا يكون السامرى - أيها الكلاب - حتى يصوغ في الدنيا
الها ؟

(١) حرفيا : « النهر » .

(٢) المقصود بالضمير هنا هو السامرى الذى أضل بنى اسرائيل ،
ودعاهم الى عبادة العجل . وسيرد ذكره في البيت التالى .

فكيف غدوتم معه قلبا واحدا على هذا التزوير ؟ وكيف غدوتم
عاطلين من كل اشكال حوله ؟

فهل يصبح العجل - بالدجل - جديرا بالألوهية ، في حين أن
نبوة مثلى يقع حولها مائة خلاف ؟

٢٠٥٠ ان الغباء دفعك الى أن تسجد أمام العجل . وغدا عقلك صيدا
لسحر السامري .

لقد سرق عينيك من نور ذى الجلال ما أنت عليه من هذا الجهل
الوافر ، والضلال الحق !

فساء عقلك هذا وساء اختيارك . فمن كان مثلك منجما للجهل
فما أجدره بالقتل !

لقد أطلق العجل الذهبى خواره ، فماذا قال ، حتى تفتقت لدى
الحمقى كل هذه الرغبة ؟

ولقد شهدتم منى الكثير الذى يفوق ذلك عجبا ، ولكن متى كان
كل خسيس يتقبل الحق ؟

٢٠٥٥ فما الذى يجتذب أهل الباطل ؟ انه الباطل . وما الذى يروق
العاطلين ؟ انه العاطل !

ذلك لأن كل جنس يجتذب جنسه . فكيف يتوجه الشور نحو
الأسد الضارى ؟

وأيان يستشعر الذئب عشق يوسف ؟ الا ان كان ذلك عن مكر
يعلله بافتراسه .

فان خلص من طباع الذئاب غدا نديما للأسرار ، ككلب أصحاب
الكهف الذى بلغ مرتبة البشر .

ان أبا بكر - حين تنسم أريج محمد - قال : « ليس هذا الوجه وجه كاذب » .

٢٠٦٠ أما أبو جهل - فهو اذ لم يكن من أصحاب الشجن - فقد رأى انشقاق القمر مائة مرة ، ولم يصدق !
فنحن نخفى الحقيقة عن الملتاع ، الذى افتضح أمره^(١) ، لكنها لا تخفى عليه !

وأما ذلك الذى يكون جاهلا بها ، بعيدا عن ألم هواها ، فكثيرا ما يرشد اليها ، لكنه لا يراها !
فيجب أن تكون مرآة القلب صافية ، لتستطيع أن تميز بين ما ينعكس فيها من صور جميلة ، وأخرى قبيحة .

**كيف قرر ذلك الرجل الناصح ترك المغتر بالدب ،
بعد أن بالغ في نصحه**

ان ذلك المسلم ترك الأبله ، وعاد مسرعا ، وهو يتمتم : « لا حول ولا قوة الا بالله » .

٢٠٦٥ وقال : « ما دام اجتهدى في النصح والجدال ، يزيد تولد الأوهام في قلبه ،

فقد سدّ سبيل الموعظة والنصح ، والله قد أمرنا بالاعراض عنه^(٢) .

(١) حرفيا : « الذى وقع له من السطح طشت » ، وهذه العبارة كناية عن الفضيحة .

(٢) حرفيا : واتصل بنا أمر « أعرض عنهم » وفي البيت اشارة الى قوله تعالى : « فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون » . (السجدة ، ٣٢ : ٣٠) .

فحين يكون دواؤك مما يزيد الداء ، فادخر القصة لمن يكون راغبا فيها ، واقرأ قوله تعالى : « عبس وتولى ^(١) » .

فلئن جاءك الأعمى طالب حق ، فليس يجوز أن تجرح قلبه ، من جراء فقره .

انك — يا محمد — لحريص على رشاد الكبراء ، وذلك لكي يتعلم العوام من سراتهم .

٢٠٧٠ يا أحمد ! لقد رأيت أن جماعة من الأمراء أصغوا اليك ، فسعدت بذلك ،

لعل هؤلاء الرؤساء يصيرون للدين ولالة مؤيدين ، وهم السادة بين العرب والحبش .

ويتجاوز صيت ذلك البصرة وتبوك ، ذلك لأن الناس على دين الملوك .

ولهذا فقد حوَّلت وجهك عن هذا الضرير المهتدى ، وضاق به صدرك .

قائلا : « ان هذه الفرصة قلما يتاح لها هذا الجو ، وأنت من الأصدقاء ، وأمامك فسحة من الوقت .

٢٠٧٥ ولقد زحمتني في هذا الوقت الضيق . واني أسدى لك هذه النصيحة ، لا عن غضب ، ولا خصام » .

يا أحمد ! ان ضريرا واحدا كهذا خير عند الله من مائة قيصر ، ومائة وزير !

فلتذكرن أن الناس معادن ، وأن معدنا واحدا خير من مائة ألف !

(١) انظر : سورة عبس ، ٨٠ : ١ — ٤ .

فمنجم الياقوت والعقيق المستور ، خير من مائة ألف منجم
للنحاس !

يا أحمد . ان المال هنا ليس بذي جدوى . بل لا بد من صدر مليء
بالعشق والألم والآهات .

٢٠٨٠ لقد جاءك أعمى مستنير القلب ، فلا تغلق الباب . وابذل له
النصح فان النصح من حقه .

فلو أن أبلهين أو ثلاثة أصبحوا لك منكرين ، فكيف تصير مرا ، ما
دمت أنت منجم السكر ؟

ولو أن أبلهين أو ثلاثة يلقون عليك التهم ، فان الحق هو شاهدك
الذي يؤيدك .

فقال الرسول : اننى لست أحفل باقرار الخلق بى . فمن كان الحق
له شاهدا فأى غم يعتريه ؟

فلو أن خفاشا وجد ما يلائمه في احدى الشموس ، فقد قام الدليل
على أنها ليست هى الشمس !

٢٠٨٥ فنفرة الخفافيش (منى) قد نهضت دليلا على أنى أنا الشمس
المشرقة الجليلة .

فلو أن جعلا أقبل راغبا على ماء ورد ، فهذا يقوم دليلا على أنه
ليس بماء ورد .

ولو أن نقدا زائفا غدا مقبلا على المحك ، فهذا دليل على أن المحك
يتطرق اليه النقص والشك !

واللص يريد الليل ولا يطلب النهار ، فاعلم ذلك . وأنا لست
الليل ، بل أنا النهار الذى يضىء العالم !

اننى أنا الفارق ، وأنا الفاروق . أنا مثل الغريال ، لا سبيل للقش
الى أن ينفذ خلاله .

٢٠٩٠ اننى أفصل الدقيق عن النخالة ، فأظهر أن هذه هي القشرة ، وذلك
هو اللب (١) .

فأنا في الدنيا مثل ميزان الخالق ، فأنا أميز بها بين كل خفيف
وكل ثقيل .

ان العجل يظن أن الثور هو الاله . فالمشتري (هنا) حمار
والبضاعة لائقة به (٢) !

وأنا لست بثور ، ولا العجل بمقبل على شرائى . أنا لست شوكا
حتى تتخذنى الجمال مرعى .

ان الكافر ليظن أنه قد آذانى بالجور ، ولعله لم يعد اراحة الغبار
عن مرأتى .

كيف تملق احد المجانين جالينوس ، وكيف خاف

جالينوس من ذلك

٢٠٩٥ قال جالينوس لأصحابه : « ليعطنى (واحد منكم) هذا الصنف
من الدواء » .

فقال له أحد هؤلاء : « يا صاحب الفنون ! ان هذا الدواء يطلب

(١) حرفيا : « فأظهر أن هذه هي النقوش وذاك هو النفوس » .
والنقوش رمز لأهل الصورة أما النفوس فهي رمز لأهل المعنى .
(٢) أخطأ الشراح كثيرا في فهم هذا البيت . والمراد بالمشتري هنا
العجل الذى يبحث عن الله ، فيظن أنه الثور . فما دام هذا الباحث غبيا
كالحمار ، فهو لم يستطع ان يتصور كائنا أعظم من الثور .

من أجل الجنون !

وما أبعد هذا عن عقلك ! فلا تعد الى ذكر هذا » . فقال
جالينوس : « لقد تطلع أحد المجانين بوجهه نحوي !
ونظر بلطف الى وجهي برهة من الوقت . وغمز لي بعينه ،
وجذب^(١) كمي !

فلو لم يكن لي تجانس معه ، لما كان هذا القبيح الطلعة يتجه
بوجهه نحوي .

٢١٠٠ ولو لم يشاهد فيّ جنسه ، فكيف كان يقبل نحوي ؟ وكيف
كان يتعلق بمن لم يكن من جنسه ؟ »

فحين يرتبط شخصان معا ، فليس من شك قط أن شيئا مشتركا
يجمعهما .

وكيف يطير طائر مع غير جنسه ؟ ان صحبة غير المجانس معناها
القبر واللحد .

السبب الذي من أجله طار طائر والتمس الغذاء

مع طائر آخر لم يكن من جنسه

قال أحد الحكماء : « لقد رأيت في برية غرابا ولقلا يجريان معا .
فبقيت في عجب من ذلك ، وبحثت حالهما ، لعلني أجد أثرا لما
يربط بينهما .

٢١٠٥ وحينما اقتربت منهما حيران متعجبا ، وجدت أن كليهما كان
أعرج » .

(١) فضلنا رواية « كشيد » في هذا البيت بدلا من « دريد » في نص
نيكولسون .

وأى ارتباط للباز الملكى المتسامى الى العرش ، بيومة عالقة
بمنخفض من الأرض !

فهذا ينتمى الى الشمس في آفاقها العالية ، وأما تلك فليست الا
خفاشا من قرارة سجين !

هذا نور برىء من كل عيب . وأما تلك فعمياء متسولة على كل
باب !

هذا قمر يطاول في تعاليه المشتري . وأما تلك فدودة تغوص بين
البحر .

٢١١٠ هذا يوسفى المحيا ، عيسوى الأنفاس ، وأما تلك فهي ذئبة أو
هى أتان ذات جرس .

هذا قد أصبح محلقا في اللامكان ، وأما تلك فقابعة في الحظائر
مثل الكلاب .

ان الورد يقول — بلسان الحال — للجعل : « أيها التتن الابط !
لئن كنت تفرّ من بستان الورد ، فليس من شك أن نفرتك علامة
على كمال البستان !

ان غيرتى لعصا تضربك فوق رأسك قائلة : « أيها الخسيس .
اذهب بعيدا عن هنا !

٢١١٥ فانك لو اختلطت بى أيها الدنىء ، لوقع الظن بأنك من معدنى .
فالخميلة هي المكان الذى يليق بالبلابل . وخير موطن للجعلان هو
المزابل .

فما دام الحق هو الذى صاننى من القذارة ، فكيف يجوز أنه
يرسل الى القذارة ؟

لقد كان بى عرق واحد منها ، قطعه الله . فكيف السبيل الى أن
ينفذ الى " هذا العرق الخسيس ؟
لقد كانت لآدم علامة منذ الأزل ، أن الملائكة - لمكاته - خرّت
ساجدة له .

٢١٢٠ وعلامة أخرى لآدم أن ابليس لم يسجد له ، قائلا : « انى أنا
الملك ، وأنا الرئيس » .

فلو كان ابليس قد سجد له ، لما كان ذلك آدم ، بل كان شخصا
سواه !

فسيجود كل ملك لآدم كان ميزان (فضله) ، وكذلك كان جحود
كل عدو له برهان (صدقه) .

وكما أن اقرار الملك شاهد له ، فكذلك كفران الكلب الخسيس^(١)
شاهد له !

تتمة قصة اعتماد ذلك المفرور

على تملق الدب

لقد نام الرجل ، وكان الدب يدفع عنه الذباب . لكن الذباب كان
يرجع بعناد .

٢١٢٥ ولقد ذبه بضع مرات عن وجه الشاب ، لكنه سرعان ما كان يعود
اليه .

فصار الدب غاضبا من الذباب ، فمضى ، وأخذ من الجبل حجرا
غليظا ،

(١) « الكلب الخسيس » هنا يقصد به « ابليس » .

وأحضره معه ، فرأى الذباب قد اتخذ مكانه من جديد فوق وجه الرجل النائم .

فرفع حجر الطاحون هذا ، وضرب به الذباب ، لعل الذباب يتراجع وينصرف !

فجعل الحجر وجه الرجل حطاما . ولقد أعلن هذا المثل للناس جميعا :

٢١٣٠ أن حب الأبله هو — على وجه اليقين — مثل حب الدب . فبغض الأبله محبة ، وأما محبته فهي البغضاء !

وعهده واه خرب ضعيف . وكلامه سمين وأما وفاؤه فنحيف ! ولو أنه أقسم لك فلا تصدقه . فالرجل المعوج الكلام يحث في القسم .

وما دام كلامه — من غير قسم — كان كذبا ، فلا يخدعنا مكره وقسمه (١) .

فنفسه هي الحاكمة ، وأما عقله فأسير ! فافترض أنه أقسم مائة ألف مرة على القرآن ،

٢١٣٥ فما دام يحث في العهد — بغير قسم — فهو لو أقسم يحث أيضا في قسمه .

ذلك لأن نفسه تغدو أكثر ثورة من جراء ذلك ، فانك قد قيدتها بالقسم العظيم .

(١) حرفيا : « فلا تقع في اللبن المخض بمكره وقسمه » ، أى لا يجعلناك مكره وخداعه ضحية لغشه فتأخذ اللبن المخض منه على أنه حليب .

فحين يضع أسير قيذا على الحاكم ، فان الحاكم يحطم
القيد ، وينطلق خارجه .

وفي غضب يدق بهذا القيد رأس الأسير ، ويلقى بقسمه في وجهه .
فلتنفض يدك من (استجابته لقوله تعالى) : « أوفوا بالعقود »^(١) .
ولاً تخاطبه (بقوله تعالى) : « احفظوا أيمانكم »^(٢) .

٢١٤٠ وأما ذلك الذي يعرف العهد لمن عاهده ، فانه يجعل من جسده
خيطا ويلتف حول صاحب عهده .

كيف ذهب المصطفى ، عليه السلام ،

لعيادة صحابي مريض ، وبيان فائدة العيادة

مرض أحد أعلام الصحابة ، وأصبح من جراء هذا المرض في نحول
الخيظ .

فتوجه المصطفى لعيادته ، فخلق المصطفى كان كله كرما ولطفا .
ففى ذهابك لعيادة المريض فائدة . وفائدة ذلك عائدة اليك .
فالفائدة الأولى أن ذلك الشخص العليل ، ربما يكون قطبا ، أو
مليكا (روحيا) جليلا .

٢١٤٥ وان لم يكن قطبا ، فلعله يكون رفيقا للطريق . وان لم يكن
مليكا ، فلعله يكون فارس الجيش .

فاعتبر أن من واجبك صلة رفقاء الطريق ، مهما يكن هؤلاء ،
وسواء في ذلك من كان منهم ماشيا أو راكبا .

(١) انظر : سورة المائدة ، ٥ : ١ .

(٢) انظر : سورة المائدة ، ٥ : ٨٩ .

ولئن كان عدوا ، فهذا الاحسان ذاته خير ، وكم من عدو قد غدا
بالاحسان صديقا !

ولئن لم يغد العدو به صديقا ، تناقص حقه ، ذلك لأن الاحسان
يكون بلسما للحقد .

وكم للاحسان من فوائد أخرى غير ذلك ، لكنني خائف من
الاطالة ، أيها الرفيق الطيب .

٢١٥. فالحاصل هو هذا : كن صديقا للجميع ، وكصانع الأصنام
انحت من الحجر صديقا !

ذلك لأن احتشاد القافلة وتجمعها يقصم ظهر قاطع الطريق ، ويحطم
سنائه .

وما دام قلبك ليس بذي عينين أيها العنيد ، الى حدّ أنك لا تميز
بين الحطب والعود ،

فلا تيأس ما دام في العالم كنز . ولا تحسبنّ خربة قط خالية من
الكنز .

ولتقصدن كل درويش جزافا ، فاذا ما وجدت عند أحدهم العلامة ،
قابذل جهدك في ملازمته .

٢١٥٥ وما دمت لم ترزق هذه العين البصيرة بالبوطن ، فلتحسبنّ أن
في كل وجود كنزا .

كيف أوحى الحق تعالى الى موسى ، عليه السلام ،

(قائلا) : « لماذا لم تحضر لعيادتي ؟ »

لقد جاء من الحق الى موسى هذا العتاب : « يا من شهدت طلوع
البدر من جيبك !

يا من جعلتك مشرقا بالنور الالهي ! لقد غدوت - أنا الحق -

مريضا ، فلم تعُدني ! »

فقال موسى : « سبحانك يا من أنت منزّه عن الضر ! ما هذا

الرمز ؟ بينه لي ، يا الهى ! »

فقال الحق : « لماذا لم تسأل عنى في مرضى ، على سبيل الكرم ؟ »

٢١٦٠ فقال موسى : « يا رب ، ان النقص لا يعتريك . لقد ضاع عقلى ،

فاكشف لى سر هذا القول ! »

فقال الحق : « نعم ، ان عبدا لى خاصا مختارا قد مرض . وما هو

الا أنا ، فتأمل جيدا .

فعذره في مرضه عذر لى ، وكذلك مرضه ، انه مرض لى !

فمن أراد أن يكون جليسا لله ، فليجلس في حضرة الأولياء .

فان أنت انقطعت عن حضرة الأولياء ، فانك هالك ، لأنك

- حينذاك - تكون جزءا بدون كل !

٢١٦٥ فكل من فرق الشيطان عن أهل الكرم ، فانه يلقاه - بعد

ذلك - وحيدا ، ويلتهم رأسه .

ان الابتعاد عن الأحباب شبرا واحدا ، ولمدة لحظة واحدة ، لا

يكون الا من مكر الشيطان ، فاعلم ذلك جيدا !

كيف فرق البستاني بين الصوفى والفقير

والعلوى

بينما كان بستانى يتفقد بستانه ، رأى به ثلاثة رجال كأنهم من

الصوص .

وكان أحدهم فقيها ، وثانيهم شريفا ، وثالثهم صوفيا . وكل منهم كان وقحا خبيثا ، عديم الوفاء !
فحدث نفسه قائلا : « ان لى مائة حجة في مواجهة هؤلاء ، لكنهم جمع ، والجماعة قوة .

٢١٧٠ فلن أقدر منفردا على ثلاثة أفراد ، فلأفرق بينهم جميعا في أول الأمر .

لأفصلن الواحد منهم عن الآخرين ، فاذا ما أصبح منفردا اقتلعت شاربته .

فاصطنع حيلة أخرج بها الصوفى الى الطريق ، حتى يفسد ما بينه وبين رفيقيه .

فقال للصوفى : « اذهب الى الدار ، وأحضر بساطا من أجل هذين الرفيقين » .

فلما ذهب الصوفى ، قال البستانى في الخلوة لهذين الرفيقين :
« انك فقيه ، وهذا شريف ذائع الصيت .

٢١٧٥ وانا لنأكل الخبز بفتواك ! بل انا لنحلق بجناح علمك .

وهذا أيضا أميرنا وسلطاننا . انه سيد من أسرة المصطفى !

فمن يكون هذا الصوفى الشره الخسيس ، حتى يكون جليسا لأمثالكما من الملوك ؟

فحينما يجيء فاجعلاه (بضرباتكما) قطنا ! وأقيما أتما سبعة أيام في بستانى وسفحى !

وماذا يكون البستان ؟ ان روحى لكما ، يا من أتما لى بمثابة عيني اليمنى ! »

- ٢١٨٠ لقد وسوس لهما وخدعهما . أواه . ان من الواجب ألا يصبر المرء على (بعد) أصدقائه .
- وحينما أخرج الصوفى الى الطريق ، ومضى ، تعقبه خصمه بعصا غليظة ،
- وقال : « أيها الكلب . أياكون من التصوف أنك تسارع الى دخول بستانى بالرغم منى ؟
- فهل أرشدك الجنيد أو أبو يزيد لهذا الطريق ؟ وعن أى شيخ أو مرشد جاءك هذا ؟ »
- لقد أشبع الصوفى ضربا حينما ألفاه وحيدا . وكاد أن يجهز عليه ، وشج رأسه .
- ٢١٨٥ فقال الصوفى : « ان ما أصابنى قد انقضى ، لكن خذا حذركما جيدا أيها الرفيقان !
- لقد عددتمانى غريبا عنكما ، فتنبها ، فليست بأكثر غربة عنكما من هذا العُتْل .
- وانكما لجديران بشرب ما قد شربته . وان مثل هذه الشربة لجزاء لكل دنىء .
- فهذا العالم كالجبل ، فما رددتماه من القول سوف يرتد اليكما مع رجع الصدى .
- وحينما فرغ البستانى من الصوفى ، فانه — بعد ذلك — اتحل عذرا من النوع ذاته .
- ٢١٩٠ فقال : « أيها الشريف . لتذهب الى الدار ، فانى قد أعددت من أجل الافطار رقاقا .

ولتتهف بقيماز^(١) من باب الدار أن يحضر ذاك الرقاق، والأوزة». فلما أخرجته الى الطريق، قال (لآخر) : «أيها البعيد النظر . انك فقيه . وهذا الأمر ظاهر ويقين !

وان هذا يدعى الشرف ، وهى دعوى باردة . فمن ذا الذى يدري من قد زنى بأمه ؟
فهل تركنون الى المرأة والى فعلها ؟ وهل يعتمد عليها وهى ناقصة العقل ؟

٢١٩٥ لقد ربط نفسه بعلى وبالنبي ، وكم بهذا الزمان من غبي (يصدق قوله) ! «

ان كل من جاء من الزنى ، وكان من الزناة ، فهو يحمل مثل هذا الظن في حق الربانيين !
وكل من غدا رأسه دائرا من دورانه حول نفسه ، يظن أن الدار دائرة مثله !

فهذا الذى قاله ذلك البستانى "الفضولى" ، كان وصف حاله .
فما أبعد هذا عن أولاد الرسول !
فان لم يكن من سلالة المرتدين ، فكيف كان يقول هذا عن أسرة الرسول ؟

٢٢٠٠ وتفوه بخداع أصغى اليه ذلك الفقيه . فمضى الشريف ، وتبعه ذلك الظالم السفیه .

فقال (لشريف) : أيها الحمار . من ذا الذى دعاك الى هذا البستان ؟ وهل بقيت لك السرقة ميراثا عن الرسول ؟

(١) اسم علم .

ان الشبل يجيء شبيها بالأسد ، فمن أى وجه تشبه أنت الرسول؟
خبرنى ! »

فهذا الرجل الملتجئ (الى الحيلة) قد صنع بالشريف ، ما يصنعه
خارجى بآل الرسول !
فكم ذا تحمل الحقد دوما على آل الرسول شياطين* وغيلان* ، من
أمثال شمر ويزيد .

٢٢٠٥ لقد غدا الشريف محطما من ضربات ذلك الظالم . فقال للفقير :
« هأنذا قد قفزت الى خارج الماء .

فأنت أنت الآن ، فانك قد بقيت فردا مفتقرا (للعون) . ولتلق
الضربات فوق بطنك مثل الطبل !

فان لم أكن شريفا ، ولأثقا بك ، وصفيا ، فانى — بالنسبة لك —
لست أسوأ من ذلك الظالم » .

ولقد فرغ البستانى من الشريف ، ثم أقبل قائلا : « أيها الفقيه .
أى فقيه أنت ، يا عار كل سفيه !

فهل فتواك هذه — أيها اللص^(١) — أنك تدخل (بستانى) ولا
تسأل : هل من اذن ؟

٢٢١٠ وهل قرأت هذه الرخصة في الوسيط ؟ أم هل كانت هذه المسألة
في المحيط ؟ »

فقال الفقيه : « الحق معك ، فاضرب . لقد حققت لك الغلبة . وهذا
هو الجزاء لمن افترق عن أصحابه » .

(١) حرفيا : أيها المقطوع اليد .

عود الى قصة المريض ، وعبادة الرسول صلى الله عليه وسلم

ان هذه العبادة كانت من أجل تلك الصلة (الروحية) . وانها لصلة
منطوية على مائة محبة !

فهذا الرسول - الذى لا ندّ له - قد ذهب للعبادة ، فرأى ذلك
الصحابي في حال النزاع .

انك حين تصبح بعيدا عن حضرة الأولياء ، تكون - في الحقيقة -
قد غدوت بعيدا عن الله !

٢٢١٥ فلئن كان الغم يحدث نتيجة لهجر الرفاق ، فهل تكون الفرقة عن وجه
الملوك^(١) أهون من ذلك ؟

فسارع في كل لحظة الى طلب ظل الملوك ، حتى يجعلك هذا
الظل أبهى رواء من الشمس^(٢) !

ولئن كنت مسافرا ، فلتسافر على هذه النية . وان كنت مقيما
فلا تغفل عن ذلك .

كيف قال أحد الشيوخ لأبى يزيد « انى أنا الكعبة فقم بالطواف حولى »

ان شيخ الأمة بايزيد^(٣) كان قد توجه الى مكة مسرعا ، من أجل
الحج والعمرة .

وكان كلما نزل مدينة بدأ بالبحث عن بها من الشيوخ الأعزاء .

(١) الملوك هنا هم الصوفية من ذوى المكانة الروحية الرفيعة .
(٢) حرفيا : « حتى تغدو بهذا الظل أفضل من الشمس » .
(٣) بايزيد ، هو أبو يزيد البسطامي ، الصوفى المعروف (ت ٢٦٠ هـ) .

٢٢٢. لقد كان يتجول سائلا : « من بهذه المدينة ممن استند على أركان

البصيرة ؟

ولقد قال الحق : « حيثما توجهت في سفرك ، فعليك - في أول

الأمر - أن تطلب رجلا » .

فاقصد الى الكنز ، فان هذا الربح وتلك الخسارة يأتياك تبعا .

فلتعهما من المسائل الفرعية .

فكل من يزرع يكون مقصده القمح ، لكنه يحصل على التبن

تبعا لذلك .

ولو أنك زرعت التبن فلن ينبت لك قمحا . ألا فلتبحث عن رجل !

ابحث عن رجل !

٢٢٢٥ فلتقصد الى الكعبة حين يحلّ وقت الحج . فاذا ما أتيت الى

هناك فسترى مكة أيضا .

لقد كان قصد الرسول من المعراج رؤية الحبيب ، فرأى العرش

والملائكة تبعا لذلك .

حكاية

لقد بنى مريد جديد منزلا جديدا ، وجاء الشيخ ليتفقد منزل

تلميذه ،

فقال الشيخ لمريده الجديد ، وذلك ليختبر سداد فكره :

« لأى شىء جعلت له نافذة أيها الرفيق ؟ » فقال المريد : « لينفذ

النور اليه من هذا الطريق » .

٢٢٣. فقال الشيخ : « هذا أمر فرعي » ، والواجب أن تكون حاجتك

اليها لتسمع عن طريقها صوت الأذان » .

لقد فتش أبو يزيد كثيرا في سفره ، لعله يجد رجلا يكون خضر زمانه .

فرأى شيخا ذا قد مقوَّس كالهِلال ، وشهد فيه الجلال ، وكذلك حديث الرجال .

لقد كان ضرير العينين ، وأما قلبه فكان مثل الشمس ! كان مثل فيل شهد في منامه بلاد الهند !

فبينما هو نائم وعينه مغلقة يرى مائة طرب . فاذا ما فتح عينيه لا يرى ذلك . واعجبا !

٢٢٣٥ فكم يتجلى في النوم من أمر عجاب ! ان القلب ليغدو نافذة ابان المنام .

أما ذلك الذى يكون يقظا ويشهد أحلاما طيبة ، فهو عارف . فلتكحل عينيك بترابه !

فجلس أبو يزيد أمامه ، وسأله عن حاله . فوجده درويشا ، وأيضا صاحب عيال .

فقال الشيخ : « الى أين عزمك يا أبا يزيد ؟ والى أى مكان سوف تجرّ متاع الغربة ؟ »

فقال أبو يزيد : « انى قاصد الكعبة عند انبلاج الصبح » . فقال الشيخ : « وماذا تحمل معك من زاد الطريق ؟ »

٢٢٤٠ فقال أبو يزيد : « ان معى مائتى درهم من الفضة ، وها هى ذى مثبتة باحكام في زاوية ردائى » .

فقال الشيخ : « ألا فلتظف حولى سبع مرات ، ولتعدّ هذا أفضل من طواف الحج ! »

ولتضع أمامي تلك الدراهم أيها الجواد . ولتعلم أنك أديت الحج ،
وتم لك المراد !

وأنت قضيت العمرة ، ووجدت حياة الخلود ، وصرت صافيا ،
وتساميت مسرعا نحو الصفاء .

فبحق ذلك الحق الذي شهدته روحك ، انه قد فضلني على بيته .

٢٢٤٥ فمهما كانت الكعبة منزل برّ ، فان خلقتي أيضا منزل سرّ .
فهو منذ خلق الكعبة لم ينزل بها . وأما هذه الدار^(١) فلم ينزل بها
سوى ذلك الحي .

فاذا ما أبصرتني فقد أبصرت الله ، وطوّفت حول كعبة الصدق .
وما دمت لا تعتقد أن الحق بعيد عني ، فان أدائك خدمتي طاعة
وحمد لله !

٢٢٥٠ فافتح عينيك جيدا وانظر الىّ ، حتى ترى نور الحق في البشر .
ولقد أصغى أبو يزيد الى تلك الأسرار ، ووضعها في أذنيه ، كأنها
قرط ذهبي !

ثم انصرف أبو يزيد عن هذا الشيخ وهو في مزيد (من الطاقة
الروحية) ، وفي النهاية وصل الى منتهاها .

كيف علم الرسول - عليه السلام - أن السبب

في مرض ذلك الشخص كان تجاسره في الدعاء

حينما رأى الرسول ذلك المريض ، فانه سرّى بلطف عن ذلك
الرفيق الأليف .

(١) يشير بذلك الى قلبه .

فانبعثت فيه الحياة حينما رأى الرسول . وكأنما تلك اللحظة قد خلقتة .

فقال : « لقد وهبني المرض هذا الحظ السعيد ، فجاء سلطان (الروح) ساعة الصبح عندي !

٢٢٥٥ حتى تعود لى الصحة والعافية ، بقدوم هذا المليك الذى ليست له حاشية . .

فيا لها من سعادة ذلك العناء وتلك العلة والحمى ! وكم هو مبارك ذلك الألم وسهر الدجى !

فها هوذا الحق — بلطفه وكرمه — قد وهبني في الشيخوخة مثل هذا الضنى والسقم .

ولقد وهبني أيضا ألم الظهر ، فلا بد أن أقفز من النوم مسرعا في منتصف الليل .

ان الحق بلطفه قد وهبني هذه الآلام ، حتى لا أنام طول الليل مثل الثور !

٢٢٦٠ وبهذه العلة تفجرت لى رحمة الملوك ، ولزمت جهنم الصمت عن تهديدي . «

ان الألم كنز ، وكم في داخله من الرحمات ! واللب يغدو أكثر نضرة اذا سلخت عنه القشرة .

يا أخى ! ان المكان المظلم البارد ، والصبر على الحزن والوهن والآلام ،

كل أولئك عين ماء الحياة ، وكأس النشوة ، ذلك لأن هذه الأعالى كامنة في المنخفضات !

فهذا الربيع مضمّر في الخريف . والخريف مضمّر في الربيع . فلا
تهرب من ذلك .

٢٢٦٥ فكن رفيقا للشجى ، واسكن الى الوحشة . واطلب العمر الطويل
في موت النفس !

ومهما تقل لك النفس ان هذا المكان قبيح ، فلا تصنع اليها ، فان
دأبها أن تكون ضد (الصلاح) !

ولتخالفها ، فان هذا هو ما قالت به وصية الأنبياء في الدنيا .
وان المشاورة في الأمور لواجبة ، حتى يكون الندم قليلا في
العاقبة .

ولقد قالت الأمة : « ومن ذا الذى نشاوره ؟ » فقال الأنبياء :
« شاوروا العقل (فهو) الامام » .

٢٢٦٥ فقال أحدهم : « فلئن جاء طفل أو امرأة لا تملك رأيا ولا عقلا
مستنيرا ؟ »

قيل : « شاورها ، واعمل بضد ما تقوله لك ، وامض لسبيلك ! »
واعلم أن نفسك كالمرأة ، أو اسوأ منها ! ذلك لأن المرأة جزء
(من الشر) ، وأما النفس فهي كل الشر !

فان أنت شاورت نفسك الأمّارة بالسوء ، فخالف تلك الدنيئة
في كل ما توحى به !

ولو أنها أمرتك بالصلاة وبالصوم فالتفكّر ماكرة ، ولعلها تلد
لك مكرا .

٢٢٦٥ فاذا شاورت نفسك في الأفعال ، فكل ما قالته لك ، فضده هو
الكمال !

فان لم تقدر عليها وعلى حقدها ، فاذهب الى رفيق والزم مخالطته .
فالعقل يكتسب القوة من عقل آخر . وقصب السكر يكتسب
الكمال بقصب السكر .

انى قد رأيت من مكر النفس أشياء ، فهمى التى تسلب بسحرها
كل تمييز !

وهى تقدم لك الوعود نضرة بيديها ، بعد أن تكون قد أخلفتها
آلاف المرات !

٢٢٨٠ فلو امتدّ بك العمر لتبلغ مائة عام ، فانها تتعلل لك كل يوم
بعذر جديد !

وهى تزجى بحرارة وعودها الباردة . انها لساحرة تربط للرجل
رجولته .

ألا فلتحضر يا ضياء الحق ! يا حسام الدين ! فانه — بدونك —
لا ينبت العشب في الأرض الملحة !

فان ستارا قد تدلى من الفلك ، من جراء لعنة قلب جريح .
وليس يدري علاجا لهذا القضاء الا القضاء . فعقل الخلق حائر
ذاهل في قضاء الله .

٢٢٨٥ ان الثعبان الأسود — الذى كان دودة ملقاة على الطريق — قد
أصبح تنينا .

لكن التنين يغدو في يدك عصا ، وكذلك الثعبان ، يا من أنت
روح موسى المنتشى بالمحبة !

فلقد وهبك الله حكم « خذها ولا تخف »^(١) ، وبذلك يغدو

(١) انظر : سورة طه ، ٢٠ : ٢١ .

التنين عصا في يدك .

فهيأ ، أظهر يدك البيضاء ، أيها المليك . واكشف لنا صبحا جديدا
من بين الليالي المظلمة !

ان جحيما قد اشتعل ، فانث عليه سحرك ، يا من أنفاسك أغنى
من أنفاس البحر !

٢٢٩٠ انها (النفس) بحر ماكر ، يبدى قليلا من الزبد . بل هي الجحيم
الذي أبدى بمكر قليلا من اللهب .

وهي تظهر صغيرة أمام عينيك ، حتى تراها ضعيفة ، فيثور
غضبك ،

مثلما ظهر الجيش الكثيف قليل العدد ، أمام عيني الرسول .
فكان أن هاجمه الرسول بدون أن يهاب خطره ، ولو رآه كثيرا
لكان التزم الحذر ازاءه .

لقد كانت هذه عناية (من الله) ، وكنت أهلا لها يا أحمد .
ولولاها لكنت غدوت وجل القواد .

٢٢٩٥ لقد كان الله يهوّن في نظره ونظر أصحابه جهاد الظاهر وجهاد
الباطن .

وذلك لكى يسر له اليسرى ، ولكى لا يحوّل وجهه عن العسرى .
ولقد كان اظهار الأمر له هينا نصرا له ، لأنه كان للحق حبيبا ،
والحق هو الذى علمه الطريق .

أما من لم يكن الحق ظهيرا له في الظفر ، فويل له لو تبدّى له
الأسد الضارى مثل الهرة !

وواها عليه لو ظهرت له المائة من بعيد واحدا ، فيدفعه الغرور الى
أن يخوض الوغى !

٢٣٠. ولهذا فان الله يظهر سيف الرسول وكأنه حربة . ولهذا أيضا

يظهر الأسد الضارى وكأنه هرة .

حتى يرتقى (كل) أحرق في غمار الحرب متجاسرا ، وبهذه الحيلة يوقعهم في مخالفه !

وحتى يقبل كل هؤلاء الحمقى بأقدامهم نحو بيت النار !
انه يظهره لك وكأنه عود من القش ، فتسارع الى تفخه لتزيله من الوجود !

فجدار فان هذه القشة قد اقتلعت جيالا ! لقد جعلت العالم يبكى وبقيت هي ضاحكة !

٢٣٠.٥ انه يبدى ماء النهر وكأنما لا يتجاوز عمقه كعب القدم ، على حين أنه قد أغرق مائة من أمثال عوج بن عنق !

انه يبدى موج الدماء تلا من المسك ! انه يبدى قاع البحر أرضا يابسة !

لقد رأى فرعون الأعمى هذا البحر يبسا ، فاقتحمه بكل شجاعته وقوته .

وهو — حين خاضه — أصبح في قاعه . وكيف تكون عين فرعون بصيرة ؟

ان العين تغدو بصيرة بقاء الحق . وهل يكون الحق نجى " السر " لكل أحرق ؟

٢٣١. ان الأحمق يبصر القند ، فاذا به السم الزعاف ! وهو يرى الطريق ، ولا يكون ما رآه سوى نداء الغول !

أيها الفلك . انك لتسرع في دورائك بفتنة آخر الزمان . ألا

فلتمهلنا بعض الوقت !

انك لخنجر حاد في تهجمك علينا ! بل انك لرمح ملوث بالسموم !
أيها الفلك . تعلم الرفق من رحمة الحق . ولا تنهش بمثل لدغة
الحية قلوب النمال .

فبحق من جعلك دولا با دائرا فوق هذه الدار (الدنيا) ،

٢٣١٥ دُر على صورة أخرى ، وكن رحيمًا بنا ، من قبل أن تستأصل
جذورنا !

بحق أنك كنت مريينا في البداية ، فنت أغصاننا من الماء والتراب !
بل بحق ذلك المليك الذي خلقك صافيا ، وأطلع فيك كل تلك
المشاعل ،

وجعلك هكذا معمورا باقيا ، حتى ظن الدهري انك أزلى !
والشكر (لله) أننا قد عرفنا بدايتك ، فالأنبياء قد أخبرونا بسرك
هذا .

٢٣٢٠ فالآدمي يعلم أن الدار حادثة ، وليس يعلم ذلك العنكبوت
العابث في جوانبها !

وكيف تعلم البعوضة من أي وقت كان البستان ؟ وهى التى
تولد في الربيع ويكون موتها في الشتاء !
والدودة التى تتولد في الخشب وهو واهى الحال ، كيف تعلم
حال الخشب حينما كان غصنا ؟

ولو أن الدودة علمت بماهيته ، لكانت عقلا تبدى على صورة
دودة .

وان العقل ليظهر ذاته في كثير من الألوان ، لكنه يبعد فراسخ

عن هذه الالوان ، كبعد الجن (عن الصور التى تتبدى فيها) .
٢٣٢٥ بل هو أسمى من الملك ، فإىّ مجال هنا للجن ؟ لكنك تطير بجناح
الذباب ، ولهذا فانك تنهاوى في طيرانك !

ومع أن عقلك يطير محلقا نحو العلا ، فان طائر تقليدك يرتعى
في الحضيض .

وما العلم التقليدي الا وبال على أرواحنا . انه عارية ، ونحن قد
ركنا الى أنه علمنا (الحقيقى) .

بل ان من الواجب أن يغدو المرء متجاهلا مثل هذا العقل ، ويجب
عليه — ازاءه — أن يتشبث بالجنون !

فكل ما رأيت فيه تفعا لذاتك ، فاهرب منه ! لتحسّ السم ولتهرق
ماء الحياة !

٢٣٣٠ وكل من يمتدحك كن له معنّقا ! وأقرض الفلّس ربحك ورأس
مالك !

ودع الأمان ، وانزل منزل الخوف ! وتخل عن حسن السمعة وكن
مفتضحا ذائع الصيت !

اننى قد جربت العقل البعيد الفكر . فمن بعد هذا سوف أجعل
نفسى مجنونا !

كيف اعتذر فتى مستهتر لرجل فاضل

انكر عليه زواجه من احدى العاهرات

لقد قال السيد الأجل ذات مساء لذلك المستهتر : « انك قد
تزوجت متعجلا بامرأة فاجرة !

وكان الواجب أن تنبئنى بأمرك ، حتى نزوجك من امرأة ذات عفاف . »

٢٣٣٥ فقال : « اننى قد تزوجت تسع غفيفات صالحات ، فغدون عاهرات ، واضمحل من الحزن بدنى ! فتزوجت هذه العاهرة بدون معرفة بها ، لأرى ماذا يؤول اليه أمرها . اننى كثيرا ما جربت العقل . وانى - بعد هذا - للتمس مغرِسا للجنون ! »

كيف استطاع مستفسر ان يدفع الى الكلام ذلك العظيم ، الذى كان يتظاهر بالجنون

كان أحد الرجال يقول : « انى أريد رجلا عاقلا لكى أشاوره فى احدى المشكلات » . فقال امرؤ له : « ما فى مدينتنا عاقل قط ، سوى هذا الرجل الذى يبدو كالمجنون ! »

٢٣٤٠ ها هوذا فلان ، وقد امتطى عودا من القصب ، وأخذ يعدو به بين الأطفال !

انه صاحب رأى ، (ذكاؤه) جذوة من اللهب ! وقدره (رفيع) كالسما ، وشأنه كالنجوم !

عدالته^(١) قد أصبحت روحا للملائكة المقربين ! لكنه قد احتجب

(١) العدالة من معانى كلمة « فر » ، وقد اخترنا هذا المعنى فى ترجمة البيت .

وراء هذا الجنون ! »

لكن ، لا تحسبن كل مجنون روحا (عاقلا) . لا تسجد للعجل
كما فعل السامري !

فحينما تحدث اليك الولي ، كاشفا لك مائة ألف غيب وسر
خفى ،

٢٣٤٥ فان ذلك الفهم لم يكن لك ، ولا كان لك ذلك العلم . وما كنت
تستطيع — من قبل — أن تميز بين البعر وبين العود !
فاذا ما حجب الولي نفسه بقناع من الجنون ، فكيف تتسنى
لك معرفته ، أيها الأعمى ؟

فلو أنك فتحت عين اليقين ، لأبصرت^(١) بها تحت كل حجر
جنديا (من جنود الله) .

فأمام تلك العين المفتوحة الرشيدة ، يكون كل رداء صوفى
محتضنا كليما .

ان الولي هو الذى يذيع أمر الولي ، ويجعل من يشاء ذا حظ
من ذلك .

٢٣٥٠ وليس يستطيع انسان أن يعرفه بالعقل ، مادام هو قد تظاهر
بالجنون .

فلو أن لصا بصيرا سرق متاع رجل أعمى ، فهل يستطيع الأعمى
أن يتعرف على اللص لو مر بجانبه ؟

ان الأعمى لا يعرف من كان سارقه ، حتى ولو اصطدم به ذلك
اللص العنيد .

(١) حرفيا : فأبصر .

فحين يعض كلب رجلا أعمى مهلهل الثياب ، فأنى له أن يعرف
ذلك الكلب الضارى ؟

كيف تهجم الكلب على السائل الأعمى

كان في أحد الطرقات كلب يتهجم كليث الوغى على سائل أعمى .
٢٣٥٥ فالكلب يتهجم غاضبا على الدراويش ، في حين أن القمر يكتحل
بتراب أقدامهم !

فأصبح الأعمى عاجزا أمام صوت الكلب ومن خشيته . فأقبل
الأعمى على الكلب يزجى له التعظيم !
قائلا : « يا أمير الصيد يا ليث القنص ! ان الحكم لك ، فارفع
يدك عني ! »

فالضرورة قد دفعت ذلك الحكيم أن يغظم ذيل حمار ويلقبه
بالكريم .

ولقد جعلته الضرورة أيضا ، يقول : « ما الذى يعود عليك من
اصطياد نحيف مثلي ؟

٢٣٦٠ ان أمثالك يصطادون حمار الوحش في الفلوات ، وأنت تصيد
الاعمى في الطريق ! ألا ما أسوأ هذا !

ان نظراءك يطلبون حمار الوحش صيدا ، وأنت للكيد تطلب
أعمى في الطريق .

فذلك الكلب العالم هو الذى تصيد حمار الوحش . وأما الكلب
الخبيس فهو الذى تهجم على الأعمى .

والكلب حينما تزود بالعلم ، خلس من الضلال . فهو يتصيد في
الآجام الصيد الحلال .

والكلب - حينما صار عالما - أصبح سريع الوثبات . وهو حين
صار عارفا غدا من أصحاب الكهف !

٢٣٦٥ لقد غدا الكلب عارفا بمن هو أمير الصيد ! فيا الهى ، أى شىء
هو ذلك النور العليم ؟

ولا يكون امتناع المعرفة على الأعمى لأنه بدون عينين . بل لعل
ذلك يكون لانه ثمل بالجهالة !

وليس الاعمى بأكثر من الارض افتقادا للعينين . والارض قد
غدت - بفضل الحق - مبصرة للخصوم !

لقد رأت نور موسى فأظهرت له الاعزاز ! ولقد خسفت قارون ،
(حينما) عرفت قارون !

ولقد رجفت لاهلاك كل دعى^(١) . وفهمت من الحق قوله : « يا
أرض ابلعى ماءك^(٢) » .

٢٣٦٧. فالتراب والماء والهواء والنار ذات الشرر ، كلها ليست بذات خبر
عنا ، لكنها عارفة بالحق !

لكننا - على عكس ذلك - خبيرون بغير الحق ، وأما الحق فلا
خبر لنا عنه ولا عن الكثير من نذره !

فلا جرم أن جملتهن قد « أشفقن منها^(٣) » ، وفتن سعيهن الى
الامتزاج بهذه الحياة .

(١) اشارة الى قصة صالح مع قومه وكيف زلزلت بهم الارض .

(٢) سورة هود ، ١١ : ٤٤ .

(٣) انظر : سورة الاحزاب ، ٣٣ : ٧٢ .

وقلن : « اننا جميعا نافرات من هذه الحياة ، التى يكون المرء فيها حيا ازاء الخلق ، ميتا ازاء الخالق !
والمرء حين ينقطع عن الخلق يكون يتيما . وللأنس بالحق لا بد من قلب سليم .

٢٣٧٥ فحينما يسرق لص متاعا من رجل أعمى ، فان هذا الأعمى يظل يصرخ في عماه .

وما لم يقل له اللص : « انتى أنا اللص الذى سرق منك ، أنا اللص البارع ! »

فكيف يعرف ذلك الأعمى سارقه ، ما دام لا يمتلك نور العين ولا ذاك الضياء ؟

فاذا قال لك ذلك فأحكم الامساك به ، حتى يذكر لك علامات المتاع (المسروق) .

فالجهد الاكبر هو احكام القبض على ذلك اللص حتى يخبرك بما سرق وما حمل .

٢٣٨٠ فهو — أولا — قد سرق منك كحل عينيك . فلئن أخذته منه استرجعت بصرك !

أما متاع الحكمة الذى أضاعه قلبك ، فهو موجود — يقينا — عند أصحاب القلوب .

ان صاحب القلب الأعمى — مهما كان ذا روح وسمع وبصر — لا يعرف اللص الشيطان بآثاره .

فسل عن ذلك أهل القلوب ، ولا تسئل عنه جمادا . فالخلق — بالقياس الى صاحب القلب — مثل الجماد .

لقد اقترب طالب المشورة من ذلك (المتظاهر بالجنون) ، وقال :

« أيها الوالد الذى أصبح طفلا ! أطلعنى على السر ! »

٢٣٨٥ فأجابه قائلا : « تخلص من حلقة الباب ، فليس هذا الباب مفتوحا .

وانصرف اليوم ، فانه ليس يوم الأسرار !

فلو كان للمكان سبيل مع اللامكان ، لكنت كالشيوخ (جالسا

أعلم) فوق دكان ! »

كيف نادى المحتسب ثملا أطاح به السكر ،

ليصحبه الى السجن

وصل المحتسب في منتصف الليل الى أحد الأماكن ، فرأى رجلا

منطرحا ازاء قاعدة جدار .

فقال : « انك لسكران ، فماذا شربت ، خبرنى ! » فأجاب « لقد

شربت مما بهذا الابريق ! »

فقال المحتسب : « فأخبرنى ، ماذا بهذا الابريق ؟ » ، فقال

الرجل : « بقية ما شربت ! » ، فقال المحتسب : « ان هذا

لخفى ! »

٢٣٩٠ وأردف قائلا : « ما هذا الذى شربته ؟ » فقال الرجل : « انه بعض

ما احتواه هذا الابريق !

وتتابع السؤال والجواب في حلقة مفرغة . فوحل المحتسب مثلما

يُوحَل الحمار .

وقال للرجل : تنبه ، ثم قل : آه . فأخذ السكران يردد : هو ، هو .

فقال المحتسب : أقول لك انطق « آه » ، فتتطق « هو » ؟

فقال السكران : اننى سعيد وأما أنت فقد حنى الهم ظهره .
والآه تصدر عن (الاحساس) بالألم أو الحزن أو الظلم . وأما
« هو » ، هتاف السكرارى ، فانه ينبعث من السرور !
٢٣٩٥ فقال المحتسب : « لست أعرف هذا ، فانهض ! انهض ! ولا
تتكلف العرفان^(١) ، ودعك من هذا العناد » .
فقال السكران : « ما شأنك وشأنى ؟ اذهب عنى ! » فقال
المحتسب : « انك سكران ، فانهض ، وأقبل معى الى السجن » .
فقال السكران : « أيها المحتسب ! دعنى وامض لسبيلك ! فمن
ذا الذى يستطيع أن يأخذ رهنا ممن لا يملك الثياب ؟
فلو كانت لى قوة على الذهاب لذهبت الى منزلى ، ولما جرى
هذا بيننا !
ولو أتنى كنت ذا عقل وامكان ، لتبوأى منصة مثل الشيوخ ! »

كيف جر المستفسر ذلك العظيم مرة ثانية الى الكلام ، ليزداد علما بحاله

٢٤٠٠ فقال هذا الطالب : « يا من امتطيت عودا من القصب . سقى
حصانك لحظة نحو هذا الجانب ! »
فركب نحوه قائلا : « هيا ، عجل بالقول ، فان حصانى عنيف ،
حاد الطبع !
سارع حتى لا يضربك الحصان ، وأوضح ما تريد السؤال عنه » .

(١) حرفيا : « لا تنحت العرفان » ، ومعناه : « لا تتصنع العرفان » .

فلم ير السائل مجالا لكى يروح بسر قلبه . فلجأ الى المراوغة ،
وجرّه الى المزاح .

فقال : « أريد أن أتزوج امرأة من هذا الدرب . فأى من نسائه
تليق بمثلى ؟ »

٢٤٠٥ فقال : « ان في العالم ثلاثة أنواع من النساء ، نوعان منهن
عناء ، وأما النوع الثالث فهو كنز الروح !

فاحداهن حين تتزوجها ، تكون كلها لك . وأخرى يكون نصفها
لك ، ونصفها الآخر منفصلا عنك .

وثالثة لا تكون لك قط فاعلم ذلك . والآن ، وقد سمعت ، فتنح
عن طريقى ، فانى منطلق .

والا عاجلك حصانى بركلة تطيح بك ، فلا تنهض منها حتى الأبد ! »
وركب الشيخ منطلقا بين الأطفال . فناداه ذلك الشاب مرة أخرى .

٢٤١٠ قائلا : « أقبل ، واذكر لي تفسير هذا . لقد قلت ان النساء ثلاثة

أنواع ، فاختر (لى من بينهن) » .

فركب نحوه وقال له : « ان البكر التى تخصك ، تكون كلها لك ،
وبها تجد من الغم الخلاص .

والثيب (بلا ولد) يكون لك نصفها . وأما ذات الولد فهذه
لا تكون لك قط .

فما دامت ذات ولد من زوجها الأول ، فان حبها وكل خاطرها
يتوجه اليه .

والآن ابتعد والا سدّ حصانى لك ركلة ، وتلقيت ضربة من
حافر هذا الجواد القوي ! »

٢٤١٥ وأطلق الشيخ صيحات الوجد ثم انطلق ، ونادى الأطفال ليقبلوا
ثانية نحوه .

فناداه ذلك السائل مرة أخرى وقال : « أقبل ، فقد بقى لدى
سؤال ، أيها الملك العظيم ! »

فتوجه ثانية نحوه وقال : أسرع وقل لى ما هذا السؤال ، فان هذا
الطفل قد سرق كرتى من الميدان ! »

فقال السائل : « أيها المليك . ما هذا الوله وما هذا الفعل ، مع
مثل هذا العقل والأدب ؟ ألا ما أعجب ذلك ! »

لقد تجاوزت العقل الكلى في البيان . انك شمس ، فكيف
احتجبت وراء الجنون ؟ »

٢٤٢٠ فقال (الحكيم) : « ان هؤلاء الأوباش قد ارتأوا رأيا ، أن
يجعلونى قاضيا في مدينتهم .

ولقد امتنعت من ذلك ، لكنهم أبوا قائلين : « ليس لدينا عالم
صاحب فن مثلك .

فمع وجودك ، يكون من الحرام والخبيث ، أن يروى الحديث في
مجلس القضاء من هو دونك (علما وعرفانا) !

فالشريعة لا تأذن لنا بأن نختر من لا يساويك مليكا واماما .
فلهذه الضرورة غدوت مثل الأحق المجنون ، لكننى - في
الباطن - بقيت على حالى .

٢٤٢٥ فعقلى كنز ، وأنا الخربة (التى تخفيه) . فلو أننى أظهرت الكنز
لكنت مجنونا !

وما المجنون الا من لم يغد مجنونا . انه ذلك الذى رأى العسس
ولم يذهب الى داره .

ومعرفتي جوهر ، وليست عرضا . فهي ليست ثمنا لكل غرض
(دنيوى) .

انى منجم القند ، بل انا منيت قصب السكر ! فهو ينبت منى ،
وأنا في الوقت ذاته آكل منه !
والعلم يكون تقليديا ، مصطنعا ، عندما يأسى صاحبه لنفور
مستمعيه .

٢٤٣٠ فلئن كان (علم الدين) من أجل الرزق^(١) ، لا من أجل الاستنارة ،
فصاحبه دنىء كطالب علم الدنيا .
فهو طالب علم من أجل العام والخاص ، لا ليجد من هذا العالم
الخلاص .

فهو مثل الفأر جعل كل طرف جحرا ، حينما ردّه عن الباب نور
النهار ، قائلا : « ابتعد » .

فلما لم يكن له سبيل الى المرح والضياء ، فانه قد أخذ يبذل
جهده في تلك الظلمات .

فلو أن الله وهبه جناحين ، جناحي العقل ، لخلص من طبيعة الفأر
وحلّق مثل الطيور !

٢٤٣٥ وان هو لم ينشُد الجناحين بقى تحت الثرى ، بدون أمل في أن
يسلك سبيل السماء^(٢) .

ان علم الكلام الذى لا روح فيه ، يكون متعشقا لوجوه من
يشترونه !

(١) حرفيا : من أجل الحبة . (٢) السماء احد الكواكب النيرة . ويطلق
هذا الاسم عادة على كوكبين يعرفان بالسماكين ، أحدهما في جهة الشمال
والآخر في جهة الجنوب .

ومع أنه وقت البحث فيه يبدو عظيما ، فإنه يغدو مواتا ويمضى ،
حينما لا يجد المشتري !

وأما أنا فمشتريّ هو الله . وهو الذى يرفعنى ، (على مقتضى
قوله) : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ^(١) » .
وثنى دمي هو جمال الحق ذى الجلال . واني لأغتذى من ثمن
دمي بكسب حلال .

٢٤٤٠ فدعك من هؤلاء المشتريين المفلسين ! وأى شراء تقدر عليه قبضة
من الطين !

ولا تأكل الطين ، ولا تكن له مشتريا ولا طالبا ، فأكل الطين يكون
دائما مصفر الوجه (شاحب الطلعة) .
واغتذ بقلبك حتى تكون دائم الشباب ، ويجعل التجلى طلعتك
مثل الأرجوان !

يا رب ، ان هذا العطاء ليس على قدر أعمالنا . فلطفك هذا لائق
بما لك من لطف خفى .

فخذ بيدنا ، وخلصنا من قبضة (وجودنا المادى) ، وارفع الحجاب
بيننا وبينك ، ولا تمزق سترنا .

٢٤٤٥ ثم خلصنا من هذه النفس (الحيوانية) الخبيثة ، فان سكينها
قد بلغ منا العظام .

فمن ذا الذى يرفع هذا القيد المحكم عنا ، أيها المليك الذى لا تاج
له ولا تخت ؟

ومن ذا الذى يستطيع أن يفتح مثل هذا القفل الثقيل ، سوى

(١) التوبة ، ٩ : ١١١ .

فضلك ، أيها الودود !

فلنحوّل رؤوسنا عن أنفسنا متجهين نحوك ، ما دمت أنت أقرب
إلينا من أنفسنا .

وهذا الدعاء أيضا من عطائك وتعليمك ، والا فكيف ينبت بستان
الورد في (رماد) الموقد ؟

٢٤٥٠ وليس سوى إكرامك ما يستطيع أن ينقل الفهم والعقل بين الدم
والأمعاء .

وهذا النور المنساب من قطعتين من الشحم^(١) ، تلاطم أمواجه
السماء !

وقطعة اللحم التي قدّ منها اللسان ، يتدفق سيل الحكمة منها
مثل النهر ،

نحو فجوات تسمى بالآذان ، ومنها إلى بستان الروح ، وثمراته
هي العقول .

وشرع الخالق هو الطريق الأرحب إلى بستان الروح . وكل
بساتين العالم وحدائقه فرع لهذا البستان .

٢٤٥٥ ذلك أصل السعادة ! ذلك نبعها ! فسارع إلى قراءة قوله تعالى :
« تجري من تحتها الأنهار^(٢) » .

تتمة نصح - الرسول عليه السلام - للمريض

قال الرسول لذلك المريض ، عندما ذهب لعيادة هذا الصاحب
العليل ،

(١) العينان .

(٢) سورة البروج ، ٨٥ : ١١ .

« لعلك قد دعوت دعاء ، كان لك بمثابة سمّ زعاف تناولته عن جهل .

فلتذكر أى دعاء هتفت به ، عندما غدوت ثائرا من جرّاء مكر النفس » .

فقال : « انتى لست أذكر ، فاجعل همتك معى ، تعد الى الذاكرة برهة من الزمن » .

٢٤٦٠ ولقد تجلّى في خاطره هذا الدعاء ، بحضور المصطفى ، الذى أفاض عليه من نوره !

فبهمة المصطفى ، معدن النور ، تجلّى أمام خاطره ما كان قد نسيه !

وأشرق من تلك النافذة ، التى تصل بين القلب والقلب ذلك النور الذى يظهر الحق من الباطل .

فقال : « ها هى ذى ذاكرتى قد عادت ، أيها الرسول ! وها هوذا الدعاء الذى هتفت به ، أنا الفضولى !

فحينما أصبحت أسير الاثم ، وأغرقنى ، أخذت أتلحق بالأعشاب ، وكان يجيئنا منك التهديد والوعيد ، منذرا المجرمين بعذاب بالغ شديد ،

فغدوت مضطربا ، ولم تكن لى حيلة ! لقد كان القيد محكما ، لا سبيل الى فتح أقفاله !

ولم يكن هناك مكان للصبر ، ولا سبيل للهرب ، ولا أمل في التوبة ، ولا مجال للعناد !

فأخذت أتأوّه من الحزن مثل هاروت وماروت ، قائلا : يا خالقى !

ان هاروت وماروت قد اختارا بوضوح بشر بابل ، على خطر
(عذاب الآخرة) .

٢٤٧٠ حتى يلقيا هنا عذاب الآخرة ، وانهما لماكران عاقلان ، شبيهان
بالسحرة !

ولقد أحسنا صنعا ، فقد كان ألم الدخان أهون عليهما من عذاب
النار .

فانه لا حدّ لوصف آلام ذلك العالم^(١) ، ولكم يهون أمامه ألم
الدنيا !

وما أسعد من جاهد البدن ، وكان له زاجرا وألزمه العدالة !
ولكى يخلص من عذاب ذلك العالم ، يلزم نفسه بمشقة العبادة .
٢٤٧٥ لقد كنت أقول : يا الهى ! أرسل الىّ هذا العذاب عاجلا في
الدنيا ،

حتى يكون لى فراغ منه في الآخرة ! لقد كنت أطرق الباب بمثل
هذا الرجاء !

وهكذا ظهر بى هذا المرض ، وأصبحت روى لا قرار لها من
الألم .

وهكذا عجزت عن ذكرى وأورادى ، وأصبحت لا أدري بنفسى ،
ولا بالخير والشر !

ولو أنتى لم أر وجهك الآن ، أيها السعيد المبارك النفحات ،
٢٤٨٠ لانطلقت من قيد الحياة انطلاقا كاملا . لقد أضفيت علىّ هذا
العطف بأسلوبك الملكى » .

فقال الرسول : « جذار ، ولا تهتف بهذا الدعاء مرة ثانية ! لا تقتلع نفسك من أصلها وأساسها !

فأية طاقة لك — يا من أنت كالنملة الواهية — حتى يضع فوقك مثل هذا الجبل العالى ؟ »

فقال : « لقد تبت — أيها السلطان — ولن تدفعنى الجرأة بعد ذلك إلى التفوه بجزاف القول !

ان هذه الدنيا تيه ، وأنت لنا مثل موسى ! ونحن من الائم قد بقينا في التيه رهن البلاء !

٢٤٨٥ ونحن تقطع الطريق سنين ، وفي آخر الأمر ، نجد أنفسنا أسارى أول منازلنا !

فلو أن قلب موسى كان راضيا عنا ، لبديت لنا السبيل في التيه ، وتجلت حدودها .

وأما ان كان بالغ النفور منا ، فكيف تصل إلينا موائدنا من السماء ؟

ومتى كانت الينابيع تتفجر من الصخر ؟ أم كيف يكون لأرواحنا أمان في القفار ؟

بل ان النار لتأتينا بدلا من الخوان ! وان اللهب ليدهمنا في هذا المنزل !

٢٤٩٠ فلما أصبح موسى صاحب قلبين ازاء أحوالنا ، فانه حينما يكون خصمنا وحينما يكون صاحبنا ،

فغضبه يشعل النار في متاعنا ، وأما حلمه فيكون درعا لنا في مواجهة البلاء .

وكيف يتحول الغضب أيضا الى حلم ؟ ان هذا أيضا ليس بغريب
على لطفك ، أيها العزيز .

وان مدح الحاضر لمدعاة للخرج ، ولهذا فاني قد تعمدت - على
هذا النحو - ذكر اسم موسى .

والا فكيف يجيز لى موسى أن أذكر أى انسان في حضرتك ؟
٢٤٩٥ وعهدنا يتحطم مائة مرة ، بل وألف مرة ، وأما عهدك فهو ثابت
راسخ كالجبل !

وعهدنا كالقش ضعيف أمام كل ريح ، وأما عهدك فجبل ، بل هو
أقوى (١) من مائة جبل !

فبحق ما لك من قوة على تلويننا ، كن رحيمًا بنا ، يا أمير الألوان !
لقد رأينا أنفسنا ورأينا عارنا ، فلا تزدنا امتحانا ، أيها الملك !
فلعلك بذلك تدع فضائنا الأخرى مستورة ، أيها الكريم
المستعان !

٢٥٠٠ فأنت بدون حدٍّ في الجمال والكمال ، ونحن بدون حد في العوج
والضلال !

فوجه - أيها الكريم - (كمالك) الذي لا يحدّ الى زمرة
اللائم الذين يعانون عوجا لا يحدّ !

هيا ، فان التمزق لم يبق منا سوى خيط واحد . لقد كنا مصرا
(عامرا) فلم يبق منا سوى حائط واحد !

(وتدارك) البقية ! تداركها أيها المولى ، حتى لا تفعم السعادة
روح الشيطان .

وليس ذلك من أجلنا ، بل من أجل اللطف الأول ، فانك به تبحث
عن التائبين .

٢٥٠٥ فلتظهر لنا الرحمة ، مثلما أظهرت قدرتك ، يا من أودعت الرحمت
في اللحم والشحم !

ولئن كان هذا الدعاء يزيدك غضبا ، فلتعلمنا أنت الدعاء ، أيها
العظيم !

مثلما (صنعت) بآدم حين سقط من الجنة ، فوهبته الرجعى ،
فخلص من الشيطان القبيح .

وما الشيطان حتى يتفوق على آدم ، وحتى يغلبه في اللعب على
مثل هذه الرقعة !

ولقد صار كل هذا - في الحقيقة - نفعا لآدم ، كما صارت
الخدعة لعنة على (الشيطان) الحاسد .

٢٥١٠ لقد رأى لعبة واحدة ، لكنه غفل عن مائتى لعبة ، وبهذا دمر
دعائم منزله !

انه - في الليل - قد أشعل النار في مزرعة الآخرين ، فاذا بالريح
تحمل النار الى مزرعته !

ان اللعنة التى أصابت الشيطان كانت حجابا لعينيه ، وبهذا ظن
أن خداعه مضرة لخصمه .

فاللعنة هى التى تجعل المرء متعوج الابصار ، وتصيره حاسدا
مغرورا حقودا ،

حتى أنه لا يعلم أن كل من عمل السوء ، يرتدّ اليه السوء - في
عاقبة الأمر - ويصيبه .

٢٥١٥ انه يبصر جميع اللعب البارة معكوسة ، وبهذا تنقلب وبالا عليه ونقصانا ووكسا !

ذلك لأنه لو أبصر حقيقة نفسه ، لرأى جرحها متهلكا لا يلتئم !
واذ ذاك تشبّ آلامه من جراء هذه الرؤية الباطنية ، ويخرجه ذلك الألم من حجابهِ .

فالأمهات ما لم يشعرن بآلام الوضع ، فان الأطفال لا يجدون سبيلا قط الى أن يولدوا .

فهذه الأمانة (الالهية) مكانها القلب . والقلب حامل بها . وهذه النضائح شبيهة بالقابلة .

٢٥٢٠ وقد تقول القابلة ان المرأة لا تتألم . لكن الألم ضروري . انه هو السبيل أمام الطفل .

والذى يكون بدون ألم قاطع طريق . ذلك لأن الخلو من الألم يجعل المرء يقول : « أنا الله ! »

ان قول « أنا » في غير وقتها لعنة (على قائلها) . وأما قولها في وقتها فرحمة عليه (١) .

فقول المنصور « أنا » كان رحمة محققة ! وأما قول فرعون « أنا » فكان لعنة ، فتأمل ذلك !

فلا جرم أن كل طائر صاح في غير وقته ، يكون قطع رأسه واجبا ، (لضمان صدق) الاعلام .

(١) يقصد بقول « أنا » في غير وقتها ، قولها حين يؤكد الانسان ذاته ، ويظهر غروره . أما « أنا » التي تقال في وقتها ، فهي عند الصوفية قول « أنا » بعد أن يكون قائلها قد افنى ذاته في الله ، ولم يعد لذاته الانسانية وجود منفصل يستشعره امام الخالق .

٢٥٢٥ فما قطع الرأس ؟ انه قتل النفس (الحيوانية) بالجهاد ، وترك القول بتأكيد الذات الانسانية .

فذلك مثل اقتلاعك الابرّة من العقرب ، حتى تظهر هذه بالنجاة من الموت .

وانك لتقتلع أنياب الثعبان المفعمّة بالسّموم حتى ينجو الثعبان من بلاء الرّجم .

وليس يقتل النفس الحيوانية سوى ظل العارف ، فكن وثيق التعلّق بأهداب قاتل النفس هذا !

فان أنت أحكمت التعلّق به ، فذلك توفيق الله . وكلّ قوة تظهر بك ، فتلك اشعاع منه^(١) .

٢٥٣٠ فكن على يقين صادق من قوله تعالى : « وما رميت اذ رميت » . فكل ما تزرعه الروح يكون من روح الروح .

انه الآخذ باليد ، وهو حامل الأعباء . فكن في كلّ لحظة على أمل في تلقى الهامه .

ولا بأس عليك لو طال انتظارك اياه . فأنت قد سميت الممهل وكذلك الآخذ .

وانه ليتأخّر في أخذك برحمته ، لكنه يحكم انزال الرحمة بك . وحضوره يجعلك لا تغيب عنه لحظة واحدة .

وان كنت تريد شرحاً لهذا الوصل والولاء ، فاقرأ — بتفكير ممعن — سورة « الضحى » .

(١) حرفياً : « فتلك من جذبه » .

٢٥٣٥ وان أنت قلت ان كل الشرور منه ، فمتى كان في ذلك نقصان
لفضله ؟

فصنعه للشر يكون أيضا من كماله . واني لذاكر لك مثالا ، أيها
المفضل :

ان نقاشا قد نقش لونين من النقوش ، أحدهما صاف ، والآخر
خال من الصفاء .

لقد نقش صورة يوسف ، والحدود ذات الصور المليحة ، ونقش
صورة العفاريث والأبالسة القباح !

وكلا هذين اللونين من النقوش ناطق بأستاذيته . وليس ذلك القبح
قبحه ، بل انه جوده !

٢٥٤٠ لقد جعل القبيح غاية في قبحه ، وقد أحاطت به كافة ألوان القبح ،
حتى يتضح كمال علمه ، ويحقيق العار بمنكر أستاذيته .

ولو لم يعرف كيف يصنع القبح لكان ناقصا ! ولهذا السبب فانه
هو خلاق الكافر والمخلص !

فالكفر والايمان — من هذا الوجه — شاهدان على ألوهيته ،
وكلاهما له ساجدان !

لكن المؤمن يكون ساجدا طوعا ، ذلك لأنه ملتمس رضى الله
ساع اليه .

٢٥٤٥ وأما الكافر فيكون عابدا الله كرها ، لكن قصده يكون من أجل
متراد آخر .

انه يغمر قلعة السلطان ، لكنه يدعى الامارة فيها !
ولقد أصبح باغيا لتغدو القلعة ملكا له ، لكن القلعة تعود — في
النهاية — الى السلطان .

وأما المؤمن فانه يعمر هذه القلعة من أجل المليك ، لا من أجل الجاه .

ان القبيح يقول : « أيها المليك الذى يخلق القبح ! انك قادر على خلق الجمال والقبح المهين !

٢٥٥- وأما الجميل فيقول : « يا مليك الحسن والبهاء ! لقد جعلتنى نقيًا من العيوب » .

كيف وصى الرسول - عليه السلام - ذلك

المريض ، وعلمه الدعاء

قال الرسول لذلك المريض : « ادع هكذا : يا من تجعل العسير يسيرا !

آتنا في دار دينانا حسن آتنا في دار عقباننا حسن^(١)
واجعل طريقنا لطيفا مثل البستان . انك أنت مقصدنا ، أيها الكريم » .

ان المؤمنين يقولون يوم الحشر : « أيتها الملائكة ! ألم تكن النار طريقا مشتركا ؟

٢٥٥٥ أليس يجب أن يمرّ بها المؤمن والكافر ؟ انا لم نر في هذا الطريق دخانا ولا نارا !

ها هي ذى الجنة وبلاط الأمان ! فأين كان ذلك الممرّ الدنيء ؟ »

(١) هذا البيت عربى في الاصل ، ويتضمن اقتباسا من القرآن الكريم .
انظر : سورة البقرة ، ٢ : ٢٠١ .

فيقول لهم الملائكة : « ان تلك الروضة المخضلة ، التي شاهدتموها
في ذلك المكان أثناء عبوركم ،
كانت هي الجحيم ، ومستقر العذاب الشديد ! ولقد أصبحت لكم
حديقة وبستانا وشجرا !

ذلك لأنكم — ازاء هذه النفس الجهنمية الطباع ، هذه النارية
الكافرة ، الباحثة عن الفتنة —

٢٥٦. قد بذلتم الجهود ، فأصبحت مفعمة بالصفاء ، وأطفأتم نارها في
سبيل الله .

ونار الشهوة التي تقذف باللهب ، صارت — عندكم — روضة
من التقوى ، ونور هداية !

ونار الغضب أيضا قد أصبحت عندكم حلما ! وظلمة الجهل كذلك
قد أصبحت عندكم علما !

ونار الحرص قد صارت عندكم ايثارا ! وهذا الحسد كان مثل
الشوك ، فصار بستان ورد !

فما دمتم أتم قد بادرتهم من قبل الى اطفاء نيران أنفسكم ، في
سبيل الله ،

٢٥٦٥ فقد جعلتم النفس النارية مثل البستان ، وغرستم بها بذور
الوفاء !

وها هي ذى بلابل الذكر والتسييح ، تصدح بالألحان العذبة في
روضتها ، على شاطئ النهر !

انكم قد أجبتهم داعي الحق ، فحملتم بذلك الماء الى جحيم النفس .
وها هو ذا جحيمنا أيضا قد أصبح ازاءكم روضة وحديقة ورد ،
وأوراقا وتغريدا ! «

فما مكافأة الاحسان يا بنى ؟ انها اللطف والاحسان والثواب
المعتبر .

٢٥٧. ألتئم أتم الذين قاتم : « ان (وجودنا الذاتى) ضحية مبذولة
للخالق (١) ، ونحن الفانون أمام صفات البقاء !
ومهما كنن عقلاء أو مجانين ، فانا سكارى ذلك الساقى وتلك
الكأس .

وانا لشحنى الرءوس لأرادته ومشيتته . ونهب الأرواح الحلوة
رهننا (لمحبه) .

فما دام خيال الحبيب نجى أسرارنا ، فدأبنا أن نكون خداما له
ونقدم اليه أرواحنا .

فحيثما أشتعلت شمعة البلاء احترقت بها مائة ألف من أرواح
العشاق .

٢٥٧٥ فالعاشقون الذين وصلوا الى داخل الدار هم الفراش لشمع
وجه الحبيب .

أيها القلب ! توجه الى حيث تقابل بالاشراق ، الى من يكونون
لك كالمجن في مواجهة البلاء !

الى من يفسحون لك مكانا في أرواحهم ، حتى يجعلوك مفعما
بالحمية مثل الكأس !

ولتتخذ لك مقرا بين أرواحهم ! ألا فلتجعل الفلك منزلك ، أيها
البذر المثير !

(١) ترجمنا الشطر الاول بشيء من التصرف .

ولسوف يفتحون أمامك دفتر القلب ، مثل عطار د ، حتى يكشفوا
لك الأسرار .

٢٥٨- وحين تكون حائرا ، فالتحق بذويك . ولئن كنت قطعة من القمر
فالتحق بالبدر .

فلماذا يكون للجزء اجتناب لكه ؟ وماذا يكون كل هذا الامتزاج
بالمخالفين ؟

فتأمل كيف أصبح الجنس في مسيره أنواعا . وتأمل كيف أصبحت
المغيبات بتجليها أعيانا .

فالى متى تشتري الخداع كالنساء ، أيها الخالي من الرشد ؟
وكيف تتلقى المدد من الكذب والخداع ؟

انك لتأخذ الملق واللفظ الحلو والخداع ، وتضعها بجيبك كأنما
هى ذهب !

٢٥٨٥ وان (تلقيك) الشتم والضرب من ملوك (الروح) لخير لك من
ملق أهل الضلال !

فتقبل صفع هؤلاء الملوك ، ولا تقبل شهد الأخسَاء ، حتى
يجعلك رجلا اقبال هؤلاء الرجال .

ذلك لأن الدولة والخلة تجيئك من هؤلاء . فالجسد يغدو في
كنف الروح روحا .

وحيثما رأيت عاريا جائعا ، فاعلم أنه قد هرب من الأستاذ ،
حتى يغدو على ذلك النحو الذى يبتغيه قلبه ، ذلك القلب
الكفيف الشرير الذى لا حاصل له !

٢٥٩- ولو أنه غدا على هذا النحو الذى أراده أستاذه ، لآزدانت بذلك

نفسه وغدا زينة لذويه !

فكل من يهرب من الأستاذ في الدنيا ، فاعلم أنه انما يهرب من
السعادة !

لقد تعلمت حرفة يتكسب بها البدن ، فشمّر عن ساعدك وتعلّم
حرفة دينية^(١) .

انك قد غدوت في هذه الدنيا غنيا رافلا في الحلل ، فماذا أنت
فاعل حين تخرج منها ؟

فتعلم الحرفة التى تعود عليك في الآخرة بدخل ، هو كسب المغفرة !
٢٥٩٥ فذلك العالم (الآخر) مدينة حافلة بالأسواق والكسب ، فلا تظن
أن الكسب وقف على هذه الدنيا !

فالحق تعالى قال ان كسب الدنيا - أمام ذلك الكسب
(الأخرى) - كلعب الأطفال .

انه كمعانقة طفل لطفل آخر ، يلتصق به التصاق المتحايين .
أو كالأطفال حينما يقيمون في لعبهم دكانا ، لا جدوى منه الا
قضاء الوقت !

فاذا ما جاء المساء فان الطفل (صاحب الدكان) يعود الى منزله
جائعا ، وقد ذهب الأطفال وتركوه وحيدا .

٢٦٠٠ فهذه الدنيا ملعب ، والموت هو المساء . وأنت تعود منها خالى
الكيس بالغ العناء .

وكسب الدين هو العشق ، والجذب الباطنى . انه القابلية لتلقى
نور الحق ، أيها الحرون .

(١) حرفيا : فادفع قبضتك الى احدى الحرف الدينية .

وهذه النفس الخسيسة تريد لك الكسب الثماني ! فالأم تعمل لهذا
الكسب الخسيس ؟ ألا فلتدبه ، كماك !
ولو أن النفس الخسيسة التمت لك الكسب الشريف لكان لها
من وراء ذلك حيلة ومكر !

كيف أيقظ إبليس معاوية - رضي الله عنه -

قائلا : « قم ، فقد حان وقت الصلاة »

لقد جاء في الخبر أن معاوية كان نائما في إحدى زوايا القصر .
٢٦٠٥ وكان باب القصر مغلقا من الداخل ، ذلك لأنه كان متعبا من
لقاء الناس .

فأيقظه - على غير توقع منه - أحد الرجال . فلما فتح عينيه
اختفى ذلك الرجل !

فحدث نفسه قائلا : « انه لم يكن لأحد سبيل إلى القصر . فمن
ذا الذي أظهر هذا التوقع والجرأة !

ودار في القصر منتبها حينذاك ، لعله يجد أثرا لذلك المختفي .
فرأى وراء الباب رجلا تعس الصورة ، كان يحجب وجهه بالباب
والستار .

٢٦١٠ فقال : « يا هذا ، من أنت وما اسمك ؟ » . فقال : « ابن اسمي
- بصريح القول - إبليس الشقي ! »

فقال معاوية : « فلماذا سعيت إلى إيقاظي ؟ ألا فلتقل الصدق ، ولا
تخاطبني بعكس ذلك ، وضده .

كيف غش إبليس معاوية ، وتظاهر بغير
الحق ، والتمس الذرائع ، وكيف أجابه
معاوية

فقال إبليس : « ان ميقات الصلاة قد أوشك على الانتهاء . فيجب عليك أن تهرع مسرعا الى المسجد !

فالمصطفى ب حينما كان ينظم دير المعاني ب قال : « عجلوا الطاعات قبل الفوت » .

فقال معاوية : « كلا ! كلا ! فليس يكون من مقاصدك أن تكون مرشدي الى الخير .

٢٦١٥ فلبن دخل لص مسكني في الخفاء ، ثم قال لي : اني أقبوم هنا بالحراسة ،

فمن أين لي أن أصدق هذا اللص ؟ وأني للص أن يعرف المشوبة ، وحسن الجزاء ؟ »

كيف عاد إبليس الى جواب معاوية

فقال إبليس : « لقد كنت في بداية أمري مكيكا . وما أكثر ما سلكت بالروح سبيل الطاعة !

لقد كنت أمين سر السالكين بهذا الطريق . كما أنني كنت رفيقا لسكان العرش !

(١) حرفيا : « كيف أوقع إبليس معاوية من فوق حماره » ، وهذا كناية عن الغش والخداع .

فكيف يخرج من قلب الانسان شغله الأول ؟ وكيف يفترق عن
فؤاده أول حب ؟

٢٦٢٠ ولو أنك شهدت في سفرك بلاد الروم أو الختن ، فكيف يذهب
من قلبك حب الوطن ؟

لقد كنت أنا أيضا من سكارى هذه الخمر ! وكنت في حضرة من
العشاق !

واننى قد استقبلت الحياة على محبته ، كما أن عشقه كان قد
غرس في روحي !

ولقد لقيت من الزمان أياما طيبة ، كما أننى احتسيت مياه الرحمة
ابان ربيعى .

ألم تكن يد فضله هى التى غرستنى ؟ أليس هو الذى قد
أخرجنى من العدم ؟

٢٦٢٥ وما أكثر ما كنت قد شهدت من ألطافه ! ولكم تجولت في بستان
رضاه !

انه كان يضع فوق رأسى يد رحمته . وكم كان يفيض بنايع
اللطف منى !

وفي وقت طفولتى ، حينما كنت رضيعا ، من ذا الذى كان يهز
مهدى ؟ انه هو !

وأيان كان لى حليب أحسياه غير حليبه ؟ ومن ذا الذى رعانى غير
تديره ؟

وكيف يمكن أن تتفصل عن المرء تلك الخليقة التى دخلت كيانه
مع الحليب ؟

٢٦٣. فلئن كان بحر الكرم قد عاتبني ، فمتى كانت توصل أبواب كرمه ؟
فأصل نقده عطاء ولطف وسخاء ، وما القهر فوق أولئك الا كالغبار
الذي يغشى النقد .

وهو قد خلق العالم من أجل اظهار لطفه . وشمسته هي التي
لاطفت بأشعتها الذرات .

فلئن كانت الفرقة عنه منطوية على قهره^(١) ، فما ذلك الا لكي
يتعرف قدره وصله !

فان فراقه هو الذي يعرك أذن الروح ، واذ ذاك تعرف قدر أيام
الوصال .

٢٦٣٥ ولقد روى الرسول ، أن الحق تعالى قال : كان الاحسان هو
قصدي من الخلق .

لقد خلقت الخلق لكي يفيدوا من نوالي ، لكي يغمسوا أيديهم
في شهدي .

وليس لكي أفيد منهم ربعا ، أو لأتزع من العاري قباء .
فهاأنذا قد بقي بصرى متعلقا بوجهه الجميل ، خلال تلك الأيام
القليلة التي أبعدت فيها .

فيا له من عجب أن يصدر مثل هذا القهر ، عن مثل هذا الوجه !
لقد أصبح كل انسان (من جراء هذا) مشغولا بالسبب !

٢٦٤. واني لا أنظر الى السبب ، فان ذلك السبب حادث ، والحادث
يكون باعثا لحادث آخر .

وانما أنا أنظر الى لطفه السابق . وأما ما هو حادث فاني أحطمه^(٢).

(١) حرفيا : « حبلى بقهره » .

(٢) حرفيا : « أشقه نصفين » .

فمع تسليمي بأن الابتغاء من السجود لأدم كان من جراء
الحسد ، فإن هذا الحسد قد انبعث من العشق ، لا من الجحود !
ومن اليقين أن كل حسد ينبعث من انحب ، فأنحب يخشى أن
يغدو الغير جليسا للحبيب .

والغيرة الناضجة هي شريطة المحبة ، كما اشترط قولك « طال
عمرك » لمن عطس .

٢٦٤٥ انني لم يكن أمامي سوى هذه اللعبة فوق رقعة لعبه ، وقد
أمرني بأن ألعب ، فماذا أعرف أكثر من ذلك ؟
فلعبت تلك اللعبة الوحيدة التي بقيت ، وبهذا ألقيت بنفسي في
البلاء !

واني — في البلاء أيضا — لأنهل من لذائذه ، وألقا أمامه المنهزم
المخدول المقهور !

وكيف يستطيع المرء أن يخلص نفسه — أيها الفضال — في ست
جهات من ستة أبواب !

وكيف يتخلص جزء الستة من كلها ، وبخاصة إذا كان الخالق
— الذي لا شبيه له — قد جعله أعوج !

٢٦٥٠ فكل من كان داخل الستة ، فهو في داخل النار . ولا مخلص له
منها الا خالقها .

فلئن كان كفرا أو كان إيمانا ، فهو من نسج يد الحضرة ، وهو
ملك لها .

فقال الأمير : « ان هذه أمور صحيحة ، ولكنك تفتقر الى نصيب منها .

انك أغلقت السبيل أمام عشرات الآلاف من أمثالي ! لقد أحدثت حفرة تسلبت منها الى بيت المال ؛

فأنت النار والنفط ! وانك لتحرق ، ولا حيلة لك في ذلك ! ومن ذا الذي لم تمزق يدك له ثيابه ؟

٢٦٥٥ فما دام الاحراق هو طبيعتك مثل النار ، فلا مناص لك من أن تحرق شيئا .

ان لعنة الله هي التي جعلتك تحرق ، وهي التي جعلتك أستاذا لكافة اللصوص .

لقد تحدثت الى الله واستمعت منه وجها لوجه . فمن أكون أنا أمام مكرك أيها العدو !

فمعارفك هذه شبيهة بصوت الصفيير . فهذا نداء للطيور ، لكنه — (في الحقيقة) — شرك لها .

وصفييرك هنا قد أضل آلاف البطيور ، فكان كل منها ينخدع فيظن أن صديقا قد أقبل .

٢٦٦٠ فهو حين استمع في الهواء صوت الصفيير ، نزل من الهواء فأصبح هنا أسيرا !

ان قوم نوح نفى نواح من جراء مكرك ! فأما قلوبهم فمحترقة ، وأما صدورهم فممزقة !

ولقد أسلمت عادة للريح في هذه الدنيا ، وألقيت بها الى العذاب والأحزان .

ورجم قوم لوط بالحجارة كان من جرائمك ! وبسببك أيضا غرقوا في المياه السوداء !

ومن جرائمك أيضا تبدد ذهن النمرود ، يا من أثرت الآلاف من الفتن !

٢٦٦٥ وعقل فرعون الذكيّ الفيلسوف ، أصبح من جرائمك أعمى ، ولم يجد الى الفهم سبيلا !

وأنت الذى جعلت أبا لهب فاقد الأهلية . وأنت الذى غدا أبو الحكم — من جرائمك — أبا جهل !

يا من قهرت — للذكرى — آلاف الأساتذة فوق هذا الشطرنج !
يا من بألعابك البارة المستغلة ، قد احترقت القلوب ، واصطبغ بالسواد قلبك !

انك بحر المكر ، وما الخلائق الا قطرة ! بل انك أنت الجبل ، وما هؤلاء البسطاء الا ذرة !

٢٦٧٠ فمن ذا الذى ينجو من مكرك أيها الخصم ! اننا جميعا غريقو طوفانك ، الا من عصم .

فكم من نجم سعد قد جعلته محترقا ! وكم من جيش وكم من جمع غدا بك مشتتا مفترقا ! «

كيف عاد ابليس الى جواب معاوية

فقال له ابليس : « ألا فلتحل هذه العقدة ! اننى أنا المحك للنقد الزائف والصحيح !

فالحق هو الذى جعلنى فيصلا بين الأسد والكلب . والحق هو
الذى جعلنى فيصلا بين صحيح النقد وزائفه .
ومتى كنت أنا الذى جعل الزائف أسود الوجه ؟ اننى أنا الصيرفى
الذى حدد قيمته .

٢٦٧٥ أنا الذى يظهر السبيل للطيبين . وأنا الذى يستأصل ذابل
الأغصان .

فلماذا أضع أمام الخلق هذه الألوان من العلف ؟ لكى يتضح لى
الى أى جنس ينتمى الحيوان !
فلو أن ذئبة ولدت صغيرا لغزال ، ووقع الشك حول الصغير ،
وهل ينتمى الى الذئب أو الغزلان ،
فانشر أمامه أعشابا وعظاما ، ثم انظر الى أى جانب يخطو مسرعا !
فلو أنه اتجه نحو العظام فهو كلب ! ولئن طلب العشب فهو
ينتمى يقينا الى الغزلان !

٢٦٨٠ ان القهر واللفظ قد اقترن كل منهما بالآخر ، فولد من كليهما
عالم الخير والشر .

فلتقدم للخلق الأعشاب والعظام ، ولتعرض عليهم قوت النفس
وقوت الروح ،

فمن طلب غذاء النفس فهو أبتى ، وأما من طلب غذاء الروح فهو
سيد نبيل .

ومن سعى الى خدمة الجسد فهو حمار ، ومن ذهب الى بحر
الروح ظفر بالجواهر .

ومع أن الخير والشر مختلفان ، فانهما معا مشتغلان بعمل واحد .

٢٦٨٥ فالأنبياء يعرضون (على البشر) الطاعات ، وأما الأعداء
فيرضون عليهم الشهوات .

وكيف أجعل من الخير شريراً ؟ اننى لست الها ، ان أنا الا داع ،
ولست خالقا لهما .

وهل أجعل من الجميل قبيحا ؟ اننى لست ربا . وما أنا الا مرآة
للقبح والجمال .

ان الألم قد دفع الهندي الى أن يحرق المرأة (مدعيا) أن هذه
تظهر الرجل أسود الوجه !

ولقد خلقنى الله كاشفا ، ناطقا بالصدق ، وذلك لأبين أين يكون
القبيح ، وأين الجميل !

٢٦٩٠ اننى لست الا شاهدا ، وأنى يليق السجن بالشاهد ؟ فلست أهلا
للسجن ، والله شاهدى على ذلك !

فحيثما أبصر غصنا مثمرا ، فأنى أقوم برعايته كأنتى الحاضن
(المربى) .

وحيثما أرى شجرة مرة ذاوية ، فأنى أقتلعها ، لكى يخلص المسك
من البعر .

ان الشجرة الذابلة تقول للبستاني : « أيها الفتى ! لماذا تحتز
رأسى بغير خطأ منى ؟ »

فيجيبها البستاني قائلا : « الزمى الصمت أيتها الخسيسة الطبع !
أوليس ذبولك جرما كافيا لك ؟ »

٢٦٩٥ فتقول الشجرة الذابلة : « اننى مستقيمة ، ولست معوجة .
فلماذا تستأصل — بدون ذنب — جذورى ؟ »

فيجيبها البستاني قائلا : « لو أنك كنت سعيدة الطالع ، فليتك
كنت معوجة ؟ وكنت ندية (في الوقت ذاته) !
اذن لغدوت جاذبة لماء الحياة ، ولأصبحت مغمورة بهذا الماء !
ان بذرتك كانت خسيصة ، وكذلك أصلك ، ولم يكن لك ارتباط
بشجرة طيبة .
ولو أن غصنا مريرا واصل بآخر حلو ، لتسللت الى طبيعته تلك
الحلاوة » .

كيف عنف معاوية ابليس

٢٧٠٠ فقال معاوية : « حسبك جدالا يا قاطع الطريق . فلا سبيل لك
الى " ، فلا تنشد ذلك السبيل !
انك قاطع طريق ، وأنا غريب ، وتاجر . فكيف أشتري منك
ما تحضره من ثياب ؟
فلا تذر حول متاعى بدافع من كبرك . فانك لست تشتري متاع
انسان .
فقاطع الطريق لا يكون مشتريا قط من انسان . ولو أنه اتخذ مظهر
المشتري لكان ذلك مكررا وخداعا .
فما الذى يحمله الى " في وعائه هذا الحسود ؟ يا الهى ! انك
مغيثنا من هذا العدو !
٢٧٠٥ فهذا اللص لو تلا غلى " فضلا آخر (من خداعه) ، لسلب منى
شعار دينى !

كيف شكّا معاوية ابليس الى الحق تعالى

والتمس منه النصرة

ان حديثه - يا الهى - مثل الدخان ، فخذ بيدي ، والا غدوت
ملتحفا بالسواد .

اننى لا أستطيع أن أطاول بالحجة ابليس ، ذلك لأنه فتنة كل
شريف وكل خسيس .

فآدم - وهو أمير علم الأسماء - لا قوة له أمام هذا الكلب الذى
ينقض كالبرق !

فقد أسقطه من الجنة الى وجه الثرى . لقد وقع آدم من السماء
في شص ابليس ، كما تقع السمكة !

٢٧١٠ وكان ينوح : « انا ظلمنا أنفسنا » ، فليس هناك حدّ لقصة
الشيطان ، وخداعه .

ففي باطن كل حديث له شر ، وفيه مائة ألف سحر مضر !
انه يربط رجولة الرجال في لحظة واحدة ، كما أنه يلهب بالهوس
نفوس النساء والرجال !

فيا ابليس ! يا حارق الخلق ، يا طالب الفتنة ! لماذا أيقظتنى ؟
خبّرنى بصدق ! »

عودة ابليس الى تقرير خداعه

فقال ابليس : « ان الرجل السىء الظن لا يستمع الى الصدق
ولو كانت له مائة علامة !

٢٧١٥ فكل فؤاد أصبح متفكرا بالخيال ، يزداد خياله كلما أتته بدليل !

فحينما يدخله الكلام يصير علة ، مثل سيف الغازي حين يصبح
سلاحا للشارق .
فمثل هذا يثرد عليه بالسكوت والسكون . ذلك لأن التحدث الى
فاقد العقل جنون !
فلماذا تضرع الى الحق منى ، أيها الغرّ ! اضرع اليه من شر تلك
النفس اللثيمة !
انك تأكل الحلوى ، فيتولد لك دمل منها . وتغشاك الحمى ثم
يختل طبعك .
٢٧٢- فتلعن ابليس بدون اثم ارتكبه . فكيف لا تبصر هذا الخداع في
نفسك ؟
فليس من ذنب ابليس ، بل من ذنبك - أيها الغوى - أنك
كالثعلب ، تعدو وراء أذنان الخراف الدسمة !
فحيثما رأيت بين الخضرة ذنبا ، أصبح لك شركا ، فلماذا لا تدرك
هذا ؟
انك لا تدري ، لأن ميلك لشحم الذنب قد أقصاك عن المعرفة ،
وأعمى بصرك وبصيرتك .
حبك الأشياء يعميك يصمّ نفسك السودا جنت لا تختصم^(١)
٢٧٣- فلا تطرح اثمك فوقى ، ولا تبصر الأمور معكوسة . فاني برىء
من الشر والحرص والضعينة !
لقد اقترفت الاثم ، ولكننى الآن نادم . وانى لمنتظر أن ينبثق من
ليلى النهار .

(١) هذا البيت عربى في الأصل .

لقد غدوت متهما بين الخلق ، فنسب الرجال والنساء الى " أفعالهم !
فالذئب المسكين يكون جائعا ، ومع ذلك ، يتهم بالوفرة وازدهار
الحال .

وحينما يجعله الضعف غير قادر على السير في الطريق ، يقول
الخلق : انها التخمة من جراء دسم الطعام ! »

كيف عاود معاوية الالحاح على ابليس

٢٧٣. فقال معاوية : « ليس سوى الصدق ما يخلصك . ان العدالة
تدعوك الى (قول) الصدق .

فلتقل الصدق ، حتى تنجو من قبضتي . ان المكر لن يهدي غبار
قتالي ! »

فقال ابليس : « وكيف تعرف الصدق من الكذب ، أيها المتفكر
بالخيال ، المفعم بالأوهام ! »

فقال معاوية : « ان الرسول قد أعطى علامة لذلك ، ووضع محكا
لتمييز الزائف من الصحيح .

فقال (ما معناه) : ان الكذب ريبة في القلوب ، وأما الصدق فهو
لها طمأنينة وبهجة^(١) .

٢٧٣٥ فالقلب لا يستريح الى كاذب القول . ان الماء والزيت لا يشعلان
قط سراجا .

(١) روى عن الحسن بن علي أنه قال : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ،
فان الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة » . (المنهج القوي ، ج ٢ ، ص ٥٤٢) .
ولم اعثر على نص الحديث الذي يشير اليه الشاعر .

وأما حديث الصدق ففيه راحة للقلب . فالحقائق هي الحب ، في الشباك التي تأسر القلوب .

فالقلب الذي لا يميز بين طعم هذا وذاك ، هو حقا قلب مريض ، أو مرّ الفم !

وحينما يغدو القلب بريئا من المرض والعلة ، فانه يصير عليما بطعم الكذب ، وطعم الصدق .

فأدم — عندما ازداد عنده الحرص على القمح — سلب ذلك منه سلامة القلب !

٢٧٤٠ فأصغى الى كذبك وخداعك ، واغترّ بهما ، فشرب السم القاتل . فلم يميز في تلك اللحظة بين العقرب والسنبلة ، فالتمييز يطير ممن سكر بالهوس .

وان الخلق لسكارى بالأمل والهوى ، ولهذا يكونون متقبليين لخداعك !

فكل من خلص نفسه من ميل الهوى ، فقد جعل عينه أليفة للأسرار .

كيف شكا القاضى من آفة القضاء

وكيف أجابه نائبه

ولّى أحد القضاة ، فأخذ في البكاء ! فقال نائبه : « أيها القاضى ! لماذا تبكى ؟

٢٧٤٥ فليس هذا وقت بكائك وانتحابك . انه وقت سرورك وتلقيك التهاني ! »

فقال القاضى : « أواه . كيف يسوق الحكم — بلا قلب — جاهل
يحكم بين عالمين !

فكل من هذين المختصمين واقف على حقيقة حاله . فما الذى يعرفه
القاضى المسكين عن هاتين العقدتين ؟

انه جاهل بحال كل من المتنازعين ، غافل عنه ، فكيف يتقدم للحكم
في دمائهما ومالهما ؟ »

فقال النائب : « ان الخصمين عالمان ، لكنهما معتلان ! وأما أنت
فجاهل ، ولكنك نور الملة !

٢٧٥- ذلك لأنك لا تقف في سبيلك علة ، وهذه البراءة من العلة نور
للعينين !

وأما هذان العالمان فقد أعماههما الغرض . فالعلة قد ذهبت بعلمهما
الى القبر !

فالبراءة من العلة تجعل الجهل علما ! والعلة تجعل العلم معوجا
ظالما !

فما دمت لا تأخذ الرشوة فأنت بصير ! فاذا مارست الطمع ، فأنت
ضرير مستعبد !

وانى قد انحرفت بخلقى عن الهوى ، وأقللت من تناول لقم
الشهوات .

٢٧٥٥ فأصبحت حاسة التذوق القلبى عندى مقترنة بالنور ، فهى تميز
بحق بين الصدق والكذب .

كيف حمل معاوية ابليس على الاقرار

« لماذا أيقظتني ؟ انك عدوٌ لليقظة ، أيها المخادع !
انك مثل الخشخاش تجلب النوم للجميع ! بل انك مثل الخمر ،
تذهب بالعقل والمعرفة !
هأنذا قد صلبتك . فحذار ، ولتقل الصدق . اننى أعرف الحقيقة ،
فلا تلتبس الحيلة !
انى لا أتوقع من انسان الا ما يكون عنده ، في طبعه ، وخليقته .
٢٧٦٠ فأنا لا ألتبس السكر من الخل ! أنا لا آخذ المختل ليكون
جنديا !
ولست كالكفار ، أنشد من الصنم أن يكون الها ، أو أن يكون
آية من الله .
كما أننى لا أطلب من البعر رائحة المسك ، ولا التمس اللبنة
الجافة من ماء النهر .
(ولهذا) فأننى لا أتوقع من الشيطان — وهو العدو المخالف —
أنه يوقظنى للخير » .

كيف أفصح ابليس عن مكنون فكره لمعاوية

لقد نطق ابليس بكثير من المكر والغدر ، لكن الأمير لم يستمع
اليه ، واعتصم بالمقاومة والصبر .
٢٧٦٥ فنطق الشيطان من تحت أسنانه ، قائلاً : فلتعلم — يا فلان —
أننى أيقظتك من أجل ذلك :

حتى تلتحق بالجماعة في الصلاة ، وراء النبي ، صاحب المقام
العالي .

فلو أنك ذهبت للصلاة بعد فوات وقتها ، لأصبحت هذه الدنيا
أمامك مظلمة ، معدومة الضياء ،

ولكانت دموع الأسى والألم تنهمر من عينيك ، كالماء من القرب .
وكل انسان استشعر مذاقا للطاعة ، فمن اليقين أنه لا يصبر عنها
ساعة .

٢٧٧- ومثل هذا الأسى والألم يعدلان مائة صلاة . وأين الصلاة من
نور تلك الضراعة ! »

فضيلة تحسر أحد الأتقياء على فوت صلاة الجماعة

كان رجل يدخل الى المسجد ، على حين أن الناس كانوا يخرجون
منه .

فأخذ يسأل الناس قائلاً : « ماذا كان من أمر الجماعة ، حتى أن
الناس يخرجون منها بهذه السرعة !

فقال له أحد المصلين : « ان الرسول قد أدّى — مع الجماعة —
الصلاة ، وفرغ من أسرارها .

فالى أين أنت ذاهب — أيها الرجل الغر — ما دام الرسول قد ختم
الصلاة ؟ »

٢٧٧٥ فانطلقت منه آهة تصاعد منها الدخان . وحملت هذه الآهة رائحة
من دم قلبه .

فقال له رجل من الجمع : « هبنى تلك الآهة ، وصلاتى لك ! »
فقال : « وهبتها لك وقبلت الصلاة ! » . وأخذ الرجل تلك الآهة
(مقترنة) بمائة ضراعة .
وفي الليل قال له هاتف في المنام : « انك اشتريت ماء الحياة ،
وشفاء (الروح) ! »
فبحرمة هذا الاختيار ، وهذا الدخول ، قبّلت صلاة كافة
الخلق ! » .

تتمة اقرار ابليس بمكره لمعاوية

٢٧٨٠ ثم قال عزازيل^(١) لمعاوية : « أيها الأمير النبيل : لا بد أن أبوح
لك بمكرى :
فلو أن الصلاة فاتتك في ذلك الحين ، لأطلقت من ألم القلب
الآهات والضراعة ،
ولكان هذا الأسف وذاك الأسى وتلك الضراعة تفوق مائتى ذكر
وصلاة .
وانى قد أيقظتك خشية أن تحرق مثل هذه الآهة^(٢) الحجاب ،
ولكى لا تكون لك مثل هذه الآهة ، ولا يكون لك سبيل اليها .
٢٧٨٥ اننى حسود ، والحسد كان دافعى الى هذا ! اننى عدوّ ، ولا
فعل لى الا المكر والبغضاء ! »

(١) عزازيل هو اسم ابليس قبل سقوطه . (٢) « مثل هذه الآهة » يعنى
آهة شبيهة بتلك التى انطلقت من قلب المؤمن الذى فاتته الصلاة . (انظر
الآيات ٢٧٧٥ - ٢٧٧٩) .

فقال معاوية : « لقد بحث بالحقيقة الآن ، فأنت صادق ! فمثل
هذا الخداع يجيء منك ، فأنت قمين به !
فأنت عنكبوت ، وصيدك هو الذباب ! وأنا لست ذبابة - أيها
الكلب - فلا تضايقنى !
انتى باز أبيض ، لا يصيدنى الا المليك ! فكيف ينسج العنكبوت
حولى شباكه ؟
فاذهب ، وأمسك من الذباب ما استطعت . وادع الذباب الى
تناول اللبن المخيض .
٢٧٩٠ ولئن أنت دعوته الى العسل ، فذلك كذب ، وما هو في الحقيقة
الا المخيض .
لقد أيقظتنى فكانت اليقظة نوما ! وأظهرت لى سفينة ، وتلك في
الحقيقة دوامة !
ولقد دعوتنى الى خير ، وذلك لتدفعنى بعيدا عن خير أفضل
منه ! »

**كيف أفلت اللص لأن رجلا نادى صاحب المنزل
بعد ان اقترب من اللص ، وكاد يلحق به ويقبض عليه**

وان ذلك لشبيه (بقصة) ذلك الشخص الذى رأى في المنزل
لصا ، فجرى وراءه .
لقد جرى وراءه ميدانين أو ثلاثة ميادين ، حتى سال عرقته من
جاء ذلك التعب (١) .

(١) حرفيا : « حتى رماه في العرق ذلك التعب » .

٢٧٩٥ وحينما اقترب بهذا الجهد من اللص ، وأوشك على اللحاق به
بقفزة واحدة ،

هتف به لص آخر قائلاً : « أقبل حتى تشاهد علامات البلاء تلك !
أسرع بالعودة أيها الرجل الهمام ، حتى ترى كيف ساءت هاهنا
الأحوال ! »

فحدث الرجل نفسه قائلاً : « لعل في ذلك الجانب لصاً (آخر) .
فإن لم أسارع بالعودة ، فقد يتهجم علىّ !
ولربما اعتدى على زوجتي وابني ، فأية فائدة تعود على من القبض
على هذا اللص (الذي أطارده) .

٢٨٠٠ فهذا المسلم قد تكرم بمناداتي ، فلئن لم أرجع فسوف يحق بي
البلاء ! »

فعلى رجاء من شفقة ذلك الرجل الخير ، ترك اللص ، وتراجع
على الطريق .

وخطبه قائلاً : « ما هذه الأحوال ، أيها الصديق الطيب ؟ وأى
دافع قد دفعك الى هذا الصياح والصراخ ؟ »

فأجابه قائلاً : « انظر ، ها هي ذى آثار قدمي اللص ! لقد مضى
من هذا الجانب ذلك اللص الخسيس !

ها هي ذى علامات قدمي اللص الفاجر . فامضي وراءه مقتنيا هذه
العلائم والآثار ! »

٢٨٠٥ فقال (صاحب الدار) : « ماذا تقول لى أيها الأبله ؟ اننى قد
كنت على وشك الإمساك به !

وان صياحك هو الذى جعلنى أترك اللص ! لقد حسبت حماراً
مثلك انساناً !

فما هذا الهراء والهديان ، أيها الرجل ؟ لقد وجدت الحقيقة ،
فماذا تكون العلامة ؟ »
فقال الرجل : « انى أعطيك علامة للحقيقة . فهذه هي العلامة
وأنا عارف بالحقيقة » .
فقال (صاحب الدار) : « اما أنك عابث أو أبله ! أم لعلك لص ،
وعلى علم بتلك الحال !
٢٨١٠ لقد كدت أن أجز خصمى جرا ، وأنت الذى خلصته (لتقول
لى) : « انظر ، ها هي ذى علاماته ! »
انك تقول بالجهات، أما أنا فقد تحررت من الجهات ! وهل في
المواصل مكان للآيات والبيانات ؟
فمن خفيت عليه الصفات يرى الصنع . وكذلك يتعلق بالصفات من
أضاع الذات .
وحينما يكون الواصلون غارقين في الذات ، فكيف يتوجهون
بنظرهم الى الصفات ؟
واذا ما أصبح رأسك في قاع النهر ، فكيف يقع بصرك على لون
الماء ؟
٢٨١٥ وان أنت عدت من قاع النهر الى لون الماء ، كنت كمن أخذ ثوبا
خشنا لقاء فراء !
ان الطاعة عند العوام هي الاثم عند الخواص ! وما يكون وصالا
عند العوام ، فهو عند الخواص حجاب !
فلو أن الملك جعل الوزير محتسبا ، لكان الملك عدوا له ،
لا صديقا .

ولربما كان هذا الوزير قد ارتكب اثما . فهذا التغير لا بد له من

سبب .

فمن كان في أول أمره محتسبا ، فان هذا المنصب يكون له — من

البداية — سعدا ورزقا .

٢٨٢٠ أما من كان في بداية أمره وزيرا للملك ، فجعله محتسبا لا يكون

الا من سوء فعله .

فحينما يدعوك الملك من عتبة الباب الى حضرته ، ثم يعود فيدفعك

الى الباب ،

فاعلم يقينا أنك قد ارتكبت جرما ، وأنت قد جعلت (هذا الابعاد)

— بجهلك — أمرا محتما !

(وانك لتقول) : « ان هذا قد كان لى قسمة ونصيبا ! » ، فلماذا

اذن كان هذا الاقبال بالأمس في يديك ؟

انك أنت الذى قطعت نصيبك بجهلك ! أما الرجل الكفء فهو

الذى يضاعف نصيبه !

قصة المنافقين وبنائهم مسجد الضرار

٢٨٢٥ وهاك مثالا آخر على العوج ، ان كنت ممن يستمعون الى

ما رواه القرآن^(١) .

ان أهل النفاق قد لعبوا مثل هذه اللعبة المعوجة ، بصورة أو

بأخرى^(٢) ، ضد الرسول .

(١) سورة التوبة ، ٩ : ١٠٧ — ١٠٨ .

(٢) حرفيا : « لعبوا هذه اللعبة بالمفرد والمزدوج » .

قائلين : « اتنا سنبنی مسجدا لإعزاز الدين المحمدي » ! « وما كان ذلك الا ارتدادا !

لقد كانوا يلعبون مثل هذه اللعبة المعوجة ، فبنوا مسجدا الى جانب مسجده (١) .

وزينوا أرضه وسقفه وقبته ، لكنهم أرادوا بذلك تفريق الجماعة .
٢٨٣. وأقبلوا على الرسول ضارعين ، وركعوا أمامه كما تبرك الجمال ،
وقالوا : « يا رسول الله ! هل تجشّم قدميك المسير الى هذا المسجد كرما واحسانا ؟

وذلك ليغدو مباركا بقدموك اليه ، جعل الله أيامك مزدهرة حتى القيامة !

انه مسجد من أجل اليوم الوحل واليوم المطير . انه مسجد ليوم الشدة ، وزمان الفقر .

وذلك ليجد الغريب فيه خيرا ومأوى ، وليغدو بيت العبادة هذا عامرا (بالقاصدين) !

٢٨٣٥ وحينذاك تنتشر شعائر الدين وتشيع . وان صحبة الاخوان لتجعل المرّ حلوا !

فلتشرف ذلك المكان ساعة من الزمان ، ولتكن مزكّيا لنا ، معرفا بنا !

ولتكرم المسجد وأصحاب المسجد . انك أنت البدر ونحن الدجى .
فاجعل لنا معك برهة من الوقت ،

(١) مسجد الرسول المقصود هنا هو مسجد قباء ، وقباء قرية بجوار المدينة .

حتى يغدو ليلنا نهارا بجمالك ، يا من جمالك مثل الشمس التي
تضيء الظلام ! »

فوا أسفاه أن هذه الكلمات لم تكن من القلب ، والا لكانت
مدعاة لتحقيق الأمل لهؤلاء الناس !

٢٨٤٠ فاللطف ، الذي ينطق به اللسان - بدون اخلاص من القلب
والروح - شبيه بالخضرة فوق رماد المواقد ، أيها الأصدقاء !

فانظر اليها من بعيد ثم تجاوزها . فليست مثل هذه الخضرة
- يا بني - صالحة لان تؤكل أو تشم .

فأصغ الى " ! لا تتوجه بنفسك نحو لطف من تجردوا من الوفاء ،
فما ذلك الا جسر مهدم !

فلو أن جاهلا وضع قدمه فوق هذا الجسر ، لانكسر الجسر
وانكسرت أيضا تلك القدم .

وحيثما وقعت الهزيمة بأحد الجيوش ، كان ذلك من جراء اثنين
أو ثلاثة من المخنثين الضعفاء !

٢٨٤٥ فالواحد منهم يدخل الصف كالرجل مدججا بالسلاح ، فتتعلق
به القلوب قائلة : « ها هوذا رفيق الغار ! »

لكنه يدير وجهه اذا ما أبصر الجراح ، فيحطم بهذا الفرار^(١)
ظهرك !

ان هذا الحديث لطويل وقابل للاطالة ، وسوف يؤدي الى خفاء
مقصودنا .

(١) حرفيا : الذهاب .

كيف خادع المنافقون الرسول - عليه السلام -

حتي يأخذوه الى مسجد الضرار

لقد ترنموا بخداعهم على مسمع الرسول الحق ، وأخذوا يسوقون
أمامه فرس الفس والرياء .

أما الرسول المحب الرحيم فلم يكن منه سوى التبسم وعلان
القبول .

٢٨٥٠ لقد باح بالشكر لتلك الجماعة ، وأسعد هؤلاء القصاد باستجابته
لهم .

وكان مكرهم ظاهرا أمامه بكل تفصيلاته ، كما يتجلى الشعر في
الحليب !

لكن هذا الرسول اللطيف تجاهل رؤية الشعر ، ثم تطف فباح
بالثناء على الحليب !

لقد رأى آلافا من شعر المكر والخداع ، لكنه - حينذاك -
أغلق عينيه عنها جميعا !

ولقد صدق بحر الكرم هذا حين قال : اننى أكثر اشفاقا عليكم
من أنفسكم .

٢٨٥٥ فلقد جلست على حافة نار ذات أوار ولهب بالغ الإيذاء ،
وغدوتم أتم مندفعين نحوها كالفراس ، على حين أن يدي
تذودانكم عنها !

وحيثما استقر الأمر على أن يذهب الرسول^(١) ، هتفت به غيرة
الحق (قائلة) : لا تستمع الى نداء الغول !

(١) عاد الشاعر هنا الى رواية قصة « مسجد الضرار » .

فهؤلاء الخبيثون قد اصطنعوا الحيلة والمكر ، فكل ما جاءوا به فهو على عكس (ظاهره) !

وما كان لهم من قصد سوى سواد الوجه ، والا فمتى أراد النصارى واليهود خيرا لدينك ؟

٢٨٦٠ لقد بنوا مسجدا على جسر النار . (وأرادوا) أن يلعبوا مع الله نرد الخداع !

لقد كان قصدهم أن يفرقوا أصحاب الرسول . ومتى كان كل فضولى يعرف فضل الحق ؟

وأن يجلبوا (للمسجد) يهوديا من الشام كان هؤلاء اليهود يطربون لوعظه .

لقد قال الرسول : « نعم ، لكننا الآن على أهبة السفر معتزمين الغزو ،

فحينما أعود من السفر فانتى سوف أسارع بالتوجه الى ذلك المسجد » .

٢٨٦٥ لقد دفعهم عنه ثم سارع الى الغزو ، ولعب لعبة المكر مع الماكرين !

وحينما رجع من الغزو ، عادوا اليه ، وطالبوه بانجاز سابق وعده .

فقال له الحق : « أيها الرسول ! اكشف غدرهم . ولئن شئت

الحرب (من جراء ذلك) فادع اليها ! »

فقال الرسول : « ألا فلتسكتوا أيها القوم المخادعون ! الزموا

الصمت والا أذعت أسراركم ! »

فلما كشف الرسول عن لمحات قليلة من أسرارهم ، ساءت أحوالهم .

٢٨٧٠ فارتد عنه القصاد حينذاك هاتفين : « حاش لله ، حاش لله ! »

وجاء كل منافق الى الرسول مخادعا ، وقد تأبط مصحفًا ،
وذلك ليقسموا عليها الأيمان ، فالأيمان جنة (١) ! ان الأيمان لهى
سنة للأشرار !

فما دام الرجل الشرير لا وفاء له في الدين ، فانه يحنث بقسمه في
كل لحظة .

وأما أهل الصلاح فلا حاجة لهم الى القسم ، ذلك لأن (كلاً منهم)
قد أشرقت عيناه بالنور .

٢٨٧٥ فنقض الموائيق والعهود مبعثه الحماقة ، وأما حفظ الأيمان
والوفاء بها فهو شيمة الاتقياء .

لقد قال الرسول : « هل أثق بأيمانكم أم أثق بعهد الله ؟ »
لكن هؤلاء القوم عاذوا فأقسموا قسماً آخر ، وكان المصحف في
أيديهم ، وخاتم الصوم على شفاههم ،
قائلين : بحق هذا الكلام الظاهر الصادق ، ان بناء هذا المسجد
انما هو من أجل الله !

وليس فيه قط من حيلة مأكرة ! بل انه ينطوي على الذكر والصدق
ودعاء الله !

٢٨٨. فقال الرسول : « ان صوت الحق يرن في أذنى مثل الصدى .
ولقد ختم الله على آذانكم حتى لا تبادر الى سماع صوت الحق .
ها هوذا صوت الحق يصل الى صريحا ، كصافى الشراب الذى
برىء من الكدر ،

(١) انظر : (سورة المجادلة ، ٥٨ : ١٦) ، (سورة المنافقون ، ٦٣ : ٢) .

كما سمع موسى صوت الحق من جانب الشجرة يناديه : أيها
السعيد الطالع !

لقد سمع من الشجرة نداء : « انى أنا الله^(١) » ، وتجلّت له
الأنوار مع هذا الكلام !

٢٨٨٥ فحينما عجز هؤلاء المنافقون أمام نور الوحي ، عادوا من جديد
الى اللغو بالإيمان ،

ولما كان الحق يسمى القسم جنة^(٢) ، فكيف يطرح المعاند المجن
من يده ؟

ولهذا فان الرسول قد واجههم بتكذيب صريح ، وأفصح لهم
بقوله : « قد كذبتُم ! »

كيف تفكر أحد الصحابة - رضى الله عنهم - منكرا

على الرسول أنه لم يتستر عليهم

ولقد كان أن واحدا من أصحاب الرسول ، أنكر بقلبه ذلك الردع
(للمنافقين) .

فحدث نفسه : « أيدمغ هذا الرسول بالعار مثل هؤلاء الشيوخ
ذوى الشيب والوقار ؟

٢٨٩٠ فأين الكرم ، وأين الستر ، وأين الحياء ؟ ان الأنبياء ليسترون
الآلاف من العيوب ! »

(١) انظر : سورة القصص ، ٢٨ : ٣٠ .

(٢) انظر البيت ٢٨٧٢ وشرحه .

لكنه عاد فسارع الى الاستغفار بقلبه ، حتى لا يصفر وجهه من
جرا هذا الاعتراض !

وان شؤم صحبة أهل النفاق ، ليجعل المؤمن مثلهم قبيحا عاقا .
فعاد الى الضراعة قائلا : « يا علام السر . لا تتركنى مصرا على
الكفران !

ان قلبى ليس - مثل عينى - طوع يدى ! ولولا هذا لأحرقت
الآن هذا القلب بغضبى ! »

٢٨٩٥ وبينما هو في هذا التفكير غلبه النوم ، فبدا له مسجد هؤلاء
ممتلئا بالبعر :

بناء خربا تلوثت أحجاره بالأقذار ، وكان الدخان الأسود يتصاعد
من تلك الأحجار !

وتفد الدخان الى حلقه فغص به . وأفزعه الدخان المرّ فهب من
سباته !

فخرّ على الفور ساجدا ، وهو يبكى ، (قائلا) : ان هذه علامات
الانكار !

فألغضب عليهم - يا الهى - خير من مثل هذا الحلم الذى يحجبني
عن نور الايمان !

٢٩٠٠ فلو أنك شققت اجتهد أهل المجاز لوجدته كالبصكة ، مكونا
من طبقات (متراسة) من التبن !

وكل واحد منهم أوهى لبا من الآخر ! وأما الصادقون فكل منهم
أعمق ادراكا من الآخر !

فهؤلاء القوم قد شمروا جميعا عن ساعد الجد ، وذلك ليهدموا

مسجد قباء (١) .

فهم كأصحاب الفيل من بلاد الحبش ، الذين بنوا كعبة فأضرمتها
الحق بالنيران .

فتوجهوا الى الكعبة قاصدين الانتقام . فاقراً (ما جاء) عن مالكهم
في كلام الله (٢) .

٢٩٠٥ فهؤلاء الذين اسودت بدينهم وجوههم ليست لهم عدة سوى
الحيلة والمكر والضغينة !

فكل صحابي رأى (في منامه) من عيان ذلك المسجد ، ما جعل
سرّه يصبح - عند الصحابة - يقينا !

ولو أنني قصصت وقائع ذلك واحدة واحدة ، لتيقن أهل الشك
من صفاء (هؤلاء الصحابة) .

لكنني أتهيب كشف أسرارهم . فهم المدللون الذين يليق بهم
الدلال !

وهم الذين تلقوا الشرع بدون تقليد . وهم الذين تقبلوا هذا
النقد ، من غير (حاجة الى) محك !

٢٩١٠ فكأنما حكمة القرآن ضالة المؤمن ، وكأنما كل منهم على يقين
من ضالته !

(١) حرفياً : « هؤلاء القوم قد عقد كل منهم على قبائه مائة حزام » ،
وعقد الحزام على القباء كناية عن الجد في العمل . وفي البيت جناس بين
كلمتي قبا (بكسر القاف) وقبا (بضمها) . وقباء (بضم القاف) اسم قرية
بجوار المدينة اشتهرت بتوقف الرسول بها في طريق هجرته ، وكذلك
بمسجدها الذي بنى في عهد الرسول . (٢) سورة الفيل .

قصة ذلك الشخص الذى كان يبحث عن جملة الضال

ويسأل عنه

لئن كنت تبحث بجهد عن جمل أضعته ، فكيف لا تعرف — حين تجده — أنه لك ؟

فما الضالة ؟ انها ناقة قد أضعتها ، فهربت من يدك الى مكان خفى .

فالقافلة قد بدأت تضع الأحمال فوق الجمال ، على حين أن جملك قد اختفى من بينها .

فها أنت ذا تجرى في هذه الناحية ، وذلك الجانب ، وقد جفت شفتاك ، على حين أن القافلة قد أصبحت بعيدة ، والليل قد اقترب .

٢٩١٥ وقد بقى متاعك على الأرض ، في طريق الخوف ، وأنت تجرى وتدور باحثا عن الجمل .

تقول : « أيها المسلمون ! من ذا الذى رأى جملا هرب في هذا الصباح من الحظيرة ؟

فكل من أدلى الى بيينة عن جملى ، جزيت بشارته بكثير من الدراهم » :

وانك لتعود فتلتمس من كل انسان اشارة ، فيهزأ بك — من جراء هذا — كل خسيس !

(قائلين) : « لقد رأينا جملا يمضى نحو تلك الناحية ، رأينا جملا أحمر يتجه نحو ذلك المرعى » .

٢٩٢٠ وهذا يقول : انه كان مبتور الأذن ! وذاك يقول : انه كان مزرکش السرج .

وآخر يقول : انه كان جملا أعور ، على حين أن سواه يقول : لقد
كان أجرب مجردا من الوبر .
فاذا بكل خسيس قد أدلى - من أجل المكافأة - بمائة بيان
جزافا !

التردد بين المذاهب المختلفة ، وايجاد مخرج ، وطريقة للخلاص من ذلك

فهكذا شأن الناس بالنسبة للمعرفة ، فكل منهم يصف الموصوف
الغيبىّ باحدى الصفات .
فهذا متفلسف يدلى بشرح من نوع آخر ، فيجرح أحد الباحثين
مقاله .

٢٩٢٥ وثالث يطعن فيهما معا ، ورابع يكاد يسلم الروح نفاقا .
فكل منهم يدلى بعلامات لذلك الطريق ، حتى يظن أنهم ينتمون
الى تلك القرية !

فلتعلم هذه الحقيقة : ان هؤلاء جميعا ليسوا على حق ! كما أن
هذا القطيع ليس ضالا من كل الوجوه !
ذلك لأنه بدون الحق لا يتضح الباطل . فرائحة الذهب هي التي
أغرّت الأبله بزائف النقد^(١) .

فلو لم يكن النقد الصحيح منتشرا في الدنيا ، فهل كان يمكن
اصدار النقد الزائف ؟

(١) حرفيا : « فالأبله قد اشترى زائف النقد على رائحة الذهب » ، أى
انه اشتراه على أمل أن يكون نقدا من الذهب الخالص .

٢٩٣٠ ولو لم يوجد الصدق فهل كان يوجد الكذب ؟ فهذا الكذب
يتلقى من الصدق نورا (يكشفه) .
ان الأعوج يشتري على أمل في السوى . والسم يوضع في
السكر ، وحينذاك يؤكل .
قلو لم يوجد القمح المحبوب اللذيذ ، فماذا كان يجنى بائع
الشعير الذى يدعى أنه قمح ؟
فلا تقل ان جملة هذه الأقوال باطلة ، فأهل الباطل هم الأحاييل
التي تصيد القلب برائحة الحق !
ولا تقل ان كل هذا خيال وضلال ، فليس في العالم خيال بدون
حقيقة .

٢٩٣٥ فحقيقة ليلة القدر قد احتجبت بين الليالى ، حتى تلتمسها الروح
في كل ليلة .
فليست كل الليالى هى ليلة القدر ، أيها الفتى ، كما أن كل الليالى
لا تخلو من تلك الليلة .
وبين لابسى الدلق لا بد من فقير واحد ، ففتش عنه ، ومن وجدته
صادقا فتقبله !

فأين المؤمن ، صاحب الكياسة والتميز ، الذى يعرف كيف يميز
بين الرجل وبين المخثن !
ولو لم تكن في هذه الدنيا سلع معيبة ، لكان (ميسورا) لجميع
البثله أن يصبحوا تجارا !

٢٩٤٠ ولكان تقويم البضائع أمرا بالغ اليسر . فحينما لا يوجد العيب ،
فما الفرق بين القادر (على التقويم) والعاجز عنه ؟

ولو كان كل شيء معيبا فلا جدوى من المعرفة ، فما دام كل ما

هنالك خشب فلن يوجد العود !

فمن يقل ان جملة الأحوال حق فهو أحق ! ومن يقل ان جملتها باطل فهو شقي !

فالأنبياء بتجارتهم قد حققوا الأرباح ، وأما تجار الألوان والروائح فهم عمى تعساء !

فالثعبان يظهر في أعينهم مالا ! ألا فلتمسح جيدا عيناك !

٢٩٤٥ ولا تنظر الى سرورك بهذا البيع والربح ، بل انظر الى خسران فرعون وثمود !

حول امتحان كل شيء حتى يظهر ما فيه

من خير وشر

ان السماء وهى ذات الرونق والجلال ، قال بشأنها الحق : « ثم ارجع البصر^(١) » .

ولا تقنع بنظرة واحدة من هذا السقف المنير ، بل انظر مرات ، « هل ترى من فطور^(٢) » .

وما دام قد أمرك بأن تنظر مرات الى هذا السقف المضيء نظر الرجل الباحث عن العيوب ،

فقد علمت كم يجب أن يَوجه الى تلك الأرض المظلمة من التأمل والتمييز ، لتكون جديرة بالاعجاب !

(١) ، (٢) انظر : سورة الملك ، ٦٧ : ٣ - ٤ .

٢٩٥٠ وكم يجب على عقولنا أن تتحمل من عناء لكى نستخلص أهل
الصفاء من بين الكدر !

ان تجربة الشتاء والخريف ، وحرارة الصيف ، والرييح الشبيه
بالروح ،

والرياح والسحب والبروق ، كلها جاءت لتظهر عوارض الفروق ،
لتخرج الأرض الترابية اللون كل ما حملته في جيبها من ياقوت
وأحجار .

فكل ما سرقة هذه الأرض المظلمة من خزانة الحق ، ومن بحر
الكرم ،

٢٩٥٥ (يسألها عنه) شرط التقدير قائلين : « قولى الصدق واذكرى
ما أخذته ذرة ذرة (١) ! »

فيقول اللص ، يعنى الأرض : « لا شىء قط » ، فيأخذ الحاكم في
تعذيبها .

فحينما يخاطبها الحاكم بقول لطيف كالسكر ، وتارة يعلقها في الهواء
ويسومها كل ما هو أسوأ من ذلك ،

حتى تظهر بين القهر واللفظ تلك الخفايا ، بفعل نار الخوف
والرجاء !

فهذا الريح هو لطف الحاكم ذى الكبرياء ، وأما الخريف فهو
تخويف الله وتهديده .

٢٩٦٠ وأما الشتاء فهو صليب معنوى ، حتى تكشف عن نفسك أيها
اللس الخفى !

(١) حرفيا : شعرة شعرة .

وكذلك يكون للمجاهد زمان لانبساط القلب ، وزمان للقبض
والألم والغش والضعينة .

ذلك لأن أبداننا المفطورة من الماء والطين ، منكرة سارقة نور
أرواحنا !

والحق تعالى يلقي على أجسادنا الحر والبرد والألم والعناء ، أيها
الرجل الشجاع .

فالخوف والجوع والنقص في الأموال والبدن ، كلها من أجل
إظهار جوهر الروح !

٢٩٦٥ لقد أطلق هذا الوعد وذاك الوعيد ، من أجل الخير والشر اللذين
قد امتزجا باذنه .

فما دام الحق والباطل قد امتزجا ، والنقد الصحيح قد امتزج
بالنقد الزائف في جعبة واحدة ،

فلا بد لهما من محك أحسن اختياره ، مشهود في امتحان الحقائق،
حتى يكون فيصلا ازاء كل مظاهر الزيف ، ويكون دستورا لتلك
التدبيرات .

فيا أم موسى ، أرضعيه ثم ألقيه في اليم ، ولا تخافى عليه من
البلاء !

٢٩٧٠ فكل من شرب من هذا الحليب في يوم « ألت » ، يستطيع
تمييز الحليب ، كموسى (في طفولته)^(١) .

فان كنت حريصا على إعطاء طفلك التمييز ، فاغذه الآن بالحليب ،
كما فعلت أم موسى^(٢) ،

(١) رفض موسى حليب الممرضات ، وعرف حليب أمه ، كما ورد في
قصته بعد أن التقطه آل فرعون . (٢) حرفيا : « فأرضعيه الآن يا أم موسى » .
وفي ذلك إشارة الى قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » .
الآية : سورة القصص ، ٢٨ : ٧ .

حتى يعرف حليب أمه منذ البداية ، ولا ينخفض رأسه سعيًا إلى
مربية خسيصة .

شرح الفائدة من حكاية ذلك الشخص

الذي كان يبحث عن الجمل

انك — أيها المفضل — قد أضعت جملاً ، وكان كل شخص يذكر
لك علامة لهذا الجمل !

وأنت لا تعلم أين هذا الجمل ، ولكنك تعلم أن هذه العلامات
كلها خاطئة !

٢٩٧٥ وذلك الذي لم يَضَع جملاً يمارى أيضاً ، فيبحث عن جمل ،
كمن أضاع جملة .

قائلاً : « أنتى أيضاً قد أضعت جملاً ، فمن عثر عليه وهبته أجره ! »
وذلك ليَجْعَل نفسه شريكاً في جملك .. ان طمعه في الجمل دفعه
إلى أن يلعب هذه اللعبة .

فكلما قلت لإنسان : « ان هذه العلامة خاطئة » ، قال عين ما
تقول ، مقلداً إياك .

فهو لا يميز العلامة الكاذبة من العلامة الصادقة ، لكن قولك هو
الغصا لذلك المقلد (الأعمى) .

٢٩٨٠ وحينما تذكر لك العلامة الصادقة أو ما يشبهها ، فانك تصبح
على يقين « لا ريب فيه ^(١) » .

(١) البقرة ، ٢ : ١ .

ويصبح هذا اليقين شفاء لروحك العليل ، ويغدو نضرة لون لك ،
وصحة وقوة .

وتستنير به عيناك ، وينطلق به قدماك ، ويغدو جسدك نقسا ،
ونفسك روحا !

فتقول حينذاك : « لقد قلت الحق أيها الأمين ! وهذه العلامات قد
جاءت بلاغا مينا ،

فيه آيات ثقات بينات ! انه لبراءة ، بل هو تقدير للنجاة ! »

٢٩٨٥ فهو حين أظهر لك هذه العلامة ، هتفت به قائلا : « تقدّم ! ان
هذا وقت العزيمة ، فكن أنت دليلى .

ولسوف أقتنى أثرك أيها الصادق المقال . لقد حملت الى رائحة
من جملى ، فأرني أين يكون » .

أما بالنسبة لذلك الشخص الذى ليس بصاحب جمل ، ذلك الذى
يبحث عن الجمل من أجل المراء ،

فان هذه العلامة الصادقة لا تزيده يقينا ، الا بمقدار ما ينعكس
عليه من ذلك الباحث بصدق عن الجمل .

فهذا المقلد يقتبس شذا من جدّ الصادق وحرارته ، (موقنا) بأن
آهاته تلك لا يمكن أن تكون جزافا^(١) .

٢٩٩٠ انه لم يكن صاحب حق في هذا الجمل ، ولكنه هو أيضا قد
أضاع جملا .

فالطمع في جمل^(٢) غيره قد ألقى على وجهه قناعا ، فأنساه ما كان
قد ضاع منه !

(١) حرفيا : « ليست جزافا » بدلا من « لا يمكن أن تكون جزافا » .
(٢) يضطر الشاعر أحيانا بحكم الوزن الى استخدام كلمة « ناقة » بدلا من
اشتر . ولما لم يكن هناك من مبرر لذلك سوى الوزن ، فقد استخدمنا فى
الترجمة كلمة « جمل » بصورة مطردة ، محافظة على السياق فى الترجمة .

فحيثما جرى المالك الأصيل جرى هذا المقلد ، وقد جعله الطمع

شريكا في الألم لصاحب الجمل !

فحينما ينطلق كاذب مع واحد من أهل الصدق ، فسرعان ما يغدو كذبه صدقا .

وفي تلك الصحراء التى توغل الجمل مسرعا فيها عثر هو أيضا على جملة .

٢٩٩٥ وحالما رآه تذكر ما كان له ، فأصبح بريئا من الطمع في جمال الأصدقاء والأقارب .

فهذا المقلد قد أصبح محققا ، حينما أبصر جملة الذى كان يرتعى هناك !

فأصبح في تلك اللحظة طالبا للجمل ، فهو لم يكن يفتش عنه قبل مشاهدته في الصحراء .

فبعد ذلك بدأ ينطلق وحيدا ، وفتح عينيه (متوجها) نحو جملة . فقال له ذلك الصادق : « لقد تركتني ، وكنت حتى هذه اللحظة تبدي مراعاتك لى ! » .

٣٠٠٠ فقال : « لقد كنت خرافة حتى هذه اللحظة ، وكان الطمع يدفعنى الى تملكك .

أما الآن - وقد انفصلت - بالجسد عنك في الطلب - فقد أصبحت شريكا لك في الألم !

اننى كنت أسرق منك وصف الجمل ، فلما رأيت روحى جملها امتلأت به عينى !

وقبل أن أجده لم أكن له طالبا ! لقد غلب النحاس الآن وأضحى الذهب له غالبا !

وأصبحت سيئاتي كلها طاعات ، فشكرا لله . وأصبح الهزل فانيا
والجدّ ثابتا ، فشكرا لله .

٣٠٠٥ وما دامت سيئاتي قد أصبحت وسيلة لى الى الحق ، فلا توجه
ضربات لومك قط الى سيئاتي !

ان صدقك هو الذى كان قد جعلك طالبا ، وأما أنا فالجد والطلب
مهذا لى سبيل الصدق !

لقد قادك صدقك نحو الطلب ، وأما أنا فبحشى هو الذى قادنى
الى الصدق !

لقد كنت أغرس في الأرض بذور السعادة ، وكنت أحسب ذلك
سُخرة ، وبدون أجر !

وما كان ذلك سُخرة بل كان كسبا سريعا ، فكل حبة غرستها قد
أنبتت مائة حبة .

٣٠١٠ ان لصا قد قصد خلصة الى أحد المنازل ، فلما دخله رأى أن هذا
المنزل منزله .

فاستشعر الحرارة ، أيها البارد ، فلعلها تغشاك . واصبر على
الشدة ، فلعلها تكون طريق اللين .

وما كان هذان بجملين ، بل جمل واحد ! ألا ما أضيق اللفظ وما
أغزر المعنى !

فاللفظ دائما عاجز عن ادراك المعنى ، ولهذا فان الرسول قال :
« قد كلّ اللسان » .

ان النطق يكون كالاصطرلاب في حسابه ، وماذا يعرف هذا عن
الفلك والشمس ؟

٣٠١٥ وبخاصة ذلك الفلك الذى لا يتجاوزُ فلكتنا هذا فَرَاشَة منه !
ولا تزيد شمسنا على ذرة من شمسه !

فى بيان أن كل نفس تنطوى على فتنة

مسجد الضرار

لما ظهر أن ذلك لم يكن مسجدا ، بل كان منزل خديعة ، وأحبولة
نصبها اليهود ،

أمر الرسول بأن يهدم ، ويجعل كناسة للقمامة والأقذار .
ان صاحب المسجد كان زائفا كالمسجد ، فنثر القمح فوق الشرك
ليس من الجود !

وقطعة اللحم التى فى شصك تختطف السمكة . فمثل هذه اللقمة
ليست عطاء ولا سخاء !

٣٠٢٠ ومسجد قباء — وقد كان من الجماد — لم يسمح الرسول بأن
يساوى بما لم يكن كفؤا له !

ففى حق الجمادات لم يجز مثل هذا الحيف ، فأشعل أمير العدل
النار فى هذا (المسجد) غير الكفاء !

فاعلم أن عالم الحقائق — وهو أصل الأصول — توجد به فروق
وفصول .

فلا حياة هذا شبيهة بحياة ذلك ، ولا موت هذا شبيه بموت
سواه .

ولا تحسبن قبر أحد الناس شبيها بقبر الآخر . فكيف أشرح لك
فوارق الأحوال فى ذلك العالم ؟

٣٠٢٥ فاختبر بالمحك عملك أيها العامل ، حتى لا تبني مسجد الضرار :
فكم كنت قد سخرت من بناة ذلك المسجد ، فلما أمعنت النظر
كنت أنت من هؤلاء !

حكاية الهندي الذي خاصم رفيقه

بسبب فعل معين ، ولم يكن يعلم أنه

هو أيضا مبتلى بذلك الفعل

دخل أربعة من الهنود في أحد المساجد ، وأضحوا من أجل أداء
الطاعة ركعا ساجدين .

وكل منهم كبر على نية ، ثم أقدم على الصلاة بمسكنة وألم .
وجاء المؤذن ، فأفلتت من أحدهم كلمة (اذ قال) : « أيها المؤذن ،
هل أذنت ؟ لقد حان الوقت » .

٣٠٣ فقال ثاني هؤلاء الهنود (بدافع) من ضراسته : « لقد تكلمت ،
فأضحت صلاتك باطلة ! »

فقال ثالثهم لثانيهم : « أيها العم ، لماذا توجه اليه هذا اللوم ؟
خاطب به نفسك ! »

أما رابعهم فقال : « حمدا لله أني لم أقع في البئر كهؤلاء الرجال
الثلاثة ! »

وهكذا بطلت صلاة كل من هؤلاء الأربعة ، وكان الهاتفون
بالعيب منهم أكثر ضلالا !

فما أسعد الروح التي ترى عيها ، والتي اذا هتف انسان بعيب
حملته على نفسها ،

٣٠٣٥ ذلك لأن نصف الانسان كان من عالم العيب ، وأما نصفه الآخر

فكان من عالم الغيب !

فما دام رأسك يعانى من عشرة جراح ، فالواجب عليك أن تتخذ
المرهم لعلاج نفسك .

فحين يثعاب الجرح فهذا (بداية) علاجه ، وأما حين يقع الكسر
فهنا مكان الرحمة .

وان لم تكن تعانى من عيب فلا تستسلم (لهذا الظن) ، فلربما
يظهر ذلك العيب منك أيضا .

ألم تستمع الى قوله تعالى : « لا تخافوا » ؟ فلماذا اذن رأيت
نفسك آمنا طيب الحال ؟

٣٠٤٠ لقد عاش ابليس سنين وهو ينعم باسم طيب ، ثم افتضح ، فتأمل
أى اسم أصبح له الآن !

لقد كان في الكون معروفا بعثلاه ، فأصبح معروفا بعكس هذا ،
فواها عليه !

فما لم تكن آمنا فلا تطلب الشهرة ! واغسل بالخوف وجهك ، ثم
أظهره !

وما لم تنبت لحيتك - أيها الرجل الطيب - فلا تنتقد سواك ان
تجرد من اللحية .

فتأمل من أصيبت روحه بالبلاء حتى سقط ، وأصبح عبرة لك .

٣٠٤٥ وأما أنت فلم تسقط ، لتكون عبرة له . لقد شرب سم
(الخذلان) ، فكل أنت سكر (الرضى) !

كيف قصد الغز أن يقتلوا رجلا

وذلك ليخيفوا سواه

لقد أقبل هؤلاء الأتراك الغزّ سفاكو الدماء للغارة ، فدخلوا
أحدى القرى .

فوجدوا اثنين من أعيان تلك القرية ، فبادروا مسرعين الى الفتك
بواحد منهما .

فقيدوا يديه ليجعلوه قربانا ، فناداهم : « أيها الملوك والأركان
العظام !

لأى سبب قد قصدتم قتلى ؟ وما الغاية من تعطشكم هذا لدمى ؟
٣٠٥. وأية حكمة وأى غرض يتحقق بقتلى ، ما دمت هكذا درويشا
عريان الجسد ؟

فقال (أحدهم) : « لكى نوقع الفرع برفيقك ، فيخاف ويظهر لنا
الذهب ! »

فقال : « ولكنه أشد فقرا منى » . فقال التركمانى : « لقد قصد
(اظهار ذلك) ، وانه ليمتلك الذهب » .

فقال (الأسير) : « ما دام الأمر بالنسبة لكلينا وهم ، فنحن
متساويان في مقام الاحتمال والشك .

فاقتلوا صاحبي أولا - أيها الملوك - حتى أخاف ، وأرشدكم الى
مكان الذهب » .

٣٠٥٥ فتأمل كرم الله ، اذ جعلنا نجىء في آخر الزمان ، وهو يوشك
على النهاية .

وان القرون الأخيرة لهى السابقة على القرون . وقد جاء في الحديث : « نحن الآخرون السابقون » .
وهكذا أظهر داعى الرحمة لأرواحنا هلاك قوم نوح وقوم هود .
انه (الخالق) قد قتلهم حتى نخافه ، ولو أنه فعل عكس ذلك ،
لكان وبالا عليك .

بيان حال المغرورين الذين لا يستشعرون نعمة وجود الأنبياء والأولياء عليهم السلام

ان كلا من هؤلاء تكلم عن العيب والاثم ، وعن القلب المتحجر
والروح المظلمة ،

٣٠٦٠ وعن تلقى أوامر (الله) باستهانة ، وعن الخلو من هموم الغد ،
وعن الهيام بهذه الدنيا وتعشيقها ، كما تخضع المرأة للنفس الأمارّة ،
وعن ذلك الفرار من محكم أقوال الناصحين ، وعن الهرب من
لقاء الصالحين ،

وعن الغربة عن القلب ، وأصحاب القلوب ، وعن التزوير ولعب
الثعالب ازاء الملوك (الروحيين) ،

وعن التفكير بأن القانعين متسولون ، واضمار الحسد
والعداوة لأولئك القانعين !

٣٠٦٥ فلو أن واحدا من هؤلاء (الأنبياء والأولياء) تقبل منك شيئا
تقول : انه متسول ! وان لم يقبل قلت : ان هذا نفاق ومكر وخداع !

فهو لو خالط الناس قلت : « انه طامع » . ولو لم يفعل ذلك
قلت : انه مولع بالكبر !
أو تلتمس لنفسك عذرا كعذر المنافق قائلا : « انتى مَعَوَّق بنفقة
ولدى وامراتى !
فليس لدى وقت أحك به رأسى ، ولا عندى فراغ لانماء دينى .
فاذكرونا - يا فلان - بهمتك ، فلعلنا نعدو - فى عاقبة الأمر -
من الأولياء ! »

٣٠٧. وهو لا ينطق بهذا الكلام فى ألم وحرقة . انه كمشغل بالنعاس
هذى بكلمات ، ثم عاد الى الوسن .
(انه يقول) : « ليس لى مناص من كسب قوت العيال ، وأنا
أحصل بغاية الجهد^(١) على الكسب الحلال » .
وأى حلال ذلك ، يا من غدوت من أهل الضلال ! انتى لست أرى
حلالا سوى دمك !
(فمثلك) له مناص من الله ولا مناص له من الطعام ! وله ازاء
الدين حيلة ، ولا حيلة له ازاء الطاغوت !
فيا من لا اضطبار لك عن الدنيا الدون ، كيف يكون اضطبارك
عن (اتصف بقوله) : « نعم الماهدون^(٢) » .
٣٠٧٥ ويا من لا صبر لك عن الدلال والنعيم ! كيف يكون صبرك عن
الرب الكريم !

(١) حرفيا : « وأنا أحصل بأنيايى ... »
(٢) اشارة الى قوله تعالى : « والأرض فرشناها فنعم الماهدون » ،
(الذاريات ، ٥١ : ٤٨) .

ويا من لست تطيق صبرا عن التنظيف والملوث ! كيف تطيق صبرا
عن خالقهما !

أين الخليل الذى خرج من الغار ، فقال : هذا ربى . ألا فلتتنبه !
أين الخالق ؟

فلست بناظر الى كلا العالمين ما لم أعرف من هو مالك هذين
المجلسين .

فلو أننى أكلت الخبز - بدون أن أتأمل صفات الله - لاحتبس
في حلقى !

٣٠٨- وكيف تهضم لقمة بدون مشاهدته ، وبدون اجتلاء وردة وبستان
ورده .

وبدون الأمل في الله من ذا الذى كان يشرب من هذه العين لحظة
واحدة سوى ثور أو حمار .

فمن كان ممن (وصفهم القرآن) بأنهم « كالأنعام بل هم
أضل^(١) » ، فهو تن الریح ، برغم ما قد يكون له من دهاء بالغ .
ان مكره منقلب ، وهو ذاته منقلب (على رأسه) . ولقد عاش
برهة قصيرة ثم انقضى يومه .

ولقد غدا فكره متراخيا وعقله خرفا ، وانقضى عمره من غير أن
يظفر بشيء ، (فهو في تجرده) كحرف الألف^(٢) .

٣٠٨٥ وذلك التفكير الذى يقول : انه ملازم له ، لا يعدو أن يكون
أقصوصة من أقاصيص تلك النفس الحسية !

(١) انظر : سورة الاعراف ، ٧ : ١٧٩ .
(٢) الالف دائما مجردة من كل الحركات .

وأما ما يهتف به من قوله : « غفور رحيم » ، فليس إلا حيلة النفس اللثيمة !
فيا من قتلك الغم لخلو يديك من الخبز ، لماذا هذا الخوف ما دام الله غفورا رحيمًا ؟

كيف شكّا شيخ من الأمراض لأحد الأطباء

وكيف أجابه الطبيب

قال شيخ لأحد الأطباء : « اتنى في عذاب من ألم الدماغ » .
فقال الطبيب : « ان ضعف الدماغ هذا من الشيخوخة » ، فقال
الشيخ : « وفوق عيني سحب من الظلمة » .
٣٠٩ . فقال الطبيب : « هذا من الشيخوخة ، أيها الشيخ القديم » .
قال الشيخ : « وظهري ينتابه ألم عظيم » .
فقال الطبيب : « هذا من الشيخوخة ، أيها الشيخ الضعيف » .
قال الشيخ : « وكل ما آكله ليس يهضم » .
فقال الطبيب : « ضعف المعدة أيضا من الشيخوخة » . قال
الشيخ : « وفي وقت التنفس تتعثر أنفاسي » .
فقال الطبيب : « نعم ، هذا هو انقطاع النفس . فحينما تحل
الشيخوخة ، تجيء معها مئتان من العلل ! »
قال الشيخ : « أيها الأحق ، لقد وقفت عند هذا ، فهو قصارى
ما تعلمته من الطب !

٣٠٩٥ أما أرشدك عقلك - أيها المخبول - الى أن الله قد جعل لكل
داء دواء ؟

أناك لحمار أحمق ضعفت همته ، فبقى طريق الأرض لعجز
قوائمه ! »

فقال له الطبيب : « يا من بلغت الستين من عمرك ! ان غضبك هذا
وسخطك هما أيضا من (آثار) شيخوختك !
فما دامت كل ملكاتك وأعضائك قد ضعفت ، فقد ضعف معها
صبرك ، وسيطرتك على نفسك ! »
ان الشيخ لا يطيق كلمتين فيعلو من جرائهما صياحه . ولا طاقة له
بجرعة واحدة ، فهو يقيئها .

٣١٠٠ وليس كذلك الشيخ الذي هو ثمل بالحق ، ففى باطن هذا
حياة طيبة !

فهذا يكون في الظاهر شيخا ، لكنه في الباطن فتى ! فما كنه
ذاته ؟ انه ولى أو نبى !

فان لم تكن (حقيقة) هؤلاء (الأنبياء والأولياء) ظاهرة أمام
الأخيار والأشرار ، فلماذا يحمل لهم الاخساء مثل هذا الحسد ؟
ولو كان الأشرار يعرفونهم معرفة يقينية ، فلماذا هذا البغض
والتآمر والحقد ؟

ولو أنهم كانوا موقنين بالبعث والقيامة ، فكيف ألقوا بأنفسهم
فوق هذا السيف الحاد ؟

٣١٠٥ ان (النبى أو الولى) يتسم لك ، فلا تأخذ الأمر على ظاهره ،
فقد احتجبت في باطنه مائة قيامة !

فالنار والجنة كلاهما أجزاء منه ، وانه لفوق كل ما قد يخطر
بفكرك !

وكل ما تتفكر فيه قابل للفناء . والله وحده هو الذى لا يتسع له الفكر .

فلماذا يتبجحون على باب هذه الدار ، ما داموا يعرفون من بداخلها ؟

ان الحمقى يقومون بتعظيم المسجد ، على حين أنهم يسعون في خراب أصحاب القلوب !

٣١١٠ وما هذا (المسجد) الا مجاز ، وأما هذه (القلوب) فهي الحقيقة، أيها الحمير ! فما المسجد الا قلوب (هؤلاء) الكبراء !

فذلك المسجد الذى انطوت عليه قلوب الأولياء هو مسجد كافة الخلق ، فهناك الله .

وما دمع الله بالعار قرنا من القرون الا حين تألم — من جرائمهم — قلب واحد من رجاله (١) !

فقد كان هؤلاء يعمدون الى محاربة الأنبياء . فهم كانوا يرون جسم النبى فيحسبونه مجرد آدمى .

وان فيك لأخلاق هؤلاء الأوائل ! فكيف لا تخاف أن تصبح مثلهم ؟

٣١١٥ فما دامت بك كل هذه العلامات ، وما دمت واحدا منهم ، فالى أين تريد النجاة ؟

قصة جحى وذلك الطفل الذى كان

ينوح أمام نعش أبيه

كان طفل ينوح بمرارة ، ويدق رأسه أمام نعش أبيه ،

(١) ترجم هذا البيت بشيء من التصرف ليتضح معناه . والقرن فى الناس أهل زمان واحد . قال الشاعر :
إذا ذهب القرن الذى أنت فيه
وخلفت فى قرن فأنت غريب

(قائلا) : « أبتاه ! الى أين يحملونك آخر الأمر ، حتى يعتصروك
تحت التراب ؟

انهم يحملونك الى منزل ضيق مؤلم ، ليس به بساط ولا بداخله
حصير .

لا سراج به في الليل ، ولا خبز في النهار . وليست به رائحة للطعام
ولا أثر منه .

٣١٢٠ وليس به باب معمور ، ولا سبيل الى سطح ، ولا جار واحد
يكون لك ملاذا .

وجسمك الذي كان موضع قبل الخلق ، كيف ينزل دارا كهذه
مظلمة تعسة ؟

انه منزل لا قيام فيه ، بالغ الضيق ! وليس يبقى فيه وجه ولا
لون ! »

وأخذ يعدد أوصاف المنزل على هذا النحو ، وهو يعتصر الدموع
الدامية من عينيه .

فقال جحى لأبيه : « يا سيدى ، والله انهم ليحملون هذا الى
منزلنا ! »

٣١٢٥ فقال الأب لجحى : « لا تكن أبله » ، فقال جحى : « استمع يا
أبى الى هذه العلامات :

فهذه العلامات التى ذكرها واحدة واحدة هى لمنزلنا بدون ريب
ولا شك !

فليس به حصير ولا سراج ولا طعام ! ولا باب معمور ، ولا صحن
له ولا سقف ! »

فعلى هذا النسق يحمل الطغاة على أنفسهم مائة علامة ، ولكن متى
كان هؤلاء يبصرون أنفسهم ؟

فمنزل القلب الذى يبقى بدون ضياء من شعاع شمس الكبرياء ،
٣١٣. ضيق مظلّم مثل أرواح اليهود ، وقد حرم رزقه من تفحات
السلطان الودود !

فليس يشرق في هذا القلب نور الشمس ، وليست له عرصة رحبة
ولا باب مفتوح !

فالقبر خير لك من قلب مثل هذا ! ألا فلتنهض الآن من ضريح
قلبك !

انك حىّ وقد ولدت من حى ، أيها المرح الضحوك ، أفلا تضيق
أنفاسك بهذا القبر الضيق !

انك يوسف الوقت ، وشمس السماء ، فاصعد من قرارة هذا
الجب وذلك السجن ، وتجلّ بطلعتك !

٣١٣٥ انك مثل يونس ، وقد طبخت في بطن الحوت ، فمن أجل
خلاصك لا بد لك من التسبيح !

فلو لم يكن يونس مسبحا في بطن الحوت ، لبقى في حبسه وسجنه
الى يوم يبعثون !

فهو بالتسبيح قد خلص من جسد الحوت . فماذا يكون التسبيح ؟
انه آية يوم « ألت » .

فلئن كنت قد نسيت تسبيح الروح هذا ، فاستمع الآن الى تسبيح
هذه الحيتان !

فكل من رأى الله فهو الهى . وكل من شهد هذا البحر ، فهو
ذلك الحوت .

٣١٤. ان هذه الدنيا بحر ، والجسم فيها حوت ، وأما الروح فهو يونس المحتجب عن النور الصبوح .
فان كان الروح مسبحاً نجا من الحوت ، والا هضمه الحوت وتلاشى كيانه !
وان أسماك الروح لتملأ هذا البحر ، وأنت لا تبصرها وهى تطير حولك !
وان هذه الأسماك لتدفع بأنفسها نحوك ، فافتح عينيك حتى تشهدها عيانا !
فان أنت لم تر هذه الأسماك ظاهرة ، فان أذنك قد سمعت تسبيحها في عاقبة الأمر .
٣١٤٥ والصبر هو روح تسيحاتك ، فكن صابرا فان هذا هو التسبيح الحق !
وليس لتسبيح قط مثل هذه الدرجة ، فاصبر ، فان الصبر مفتاح الفرج .
ان الصبر كجسر الصراط والجنة في تلك الناحية . وفي صحبة كل جميل مرب قيح .
فما دمت تفر من المربي فلن يكون وصال ، ذلك لأن المربي لا يفترق عن الجميل .
وماذا تعرف عن مذاق الصبر يا من قلبك مثل الزجاج ، وبخاصة اذا كان الصبر عن حسان جكل .
٣١٥. ان الرجل يتذوق الغزو والكر والفر ، وأما المخنث فلا يتذوق الا الفسوق^(١) .
فليس للمخنث دين ولا تسبيح الا الفسوق ، ذلك لأن فكره يحمله الى أسفل^(٢) .

(١) ، (٢) ترجمنا هذين البيتين بقليل من التصرف .

فلو أنه تسامى الى الفلك فلا تحسب له حسابا ، ذلك لأنه حذق
درسه في عشق التسفل .

انه يركض فرسه نحو الدنيا ، مع أنه يلوح بجرسه نحو الأعالي !
وأية مهابة تكون لرايات الشحاذين ؟ ان هذه ليست الا وسيلة
الى كسر الخبز .

كيف خاف صبي من شخص غليظ الجسد

وكيف قال ذلك الشخص للصبي :

لا تخف ، فاني لست برجل

٣١٥٥ ان مخنثا غليظ الجسد لقي صبيا على انفراد ، فاصفر وجه الصبي
خوفا من قصد ذلك الرجل .

كفت أيمن باش اي زيباي من كه تو خواهد بودبر بالاي من (١)
من اكر هولم مخنث دان مرا همجو اشتر برنشين مي ران مرا (٢)
فصورة الرجال اذا اقترنت بمثل هذا المعنى ، فهي مظهر آدمي ،
في باطنه شيطان لعين !

فيا من تشبه بضخامتك قوم عاد ، انك لشييه بذلك الطبل الذي
كانت الريح تقرعه بالغصن .

(١) أعرضنا عن ترجمة هذا البيت لأنه ينطوي على مضمون لا تليق
ترجمته .

(٢) هذا البيت كسابقه ينطوي على مضمون لا تليق ترجمته . والبيتان
يشيران الى مرض اجتماعي خطير . وخلصتهما أن ذلك المخنث كشف
للصبي عن حقيقة حاله ، فاتضح بذلك أنه صورة هائلة لكنها لا تنطوي
على حقيقة .

٣١٦٠ ان ثعلبا قد أضاع صيده من أجل طبل كحقيبة امتلأت بالهواء ،
فلما لم يجد في ذلك الطبل شحما قال : « ان خنزيرا هو خير لى
من تلك الحقيبة الجوفاء » .
والثعالب هى التى تخاف من قرع الطبول . أما العاقل فكثيرا
ما يقرعها حتى تلزم الصمت .

قصة رامى السهام ، وخوفه من ذلك الفارس

الذى كان يتجول في الغابة

كان فارس مسلح ذو مظهر مهيب يتجول في الغابة على فرس
نجيب .

فراه أحد الرماة ، فشدّ - من خشيته - قوسه ،

٣١٦٥ حتى يرميه بسهم ، فصاح به الفارس : « اننى ضعيف برغم أن
جسدى عظيم !

فحذار حذار ، لا تنظر الى ضخامة جسمى ، فاننى في وقت الحرب
أهون من امرأة عجوز ! »

فقال له الرامى : « اذهب ، فقد أحسنت القول ، ولولا ذلك
لدفعنى الخوف الى أن أرمىك بسهم » .

فكم من رجال قتلتهم آلات الحرب ، وكانوا يحملون بأيديهم مثل
هذا السيف ، وهم مجردون من الرجولة !

فلو أنك لبست سلاح أمثال رستم ، ولم تكن أهلا لذلك ، ذهبت
روحك .

٣١٧٠ فاجعل روحك درعا لك ، وتخلّ عن السيف ، أيها الفتى ! فكل من كان بدون رأس ، ظفر برأس من المليك .
 ان سلاحك هو حيلتك ومكرك ، وهما قد انبثقا منك ، كما أنهما قد جرحا روحك .
 وما دمت لم تحقق ربّحاً من هذه الحيل ، فتخلّ عنها لعل السعادة تقبل اليك .
 وطالما أنك لم تظفر في لحظة واحدة بثمرة من الخداع ، فقل بترك الخداع ، واطلب رب المنن !
 وما دامت هذه العلوم لم تكن ذات بركة عليك ، فاجعل نفسك غرّاً ، وتخلص من الشؤم !
 ٣١٧٥ وقل مثل الملائكة : « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ^(١) » .

قصة الأعرابي الذي وضع رمالا في كيس

وكيف لامه ذلك الفيلسوف

وضع أعرابي على ظهر جملة كيسين كبيرين ، ممتلئين بالحب ، وركب الأعرابي فوق رأسى هذين الكيسين . وكان أن جاذبه الحديث رجل لبق المقال .
 فسأله عن وطنه ، وجرّه الى الكلام ، ونظم كثيرا من درر القول أثناء مساءلته .
 وبعد ذلك قال له : « بماذا امتلأ هذان الكيسان ؟ ألا فلتخبرني بحقيقة الحال » .

(١) انظر : سورة البقرة ، ٢ : ٣٢ .

٣١٨. فقال الأعرابي : « ان في أحد الكيسين قمحا ، وأما الآخر فيحتوى

رملا ، لا يقتات به الناس » .

فقال (المتفلسف) : « ولماذا حملت (الجمل) هذه الرمال ؟ » ،

قال الأعرابي : « حتى لا يبقى هذا الكيس وحيدا » .

فقال (المتفلسف) : « فلتصب نصف ذلك الكيس المتخم في

الآخر ، تمشيا مع الحكمة ،

حتى يخف (ثقل) الكيسين ، وكذلك الجمل » . فقال الأعرابي :

« مرحى أيها الحكيم القدير الحر !

أمثل هذا الفكر الدقيق والرأى الصائب (لديك) ، وأنت هكذا

عريان ، تمضى على قدميك في غناء ؟ »

٣١٨٥ وشعر الأعرابي بالشفقة على هذا الحكيم ، واعتزم هذا الرجل

الطيب أن يركبه فوق الجمل .

ثم أردف قائلا : « أيها الحكيم البارع القول ، تحدث الىّ قليلا

عن حالك !

فبمثل ما لك من عقل وما أنت عليه من كفاية ، أأنت وزير أم ملك ؟

ألا فلتصدقنى القول ! »

فقال المتفلسف : « اننى لست (واحدا من) هذين ، بل أنا من

العامة ! انظر الى حالى والى ثيابى ! »

قال الأعرابي : « فكم تملك من الجمال والثيران ؟ » ، فقال

المتفلسف : « لا هذه ولا تلك ، فلا تجرحنا ! »

٣١٩. قال الأعرابي : « فأى بضاعة تملكها في دكانك ؟ » ، فقال

المتفلسف : « ومن أين لى الدكان ، وأنى لى المكان ؟ »

قال الأعرابي : « سأسألك عن النقد ، كم تمتلك منه . فأنت متفرد
السييل ، ونصحك محبب .

وان لديك كيمياء لكل نحاس العالم ! وعقلك وعلمك جوهر تراكم
بعضه فوق بعض ! »

فقال المتفلسف : « والله يا وجيه العرب ليس كل ما أملك بكاف
للاتفاق على قوت ليلة واحدة !

واتنى لأعدو عارى الجسد حافى القدمين ، وأسعى نحو كل من
يقدم الى الخبز ،

٣١٩٥ ولم يتحقق لى من هذه الحكمة والفضل والذكاء سوى
الخيال ووجع الرأس ! »

فقال له الأعرابي : « ابتعد الآن عن جاتبي ، حتى لا يَظُر شؤم
طالعك فوق رأسى !

واحسن حكمتك المشؤومة هذه بعيداً عني ، فنطقك شؤم على
أهل الزمن !

أو اذهب أنت في تلك الناحية ، وسأنتقل أنا من هذه الناحية .
فلو كان طريقك أمامى فسوف أرجع الى الوراء !

ان كيسا من القمح وكيسا من الرمل هما خير لى من هذه الحيل
الجوفاء !

٣٢٠٠ انتنى أحقق ، لكن هذا الحمق كثير البركة ، فقلبي صاحب رزق ،
وروحى ذات تقوى !

فاذا أردت أن يقل شقاؤك ، فابذل جهدك لكى تقل حكمتك !
فالحكمة التى تتولد من الطبع ومن الخيال هى حكمة مجردة من
نور رب الجلال .

ان حكمة الدنيا تزيد من الظن والشك ، وأما حكمة الدين فتحلق
فوق الفلك !

ان حكماء آخر الزمان الأخساء قد رفعوا أنفسهم فوق السلف !
٣٢٠٥٠ لقد أحرقوا أكبادهم وهم يتعلمون الحيل ، وحذقوا أفعالا وألوانا
من المكر !

وأسلموا الى الريح الصبر والايتار وسخاء النفس والجود ، وتلك
(الصفات) اكسير كل ربح .
ان الفكر هو ذلك الذى يفتح طريقا ، والطريق هو ذلك الذى
يسير فيه أحد الملوك .

أما الملك فهو من يكون ملكا بذاته ، وليس ملكا بخزائنه وجيشه !
وذلك ليبقى ملكه سرمديا ، كما بقيت عزة الملك للدين الأحمدي .

كرامات ابراهيم بن أدهم - قدس الله روحه العزيز - على شاطئ البحر

٣٢١٠ هكذا يثروى عن ابراهيم بن أدهم ، أنه جلس على شاطئ البحر
ليستريح من الطريق ،
وأخذ يرتق دلقه . وفجأة وصل الى المكان أمير كان يتجول على
الساحل .

وكان هذا الأمير من عبيد الشيخ ، فعرف الشيخ وسارع بالسجود
له !

ولقد حار هذا الأمير في الشيخ ، وفي دلقه . لقد أصبح خثلقه
وخلقه على صورة أخرى .

انه قد تخلى عن مثل ذلك الملك العظيم ، واختار ذلك الفقر الموعل
في رقة الحال .

٣٢١٥ فيها هوذا قد أضاع ملك سبعة أقاليم ، وها هوذا كالمُتسول يُعمل

الابرة في دلقه !

وانكشف للشيخ تفكير هذا الأمير ، فالشيخ مثل الأسد وأما
القلوب فهي غابته .

انه يدخل القلوب مثل الخوف والرجاء ، وليست تخفى عليه
أسرار الدنيا !

فراقبوا قلوبكم أيها العاطلون من الثمار حينما تمثلون في حضرة
أصحاب القلوب .

فأمام أصحاب الأجساد يكون الأدب مقتصرًا على الظاهر ، ذلك
لأن الله قد حجب عنهم الباطن .

٣٢٢- وأما أهل القلوب فالأدب أمامهم أدب الباطن ، ذلك لأن قلوبهم
ذات فطنة بالسرائر !

وأنت على عكس ذلك : تقبل بمزيد من الأدب على العميان - طلبا
للجاء - وتجلس في أدنى مكان !

وأمام المبصرين تعمد الى ترك الأدب ! انك قد غدوت خطبا لنار
الشهوة !

فما دمت لا تملك فطنة ولا نور هدى ، فلتبالغ في جلاء وجهك
للعميان !

ولطّخ وجهك بالأقذار أمام المبصرين ! وتدلل عليهم برغم ما أنت
عليه من تنن الحال !

٣٢٢٥ لقد بادر الشيخ الى رمي ابرته في الماء ، ثم عاد فنادها بصوت
جهير .

فاذا بآلاف من الأسماء الإلهية ، بين شفتى كل منها ابرة من ذهب ،

وقد رفعت رؤوسها من بحر الحق ، (قائلة) : « خذ أيها الشيخ ابر الحق ! »

فالتفت الى الأمير وقال له : « أملكة القلب خير أم مثل هذا الملك (المادى) الحقيق ؟

وهذه هي العلامة الظاهرة ، وليست بشيء قط ! (فمها) حتى تصل الى الباطن لترى عشرين (من أمثالها) !

٣٢٣. فقد يُحمل الى المدينة غصن من الحديقة ، ولكن أنى للمدينة أن تحمل اليها الحديقة والبستان !

وبخاصة تلك الحديقة التى ليس هذا الفلك الا ورقة واحدة منها ، بل لعلها هي اللب ، وكل ما عداها كالقشور !

فان لم تكن تتوجه بخطاك نحو هذه الحديقة ، فالتمس زيادة العطر ، وادفع عنك الزكام ،

حتى يغدو هذا العطر جاذبا لروحك ، ويصير هذا العطر نورا لعينيك .

فمن أجل الشذا قال يوسف بن يعقوب النبى : « اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى^(١) » .

٣٢٣٥ وبسبب هذا الشذا قال أحمد فى عظامه : جعلت قرّة عينى فى الصلاة » .

(١) يوسف ، ١٢ : ٩٣ .

ان الحواس الخمس مرتبط بعضها ببعض الآخر ، ذلك لأنها
جميعا قد نبتت من أصل واحد ،
فقوة واحدة منها قوة لباقيها ، وكل واحدة منها تكون ساقية
للآخرى .

فابصار العين يقوّى النطق ، والنطق يزيد العين تصديقا .
ويصبح الصدق منها لكل حس ، فيغدو الذوق مؤنسا (لجميع)
الحواس !

بداية استنارة العارف بالنور الذى يرى الغيب

٣٢٤٠ حينما تصبح احدى الحواس متحررة من قيدها ، فان ما بقى من
الحواس تصبح كلها مبدلة !
وحينما تغدو احدى الحواس مبصرة لغير المحسوسات ، فان
الغيب يصير ظاهرا لكل الحواس !
فلو أن كبشا من القطيع قفز من فوق القناة ، فان سائر القطيع
يقتفى أثره نحو تلك الناحية .
فسئ خراف حواسك ، وادفعها الى الارتعاء في ذلك المرعى
(الذى يعنيه قوله تعالى) : « والذى أخرج المرعى ^(١) » .
حتى تأكل هناك السنبل والنسرين ، وتسلك سبيلا الى رياض
الحقائق !

(١) سورة الأعلى ، ٨٧ : ٤ .

٣٢٤٥ وينغدو كل حس من حواسك نبيا للحواس ، فيقودها جميعا الى
تلك الجنة !

فتناجى الحواس لحسك بالأسرار ، بدون لسان ولا حقيقة
ولا مجاز !

ذلك لأن هذه الحقيقة قابلة للتأويلات ، كما أن هذا التوهم أس
التخيلات ،

أما تلك الحقيقة التى تكون عينا وعيانا ، فليست تتسع قط لأى
تأويل .

واذا ما صارت الحواس خاضعة لحسك ، فلن يكون للأفلاك بد^ء
(من طاعتك) .

٣٢٥٠ فلو أن دعوى قامت حول امتلاك القشور ، فإن الذى يملك
اللباب هو مالك القشور .

واذا وقع تنازع حول حمل من القش ، فانظر من يكون مالك
الجب .

فالفلك اذن هو القشر ونور الروح هو اللب ، والفلك ظاهر ، وأما
نور الروح فخفى^١ ، فلا تخطئ فهم هذا المعنى !

ولقد جاء الجسم ظاهرا ، وأما الروح (الحيوانى)^(١) فهو
محتجب . فالجسم مثل الكم وأما الروح فهو مثل اليد .

كما أن العقل أكثر خفاء من الروح (الحيوانى) ، فالحس أكثر
سرعة في سلوكه سبيل الروح .

(١) الحديث هنا عن الروح الحيوانى ، وهو الذى يبيت الحياة في
الاجساد . وهذا مختلف عن الروح الانسانى الذى يمثل عند الصوفية
جوهر الانسان ، وحقيقته .

٣٢٥٥ فلو أنك أبصرت كائنا يتحرك لعرفت أنه حي ، ولكنك لا تعرف

من ذلك أنه ممتلئ بالعقل ،

حتى تظهر منه حركات موزونة ، وحتى يجعل نحاس الحركة بالعرفان ذهباً !

فمن التناسب الذى يظهر في أفعال اليدين ، يجيئك الفهم بأن هناك عقلاً .

وأما الروح الملهم^(١) فهو أكثر خفاء من العقل ، ذلك لأنه غيب ، فهو ينتمى لذلك الجانب (الآخر) .

فعقل أحمد لم يكن خافياً على شخص قط ، أما روحه الملهم فلم يكن مما يدركه كل روح .

٣٢٦. وللروح الملهم هذا أفعال متناسبة أيضاً ، ولكن العقل لا يدركها ، لأن ذلك الروح عزيز (ممتنع على الإدراك) .

فالعقل قد يرى هذا (الروح) جنونا ، وقد يحار فيه . والأمر كله رهن بأن يغدو هذا العقل روحاً^(٢) .

فهكذا كانت أفعال الخضر المتناسبة مصدر كدر لعقل موسى ، حين كان يراها !

فموسى — اذ لم تكن له ذات حال الخضر — كانت أفعال الخضر غير مقبولة في نظره .

فان كان عقل موسى عانى القيد في ملاحقة الغيب ، فماذا يكون عقل الفأر ، أيها المفضل ؟

(١) حرفياً : « روح الوحي » ، وهو الروح الذى يتلقى الوحي . (٢) لا سبيل للعقل الى ادراك حقيقة الروح الا اذا آمن بها وعمل على اتخاذ طبيعتها .

٣٣٦٥ ان العلم التقليدي يكون من أجل البيع ، فما أكثر ما يلتصع حين

يجد المشتري !

وأما العلم الحقيقي فمشتريه هو الحق ، ولهذا فإن سوقه دائما ذات رونق !

فصاحب هذا العلم قد أغلق ثفتيه ، فهو ثمل في البيع والشراء ، والمشترون بدون حصر لأن « الله اشترى ^(١) » .

قال ملائكة هم المشترون لدرس آدم ، وأما الجن والشياطين فليسوا بأهل لتلقيه .

فيا آدم ، أنبئهم بالأسماء ، وألق عليهم درسك ، واشرح أسرار الحق بكل تفصيلاتها ^(٢) .

٣٣٦٦ فمثل ذلك الشخص الذي يكون قصير النظر ، غريق التلوّن ، عديم التمكن ،

قد دعوته فأرأ ، لأن مقره في التراب ، والتراب للفأر مستقر ومعاش .

انه يعرف كثيرا من الطرق ، ولكنها جميعا تحت التراب ، ولقد شق لنفسه تحت الأرض سبلا في كل اتجاه .

فلا هم لنفس الفأر الا مضغ اللقم ، ولهذا فقد أعطى الفأر عقلا على قدر حاجته .

ذلك لأن الخالق العزيز لا يعطي انسانا قط شيئا لا تكون له حاجة اليه .

(١) انظر : سورة التوبة ، ٩ : ١١١ .

(٢) حرفيا : « واشرح أسرار الحق شعرة شعرة » .

٣٢٧٥ فلو لم تكن للعالم حاجة الى الأرض لما كان رب العالمين قط خلقها .

ولو لم تكن هذه الأرض المضطربة محتاجة للجبال لما أبدعها الله (راسخة) ذات جلال .

ولو لم تكن للأفلاك حاجة الى السموات السبع لما أوجدها من العدم .

والشمس والقمر وهذه النجوم ، هل ظهرت للعيان من غير حاجة اليها ؟

فالحاجة هي الوهق الذي يجتذب (الكائنات) الى الوجود . وللانسان آلات على قدر حاجته .

٣٢٨٠ فلتعجل أيها المحتاج بزيادة حاجاتك حتى يجيش بالسخاء بحر الجود .

فهؤلاء المتسولون ، وكل المبتلين يظهرون حاجتهم للخلق على الطريق ،

(انهم يظهرون) العمى والشلل ، والمرض والألم ، فلعل هذه الحاجة تحرك رحمة الناس .

• وليس أحد هؤلاء قط يقول : « أيها الناس ، تصدقوا علىّ بالخبز ، فان لى مالا وخزائن ومائدة ! »

ان الله لم يجعل للخلد^(١) عينين ، ذلك لأنها لا تحتاج اليهما في تحصيل قوتها .

(١) الخلد فارة عمياء أو دابة تحت الارض ، ويضرب بها المثل في شدة السمع . واسمها الفارسي « كور موش » ، ومعناه « الفارة العمياء » .

٣٢٨٥ انها تستطيع العيش بدون العين والبصر ، فهي في التراب الرطب
قد خلت من حاجة الى العينين .

وهي لا تخرج من باطن الأرض الا متلصصة ، وانها كذلك حتى
يطهرها الخالق من السرقة ،

فاذ ذاك توهب جناحين وتصير طيرا ، فتخلق وترنم بتسبيح
الخالق !

وتتغنى في بستان شكر الله كالبلبل بمائة لحن في كل لحظة !
قائلة : « يا من خلصتني من الوصف القبيح ! أيها الصانع من
الجحيم جنة !

٣٢٩. انك أنت الذى تضع النور في قطعة من الدهن^(١) ، وأنت — أيها
الغنى — واهب السمع لقطعة من العظم^(٢) ! «
فأى تعلق لهذه المعانى^(٣) بالجسم ، وأى تعلق لفهم الأشياء
بالاسم !

ان الجسم كالوكر ، والمعنى هو الطائر ! الجسم كمجرى النهر ،
والروح هو الماء !

فهو منطلق ، وأنت تقول : انه واقف ! وهو جار مندفع وأنت
تقول : انه عاكف !

فان كنت لا ترى انطلاق الماء بين الطين ، فما هذا القش الذى
يتوالى ظهوره فوق (صفحته) ؟

(١) يقصد « بقطعة الدهن » العين . (٢) يقصد « بقطعة العظم »
الأذن .

(٣) البصر والسمع .

٣٢٩٥ وصور فكرك هي لك شبيهة بهذا القش ، تتوارد منها على التوالي

أشكال بكر .

ونهر فكرك في انطلاقه لا تخلو صفحته من قش محبوب ، وقش
قبيح الشكل .

فهذه القشور فوق صفحة هذا الماء الجاري ، قد أقبلت مندفة
من ثمار بستان الغيب .

فابحث في البستان عن لباب هذا القشر ، ذلك لأن الماء يقبل
الى مجراه من البستان .

فان كنت لا تبصر جريان ماء الحياة ، فانظر الى حركة هذه
الأعشاب في النهر .

٣٣٠ فحينما يزداد اندفاع الماء في جريانه ، تزداد به قشور الفكر سرعة
في انطلاقها .

فاذا ما بلغ هذا النهر غاية سرعته في جريانه ، لا يستقر غم في
ضمير العارفين .

فهذا النهر حين يكون في قمة امتلائه وسرعته ، فانه لا يبقى به
متسع الا للماء .

كيف طعن غريب في احد الشيوخ

وكيف اجابه مريد الشيخ

اتهم شخص أحد الشيوخ (قائلًا) : « انه فاسد ، لا يسلك سبيل
الرشاد ! »

فهو شارب للخمر منافق خبيث ، فأنى له أن يكون مغيثا لمريديه ؟ »

٣٣٥ فقال له أحد (المريدین) : « الزم الأدب ، فليس بهين مثل هذا الظن بالكبار !

ولكم هو بعيد عنه وعن صفاته أن يعكر صفاءه سيل (من الخطيئة) !

فلا ترمِ مثل هذا البهتان أهل الحق ! ان هذا ليس سوى خيالك ، فافتح صفحة (جديدة) .

ان هذا لا يجوز ، أيها الطائر البري ! وهب أنه جاز ، فأى خوف لبحر القلزم من أن ترمى به نجثة ؟

انه ليس حوضاً صغيراً ، دون القلستين ، حتى يمكن أن تلوثه قطرة (من الدنس) !

٣٣٦ فالتار لا تكون خطراً على ابراهيم . أما كل نموود ، فادعه الى أن يحذرهما ! «

ان النفس هي النمروذ ، وأما العقل والروح فهما الخليل . فالروح (مستقرها) عين الحقيقة ، وأما النفس فعالقة بالدليل . والدليل انما هو للسائر في الطريق ، الذي هو — في كل لحظة — عرضة للضلال في البيداء .

أما الواصلون فليس لهم سوى العين والسراج ، وقد استراحوا من (هم) الدليل والطريق .

فلو أن رجلاً من الواصلين ذكر أحد الأدله ، فانه يفعل ذلك ليفهم أصحاب الجدل .

٣٣٧ ان الأب يصطنع أصوات الطفولة لوليدته الجديد ، مع أن عقله قد يبدع هندسة الدنيا !

فليس يهبط فضل الأستاذ من عليائه لو أنه قال : إن الألف لا
تقبل أى تحريك .

فالمرء - من أجل تعليم ذلك (الطفل) - المتعقود اللسان - يجب
عليه أن يخرج عن لسانه .

إن عليك أن تصطنع نطقه حتى يتعلم منك العلم والفن .
فمن اللازم للشيخ في وقت النصح أن يعتبر جميع الخلق مثل
أطفاله .

٣٣٢. واعلم أن هناك حداً للكفر ومداه ، أما الشيخ ونوره فليست
لهما حدود !

فالمحدود عدم أمام اللامحدود . وكل شيء سوى وجه الله مآله
إلى الفناء (١) .

فحيثما وجد الشيخ فلا مجال للكفر والإيمان ، ذلك لأنه لب ،
وليس هذين سوى ألوان وقشور !

فهذه الأمور الثنائية أصبحت حجاباً لذلك الوجه ، كما اختفى
نور سراج تحت طست .

فرأس هذا الجسد آذن حجاب لذلك الرأس (الروحي) ! ورأس
الجسد كافر إذا قيس بذلك الرأس !

٣٣٣. فمن الكافر ؟ إنه الغافل عن إيمان الشيخ ! ومن الميت ؟ إنه من
لا علم له بروح الشيخ !

إن الروح ليست إلا خبراً (قابلاً) للتجربة فكل من ازداد علماً
بها ، زادت روحه قوة .

(١) قال تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » . (القصص ، ٢٨ : ٨٨) .

وروحنا أعظم من روح الحيوان ، فلماذا ؟ لأنها أكثر علما من روح الحيوان .

وأرواح الملائكة أعظم من أرواحنا ، لأنها منزهة عن الحس المشترك .

وأما ملوك القلوب^(١) فأرواحهم أعظم من أرواح الملائكة ، فدعك من الحيرة !

٣٣٣. ولهذا السبب كان سجود الملائكة لآدم ، فروح آدم أعظم من كيانه .

والا لما كان من اللائق قط أن يؤمر كائن أعظم بالسجود لمن هو دونه .

وكيف تروق عدالة الخالق ولطفه أن تخر الوردة ساجدة للشوك ؟ فالروح حين قوى وتجاوز المنتهى ، أصبحت أرواح جملة الكائنات طوع حكمه ،

(سواء في ذلك) الطير والسماك والجنّ والناس ، ذلك لأن هذا الروح (الكامل) عظيم ، وتلك الأرواح ناقصة .

٣٣٣٥ فالأسماك تغدو صانعة الابرة لدلق الشيخ ، وتكون تابعة له كما يتبع الخيط الابرة !

بقية قصة ابراهيم بن ادهم - قدس الله

روحه - على شاطئ البحر

حين رأى ذلك الأمير نفاذ أمر الشيخ بقدوم الأسماك نحوه ، ظهر عليه الوجد ،

(١) الصوفية .

وتأوه قائلاً : « ان السمكة عارفة بالشيوخ ، فساء من كان طريد
بلاطهم !

الأسماك عارفة بالشيخ ، ونحن بعيدون عنه ! فنحن — (بحرماننا)
من هذا الحظ — أشقياء ! ، وتلك الأسماك سعيدة !
فخرٌ ساجداً ، ومضى باكياً ولها ، وجئن بتعشقه فتح ذلك
الباب !

٣٣٤. فما الذى أنت مشغول به ، يا من لم تغسل وجهك ! ومع من أنت
في صراع وحسد ؟

انك تعبت بذيل أسد ! انك تشن غارة على الملائكة !
لماذا حديثك بالسوء عن الخير المحض ؟ حاذر ، ولا تحسبن هذا
التوقع رفعة !

فماذا يكون الخبيث ؟ انه النحاس المفتقر المهان ! ومن هو الشيخ ؟
انه الكيمياء التى لا حد لها .

فلئن كان النحاس غير متقبل للاكسیر ، فان الاكسیر لا يغدو
قط نحاساً بفعل النحاس .

٣٣٤. وماذا يكون الخبيث ؟ انه العنيد النارىّ الفعل ! ومن الشيخ ؟
انه بحر الأزل بعينه !

والنار دائمة الخوف من الماء ، أما الماء ، فهل خاف قط من
اللهيب ؟

انك لتتفرس في وجه القمر باحثاً عن عيب ! بل انك لتلتمس
الأشواك في فردوس !

فيا ملتمس الشوك ! لو أنك دخلت الجنة ، فلن تجد فيها شوكة
سواك .

فهل تسعى الى تغطية الشمس بقطعة من الطين ؟ أم هل تلتمس
صدعا في البدر المكتمل ؟

٣٣٥. فهذه الشمس التي تضيء الدنيا ، كيف تحتجب من أجل خفاش !
ان العيوب قد صارت - برفض الشيوخ لها - عيوباً ، والعيوب
قد أضحت - بغيرتهم عليها - غيوباً !
ولو كنت بعيداً عنهم ، فكن لهم صديقاً بخدمتهم أحياناً . وسارع
الى الندم ، ثم بادر الى العمل !
فلعل نسيماً يهب نحوك من هذا السبيل . فلماذا تدفع عن نفسك
ماء الرحمة بالحسد ؟

ومهما كنت بعيداً عنهم فأظهر لهم أمارات الود ، وحيثما كنتم
قولوا وجوهكم (نحوهم) .

٣٣٥٥. فلو أن حماراً انزلق في الوحل من جراء خطوة مسرعة ، فانه
يتحرك على الدوام لكي ينهض .

وهو لا يمهّد ذلك المكان من أجل الإقامة ، فقد علم أنه ليس مكاناً
للعيش !

فحسبك كان أدنى من حسّ الحمار ، ذلك لأن قلبك لم ينهض
من هذه الأحوال !

فها أنت ذا تتأول رخصة للإقامة في الوحل ، ما دمت لا تريد أن
تنزع منه قلبك !

قائلاً : « ان هذا يجوز لي ، فأنا مضطر ، والحق بكرمه لن
يأخذني بعجزى ! »

٣٣٦. وهو في الحقيقة قد أخذك ولكنك كالضبع الأعمى لم تر أخذه
اياك ، من جراء غرورك !

ان الصيادين يقولون : « الضبع^(١) غير موجود هنا ، فأبحثوا عنه في الخارج ، فانه ليس في كهفه » .
يقولون هذا وهم يضعون فوقه القيود ، على حين أن الضبع يقول : « لا خبر لديهم عنى !
فلو أن هذا العدو كان يعرف مكاني ، فكيف كان يهتف : أين هذا الضبع ؟ »

كيف ادعى رجل ان الله تعالى لن يأخذه بالاثم وكيف اجابه شعيب

قال رجل في عهد شعيب : « ان الله رأى منى كثيرا من العيب !
فكم من اثم شهدته منى ، وكم من جرم ، لكن الله بكرمه لا يأخذنى بذلك ! »
فأجابه الحق تعالى بكلام فصيح ألقاه من الغيب في أذن شعيب :
(قائلًا) : « انك قد قلت : كم ارتكبت من آثام ، لكن الله بكرمه لم يأخذنى بجرمى !
وأنت تقلب (الحقيقة) وتقول بعكسها أيها السفیه ! يا من تخلت عن الطريق ، وتمسكت بالتيه !
فكم آخذك بجرمك وأنت لا تشعر بذلك ! ها أنت ذا مقيد بالسلاسل من قدميك الى رأسك !
٣٣٧. ان الصدا المتراكم عليك طبقة فوق طبقة — أيها الوعاء الأسود —
قد خرّب سيما باطنك !

(١) الضبع في رأى بعض اللغويين مؤنث . وفي رأى بعضهم أنه يذكر ويؤنث . وقد أخذنا بالرأى الأخير .

لقد تراكمت فوق قلبك طبقات من الصداً حتى أصبح أعمى عن
(مشاهدة) الأسرار !

فلو أن هذا الدخان هبط فوق قِدر جديدة ، لبقى أثره فوقها ،
مهما قلّ هذا الأثر (١) .

ذلك لأن الشيء يتميز بضده ، فذلك السواد تظهر شناعته
فوق البياض .

فاذا ما أصبحت القدر سوداء ، فمن ذا الذي يلحظ بعد ذلك
تأثير الدخان عليها بالنظرة العجلى ؟

٣٣٧٥ ان الحداد الزنجى يكون لون الدخان من لون وجهه .

أما الرومى الذى يحترف الحدادة فوجهه يغدو أبلق من تلقى
الدخان .

فهو سرعان ما يعلم تأثير الاثم ، فينوح بلهفة قائلاً : « يا
الهي ! »

وحينما يلزم الاصرار ويحترف السوء فهو يذرّ الرماد في عين
الفكر ،

فلا يتفكر في التوبة ، ثم يصبح ذلك الجرم حلواً في مذاق قلبه ،
حتى يصير مجرداً من الدين ،

٣٣٨٠ وقد زايله ذلك الندم ، ودعاء الله ، وتراكمت فوق مرآته خمس
طبقات من الصداً !

وبدأ الصداً يأكل حديدتها ، كما أنه أخذ ينتقص من جواهرها !
انك حين تكتب فوق ورقة بيضاء فان هذه الكتابة تقرأ بمجرد
النظر اليها .

(١) حرفياً : « لبقى أثره فوقها ، ولو كان مقدار حبة من شعير » .

فاذا ما كتبت فوق كلام مكتوب ، لم يتيسر فهمه ، ووقع الخطأ في قراءته .

ذلك لأن سوادا قد وقع فوق سواد ، فاستغلق كلا الخطين ، ولم يعطيا معنى .

٣٣٨٥ فلو أنك كتبت فوق ذلك للمرة الثالثة ، لأصبح السواد مثل روح الكافر .

فأية حيلة تكون بعد ذلك ، سوى اللجوء الى المعين . ان اليأس نحاس اكسيره نظر (الله) .

فلتضع أمامه نوازع يأسك ، حتى تنجو من السقم الذى لا دواء له !

فحينما حدث شعيب الرجل بهذه الحكم ، تفتحت في قلبه الورود بتلك الأنفاس الروحية .

فاستمعت روحه الى وحى السماء ، وقال : « ان كان قد عاقبنى ، فأين علامة ذلك ؟ »

٣٣٩٠ فهتف شعيب : « يا رب ! انه يجادلنى ، ويطلب علامة على

مؤاخذتك اياه ! »

فقال (الحق) : اننى ستار ، فلن أذيع من أسرارهِ الا رمزا واحدا لأبلوه به :

ان هناك علامة واحدة على مؤاخذتى اياه ، هى أنه رجل صاحب طاعات ، من صوم ودعاء ،

وصلاة وزكاة وغير ذلك ، لكنه ليست لديه ذرة واحدة من ذوق الروح !

انه يؤدي الطاعات ويقوم بسنىّ الفعال ، لكنه لا يملك ذرة واحدة من الذوق .

٣٣٩٥ ان طاعته نبيلة ، ولكنها لا تنطوى على معنى نبيل ! فالجوز كثير ولكنه لا يشتمل على لباب !

فلا بد من الذوق حتى تؤتى الطاعات ثمرا ، ولا بد من اللب حتى تنبت البذور شجرا .

فالبذرة التى لا لب لها كيف تصير غصنا ؟ والصورة التى لا روح لها ليست سوى خيال .

بقية قصة ذلك الغريب ، وطعنه في الشيخ

ان ذلك الخبيث كان يتفوه بهراء عن الشيخ ، فأحول النظر يكون دائما أحول العقل !

(قائلا) : « انتى قد رأيته في أحد المجالس ، فاذا هو عار من التقوى ، مفلس منها !

٣٤٠٠ وان كنت لا تصدقنى فانهض معى هذه الليلة ، لترى فسق شيخك عيانا ! »

واقتراده في الليل الى احدى النوافذ ، ثم قال : « تأمل هذا الفسق ، وتلك المنادمة !

تأمل ذلك النفاق بالنهار ، وهذا الفسق بالليل ! انه أثناء النهار كالمصطفى ، وفي الليل مثل أبى لهب !

ففى النهار كان اسمه « عبدالله » . وفي الليل أعادنا الله منه ، وهو يحمل كأس الشراب ! »

ورأى (المريد) الكأس ممتلئة في كف الشيخ ، فقال : « واشيخاه !

أأنت أيضا من أصحاب الخداع ؟ »

٣٤٠٥ تونمي كفتى كه درجام شراب ديو مى ميزد شتابان ناشتاب^(١)

فقال الشيخ : « انهم ملؤوا كأسى على هذه الصورة ، حتى لا يبقى بها متسع لحبة من بخور^(٢) .

انظر اليها ، هل فيها متسع لذرة ؟ ولقد حمل الغرّ هذا الكلام معنى معوجا ! »

فليست هذه كأس الظاهر ، ولا خمر الظاهر ! فما أبعد هذا عن ذلك الشيخ البصير بالغيب !

ان كأس الشراب هى وجود الشيخ أيها الأحق ، وهذا لا يتسع لقطرة من خبث الشيطان^(٣) .

٣٤١٠ انه ممتلىء طافح بنور الحق ! ولقد حطم كأس البدن ، فهو نور مطلق !

ولو أن نور الشمس وقع فوق نقاية قدرة ، فانه يبقى نورا ، ولا يتقبل منها الخبث .

قال الشيخ : « ليست هذه بكأس ، وليس ما تحويه خمر ، فانزل الينا - أيها المنكر - ثم تأملها ! »

(١) أعرضنا هنا عن ترجمة هذا البيت ، حيث وجدناه غير لائق بالترجمة . وخلاصته أن المريد قال لشيخه : « ألم تكن أنت الذى يشتد في النهى عن الشراب ؟ » .

(٢) المراد أن الكأس لم يبق بها متسع لاضافة شىء مهما صغر .

(٣) ترجمنا الشطر الثانى من البيت بشىء من التصرف ، فعبّرنا عن معناه من غير تقييد بالفاظه .

فاقترب منها فرآها عسلا صافيا ، فعبى (من الخجل) ذلك العدو
الضال التعس !

حينذاك قال الشيخ لمريده : « اذهب ، والتمس لي خمرًا ، أيها
العظيم !

٣٤١٥ فانى أحس بالألم ، وقد أصبحت مضطرا ! لقد تجاوز بي الألم حد
المخمصة !

ففى وقت الضرورة تكون كل ميتة نظيفة . فلينزل تراب اللعنة
على رأس المنكر ! «

فدخل ذلك المريد الى غرفة الدنان ، وأخذ — من أجل الشيخ —
يتذوق من كل دن !

فلم ير في كل غرف الدنان خمرًا ، فكل دنان النبيذ كانت قد
غدت ممتلئة بالعسل !

فقال : « أيها السكارى ما هذه الحال ؟ ما هذا الأمر ؟ اننى لست
أرى عقارا في أى دن ! «

٣٤٢٠ فأقبل جميع السكارى نحو ذلك الشيخ ، بعيون باكية وهم
يضربون رؤوسهم بأيديهم ،

(قائلين) : « لقد جئت الى حاتنتنا ، أيها الشيخ الأجل ، فأصبحت
— بقدمك — جملة خمورنا عسلا !

لقد أبدلت الخمر ، (وطهرتها) من الدنس ! فأبدل نفوسنا أيضا
(وطهرها) من الخبث ! «

فلو أن العالم امتلأ بالدماء حتى طفح ، فمتى كان عبد الله يشرب
غير الحلال !

كيف قالت عائشة - رضى الله عنها -

للمصطفى - عليه السلام - : أنك تؤدي

الصلاة في كل مكان بدون مصلى

قالت عائشة ذات يوم للرسول : « يا رسول الله ! أنك في العلى والخفاء ،

٣٤٢٥ تصلى في كل مكان تجده ! وقد يتجول في الدار النجس والدنىء ، وذات الحيض والطفل والملوث القذر ، وهؤلاء يلوثون كل مكان يقربونه .

فقال الرسول : « اعلمى أن الله يصنع للكبراء من النجس طهرا . فلفظ الحق - من هذا الوجه - قد طهر لى مكان السجود حتى السماء السابعة ! »

فحذار ، حذار ! لا تضمر حسدا لملوك (الروح) ، والا غدوت شيطانا في هذه الدنيا !

٣٤٣٠ فان (الواحد منهم) لو شرب سما لصار شهدا ، على حين أنك لو شربت شهدا لغدا سما !

انه قد تبدل حاله وتغير ، فأصبح لظفا ، وصارت جملة ناره نورا !

فأبائيل الطير كانت (تنعم) بقوة من الحق ، والا فكيف يقتل طائر فيلا ؟

ان جماعة من صغار الطير قد هزمت جيشا ، وذلك لكى تعلم أن تلك الصلاة كانت من الحق !

فان اعتراك وسواس من هذا القبيل ، فاذهب ، واقرأ سورة
الفيل .

٣٤٣٥ وان أنت سلكت (ازاء العارف) سبيل المراء والمطاولة ، فانسبني
الى الكفر لو أنك نجوت برأسك من هؤلاء (العارفين) .

كيف سحب الفأر مقود الجمل ،

وكيف اعتراه العجب بنفسه

خطف فأر صغير بكفه مقود جمل ثم غدا منطلقا بدافع من المراء !
فانطلق الجمل معه بما لديه من سرعة ، فاغتر بذلك الفأر وظن
نفسه من الأبطال !

وسرى شعاع من تفكير الفأر الى الجمل ، فقال (هامسا) :
« اهنا الآن بالا ، ولسوف أكشف أمرك » .

(ومضى الفأر) حتى وصل الى شاطئ نهر عظيم ، يضعف أمامه
كل أسد وكل ذئب ،

٣٤٤- فتوقف هناك الفأر وجمد ، فقال له الجمل : « يا رفيق الجبل
والصحراء !

ما هذا التوقف ؟ ولماذا أنت حائر ؟ ضع قدمك بشجاعة في النهر
ثم تقدم !

انك دليلى ومرشدي ، فلا تتوقف في وسط الطريق وتسكن ! »
فقال (الفأر) : « ان هذا ماء هائل عميق ، وأخشى أن أغرق
فيه ، أيها الرفيق ! »

فقال الجمل : « دعنى أختبر هذا الماء » ، ثم سرعان ما وضع
في الماء قدمه ،

٣٤٤٥ وأردف قائلا : « ان الماء يبلغ الركبة ، أيها الفأر الأعمى ! فلماذا

بقيت حيران ، وخرجت عن صوابك ؟ »

فقال (الفأر) : « انه بالقياس اليك نملة ، وهو بالنسبة الى

تنين ، فهناك فروق بين ركبة وأخرى .

فما كان بالنسبة لك يبلغ الركبة - أيها المفضل - فهو يعلو

مائة ذراع فوق قمة رأسى ! »

فقال الجمل : « فلا تتوقع بعد ذلك مرة أخرى ، حتى لا يحترق

جسمك وروحك بهذا الشرر !

وليكن مراؤك مع أمثالك من الجرذان ، فليس يكون للفأر حديث

مع الجمل .

٣٤٥٠ فقال (الفأر) : « لقد تبت ، فهلا تصدقت على » ، وجزت بى

هذا الماء المهلك .

فاستشعر الجمل الرحمة بالفأر ، وقال له : « الآن اقفز واجلس

فوق سنامي . .

ان العبور أصبح منوطا بى ، وأنا (قدير) على أن أحمل عبر

النهر آلافا مثلك ! »

فما دمت لست برسول فامش على الطريق ، لعلك تنتقل^(١) ذات

يوم من بئر (الشهوات) الى مستقر الجاه !

(١) حرفيا : « تصل » .

وكن من الرعية ، ما دمت لست بسلطان . ولا تقدر السفينة بنفسك
ما دمت لست القبطان !

٣٤٥٥ وطالما لم تكن مكتملا فلا تنفرد بتجارة^(١) . وكن لنا في الأيدي
(كالعجين) ، لتصبح خميرا .

وكن صامتا ، وأصغ لما أمر به الخالق من الانصات ، وما دمت
لست لسان الحق ، فكن أذنا !

واذا تكلمت فليكن كلامك على صورة استفسار . وكن كالمسكين
في حديثك مع هؤلاء الملوك^(٢) .

ان الشهوة هي بداية الكبر والحق ، ورسوخ الشهوة ينشأ من
الاعتیاد عليها .

فاذا رسخت عندك بحكم العادة خليقة سيئة ، يتتابك الغضب على
من (يسعى) لاقتلاعها منك !

٣٤٦٠ فما دمت قد غدوت آكلا للطين ، فكل من سعى لاقتلاعك من الطين
صار عدوا لك !

وعباد الصنم ، حين رسّخوا خلائقهم في تلك العبادة ، أصبحوا
أعداء لمن اعترض سبيلهم الى الصنم !

وابليس — اذ كان قد اعتاد على التخلق بالرئاسة — نظر الى
آدم بعين الانكار ،

قائلا : « أيوجد رئيس آخر أعظم قدرا مني ، حتى يستحق أن
يسجد له كائن مثلي ؟ »

(١) حرفيا : بدكان .

(٢) الملوك هنا هم المرشدون الروحيون .

ان الرئاسة ستم ، الا بالنسبة لتلك الروح التى تكون من البدايه
مترعة بالترياق !

٣٤٦٥ فلو كان الجبل مليئا بالشعابين فلا تخش شيئا ، ما دام في الباطن
ترياق غزير !

فاذا ما أصبحت الرئاسة نديما لدماعك ، فكل من خالفك صار
لك خصما قديما !

ولو أن انسانا تكلم على خلاف طبعك ، لثار في نفسك نحوه
كثير من الأحقاد !

(قائلا) : « انه يريد أن يقتلنى من أخلاقى ! انه يريد أن يجعل
منى تلميذا وتابعا له ! »

فلو لم يكن الخلق السيء قد أصبح راسخا ، فكيف كان بيت
النار يشتعل من (مجرد) خلاف !

٣٤٧٠ وقد يسعى (هذا) الى مداراة المخالف ، ويجعل لنفسه مكانة في
قلب من خالفه !

ذلك لأن الخلق السيء قد أصبح متمكنا منه ، وصارت نملة
الشهوة — بتحكم العادة — مثل الثعبان !

فاقتل — من البداية — ثعبان الشهوة ، والا ، فهالك ثعبانك ، وقد
أصبح تنينا !

لكن كل انسان يرى ثعبان نفسه نملة ! فالتمس عند صاحب
قلب تفسيراً لحال نفسك !

فما لم يصبح النحاس ذهباً فلن يعرف أنه (كان) نحاساً ! وما لم
يغد القاب ملكاً فلن يعرف أنه (كان) مفلساً !

٣٤٧٥ فاجعل نفسك النحاسية خادمة للاكسير ، واحتمل الجور - أيها القلب - ممن تملكك .

فمن مالك القلب ؟ ان أهل القلوب (هم مالكوه) فاعلم ذلك جيدا ، وان هؤلاء ليهربون من الدنيا ، كالنهار والليل !
ولا يكن منك ذم لمن كان لله عبدا ! ولا تتهم الملك بأنه أحد اللصوص !

كرامات ذلك الدرويش الذي اتهم بالسرقة في احدى السفن

كان درويش في احدى السفن ، وقد اتخذ لنفسه من بضاعة الرجولة ظهيرا .

وضاعت صرة من الذهب ، وكان ثائما ، ففتشوا الجميع ، وهو أيضا ووجه بذلك (١) .

٣٤٨٠ (اذ قالوا) : « فلنفتش أيضا هذا الفقير النائم » ، فأيقظه صاحب المال (الملتاع) بالحزن .

(قائلًا) : « لقد فقدت في هذه السفينة صرة (من الذهب) ، وقد فتشنا الجميع ، ولا خلاص لك من ذلك !

فاخلع دلقك وتعر منه ، حتى تبرأ من ظن السوء بك أوهام الخلق !

فقال (الدرويش) : « يا رب ، ان هؤلاء الأخساء قد اتهموا غلامك ، فأنفذ ارادتك ! »

(١) حرفيا : « وهو أيضا ظهر له ذلك » .

وحينما تملك الألم قلب الدرويش من جراء ذلك ، ظهرت برؤوسها
— على الفور — في كل ناحية

٣٤٨٥ آلاف الأسماك من البحر الخضم ، وفي فم كل منها درة عظيمة !
فهاتيك الألوف من أسماك البحر العميق ، كانت كل منها تحمل
بفمها درة ، وأية درة !

لقد كانت كل درة تعدل خراج مملكة ، وان هذا (العطاء) من
الله ، لا صلة له بسواه !

فنثر في السفينة درًا كثيرًا ، ثم قفز ، واتخذ الهواء كرسيا ،
وجلس !

وتربع سعيدا فوقه كأنه ملك فوق عرشه ! لقد كان في أوج رفيع ،
والسفينة أمامه !

٣٤٩٠ وقال : « اذهبوا ، فالسفينة لكم ، والله لى ! فلا ينبغي أن يكون
في صحبتكم لص متسول !

(ولننظر) لمن تكون الخسارة في هذا الفراق ! انى سعيد لاتصالى
بالحق ، وانفرادى عن الناس !

فهو لن يرمينى بتهمة السرقة ، ولا هو يسلم قيادى الى نمام ! «
فهتف أهل السفينة قائلين : « أيها الهمام ! كيف أعطيت هذا المقام
العالى ؟ »

فقال : « كان ذلك بسبب القائكم التهمة على الفقير ، واغضابكم
الحق من أجل شيء حقير !

٣٤٩٥ حاش لله . بل ذلك كان لتعظيم الملوك (الروحيين) ، فانى لم
أكن سىء الظن بالفقراء ،

هؤلاء الفقراء ذوى اللطف والأنفاس الطيبة ، الذين نزلت في
تعظيمهم (سورة) عبس .

ان التصوف ليس من أجل (اجتناب) تعقيد (الحياة) ، بل
التصوف لأنه ليس من موجود حق سوى الله !

فكيف أتهم من جعلهم الحق أمناء على خزائن السماء السابعة ؟
ان التهمة توجه الى النفس ، لا الى العقل الشريف ! المتهم هو
الحس ، وليس النور اللطيف !

٣٥٠٠ النفس سوفسطائية فاضربها ، فالضرب هو الذى ينفعها ، لا الجدل
والحجاج !

فهى ترى معجزة فيشتعل (بها الوجد) حينذاك ، ثم تعود فتقول :
« ان ذلك لم يكن سوى خيال !

ولو أن هذه الرؤية العجب كانت حقيقة للبت أمام العين صباح
مساء ! »

وهذه تكون مقيمة أمام أعين الطاهرين ، وليست تكون قط
قرينة لعين الحيوان (١) .

فان هذه المعجزة تحتقر هذا الحس وتزدريه . وكيف يكون مقر
الطاووس حفرة ضيقة ؟

٣٥٠٥ (وهأنذا أسكت) حتى لا تنعنى بالاسراف في القول . وأنا لا
أقول الا لمحة (٢) (مما ينبغى قوله) ، فكأنما هى
همسة (٣) !

(١) العين الحسية . (٢) حرفيا : « وأنا لا أقول الا واحدا بالمائة .. » .

(٣) حرفيا : « فكأنما هذه شعرة » .

كيف ذم الصوفية - امام الشيخ - ذلك الرفيق الذي كان يكثر من الكلام

ندد بعض الصوفية بواحد من رفقاءهم ، وتوجهوا الى شيخ الزاوية ،

وقالوا للشيخ : « اطلب الانصاف لأرواحنا من ذلك الصوفى ، أيها المرشد ! »

فقال الشيخ : « وما هى الشكوى ، أيها الصوفية » . فقالوا : « ان لهذا الصوفى ثلاث صفات ثقال :

انه في الكلام متتابع النطق مثل الجرس ، وفي الأكل يأكل أكثر مما يأكله عشرون رجلا ،

٣٥١٠ واذا نام فهو مثل أصحاب الكهف ! » ، فهكذا احتشد الصوفية عند الشيخ .

فوجه الشيخ وجهه نحو هذا الدرويش ، (وقال) : « خذ من كل حال وسطه !

لقد جاء في الخبر أن خير الأمور أوسطها . والأخلاط تكون نافعة باعتدالها .

فلو عرض ما يزيد واحدا من هذه الأخلاط ، ظهر المرض في جسم الانسان .

ولا تزدد عن قرينك في احدى صفاتك ، فان هذا يأتى بالفراق يقينا في عاقبة الأمر .

٣٥١٥ لقد كان نطق موسى متزنا ، لكنه - مع ذلك - جاء أكثر من نطق رفيقه الطيب .

فهذا الاكثار مع الخضر جاء بالشقاق ، فقال (لموسى) : « اذهب

فانك مكثر ! هذا فراق بينى وبينك !

يا موسى ! ان تكثر من الكلام ، فابتعد عني ! والا فكن معي

كمن لا ينطق ولا يرى !

وان أنت لم تذهب بل أقمت على الرغم مني ، فأنت (من جهة)

المعنى قد ذهبت ، وانقطعت عني ! »

انك حين تنقض وضوءك في الصلاة ، تأمرك (الصلاة) بأن

تسارع الى الوضوء .

٣٥٢. فان أنت لم تذهب أصبحت متحركا بدون جدوى . لقد ذهبت

صلاتك ، فاجلس أيها الغوى !

ولتذهب الى هؤلاء الذين هم قرناؤك ، فهؤلاء هم المتعشقون

لقولك ، الظامئون اليه .

ان الحارس لأكثر فضلا من النيام ، وأسماك (بحر الروح) لا

حاجة بها الى حارس .

والذين يرتدون الثياب يتطلعون الى الغاسل ، وأما الروح العارى

فله رونق بالتجلى .

فابتعد عن جانب هؤلاء العراة ، أو كن مثلهم متحررا من رداء

البدن !

٣٥٢٥ وان لم تستطع أن تتعري على الوجه الأكمل ، فأقلل من الثياب

حتى تسلك السبيل الأوسط .

لقد ذكر هذا الفقير عذره للشيخ ، وجعل هذا العذر قرينا لذلك الملام .

وأجاب على أسئلة الشيخ بإجابات لطيفة صائبة ، كاجابات الخضر ، تلك الاجابات التي رد بها على سؤالات الكليم ، فباح بها لموسى ، وهى من لدن رب عليم .

فحل له مشكلاته ، وأعطاه - فوق ذلك - مفتاحا لحل جميع المشكلات !

٣٥٣. ولقد كان لهذا الدرويش أيضا ميراث من الخضر ، فأطلق همته فى جواب الشيخ .

وقال : « برغم أن الطريق الأوسط هو الحكمة ، لكن الوسط أيضا أمر نسبي » .

فماء النهر يكون (عمقه) قليلا بالنسبة للجمل ، لكنه يكون بالقياس الى الفأر مثل اليم .

وكل من كان له اشتهاؤ لأربعة أرغفة ، ثم أكل اثنين أو ثلاثة ، فذلك يكون من المتوسط .

فان أكل الأربعة كان بعيدا عن حد الوسط ، فهو أسير للحرص مثل البط .

٣٥٣٥ وكل من كان اشتهاؤه لعشرة أرغفة ، ثم أكل ستة فاعلم أنه قد سلك سيلا وسطا .

وحينما يكون اشتهاؤ خمسين رغيفا ، واشتهاؤك ستة ، فلسنا متكافئين (فى القوة) .

فربما يعيبك أنت أداء عشر ركعات ، على حين لا يضمنى أداء
خمسائة ركعة !

وهذا يسير الى الكعبة حافى القدمين ، على حين أن سواه يعييه
الذهاب الى المسجد !

وهذا يهب الروح بسخاء ، وسواه كاد الجود برغيف يزهد روحه !
٣٥٤. ان الوسط يقترن بكل ما كان متناهما ، فهذا يكون له أول وآخر .
فالبداية والنهاية ضروريتان حتى يمكن أن يتصور الوسط فيما
بينهما .

وغير المتناهي — وهو ما لا يكون له طرفان — كيف يمكن أن يحدد
له وسط ؟

فلا أحد يعرف له بداية أو نهاية . « قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ^(١) » .
ولو صارت البحار السبعة كلها مدادا ، فليس هناك قط توقع
لنفادها !

٣٥٥. ولو صارت البساتين والغابات كلها أقلاما (تسجل) فلن تتناقص
قط تلك الكلمات !

فالحبر والأقلام مآلها جميعا الى النفاد ، وتبقى هذه الكلمات
التي لا يحصيها عد !

ان حالتى قد تشبه النوم أحيانا ، لكن الضال يحسبها نوما .
فاعلم أن عيني نائمة وقلبي يقظان ! اعلم أننى دائب العمل وان
ظهرت لك (وكأنتى) بدون عمل !

(١) الكهف ، ١٨ : ١٠٩ .

ولقد قال الرسول : « ان عيني تتامان ولا ينام قلبي^(١) » .
٣٥٥٠ فعيناك يقطتان ولكن قلبك غارق في النوم . أما أنا فعيناى غافيتان ،
وقلبي (مترقب) فتح الباب !
ان قلبي له خمس حواس أخرى ، والعالمان كلاهما مشهد لحواس
القلب !

فلا تنظر الى من خلال ضعفك ، فما كان بالنسبة اليك ليلا ، فهو
ذاته بالنسبة لى مثل الضحى !
انه بالنسبة اليك سجن ، وهذا السجن هو بالنسبة الىّ مثل
البستان . ولقد صار انشغالك ذاته عندي فراغا !
وقدماك في الوحل ، أما أنا فقد صار الطين عندي وردا ! وأنت
في مأتم ، وأنا في فرحة وطبول !

٣٥٥٥ وأنا أسكن الأرض معك في مكان واحد ، لكننى أنطلق (دونك)
الى السماء السابعة ، مثل زحل .
ولست (في الحقيقة) جليساك ، بل ذلك ظلى ! وان منزلتى
لأسمى من أن تبلغها الأفكار !
ذلك لأننى قد تجاوزت الأفكار ، وأصبحت منطلقا خارج
نطاقها !

ولقد أصبحت حاكما على الأفكار ، لا محكوما بها ، ذلك لأن
البانى يكون هو المتحكم في البناء !
أما جملة الخلق فهم مسخرون للفكر ، ولهذا فانهم عليلو القلوب
محترفون للأحزان .

٣٥٦٠ واني لأسلم نفسي — عن قصد — للأفكار ، لكنني أقفز من بينها ،
حينما أريد .

اننى طائر القمم ، وليس الفكر الا بعوضة ! فكيف يكون للبعوضة
سلطان على ؟

وربما أنزل — عن قصد — من الأوج الرفيع ، حتى يلتف حولي
من تحطمت سيقانهم .

وحينما يعتريني الملal من سفلى الصفات ، أحلق كما تفعل الطيور
الصفات^(١) !

وان جناحيّ قد نبتا أيضا من ذاتي ، فأنا لا ألصق حولي جناحين
بالغراء .

٣٥٦٥ فهكذا كان لجعفر الطيار جناحان مطلقان ! أما جعفر العيار فكان
له جناحان كاذبان !

فهذا (القول) — عند من لم يتذوقه — ليس الا دعوى ، لكنه
— عند سكان السماء — معنى !

ان هذا يكون هراء ودعوى في نظر الغراب ، فالوعاء الخاوى أو
الممتلىء يكونان سواء أمام الذباب .

فما دامت اللقم تتحول فيك الى جوهر ، فلا تنكمش ، وكل على
قدر طاقتك .

ان شيخا أراد ذات يوم أن يدفع سوء الظن ، فتقياً في وعاء ، فامتلاً
الوعاء بالدر .

(١) انظر : سورة الملك ، ٦٧ : ١٩ .

٣٥٧. فالشيخ البصير قد جعل الجوهر المعقول محسوسا ، لكى (يفهم

المعترض) القليل العقل .

واذا ما أصبح الطعام النقى ملوثا في معدتك ، فضع قفلا على حلقك

ثم خبىء المفتاح .

أما كل من تحولت فيه اللقم الى نور جليل ، فليأكل ما أراد ، فهذا

له حلال !

بيان تلك الدعوى التى تكون ذاتها

دليل صدقها

لئن كنت صفياء لروحي ، فان قولى الحافل بالمعنى ليس من قبيل

الدعوى .

فلو قلت لك في منتصف الليل : « انى أمامك ، فلا تخف من الليل .

انى قريبك » ،

٣٥٧٥ لكان لكل دعوى من هاتين معنى عندك ، ما دمت تعرف صوت

قريبك .

فكل من المواجهة والقربى كانت دعوى ، لكن كلا منهما كان لها

معناها في الفهم الحسن .

وقرب الصوت يقوم شاهدا على أن هذا الكلام ينطلق من صديق

مجاور لك .

ولذة صوت القربى أيضاً جاءت شاهداً على صدق ذلك القريب

العزیز .

أما الأحق المجرد من الإلهام ، ذاك الذى — من جراء جهله — لا يعرف صوت الغريب من القريب ،

٣٥٨٠ تكون الدعوى عنده مقصورة على قول القائل ، ولهذا فان جهله صار مصدر انكاره .

أما بالنسبة للذكى — الذى أشرقت في باطنه الأنوار — فان هذا الصوت ذاته يكون معنى مستقيماً .

وكذلك لو تكلم بالعربية رجل عربى اللسان ، (قائلاً) : « اننى أعرف لغة العرب » ،

فان نطقه العربى ذاته يكون معنى ، مع أن (قوله) انه يعرف العربية يكون (من قبيل) الدعوى .

أو كتب كاتب فوق ورقة : « اننى كاتب ، قارىء ، من أهل الفضل » ،
٣٥٨٥ فان هذه الكتابة — وان كانت في ذاتها دعوى — تكون أيضاً شاهداً على المعنى .

أو يقول صوفى : « انك قد رأيت بالأمس رجلاً يحمل سجادة فوق كتفه ،

ولقد كنت أنا هذا الرجل ، فما حدثتك به فى حلمك ، وأنت نائم ، من شرح للنظر ،

أصغ اليه ، واجعله قرطاً فى أذنك ، واتخذ كلماتى تلك مرشداً لعقلك ! » ،

فأنت — حين تستعيد ذكر هذا المنام — يكون هذا الكلام — بالنسبة اليك — معجزة جديدة ، وذهباً قديماً !

٣٥٩٠ ومع أن هذا يبدو وكأنه دعوى (من القائل) ، لكن روح صاحب

الواقعة^(١) تؤكد ثبوتها .

فالحكمة اذ كانت ضالة المؤمن ، فانه يوقن بها حين يسمعها من أي
انسان !

وهو — حينما يجد نفسه وحده في مواجهتها — كيف يتطرق اليه
الشك ؟ وكيف يخطيء نفسه ؟

انك حين تقول لظمان : « سارع ، فان في القدر ماء ، ولتبادر
بأخذه » ،

فهل يمكن أن يقول لك الظمان : « هذا (مجرد) دعوى ! فابتعد
عني — أيها المدعى — وفارقني !

٣٥٩٥ أو قدّم لي شاهداً وحجة على أن هذا من جنس الماء ، وأنه من
ذلك الماء المعين ! »

وهب أن أمّا قالت لطفلها الرضيع : « هلم اليّ » ، انني والدتك
هيا أيها الولد ! » ،

فهل يقول الطفل : « أيتها الأم ، قدمي الحجة حتى أطمئن الي
حليبيك ؟ »

فكل أئمة في قلبها مذاق من الحق ، يكون وجه النبي وصوته
هما المعجزة !

فحينما ينادي النبيّ بدعوته في الظاهر ، تسجد أرواح الأمة في
الباطن .

٣٦٠٠ ذلك لأن أذن الروح لا تكون قد سمعت جنس قوله من انسان
آخر ، في هذه الدنيا .

(١) الرجل الذي رأى الحلم .

فهذه الغريبة - بتذوقها صوت الغريب - تسمع من كلام الحق قوله : « انى قريب ^(١) » .

كيف سجد يحيى - عليه السلام -

في بطن امه للمسيح عليه السلام

قالت أم يحيى - وهى لا تزال حاملا به - لمريم ، في الخفاء :
« انى أرى بعين اليقين مليكا في بطنك ، يكون من أولى العزم ،
ورسولا نبيا .

فأنا - حينما أصبحت قريبة منك - سارع الجنين في بطنى الى
السجود .

٣٦-٥ ان هذا الجنين قد سجد لذلك الجنين ، فوقع الألم في جسدى
من جراء سجوده ! »

فقالت مريم : « اننى قد أحسست أيضا بسجود هذا الجنين ، في
بطنى » .

اثارة اشكال حول هذه القصة

ان أهل الغفلة يقولون : « هذه خرافة ، فاضرب عنها صفحا ،
فانها كذب وخطأ .

فمريم - أثناء حملها - لم تتصل بانسان قط . وهى لم ترجع قط
من خارج المدينة .

(١) انظر : سورة البقرة ، ٢ : ١٨٦ .

فهذه المرأة الحلوة المنطق لم تدخل المدينة قبل أن تضع حملها .
٣٦١٠ فلما ولدته حملته على صدرها وأتت به قومها .
فأين أبصرتها أم يحيى نتحدث إليها بتلك الكلمات عما جرى ؟ »

جواب الأشكأل

فليعلم (المعترض) أن ما هو غائب في الآفاق ، يكون حاضرا لأهل
الخاطر !
فأم يحيى تجيء في نظر مريم ، برغم أنها تكون بعيدة عن مرأى
بصرها ،
فالمرء يستطيع أن يرى الحبيب ، وعيناه مغمضتان ، وذلك اذا ما
استطاع أن يكف جسده^(١) عن الحركة .
٣٦١٥ فان لم ير الحبيب رؤية الظاهر ولا رؤية الباطن ، فاقبس من
هذه الحكاية معناها ، أيها الضعيف !
(ولا تكن) كمن سمع بعض الأقاصيص ، فتمسك بحرفيتها
تمسك « الشين » بلفظة « نقش » .
(قائلا) : « كيف تكلمكم كليلته هذا بدون لسان ؟ وكيف استمع
الى كلام من دمنة ، وقد كان ذلك عاجزا عن البيان ؟
وهب أن كلا منهما كان يفهم لحن الآخر ، فكيف استطاع البشر
أن يفهموا هذا ، وهو ليس بنطق !
وكيف استطاع دمنة أن يكون رسولا بين الأسد والثور ، ويسمع
كلا منهما بيانه ؟

(١) حرفيا : جلده . ومعنى كف الجسد عن الحركة : أن يهدأ الانسان ،
ويخلد الى التأمل .

٣٦٢٠ وكيف صار ذلك الثور النبيل وزيرا للأسد ؟ وكيف صار الفيل
وجلا من خيال القمر ؟
ان كليلة ودمنة هذا كله افتراء ، والا فكيف وقع الجدل بين
الغراب والقلق ؟
يا أخى ! ان القصة مثل المكيال ، والمعنى فيها مثل الحب في
المكيال .
فالرجل العاقل يأخذ حصاد المعنى ، ولا ينظر الى المكيال ، وان
كان (وسيلة) النقل .
فاستمع الى ما يدور بين البلبل والوردة ، مع أنه ليس هناك كلام
صريح !

قول الكلام بلسان الحال ، وفهم

ذلك الكلام

٣٦٢٥ استمع أيضا لما يدور بين الشمعة والفراشة ، واقتبس^(١) معناه ،
أيها المليح .
فمع أنه ليس هناك قول مسموع ، فهناك سر القول ، فتنبه وحلق
نحو القمم ، ولا تنهاو كالبومة في طيرانك !
لقد قال لاعب الشطرنج : « هذا بيت الرخ » ، فأجابه (المتمسك
بالحرفية) : « ومن أين له هذا البيت ، وكيف امتلكه ؟ »
هل اشترى هذا البيت أم حصل عليه بالارث ؟ « فما أسعد ذلك
الرجل الذى يسارع الى المعنى !

(١) حرفيا : « واختر ... » .

لقد قال النحوى : « ضرب زيد عمرا » ، فقال (الأحمق) :
« ولماذا أدبه بدون جرم ؟ »

٣٦٣. ماذا كان جرم عمرو ؟ ان زيدا اللفظ قد ضربه — بدون جرم —
كما يضرَب الغلام .

فأجابه (النحوى) : « ان هذا (الكلام) مكيال للمعنى ، فخذ من
المكيال ما به من قمح ، ورد المكيال !

ان زيدا وعمرا (هنا) وسيلة لتعلم الاعراب ، ومهما يكن هذا
(القول) كذبا ، فاتخذهُ وسيلة الى الاعراب .

فقال (الأحمق) : « لا ! اننى لست أعرف كيف ضرب زيد عمرا
بدون ذنب ولا خطأ ! »

فانصرف النحوى الى اللهو — بعد أن يئس — وقال : « ان عمرا
كان قد سرق واوا زائدة ،

٣٦٣٥ وعلم زيد بذلك ، ف ضرب السارق ! فما دام هذا قد تجاوز الحد ،
فقد حق عليه الحد ! »

كيف يلقي كلام الباطل قبولا في قلوب

اهل الباطل

فقال (الأحمق) : « هذا هو الصواب ، وقد تقبلته بروحي ! »
ان المعوج يظهر مستقيما في نظر المعوجين !

فلو أنك قلت لأحول ان القمر واحد ، لقال لك : « بل هناك
قمران ، فالشك يحيط بتفرد القمر !

ولو أراد شخص أن يسخر منه لقال له : ان هناك قمرين ، فيصدقه
(الأحمق) ، فهذا لائق بطبيعته الخسيسة !

ان الكذب يتجمع حول أهل الكذب ، وقوله تعالى : « الخيئات للخيئين^(١) » يلقي ضوءاً على ذلك .

٣٦٤. وأصحاب القلوب الرحبة لهم أياد رحبة^(٢) ، أما من عميت عيونهم فليس لهم الا العثار فوق الصخور .

البحث عن تلك الشجرة التى لا يذوق الموت كل من أكل من ثمارها

قال عالم على سبيل الحكاية : « ان في بلاد الهند شجرة ، كل من أكل من ثمارها أو حملها ، لا يشيخ ولا يتطرق اليه الموت ! »

وسمع بهذا أحد الملوك من رجل صادق ، فأصبح عاشقا للشجرة وثمارها !

فأرسل في طلبها رسولا عالما من ديوان الأدب الى بلاد الهند .

٣٦٤٥ ودار رسول الملك هذا حول بلاد الهند سنين ، (قضاها) في البحث والطلب .

لقد طوف من مدينة لأخرى بحثا عن هذا المطلوب ، ولم يدع جزيرة ولا جبلا ولا صحراء !

وكلما سأل انسانا سخر منه قائلا : « من ذا الذى يبحث عن هذه سوى مجنون مكبل بالقيود ؟ »

وكان كثير من الناس يصفعونه ساخرين ! وكثيرون قالوا له :
« يا صاحب الفلاح !

(١) انظر : سورة النور ، ٢٤ : ٢٦ .

(٢) يقصد « بالأأيادي الرحبة » هنا القدرات الواسعة .

أرجل ذكى صافى الفؤاد مثلك يكون بحثه هكذا خاويا (من
المعنى) جزافا ؟ »

٣٦٥- وهذا (اللون) من المراجعة (١) كان صنعا آخر ، بل إنه لأشد من
الصفع الصريح !

لقد كانوا يمدحونه - بسخرية - قائلين : أيها العظيم ! في مكان
كذا توجد شجرة شامخة غليظة !

بل عينوا غابة ذكروا أن بها شجرة خضراء ، عظيمة الطول
والعرض ، غليظة الأغصان !

ان رسول الملك - الذى كان ينقب بجد بالغ (٢) - أخذ يستمع
من كل شخص الى لون من الخبر .

ولقد قضى سنين في السياحة هناك ، وكان الملك يبعث اليه
بالأموال .

٣٦٥٥ ولما ازداد عناؤه في تلك الغربة ، عجز في آخر الأمر عن ادراك
الطلب .

فلم يظهر قط أى أثر لمقصوده ! ولم ينكشف من هذا المطلب شيء
سوى الخبر !

فانقطع بذلك خيط أمله ، وأصبح ملتئمسه ولا سبيل الى
التماسه ، في عاقبة الأمر .

فعزم على العودة الى الملك ، ومضى ينثر الدموع ، وهو مندفع
على الطريق .

(١) الأدب المفتعل .

(٢) حرفيا : « ان رسول الملك الذى كان عقد زناره للبحث ... »

كيف شرح الشيخ سر هذه الشجرة للطالب المقلد

وكان هناك شيخ عالم وقطب كريم ، في ذلك المنزل (من الطريق)
حيث يئس نديم الملك .

٣٦٦ (فحدث نفسه) قائلا : « اننى يئس فلأذهب اليه ، ثم أنطلق
من عتبته الى الطريق ،

حتى يكون دعاؤه رفيقا لى على الطريق ، ما دمت قد أصبحت
يائسا من مطلوبى » .

وتقدم نحو الشيخ بعين مليئة بالدمع . لقد كان يطر الدموع
كالسحاب .

وقال : « أيها الشيخ ! هذا وقت الرحمة والرقّة ! اننى يئس وهذه
الساعة هي أوان اللطف ! »

فقال له : « فخبرنى ، من أى أمر قنوطك ؟ وما هو مطلوبك ؟ والى
أى شىء وجهتك ؟ »

٣٦٥ فقال : « لقد اختارنى الملك ، لأبحث عن شجرة وارفة الأفنان .

انها شجرة نادرة في كل الجهات ، فاكهتها هي سر ماء الحياة !
ولقد بحثت عنها سنين فلم أجد لها أثرا ، (ولم أظفر) الا باستهزاء
العابثين وسخرهم ! »

فضحك الشيخ ، وقال : « يا سليم القلب ! ان هذه هي شجرة
العلم (المنطوية) في العليم !

انها سامقة عظيمة منبسطة وارفة ! انها ماء الحياة من البحر
المحيط !

٣٦٧٠ ولقد قصدت اليها بالصورة ، فضلت السبيل ! انك لم تجدها

لأنك تركت المعنى !

وهي حين تدعى « شجرة » ، وحين « شمس » ، وحين « بحرا » ،

وحين « سحابا » !

انها واحدة^(١) انبعثت منها آلاف الآثار ! ان أقل آثارها حياة

الخلود !

وان لها ألف أثر ، مع أنها واحدة ! انها واحدة جدية بما لا يحصى

من الأسماء !

فهذا شخص واحد يكون لك أبا ، وهو بالنسبة لشخص آخر

يكون ابنا .

٣٦٧٥ وهو — بالقياس الى شخص ثالث — قاهر وعدو ، وبالقياس

الى سواه لطيف طيب !

فهذا الآدمي الواحد تكون له آلاف الأسماء ، والمدرك لكل

أوصافه يكون عاجزا عن وصفه !

فكل من طلب الاسم — وان كان من الثقات — أصبح مثلك يائسا

مشتت (الفكر) .

فلماذا تشبثت أنت باسم هذه الشجرة ، حتى بقيت مرّ الأمانى ،

تعس الطالع !

دعك من الاسم وانظر الى الصفات ، حتى تهديك الصفات الى

سبيل الذات !

(١) شجرة العلم .

٣٦٨. ان اختلاف الخلق يقع من جراء الأسماء ، فاذا ما تقدموا نحو
المعنى ساد الوئام .

كيف تنازع أربعة أشخاص حول العنب لأن كلا منهم كان يعرفه باسم مختلف عما يعرفه الآخر

أعطى رجل درهما لأربعة أشخاص ، فقال أحدهم (وكان فارسيا) :
« سأشتري بهذا أنكور^(١) » .

فقال ثانيهم ، وكان عريبا : « انى أريد عنبا ، لا أنكور ، أيها
الخبيث » .

فقال ثالثهم ، وكان تركيا : « أنا لا أريد عنبا ، بل أريد
(اوزوم^(٢)) » .

فقال رابعهم ، وكان روميا : « دعونا من هذا القول ، فنحن نريد
(استافيل^(٣)) » .

٣٦٨٥ وأدى التنازع بين هؤلاء الى العراك ، ذلك لأنهم كانوا غافلين
عن سر الأسماء !

وأخذ هؤلاء — من جراء حماقتهم — يتلاكمون ، فقد كانوا
مفعمين بالجهل ، خاوين من المعرفة .

فلو كان هناك رجل متعدد اللغات — من أصحاب السر الأعزاء —
لأقر بينهم الصلح !

(١) « أنكور » كلمة فارسية ، معناها « عنب » (٢) اسم العنب بالتركية .
(٣) اسم العنب باليونانية .

ولكان قال لهم : « سوف أحقق رغائبكم جميعا بهذا الدرهم

الواحد !

فانكم لو أسلمتم الى قلوبكم ، مجردة من الحقد ، لصنع درهمكم
الكثير من أجلكم .

٣٦٩٠ ولأصبح درهمكم الواحد (منفذاً) لأربع رغاب ! ولصار أربعة
أعداء — بالاتحاد — رجلا واحدا !

ان قول كل واحد منكم يجر الى الخصومة والفراق ! وقولى أنا
يقر بينكم الوفاق !

فاسكتوا أتم وكونوا منصتين ، حتى أكون أنا لسانكم في القول
والكلام ! »

فمع أن كلامكم قد يكون وثيق التوافق ، فان أثره
يكون جرثومة النزاع والفرقة !

ان الحرارة المستعارة لا تولد أثرا ، أما الحرارة الطبيعية فلها
الفضل (الحقيقى) .

٣٦٩٥ فلو أنك أدفأت الخل بالنار ، فأنت حين تشربه تزداد — بدون
شك — احساسا ببرودته .

ذلك لأن حرارته تلك ظاهرية (مفتعلة) ، وطبيعة أصله البرودة
والحدة .

ولو كان الدبس مثلجا — يا بنى — فانك حين تشربه يزيد الحرارة
في كبذك .

وعلى هذا ، يكون رياء الشيخ خيرا من اخلاصنا ، لأنه يكون عن
بصيرة ، على حين أن اخلاصنا لا بصيرة فيه !

ان حديث الشيخ يؤدى الى الوفاق ، وحديث أهل الحسد يشير الشقاق .

٣٧٠٠ كمثل سليمان الذى انطلق (برسالته) من جانب الحق - وكان يعرف منطق الطير كافة -

ففى زمان عدله أنس الغزال الى النمر ، وانصرفا عن الصراع ! وأصبحت الحمامة آمنة من مخالب الباز ! ولم يكن للحمل من الذئب احتراز !

لقد أصبح سليمان وسيطا بين المتعادين ، وساد الوفاق بين الطير كافة .

وها أنت ذا كالنملة ، تجرى وراء حبة . أفق ، وابحث عن سليمان ! لماذا تبقى غويا ؟

٣٧٠٥ ان طالب الحبة ، تكون الحبة له شركا ، وأما طالب سليمان فيظفر بكليهما (سليمان ، والحبة) !

وأطيار النفوس - فى هذا الزمن الأخير - لا يأمن أى منها سواء لحظة واحدة !

ولزماننا هذا أيضا سليمان ، وهو الذى يقر الوئام ، فلا يبقى لدينا جور !

فاذكر قوله تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير ^(١) » .
(ومعنى ذلك) أنه قال : « ان أمتى لا تكون خالية من خليفة حق ، وصاحب همة » .

(١) فاطر ، ٣٥ : ٢٤ .

٣٧١٠ فهو الذى يجعل طيور الأرواح وكأنها قلب واحد ! هو الذى

يجعلها - بصفائها - متحررة من الغش والأحقاد !

فتصبح ذات شفقة كأنها والدة ! ولقد قال (الرسول) :

« المؤمنون كنفس واحدة » .

لقد صاروا نفسا واحدة (بفضل) الرسول الحق ، والا ، فان نلا

منهم كان عدوا مطلقا لسواه .

ارتفاع الخلاف والعداوة من بين الأنصار

ببركات الرسول ، صلى الله عليه وسلم

القبيلتان اللتان عرفتا باسم الأوس والخزرج ، كانت كل منهما

متعطشة لدماء الأخرى .

وبفضل المصطفى تلاشت أحقادهم القديمة ، في نور الاسلام

والصفاء .

٣٧١٥ ففي البداية أصبح هؤلاء الأعداء اخوانا ، مثل حبات العنب في

البستان .

وبنصحه اياهم (بقوله تعالى) : « انما المؤمنون اخوة » ، تكسرت

(هذه الوحدات المنفصلة) فأصبحوا جسدا واحدا .

ان الاخوان شبيهون بصورة حبات العنب ، وهذه حين تعتصر ،

تصبح رحيقا واحدا .

وهناك تضاد بين العنب الناضج والعنب الفج ، فاذا ما نضج

العنب الفج صار رقيقا طيبا .

أما العنب الذى يبقى صلبا كالحجارة فجاء ، فان الحق هو الذى
سماه كافرا أصيلا ، منذ الأزل .

٣٧٢٠ فهذا ليس بأخ ، ولا هو ضمن نطاق النفس الواحدة . انه يكون
في شقاوته تعسا ملحدا .

فلو أنتى تحدثت عما يضره في الخفاء ، لثارت في الدنيا فتنة
للأفهام .

فمن الأفضل ألا يذكر سر ذلك الكافر الأعمى ! فخير لنا ان يكون
دخان الجحيم بعيدا عن ارم^(١) .

ان الأعناب الفجة الطيبة هي تلك التى تكون قابلة (للنضج) ،
فهذه هي التى تغدو - في عاقبة الأمر - قلبا واحدا ، بأنفاس
أهل القلوب !

انها تندفع مسرعة نحو طبيعة الأعناب الناضجة ، حتى تزول الثنائية
والحق والصراع .

٣٧٢٥ ثم هي في حال النضج تمزق جلودها ، حتى تتحد ، وتصير
الوحدة صفة لها .

ان الصديق يصبح عدوا طالما كان ثنائيا . وليس هناك واحد قط
يكون في حرب مع ذاته .

فتبارك عشق ذلك الأستاذ الكلى^(٢) ، الذى وحد مئات الألوف
من الذرات !

(١) ارم مدينة عاد ، وكانت ذات فخامة أسطورية . وقد استعيرت هنا
رمزا للجنة .

(٢) فضلنا رواية « كلى أستاذ » على « كل أستاذ » .

انها كانت مبعثرة كالتراب فوق الطريق ، فجعلتها يد الخراف
ابريقا واحدا !

(ومع ذلك) فاتحاد الأجسام المفطورة من الماء والطين يكون
ناقصا ، فليس اتحاد الأرواح شبيها بذلك .

٣٧٣. ولو أننى ذكرت هنا نظائر على سبيل المثال ، لخشيت أن تدفع
الفهم الى الاختلال .

فهنا الآن سليمان ، لكننا نحن في عمى من افراطنا في بعد النظر !
فالنظر الى البعيد يصيب الانسان بالعمى ، كما يكون النائم في
القصر أعمى عن القصر .

انا مولعون بدقيق الكلام ، متعشقون لحل المشكلات ،
الى حد أننا نعقد الأمور ثم نعمل على حلها ، ونضع الكثير من
القواعد للمشكلات وحلها !

٣٧٣٥ كطائر يحل عقد الشباك ، ثم يربطها حيناً ليصبح مكتمل البراعة .
فهذا يكون محروما من الغياض والمروج ، تنقضى حياته في معالجة
العقد !

وفي الحق أنه ليس يهن أمامه أى شرك قط ، بل ان جناحيه
يتكسران على الدوام .

فأقلل من مصارعة العقد حتى لا تتقطع قوادمك وخوافيك ، من
جراء كرك وفرك .

ان مئات الألوف من الطير قد حطمت أجنحتها ، ومع ذلك فهي
لم تغلق كمين العوارض هذا !

٣٧٤. فاقراً عن حالها في القرآن ، أيها الحريص ! وانظر قوله تعالى :

« فنقَّبُوا في البلاد هل من محيص^(١) » .

ان نزاع التركي والرومي والعربي لم يحل مشكلة « الأنكور^(٢) »
والغنب .

وما لم يتدخل سليمان اللِّسِن المعنوي فان هذه الثنائية لن
تزول !

فيا جماعة الطير المتنازعة ! استمعوا كالبراة لذلك الطبل الذي
يقرعه للبار المليك !

فهلُموا من كل جانب ، وانطلقوا من خلافاتكم سعداء نحو الاتحاد !

٣٧٤٥ حيثما كنتم فولوا وجهكم نحو هذا الذي لم ينهكم^(٣)
اننا طيور عمياء ، وما أبعدنا عن النضج ، ذلك لأننا غفلنا لحظة عن
معرفة سليمان !

لقد صرنا كالبوم أعداء للبراة ، فلا غرو أننا تخلفنا وأصبحنا من
سكان الخراب !

واننا من فرط ما نعاني من جهل وعمى تتعمد ايقاع الأذى بأعزاء
الله .

فجماعة الطير التي استنارت بنور سليمان ، كيف تقنع لبريء
قواده وخوافيه ؟

٣٧٥٠ انها لتحمل الحَبَّ للعاجزين ، فهذه الطيور الطيبة قد برئت من
الخلاف والحقْد .

(١) انظر : سورة ق ، ٥٠ : ٣٦ .

(٢) « انكور » كلمة فارسية ، معناها « غنب » .

(٣) هذا البيت عربي في الأصل . وفيه اقتباس من القرآن الكريم . انظر :
سورة البقرة ، ٢ : ١٤٤ ، ١٥٠ .

وهذه هؤلاء - من أجل التقديس - يقتحم طريق مائة مثل
بلقيس !
وأما غرايهم فهو - وان كان في صورة الغراب - باز في همته ،
وما زاغ^(١) (عن السبيل) !
ولقلق هؤلاء الذى يصيح « لك ، لك » ينفث في الشك نيران
التوحيد !
وحمامتهم لا خوف عندها من جوارح الطير ! ان الباز ليحنى
رأسه أمام تلك الحمامة !
٣٧٥٥ وبلبل هؤلاء الذى يثير الشجون ، يضم في باطنه حديقة ورد !
وأما يبعأؤهم فكانت دائما متحررة من السُكَّر . فقد تجلى لها
من باطنها قند الخلود !
وسيقان طواويسهم تبدو للنظر أحلى من أجنحة سائر الطواويس !
ان منطق الطيور الملكية ليس الا صدى . فأين منطق طيور
سليمان ؟
فأنى لك أن تعرف منطق الطير ما دمت لم تر سليمان لحظة واحدة ؟
٣٧٦٠ ان ذلك الطائر الذى يطربك نشيده قد تجاوز جناحه المشرق
والمغرب !
فكل نداء له يمتد من الكرسى الى الثرى ، وهو من الثرى حتى
العرش في كر وفر !
وأما الطائر الذى يمضى في غير سبيل سليمان، فهو عاشق للظلمة ،
مثل الخفاش .

(١) انظر : سورة النجم ، ٥٣ : ١٧ .

فاجعل نفسك أليفا لسليمان ، أيها الخفاش المرتد ، حتى لا تبقى
مخلدا في الظلام .

فلو أنك خطوت ذراعا واحدة في تلك السبيل لغدوت كالذراع
أساسا للقياس !

٣٧٦٥ وان قفزت نحو ذلك الجانب - وأنت أعرج متعثر الخطى -
خلصت من كل عاهاتك وأمراضك !

قصة افراخ البط التى ربتها الطيور الأليفة

انك سليل البط ، مع أن طائرا أليفا أظلك بجناحه ورباك .
لقد كانت أمك من بط البحار ، وأما مربيك فكان ترايا ، يعشق
الجفاف .

فذلك الميل للبحار الكامن في قلبك ليس سوى طبيعة لروحك
قبستها من أمك .

وأما ميلك للجفاف فهو من مربيك ، فدعك من هذا المربي فانه
سوء الرأي !

٣٧٧٠ دع هذا المربي فوق اليبس ، وتقدم ! وخض مثل البط بحر
المعاني !

ومهما حذرتك أمك من الماء ، فلا تخف ، بل انطلق مسرعا نحو
البحر .

انك من جنس البط ، تعيش فوق اليبس ، وفوق الماء ، ولست
كالطائر الأليف مأواك حفرة (في الثرى) .

انك مليك (على مقتضى قوله تعالى) : « كرنا بنى آدم^(١) »

وانك لتضع قدمك فوق اليابسة وفوق البحر على السواء !

فأنت في روحك (ممن شملهم معنى قوله) : « وحملناهم فى

البحر^(٢) » . فتقدم الى الأمام متخليا عن الثرى .

٣٧٧٥ فليس للملائكة سبيل الى البر ، كما أن جنس الحيوان لا علم

له بالبحر .

انك فى الجسم حيوان ولكنك بروحك من الملائكة ، وبذلك

يستوى عندك السير فوق الأرض وكذلك فوق الفلك .

وهكذا يكون البصير الذى يوحى الى قلبه - فى ظاهره - بشرا

مثلكم .

فهيكلة الترابى قد سقط على الأرض ، وأما روحه فدائرة فى ذلك

الفلك العلوى .

اننا جميعا طيور مائية ، أيها الغلام . وان البحر ليعلم لغتنا حق

العلم !

٣٧٨٠ فالبحر جاء (بالنسبة لنا) شبيها بسليمان ، ونحن كالطير . وفى

سليمان سيكون مسيرنا حتى الأبد .

فلتخض البحر بقدميك مع سليمان حتى يصنع الماء لك مائة درع

شبيهة بما صنع داود .

وان سليمان هذا لماثل أمام الجميع ، لكن الغيرة ساحرة تحجب

البصر !

(١) ، (٢) فى البيتين اشارة الى قوله تعالى : « ولقد كرنا بنى آدم

وحملناهم فى البر والبحر » الآية . (سورة الاسراء ، ١٧ : ٧٠) .

انه أماننا ، ونحن في ملال منه ، وذلك من جراء جهلنا وغفلتنا
وفضولنا !

فهزيم الرعد يصيب الظامىء بألم الرأس ما دام لا يعلم أن هذا يجبر
وراءه سحاب السعد .

٣٧٨٥ فتبقى عينه متطلعة الى النهر الجارى ، ولا علم له بمذاق ماء
السماء .

لقد حث مركب همته نحو الأسباب ، فلا جرم أنه قد بقى محروما
من مسبب الأسباب !

وأما ذلك الذى يرى المسبب عيانا فكيف يسلم قلبه الى الأسباب
الدينوية ؟

كيف عجب الحجاج من كرامات ذلك الزاهد

الذى وجدوه منفردا في البادية

عكف زاهد في وسط البيداء ، وكان مستغرقا في العبادة كأهل
عبادان .

ووصل الحجاج من شتى البلاد الى ذلك المكان ، ووقعت أعينهم
على ذلك الزاهد الضامر .

٣٧٩٠ ان مكان الزاهد كان مقفرا من الماء ، لكن الزاهد كان ندى
المزاج ، فوقاه هذا من سموم البادية !

ولقد تحير الحجاج في أمر وحدته ، وفيما نعم به من سلامة بين
الآفات !

لقد كان واقفا يصلى فوق الرمال ، تلك الرمال التى يجيش بحرها
ماء الابريق .

وكأنما كان ثملا وسط الخضرة والورود ، أو كأنه قد امتطى
صهوة البراق أو دلدل^(١) !

وكأنما قدماه كاتتا فوق الحرير والحلل ، أو كأن ريح السموم
كانت عنده ألطف من ريح الصبا !

٣٧٩٥ فوقف الحجاج ينتظرونه ، وأما هو فقد بقى واقفا في الصلاة وقد
استغرق في فكر طويل !

وحينما عاد هذا الفقير من استغراقه الفكرى ، فان واحدا من تلك
الجماعة - كان حى القلب مشرق الضمير -

أبصر الماء يقطر من يديه ووجهه ، كما أبصر ثيابه مبللة من آثار
الوضوء !

فسأله : « من أين لك الماء ؟ » ، فرفع يده مشيرا الى أنه من
السماء .

فقال : « وهل يجيئك حين تطلبه ، بدون بئر ولا حبل من مسد ؟

٣٨٠٠ ألا فلتحل مشكلنا ، يا سلطان الدين ، فلعن حالك يلهمنا اليقين !

واكشف لنا سرا من أسرارك حتى نقطع عن أوساطنا الزناير^(٢) . »

فتوجه الزاهد ببصره نحو السماء ، قائلا : « يا الهى ! أجب دعاء
الحجاج !

(١) دلدل اسم بغلة كانت للرسول ، وقيل كانت للامام على بن أبى طالب .

(٢) تقطيع الزناير « هنا كناية عن اعتناق الاسلام . ومعنى البيت هو :
ان هؤلاء الحجاج طلبوا من الزاهد أن يكشف لهم سرا من أسرارهم ليكون
هاديا لهم الى الايمان الحق .

لقد اعتدت أن ألتمس الرزق من السماء . وانك أنت الذي فتحت
لى في السماء باباً !

يا من أظهرت المكان من اللامكان ، وجعلتنا نعين (معنى قولك) :
« وفي السماء رزقكم^(١) » .

٣٨٠٥ وبينما هو في تلك المناجاة اذا بسحابة لطيفة قد ظهرت بسرعة ،
كفيل يحمل ماء !

وأخذت تمطر الماء وكأنما كان ينصب من أفواه القرب ! ثم استقر
الماء في الحفر والكهوف !

لقد كانت السحابة تسكب الدموع ، كما تنصب القرب ، وأما
الحجاج فانهم جميعاً فتحوا قلوبهم .

فمن جراء تلك الفعال العجيبة أخذ جماعة منهم يمزقون زنايرهم .
وجماعة أخرى زاد يقينها بتلك العجائب ، والله أعلم بالرشاد .

٣٨١٠ وجماعة ثالثة لم تتقبل ، فهؤلاء أهل مرارة^(٢) وفجاجة ، وهم في
نقص سرمدى . وهنا تم الكلام .

تمت ترجمة الكتاب الثاني من المشوي

(١) الذاريات ، ٥١ : ٢٢ .

(٢) حرفياً : « أهل حموضة ... » .

شُروح وَدِرَاسَات

المقدمة : قدم جلال الدين للكتاب الثانى من المشوى بمقدمة قصيرة بين فيها السبب في تأخير نظمه بعض الوقت . ومن المعروف أن الكتاب الثانى قد جاء بعد عامين من الكتاب الأول ، وقد حدد الشاعر تاريخ البدء فيه بعام ٦٦٢ هـ ، كما هو مذكور في المقدمة المنظومة . وذكر الأفلأكى أن جلال الدين قد انقطع عن النظم بعد اكمال الكتاب الأول ، لأن تلميذه حسام الدين كان قد فقد زوجته ، واستسلم الى الحزن نتيجة لذلك .

وقد اختتم جلال الدين الكتاب الأول بأبيات تشيع فيها سحابة من الحزن ، ولكنه لم يذكر بصراحة مأساة تلميذه ، على النحو الذى بينه الأفلأكى .

وها نحن أولاء نراه في مقدمة الكتاب الثانى يذكر أن الحكمة الالهية تتكشف للعبد بمقدار ، حتى يتاح له تذوقها وادراكها ، كما يذكر أن الحكمة الالهية لو كشفت للإنسان بصورة متكاملة لحطمت ادراكه ، لأنه يعجز عن تلقيها دفعة واحدة . ولعله يستوحى هذه الفكرة من نزول الرسالات منجمة على الأنبياء . والعارفون — الذين يقولون بتلقى الهام من الخالق — لن يكون موقفهم في تلقى هذا الالهام أقوى من موقف الرسل . فالشاعر يقرر هنا أن اصدار الكتاب الثانى من المشوى كان لا بد أن تسبقه فترة كافية من التأمل والتفكر .

(١) ذكر الشاعر في البيت الأول تأخره في نظم الكتاب الثانى من
المثنوى ، لكنه يعتذر عن ذلك بأن الحكمة لا بد لها من أن تمكث في فكر
الشاعر وقلبه فترة كافية ليستطيع تقديمها سائغة للعقول والأفهام . ان
الدم يحتاج الى مهلة ليتحول الى حليب . وكذلك لا بد للحكمة أن تمكث
في فكر الشاعر وقلبه فترة كافية قبل ان يستطيع أن يقدم للعقول حكمة
روحية لطيفة يستخلصها من تجاربه كما يستخلص الحليب من الدم . والصورة
المادية في البيت تشير الى اقتباس من آية كريمة . قال تعالى : « وان لكم
في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا
سائغا للشاربين » .

(النحل ، ١٦ : ٦٦) .

ويصدق تصور الشاعر هذا على كل ابداع فنى . فلا بد لكل عمل فنى
أصيل أن ينضج في نفس صاحبه ، قبل أن يتخذ صورته . فالعجلة
والتسرع يهبطان بمستوى الأعمال الفنية . وهناك أعمال فنية عظيمة تم
انجازها في أسابيع قليلة ، ومن أمثال ذلك السيمفونيات الثلاث الأخيرة
لموتزارت (رقم ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) . ولكن هذا الانجاز السريع لا ينفسى
أن هذا الفنان قد جاشت في نفسه هذه الأنعام فترة طويلة من الزمن ،
ولم يخرجها الى الوجود الا بعد أن نضجت وتحددت معالمها الفنية
المتكاملة .

(٢) ما لم ترزق الهاما جديدا ، فانك لن نستطيع أن تستنبط هذه
الحكمة الروحية ، مما يحيط بك من مظاهر العالم المادى . فالإلهام
الروحى هو مصدر المعرفة عند الصوفية .

(٣) يرتبط نظم المثنوى عند الشاعر بتلميذه حسن حسام الدين .
وكانت عودته اليه — بعد انقطاع — أحد العوامل التى حثت الشاعر
على استئناف النظم . وقد عبر عن هذه العودة بأنها كانت عودة من أوج
السماء . وليس في هذا البيت اشارة الى أحزان حسام الدين من جراء

فقد امرأته . واكتفى الشاعر هنا بأن أشار الى أن حسام الدين كان قد انطلق الى آفاق التأمل الروحي .

(٤) انصراف حسام الدين الى التأمل ، وانقطاعه عن أستاذه بعض الوقت ، كان في نظر جلال الدين عروجا الى آفاق الحقائق . ولقد انقطع الشاعر عن نظم المثنوى ابان غيبة تلميذه . وقد شبه تلميذه بالريبع الذى اقترن به تفتح الأزاهير في رياض الشعر ، وفي غيبته لم تكن تفتح البراعم .

(٥) صورة أخرى لسعادة الشاعر بعودة تلميذه . لقد كان مستغرقا في بحر الروح ، وها هو ذا يعود الى الساحل ، الى عالمنا الدنيوى ، فكانت هذه العودة مصدر بهجة روحية ، تمثلت في انطلاق المثنوى بأنغامه وألحانه .

(٦) « يوم الاستفتاح » يقصد به هنا أنه يوم يلتبس فيه افتتاح باب الى العالم الروحي .

(٧) استخدم الشاعر كلمة « التجارة » هنا لتدل على معنى روحى . وهو استعمال مستوحى من القرآن الكريم .
قال تعالى : « ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » . (فاطر ، ٣٥ : ٢٩) .
انظر أيضا : (سورة الصف ، ٦١ : ١٠) .

وهذا البيت يتضمن أيضا تحديدا صريحا لتاريخ بدء الكتاب الثانى من المثنوى ، وهو عام ٦٦٢ هـ .

(٨) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما مرّ به حسام الدين من تطور روحى . لقد انطلق الى التأمل الروحي ، وكان بلبلا غريدا ، يتغنى ، فرجع بعد أن أصبح طائرا قويا كالباز ، قديرا على اصطيد المعانى .

(٩) استعار الشاعر هنا صورة الملك الذى يمد ساعده للباز ، طائر الصيد ، فيقبل ذلك الطائر ويقف فوق ساعد الملك . لقد كانت الطيور

الجوارح تدرب على الصيد ، وتستأنس بحيث تلبى دعاء صاحبها ، وتقف فوق ساعده . وكانت هذه الرياضة منتشرة بين ملوك العالم الاسلامى في القرون الوسطى .

وقد استخدم جلال الدين الباز هنا رمزا لحسام الدين . أما قوله : « فليكن ساعد الملك مسكنا لهذا الباز » ، فمعناه : لتكن قوة الله مؤيدة لهذا الباز الروحى ، حسام الدين . ويكثر في شعر جلال الدين استخدام نداء المليك للباز رمزا لنداء الله للروح .

وأما قوله : « وليبق هذا الباب مفتوحا ... » فالباب هنا يقصد به السبيل الى عالم الروح . والشاعر يلتمس هنا بقاء ذلك الباب مفتوحا حتى الأبد .

(١٠) الهوى والشهوة هما اللذان يغلطان السبيل أمام الانسان ، ويحولان بينه وبين التأمل الروحى ، وهما اللذان يحرمان الانسان من تذوق لذات الروح . وقد رمز بالشراب الى لذات الروح .

(١١) انتقل الشاعر هنا الى تصوير لذات الحس وأثرها على الروح ، فحبر عن ذلك بصور فنية . فالقلم والحلق هما الرباط الذى يحجب العالم الروحى عن العين . وهذا التعبير الموجز ينطوى على مضمون واسع . فالقلم والحلق رمز للتعلق بلذات الحس . والتعلق بتلك الملاذ معناه اغلاق السبيل أمام التأمل الروحى . وغنى عن البيان أن القلم والحلق لا يعينان مجرد الغذاء الضرورى ، وانما المقصود بهما النهم ، ذلك النهم والاسراف في المتع الحسية ، وما ينطوى عليه من تلبذ الاحساس الروحى .

(١٢) تعبيره عن القلم بأنه فوهة النار تشبيهه للقلم بالجحيم . فالنهم الجشع لا يشبع مهما نال من حظ مادى ، بل يبقى على الدوام في تطلع الى المزيد . وهكذا جهنم . قال تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل مزيد » . (ق ، ٥٠ : ٣٠) .

أما قوله بأن الدنيا شبيهة بالبرزخ ، فصورة مستوحاة من البرزخ

الذى يفصل بين الجنة والنار ، يمشى فوقه الناس يوم القيامة ، ومنهم من ينتقل منه الى النار ، ومنهم من ينتقل منه الى الجنة . فالناس مجتمعون في هذه الدنيا ، وقد اختلط الأخيار بالأشرار كاختلاطهم على البرزخ يوم القيامة . وهناك شبه آخر بين الدنيا وبين البرزخ . فالدنيا مزرعة الآخرة وعمل الانسان فيها هو الذى يقوده الى الجنة أو الى النار . فهى أيضا برزخ الى الآخرة ، يسر فيها الناس حيث يتحدد مصيرهم ، بمقتضى ما قدموه من أعمال .

والدنيا تشبه البرزخ من وجه آخر ، لأن الدنيا ليست دار اقامة ، وكذلك البرزخ ، لا اقامة فيه ، وانما هو مكان للعبور الى الجنة أو الى النار .

(١٣) العالم المادى ليس منفصلا عن عالم الروح . بل هناك اتصال وثيق بينهما . فالخير والشر قد اختلطا في هذه الدنيا .

والانسان - وهو أعظم المخلوقات - قد ارتبط الروح فيه بالجسد . وقد شبه الشاعر هذا التجاور بين العالم المادى والروحى بما يكون من تجاور بين أوعية الدم وأوعية الحليب داخل الجسد .

(١٤) اذا جعلت للمطالب المادية سبيلا الى الروح ، وسلطانا عليها ، تلوثت الروح ، كما يتلوث الحليب حين يختلط بالدماء . فيجب ان تبقى الروح طاهرة نقية من المادة ، برغم ملابتها للجسد . ويجب أن تبقى لها سبيلها المتحررة من المادة ، كما يكون للحليب مجراه الخاص برغم مجاورته لأوعية الدماء .

(١٥) زلة آدم مثال خالد لتغلب شهوة النفس على الروح . فمخالفته صريح الأمر الالهى ، بدافع من شهوة النفس ، كانت سببا في خروجه من الجنة . وكل انسان غلبت شهوة الحس روحه فقد أصبح أسير جحيم الشهوات ، وكتب عليه فراق جنة الروح .

(١٨) آدم الذى علمه الله الأسماء ، وكشف له أسرار المعرفة^(١) كان

(١) انظر : سورة البقرة ، ٢ : ٣١ - ٣٣ .

وقوعه في الخطيئة أمرا جللا . ومع أن الذنب الذي ارتكبه كان هينا في ظاهره ، فانه كان عظيما لأنه وقع من آدم . لقد كان كالشجرة التي نبتت في العين ، ليست في ذاتها شيئا ، لكن وقوعها في العين يجعلها شديدة الايلام .

(١٩) روى القرآن الكريم طرفا من اعتذار آدم وزوجه . قال تعالى : « قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . (الأعراف ، ٧ : ٢٣) .

ويروى عن وهب بن منبه أنه قال : « سجد آدم على جبل الهند مائة عام حتى جرت دموعه في وادي سرنديب ثم جاءه جبريل فقال له : ارفع رأسك فقد غفر لك ، فرفع رأسه ... » . (المنهج القوى ، ج ٢ ، ص ١٤)

(٢٠) كان على آدم أن يشاور الملائكة قبل أن يقدم على الأكل من الشجرة المحرمة . فهذه المشاورة كانت بمثابة اقتران للعقل بعقل آخر ، ومثل هذا التعاون العقلي من شأنه أن يمنع سوء القول والفعل .

(٢١) اتباع الهوى والشهوة ، بمؤازرة الشيطان الذي يحث عليهما ، يمثل اقتران نفس أمارة بالسوء بسواها من النفوس . ومثل هذا الترابط بين النفوس الغوية يحجب العقل الانساني — وهو عقل جزئي — عن ادراك الحقيقة ، ويجعله عاجزا عن أداء وظيفته .

(٢٢) اتخذ الشاعر من اقتران العقول ، وما يؤدي اليه من صلاح ، واقتران النفوس وما يقود اليه من فساد ، منطلقا للدعوة الى أن يتخذ المرء مرشدا عارفا . والتصوف يعتمد على المرشد في التربية ، ويدعو بحرارة الى طاعته . والطالب يسمى في اصطلاح الصوفية مريدا وأما الاستاذ فهو الشيخ أو المرشد . وعلى هذا الأساس التعليمي نشأت الطرق الصوفية في بداية أمرها .

(٢٤) الخلوة والتأمل وحدهما لا توصلان المريد الى ما يطلبه من سلوك سبيل التصوف . بل عليه أن يتعلم من أحد المرشدين .

(٢٥) رمز الشاعر بارتداء الفراء الى الانكماش عن الناس . وقال

ان ارتداء الفراء لا يكون الا ابان الشتاء . وقد اتخذ الشاعر من الشتاء
رمزا الى رفيق السوء .

أما الربيع — وهو رمز الرفيق الصالح — فلا يواجه بارتداء الفراء ،
بل بالتعرض لأنسامه اللطيفة .

(٢٦ — ٢٧) صحبة العارفين الحكماء هي بمثابة اقتران العقول
بعضها ببعض ، وفي هذا ما يزيد كلا منها نورا وادراكا . وأما صحبة
الأشرار ، فشبيهة باقتران النفوس الأماراة بالسوء ، وفي هذا ما يزيد كلا
منها ظلمة فوق ظلمتها .

(٢٨ — ٢٩) انتقل الشاعر هنا الى التعبير عما يجب على المريد من
احترام لمرشده ، والتزام للأدب في صحبته . فالمرشد هو بمثابة العين
للمريد . فيجب على المريد أن يصونه عن الأذى كما يصون عينه . وعليه
ألا يسئ اليه بما لا يليق من الكلام . فالكلام القبيح كالغبار ، يثيره
اللسان ، وقد شبهه الشاعر بالمكنسة ، وكلا هذين يوقعان الأذى بالعين .
(٣٠) اذا بقيت نفس المرشد صافية ازاء مريده ، كان في ارشاده
للمريد كالمرآة الصافية . « فالمؤمن مرآة للمؤمن » . والمرآة الصافية خير
معين للمرء على اكتشاف ما قد يصيب وجهه من تلوث .

(٣١) الاساءة الى المرشد بقبيح الكلام شبيهة — في نظر الشاعر —
بالتنفس فوق صفحة المرأة . فهذا الكلام يكدر نفس المرشد كما تغشى
الأنفاس صفحة المرأة .

(٣٢) على المرء أن يمتنع عن الكلام الذى قد يكدر نفس المرشد ،
والا كان كمن يتنفس فوق صفحة المرأة فيزيل صفاءها ويغشيها .

(٣٣) الشاعر هنا ينكر على بعض الناس قلة احساسهم . فهو
يخاطب هذا النمط من الناس قائلا :

« أنت أقل احساسا من التربة ؟ ان هذه حين أقبل اليها الربيع
ازدانت بالأزهار الجميلة ، وأبدت كل ابتهاج بصحبة هذا الرفيق المحب

إليها . فما بالك أيها الانسان لا تحسن صحبة رفيقك ، بل تسيء اليه فى هذه الصحبة ؟ »

(٣٤ - ٣٥) من أمثلة الاحساس الرقيق الذى يتجلى عند غير العاقل أن الشجرة تبتهج بالربيع كل البهجة ، فتزدان بالأوراق الخضراء ، وتخضل حين مقدم هذا الرفيق الموافق ، فاذا ما أقبل الخريف ، ذلك الرفيق المخالف ، غرقت في نوم عميق ، وغطت وجهها ورأسها بلحاف من السكون . وقد يكون المقصود باللحاف هنا ذلك الثلج الذى يكسو الشجرة ابان الشتاء .

(٣٦ - ٣٧) انتقل الشاعر في هذين البيتين الى الموازنة بين اليقظة والنوم في مفهومه الصوفى . فالنوم عن الشرور خير من اليقظة . لكن النوم عن القيم الروحية غفلة وجهل . وهكذا يكون كل من النوم واليقظة محمودا في بعض الأحوال مذموما في سواها . فنوم أصحاب الكهف كان خيرا من اليقظة في ظل دقيانوس .

ودقيانوس هو الامبراطور الرومانى دقيوس Decius (٢٤٩ - ٢٥١) ، وقد عرف باضطهاد النصارى .

(٣٨) قوله « فيقظتهم كانت مصروفة على دقيانوس » ينطوى على تصوير رائع للحاكم المستبد الذى يملك على الناس حواسهم ، ويسيطر على قلوبهم بما يبث فيها من دعر ، فيصبح همّ الناس وشغلهم الشاغل . فيقظة أصحاب الكهف كانت كلها وقفا على هذا الملك المستبد ، لأنهم كانوا - على الدوام - مهددين بفتكه ، يملكهم الخوف منه ، أما نومهم فكان صورة نبيلة لفناء الروح في خالقها ، وانصرافها عن العالم الحسى .

(٣٩) يقظة الحواس لا جدوى منها ، ان لم تقترن بيقظة الروح . ان يقظة الروح هى اليقظة الحقيقية ، حتى ولو اقترنت بما قد يبدو نوما حسيا . وكذلك لا جدوى من يقظة يقضيها المرء في معاشرة الجهلاء . (٤٠ - ٤١) اذا ساد الحس طغى على الروح . ولا مكان لأصحاب

القلوب بين عبيد الحس . فلا بد للروح من جوٍّ يلائمها ، كالبلابل ،
لا تنتعش الا في بستان الورد . وفي البيتين تصوير رائع :
فالغربان التى تنتشر في الفضاء ابان الشتاء تبحث عن قوتها تبدو
في تجمعها وسواد لونها وكأنما هى خيمة قد ضربت في الجواء .
والغربان رمز الى أسارى الحس ، لأنها معروفة باقبالها على الجيف ، وهذا
عند الصوفية شبيه بتعلق أهل الحس بحطام الدنيا . أما البلابل فهى —
بشدوها الجميل ورقنها — تصلح رمزا لأهل الروح .

(٤٢ — ٤٣) يعقد الشاعر هنا موازنة بين شمس السماء ، وشمس
اليقظة الروحية . ان شمس السماء تضىء الجانب الذى تشرق فيه .
فهى تضىء الأرض نهارا ، ثم تنتقل منها — على ما يقول الشاعر — لتضىء
ما تحت الأرض من عوالم . أما شمس الروح فليس لها انتقال ، كما أنها
تخص باشراقها الروح والعقل ، وهما أسمى من الحواس .
(٤٤) « شمس الروح التى تشرق من ذلك الجانب » يعنى
« شمس الروح التى تشرق من عالم الغيب ، حيث أنوار الوحي ، فهذه
دأبها الاشراق الدائم » .

(٤٥) في البيت اشارة الى قصة ذى القرنين ، التى وردت في القرآن
الكريم . (سورة الكهف ، ١٨ : ٨٣ — ٨٩) . وقد ذكر كثير من المفسرين
أن ذا القرنين هذا هو الاسكندر المقدونى ، وبهذا دخل في تفسير هذه
الآيات بعض ما يروى من الجانب الاسطورى لقصة الاسكندر . ومن
المعروف أن أسطورة الاسكندر قد اتخذت صورا متعددة في آداب
الأمم المختلفة .

ومن الصور العربية لهذه الأسطورة ما جاء في كتاب قصص
الأنبياء للشعلبى (ص ٤٠٤ — ٤١٨) . وينسب الى الاسكندر أنه وصل
الى مغرب الشمس ثم الى مطلع الشمس ، وفي القصة وصف تفصيلي
لتلك الأماكن ، ومن كان يسكنها من الناس .
« ومطلع الشمس » في قول الشاعر يرمز الى مشرق الحقيقة الروحية

فمن كانت له همة الاسكندر فليقصد اليها ، فان تحقق له ذلك غدا ملكا
ظاهرا .

(٤٦) من وصل في تساميه الروحي الى مرتبة الانسان الكامل أصبح
كالشمس ، فحيثما توجه يتبعه الاشراق . ويكون اشراقه من لون فريد
يفوق اشراق الشمس ، بل ان مغربه يفوق في نوره كل اشراق حسي .

(٤٧) يوازن الشاعر هنا بين نوعين من الحس ، الحس المادى
والحس الروحي . فأما الحس المادى فهو كالخفاش يتجه نحو الظلام ،
وأما الحس الروحي فيتجه نحو النور . والاتجاه نحو الظلام كناية عن
الاندفاع نحو المادة ، والعجز عن مواجهة أنوار الروح .

(٤٨) الحس المادى الذى يتمتع به الانسان لا يختلف عن الحس
المادى الذى تتمتع به الحمير أو غيرها من الدواب .

(٤٩) الحواس الخمس التى تختلف عن الحواس الجسدية هى
حواس القلب . فالصوفية يتحدثون عن ابصار وسمع بالقلب^(١) ، وعن
تذوق شراب روحى^٢ والتمتع بأريج غير حسى . وكل هذه الأمور تشير
الى ألوان من الادراك الغيبى ، والتذوق الروحي . وهذه الحواس الروحية
ليست ذات وجود منفصل أو محدد كالحواس الجسدية ، وانما هى
مدارك قلبية ، ومواهب غيبية .

(٥٠) الحس بضاعة لا تلقى رواجاً في عالم الروح . فهذا العالم
الروحي لا سبيل لبلوغه الا بالروح النقى الظاهر .

(٥٢) « يا من تسعى الى أن تتجه الى الغيب عن طريق الحس !
هل أنت قادر على أن تفعل بالحس الجسدى ما فعله موسى حين أدخل
يده في جيبه فخرجت بيضاء من غير سوء ؟ » وفي البيت اشارة الى هذه
المعجزة التى أظهرها موسى . انظر الآيات : (٢٠ : ٢٢) ، (٢٧ : ١٢) ،
(٢٨ : ٣٢) .

(١) ينسب الى أبى يزيد البسطامى أنه قال : « أنا اكلم الله واسمع منه منذ
ثلاثين سنة ، والناس يظنون أنى اكلمهم » . المنهج القوى ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

وهذا البيت مرتبط بالبيت رقم ٥٠ الذى يقول فيه الشاعر ان
بضاعة الحس لا رواج لها في عالم الروح .

(٥٣ - ٥٥) الشاعر يخاطب الانسان الكامل بهذه الأبيات .
(٥٣) يصف الشاعر الانسان الكامل بأن له صفات شمس المعرفة ،
وهذه متعددة الصفات ، على حين أن شمس السماء لا تتصف الا بصفة
واحدة هي الاضاءة الحسية .

(٥٤) يعدد في هذا البيت بعض صفات الانسان الكامل : فهو
كالشمس في الاضاءة ، وكالبحر في الاتساع والعمق ، وكجبل قاف في
الرسوخ والثبات والاحاطة ، وكالعنقاء معروف الاسم خفى الذات . وجبل
قاف مكان ورد في الأساطير الايرانية التى تصوره مرتبطا بسلسلة جبليّة
تحيط بالارض . (انظر : كراتشكوفسكى : الادب الجغرافى العربى ، ١ ،
٤٧) .

ويقول ياقوت : « قاف من قاف أثره قوفا اذا اتبع أثره ، فيكون
هذا الجبل يقوف أثر الارض فيستدير حولها . وقاف مذكور في القرآن
(كذا) . ذهب المفسرون الى أنه الجبل المحيط بالارض » . (معجم
البلدان ، مادة قاف) .

(٥٥) يستدرك الشاعر على البيت السابق فيقول : ان هذه الصفات
كلها أمور اعتبارية لتقريب المعانى الى الأفهام ، فالانسان الكامل يتجاوز
حدود الأوهام ، ويستعصى على الوصف .

(٥٦) لا يتقيد الانسان الكامل بصفات ومعالم حسية ، وكذلك
الروح لا تتقيد بصورة ولا أشكال . فلا شأن لها باللغات واختلافها ،
وانما هي قرينة للعقل ، مدركة لجوهر المعرفة .

(٥٧) يبدو أن الشاعر قد انتقل الى مخاطبة الله في هذا البيت .
فهو يصفه بأنه لا صورة له ، وهو مع ذلك يتجلى في متعدد الصور .
وهذا المعنى يتمشى مع الفكر الصوفى القائم على تنزيه الخالق عن الشبيه ،
لكنه ينادى في الوقت ذاته بأن الله يتجلى في كل مظهر من مظاهر الكون .

فالصوفية القائلون بوحدة الوجود لا يفصلون بين الخلق والخالق . وليس من موجود حقيقى سوى الخالق ، ولا أحد سواه يتصف بوجود حقيقى، وكل مظاهر الكون لمع من تجلياته . ولهذا لا يتقبل الصوفية ما يقوله متكلمو المعتزلة ومن سار على نهجهم ممن يتحدثون عن التوحيد بأسلوب فلسفى ينزه الله عن أية صورة من الصور ويمضون في توحيدهم الفلسفى الى حد القول بوحدة الذات والصفات . كما لا يتقبل الصوفية مذاهب المشبهة الذين يتحدثون عن الخالق وكأنه كائن منفصل عن الوجود ، ويشبهونه بخلقه . وقد عبر ابن عربى عن فكرة الصوفية أصحاب وحدة الوجود بقوله :

ولا تنظر الى الحق	وتعريه عن الخلق
ولا تنظر الى الخلق	وتكسوه سوى الحق
ونزّهه وشبهه	وقم في مقعد الصدق

(فصوص الحكم ، ج ١ ، ص ٩٣) .

ويقول أيضا :

فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا وان قلت بالتشبيه كنت محددا
وان قلت بالأمرين كنت مسددا وكنت اماما في العلوم وسيدا
وجلال الدين لا يتحدث بمثل هذا التأكيد الصريح ، وانما يقول ان الموحد والمشبه (من بين المتكلمين) لم يدركا جوهر الحقيقة .

(٥٨) المتكلمون بالتوحيد حيناً يخطئهم التوفيق فيقعون في التشبيه، والمشبهون قد يقولون شيئا يكون من التوحيد .

(٥٩) العاشق الصوفى من أهل السكر قد يهتف مخاطبا محبوبه الحق بقوله :

يا صغير السن يا رطب البدن .

وهذا من قبيل الشطح .

وقوله هذا شطر من غزل ينسب الى جلال الدين نفسه ، وقد جاء

فيه :

يا غزالا بين غزلان اليمن أنت عيني أنت روحى فى البدن
يا صغير السن يا رطب البدن يا قريب العهد من شرب اللبن
صح عند الناس أنى عاشق من رأى روحين عاشا فى البدن
روحه روحى وروحى روحه كل شىء منكمو عندى حسن
اقطعوا وصلّى وأن شئتم صلوا ونحن نستبعد نسبة هذا الشعر الى جلال الدين . وهو نفسه قد

نسبه الى غيره حين قال : « وحينما يقول لك فى سكره أبو الحسن ... » .
(٦٠) هذا الصوفى الذى ينطق بكلام يفهم منه التشبيه ، يكون له

فى الوقت ذاته سعى حثيث الى التوحيد ، فهو يعمل على افناء ذاته متخذاً ذلك سبيلا الى التنزيه ، حيث لا يكون للعبد وجود منفصل عن الخالق .
(٦١ - ٦٣) يشير الشاعر هنا الى مذهب المعتزلة . والظاهر أنه

يوجه نقده - بصورة خاصة - الى ما ذكروه من استحالة رؤية الله بالأبصار^(١) . فالمعتزلة ذهبوا الى استحالة رؤية الله بالأبصار سواء فى الدنيا أو الآخرة ، وحجتهم فى ذلك أن العين الحسية المحدودة لا يمكن أن تحيط باللامحدود وهو الخالق . ويستدلون على ذلك بقوله تعالى :
« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » . (٦ : ١٠٣) .

ويأخذ عليهم جلال الدين هذا الاتجاه فى التفكير المبني على التقيد بالحواس . فهم لا يستطيعون تصور أى لون من الابصار الروحى أو القلبى ، ولا سبيل الى الابصار - فى رأيهم - الا بالعين الحسية . ومن هنا نعتهم بأنهم أسارى الحس . وينطبق هذا النقد أيضا على مذهبهم فى العدل الالهى ، وهو الذى جعل بعضهم يغالى فيقول : ان الله يجب عليه اجراء العدل ، أو أن الله غير قادر على الظلم . فمثل هذه المفهومات تصدق على الانسان وأفعاله . أما الخالق فلا يجوز التفكير فى أعماله على أساس من قياسها على أعمال الناس .

ويخالف جلال الدين المعتزلة أيضا فى نظرية الجبر والاختيار .

(١) يتضح ذلك فى البيت رقم ٦٣ .

فالإنسان يكون مختاراً حتى يفنى ارادته في ارادة الخالق ، واذ ذاك يصبح بالضرورة مجبراً ، ليست له ارادة منفصلة عن ارادة خالقه .

وقد شغل المعتزلة أنفسهم بالتفكير في مسائل حسية ، وأدخلوها ضمن نطاق فلسفتهم . من أمثلة ذلك خلافهم حول قدرة الممنوع ، كما ورد في كتاب مقالات الاسلاميين للأشعري (ج ١ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣) . يقول :

« واختلفت المعتزلة في الممنوع : هل هو قادر أم لا على أربعة أقاويل :

(أ) فقال قائلون : اذا منع الانسان من المشى بالقيد ، ومن الخروج من البيت بغلق الباب ، فهو قادر على ذلك مع المنع بالقيد وغلق الباب ، فالمنع لا يضاد القدرة .

(ب) وقال آخرون : القدرة فيه ، ولكن لا نسميه قادراً على ما منع منه .

(ج) وقال قائلون : بل نقول : انه قادر اذا حلّ وأطلق .

(د) وقال جعفر بن حرب : الممنوع قادر ، وليس يقدر على شيء ، كما أن المنطبق جفنه بصير ولا يبصر » .

فهذا مثال من مئات الأمثلة التي حفلت بها فلسفة المعتزلة .

(٦٤) يؤيد الشاعر مذهب أهل السنة القائلين بإمكان رؤية الله

بالأبصار . وهؤلاء يستدلون على ذلك بقوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة » . (٧٥ : ٢٢ - ٢٣) . يروى الأشعري عن جملة أصحاب الحديث ، وأهل السنة أنهم « يقولون : ان الله - سبحانه - يرى بالأبصار يوم القيامة ، كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون . قال الله عز وجل : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » (٨٣ : ١٥) . وان موسى - عليه السلام - سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا ، وان الله - سبحانه - تجلى للجبل فجعله دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل

يراه في الآخرة» . (مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، ٣٢١ ، ٣٢٢) .

ومن قول الأشعري يتضح لنا أن إيمان أهل السنة برؤية الله مقصور على الآخرة ، وأنه غير ممكن في الدنيا . والصوفية لا يستبعدون رؤية الله في الدنيا ، ويروى الأشعري صورا من أقوال الصوفية في زمانه حول رؤية الله في الدنيا ، منكرًا عليهم هذه الأقوال . (انظر : حكاية قول قوم من النساك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٩) .

ومع ذلك فجلال الدين — وهو الصوفي المتزن في عباراته وآرائه — يرى أن مذهب أهل السنة عن رؤية الله يمثل التحرر من النظرة الحسية الضيقة ، التي لا تستطيع تصور ابصار سوى ما يكون لعين الحس . والظاهر أن اتجاه جلال الدين المتحفظ شبيه باتجاه بعض الصوفية القدماء الذين كانوا يقولون عن الرؤية قولًا شبيها بما قاله أهل السنة . يقول الكلاباذي : « وأجمعوا لا يرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلا من جهة الايقان لأنه غاية الكرامة وأفضل النعم ، ولا يجوز أن يكون ذلك إلا في أفضل المكان ، ولو أعطوا في الدنيا أفضل النعم لم يكن يمين الدنيا الفانية والجنة الباقية فرق ، ولما منع الله سبحانه كلمه موسى عليه السلام ذلك في الدنيا ، وكان من هو دونه أخرى ... » . (الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ٤٢ ، ٤٣) .

(٦٥) لو كان الابصار مقصورا على العين الحسية لكان في وسع الحيوان الأعجم أن يرى الله .

(٦٦ — ٦٧) يعود الشاعر هنا الى الحديث عن « الحس الروحي » — وهو غير الحس الجسدي الذي يشترك فيه الانسان والحيوان — ويذكر أن هذا « الحس الروحي » هو الذي ميز الانسان وجعله أهلا لتلقي الأسرار الالهية . وقول الشاعر : « فكيف يكون الانسان مكرما .. » يشير الى قوله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم .. » الآية . (١٧ : ٧٠) .

(٦٨) الانسان الذي يتخذ من صورته الحسية أساسا لادراك حقيقة الخالق لا بد من وقوعه في الخطأ ، لأنه سلك الى ذلك العرفان سبيلا

خاطئة . ان على الانسان أن يتحرر من سيطرة الحواس قبل انطلاقه الى الحديث عن الخالق .

(٦٩) من تحرر من سلطان الحس ، وأدرك حقيقة الانسانية ، لا يبقى أسير الصورة المادية . واذ ذاك يستطيع معرفة خالقه من غير تقيد بالصور والأشياء .

(٧٠) ان كنت محروما من البصيرة الروحية ، ولم تتجاوز مرتبة الحيوانية التي تعتمد في ادراكها على الحواس وحدها ، فليست مطالبا بمثل هذا الادراك الروحي ، لأنك لم توهب سبيلا اليه . ويصدق عليك قوله تعالى : « ليس على الأعمى حرج » . (٤٨ : ١٧) . وأما ان كنت انسانا قادرا على شيء من الابصار الروحي ، فابذل جهدك لعلك تصل ، وكن صابرا في سعيك ، لأن الصبر مفتاح الفرج .

(٧١) السعى في صبر وأناة هو الذى يرفع الغشاوة عن البصر ، ويشرح الصدر ، ويجعله صالحا لتلقى أسرار الغيب .

(٧٢) الهدف الأسمى لجهد الحس ، ومغالبة النفس ، هو تحقيق صفاء القلب . فحين بلوغ هذه المرتبة ، تنعكس على مرآة القلب الصافية صور يتلقاها من خارج هذا العالم المادى .

(٧٣) قد يبلغ القلب في صفائه درجة تتيح له مشاهدة الخلق والخالق . وتعتبر كلمة « الفراش » - في الأصل الفارسي - عن الخالق . وقد اشتق هذا الوصف للخالق من قوله تعالى : « والأرض فرشناها فنعم الماهدون » . (٥١ : ٤٨) .

(٧٤) المقصود بخيال الحبيب هنا تجلى الخالق . فقد تجلى للقلب في صورة جميلة تخلب اللب كما يخلب الصنم لب عابده ، ولكن هذه الصورة ذاتها هي محطمة الأصنام التي يعبدها الناس ، تلك التي تتمثل في التعلق بالمادة ، وتعشق لذات الحس ، وغير ذلك . وقد يكون المراد بالحبيب هنا المرشد الكامل .

(٧٥) « عندما شهدت خالقي تجلت لى حقيقة روحى ، فالروح التى تبصر خالقها لا بد أن تكون روحا نقية طاهرة » . وقد يكون المراد أن المرشد الكامل كشف له حقيقة ذاته على اعتبار أن المؤمن مرآة للمؤمن .
(٧٦) يعبر هذا البيت عن تعظيم المحبوب بأسلوب رمزى . فتراب أعتاب المحبوب فتنة لقلب هذا المحب . ويمثل تراب الأعتاب هذا مرحلة من مراحل القرب .

(٧٧) « لو كانت نفسى جميلة صافية ، لائقه بهذا الوصال ، فانى أستسهل فى سبيله كل مشقة . وان لم تكن نفسى كذلك ، بل كانت قبيحة ، فلن أظفر الا بسخرية الحبيب » .

(٧٨) فى البيت اشارة الى حديث يروى عن الرسول أنه قال : « ان الله جميل يحب الجمال » .

(٨٤ - ٨٩) يصور الشاعر هنا ما ينتاب الانسان من حزن وهم مقيم لو أغلق قلبه عن شهود نور الله ، وسلك الى العرفان سبيل الاستدلال بالمحسوس على غير المحسوس . يخاطب القارىء قائلا : « انك حين تغلق عينيك يتولاك الحزن . وهذا الحزن قد انبثق فى نفسك لأنك فرقت بين نور العين ونور النهار . فاذا كان الفراق بين هذين النورين الفانيين يحدث من الحزن ما يدفعك الى أن تفتح عينيك ، فكيف يكون الحزن الذى يصيبك لو أغلقت عينى قلبك ؟

ان هاتين العينين تشدان نورا خالدا لا حدود له ، ولا بد أنك تعاني أشد أنواع الحزن لو فرقت بين نور القلب وما ينشده من لقاء النور الخالد » . فهنا دعوة الى أن يوقظ الانسان قلبه ، وينبئه الى ما وراء الحس من عوالم الروح ، تلك التى لو أتيح له شهود أنوارها لتحققت له السعادة الخالدة .

(٨٦) يتحدث الغزالي عن عين الظاهر وعين الباطن بقوله : « العين عينان : ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة من عالم الحس والشهادة ، والباطنة من

عالم آخر ، وهو عالم الملكوت . ولكل عين من العيين شمس ونور
عنده تصوير كاملة الابصار ، احدهما ظاهرة ، والاخرى باطنة . والظاهرة
من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة ، والباطنة من عالم الملكوت وهو
القرآن ، وكتب الله المنزلة » . (مشكاة الانوار ، ص ٤٩) .

(٩٠ - ٩١) على المرء أن يسعى الى ادراك حقيقة ذاته . فهو اذا
تلقى دغوة المرشد الكامل نظر الى نفسه ليرى أهى جديرة بالارتباط به
أم أنها قبيحة ، وليست أهلا لذلك ، ذلك لأن القبيح لا يليق بصحبة الجميل ،
والا كان ذلك مثارا للسخرية .

(٩٦) التمس الشاعر مرآة لبيان حقيقة روحه ، فلم تكن هذه المرآة
بالنسبة له سوى وجه صديق ينتمى الى « تلك الديار » ، وهى عالم
الروح .

(٩٨) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « فأجاءها المخاض الى جذع
النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » . (١٩ : ٢٣) .
(٩٩) « عندما تفتح قلبى على فيض أنوارك أصبح من بعد غفلته
حافلا بالرؤى » .

(١٠٤) ان بصيرة الروح لا تخطئ ، ولا يتطرق اليها خيال ولا
وهم .

(١٠٥) نظرة الانسان المتعلق بلذات الحياة الدنيوية لا تكون مجردة
عن الغرض ، بريئة من الهوى ، فهذه النظرة تتلون بالأغراض والرغاب التى
تخضع لتأثيراتها النفس الانسانية . ولهذا يجب ألا يُلتمس الحق عند مثل
هذا الانسان .

(١٠٦) العين الحسية أسيرة لما تبصره في عالم الحس ، مفتونة بما
تراه ، يخدعها ظاهر العالم الحسى عن ادراك حقيقته ومصيره المحتوم .

(١٠٩) ان أدنى تعلق للروح بالأوهام يحجب بصيرة الروح ويجعلها
غير قادرة على الابصار الواضح ، فهى ليست أقل احساسا من عين

الحس التى يتأثر ابصارها بشعرة واحدة تعترض سبيلها .
(١١٥) القول الذى ينسب الى عمر في هذا البيت ، وهو : « أنا أقدر
منك على رؤية الأفلاك » يشير الى معنى صوفى ، وهو أن الرجل القوى
الروح أقدر من سواه على ادراك الحقائق » .

(١٢٢) ان توازن كفتى الميزان قد يكون على أساس صحيح ، وقد
يكون على أساس خاطئ . فالذهب لو ووزن بالذهب فالقدران متساويان ،
أما موازنة الذهب بالشعير فموازنة اعتبارية ، لا حقيقية .

(١٢٤) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » . (٤٨ : ٢٩) .

(١٢٧) انك تشعل النار بالبخور لتخلص من الحسد ، وأولى بك أن
تشعلها بمصدر ذلك الحسد . ان هؤلاء الحاسدين لشبيهون بالذئاب
البشرية التى آذت يوسف ، فهم أعداء الجمال والكمال ، وهم بهذا
جديرون بنار غضبك .

(١٢٨ - ١٣١) يصور الشاعر هنا الصراع بين الانسان والشیطان
بأسلوب لطيف ، وصور بارعة : الشيطان يخاطب الانسان بلطف ، وكأنه
أب ناصح : فيقول له : « يا روح أليك ! » ، لكن هذا الأسلوب الرقيق ،
كان السبيل الى خداع آدم . ثم تأتى بعد ذلك صورة الانسان والشیطان
وهما متواجهان يلعبان الشطرنج ، ويحذر الشاعر الانسان من الشيطان
بقوله : ان الشيطان أمام الشطرنج ملاعب بارع ، سريع كالغراب ، فلا
تتعرض لمباراته وأنت مثقل بالكرى . انه يعرف الكثير من الألعاب البارعة ،
التى تقف في حلقك ، فلا تستطيع منها خلاصاً » . ويفسر الشاعر بعد ذلك
هذه الحيل التى يستخدمها الشيطان فى الخداع ، فاذا هى حب المال
والجاء .

وقد وفق الشاعر فى الرمز الى الشيطان بالغراب ، فهذا الطائر بلونه
الأسود ، وبما ارتبط به فى الأذهان من النحس ، وما عرف عنه من اختطاف

أشياء قد لا تنفعه ، وقبح سيره وسرعة طيرانه ، يوحى للخيال بصفات تعين على تصور الشيطان .

(١٣٣) يصف الشاعر محب المال بأنه « عديم الثبات » ، ويقصد بذلك أن محب المال لا تقدر نفسه على الصمود أمام اغرائه .

(١٣٩) في البيت اقتباس من قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . (٢ : ٢١٦) .

(١٤١ - ١٥٣) : القصة التي رواها الشاعر في هذه الأبيات وردت بصورة أخرى في كتاب « الهى نامه » للعطار . وقد نقل فروزانصر نص أبيات هذه القصة ، كما رواها العطار . (مأخذ قصص وتمثيلات مشوى ، ص ٤٣ ، ٤٤) .

وتختلف القصة - كما رواها جلال الدين - في حوادثها ومغزاها عن قصة العطار .

فالعطار يروى أن الأبله الذى رافق عيسى طلب منه أن يعلمه اسم الله الأعظم . فرفض عيسى في أول الأمر قائلاً ان هذا لن ينفع الأبله ، لكن الرجل ألحف في الرجاء والقسم فعلمه عيسى هذا الاسم . وبينما كان هذا الرجل الأبله سائراً في الصحراء رأى عظاما نخرة ، فأحب أن يجرب أثر الاسم عليها ، وبالفعل استطاع أن يث فيها الحياة ، لكن هذا كان وبالا عليه ، اذ انطلق من تلك العظام أسد مفترس ، سرعان ما ضرب الرجل بمخالبه ، وقضى عليه . وحين علم عيسى بذلك قال لأصحابه : « ان هذا الرجل طلب من الحق ما لم تكن نفسه جديرة به ، فلم يسمح الحق بذلك . فالانسان لا يجوز له أن يطلب من الحق كل ما يطيب له ، وليس يجدر به أن يطلب سوى ما يكون على قدر استحقاقه » . أما قصة جلال الدين فتروى أن عيسى أبى أن يعلم الأبله اسم الله الأعظم ، قائلاً : ان هذا لن يجديه نفعا . فمثل هذا الاسم لا ينطق به الا من كانت

أنفاسه أنقى من المطر ، وسلوكه أقوم من سلوك الملائكة . فما كل من أمسك بعصا موسى يستطيع أن يحقق بها ما حققه موسى . وتذكر القصة بعد ذلك تعجب عيسى من هذا الرجل الذي يطلب أن يتعلم احياء الموتى ، لكى يث الحياة في العظام النخرة ، على حين أنه تخلى عن روحه الميتة ، ولم يظن اليها . ويكمل جلال الدين القصة بعد أن ينتهى من تفسيراتها وما يدور حولها ، ويستغرق ذلك نحو ثلاثمائة بيت ، فيذكر أن عيسى نادى باسم الحق على العظام ، فانطلق منها أسد أسود ، ضرب هذا الفتى الأبله بمخالبه « فدمر كيانه الصورى » ثم يمضى بعد ذلك في تفسير معانى القصة . (البيت ٤٥٧ وما يليه) .

(١٤٢) « الاسم السنى » هو « اسم الله الأعظم » ، ويتضح ذلك بصريح العبارة في قصة العطار . ويرد ذكر « اسم الله الأعظم » في تفسير بعض قصص القرآن ، وفي كتابات الصوفية ، وكذلك في كتابات مؤرخى الفرق الاسلامية .

وينسب الى العارفين بهذا الاسم القدرة على احداث المعجزات . ولهذا فقد قيل ان الانبياء كانوا يعرفون هذا الاسم . وكذلك ينسب العلم به الى بعض الأولياء . فمن نسب اليهم ذلك ابراهيم بن أدهم . (السلمى ، طبقات الصوفية ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤) .

ونسب بعض غلاة الشيعة الى قادتهم معرفة « اسم الله الأعظم » . يقول الأشعرى عن فرقة المغيرية ، أصحاب المغيرة سعيد : « يزعمون أنه كان يقول : انه نبي ، وانه كان يعلم اسم الله الأكبر ... » (مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، ص ٦٨) .

ويروى ابن الاثير أن المغيرة قال : « ان الله تعالى لما اراد أن يخلق الخلق تكلم باسمه الأعظم .. » (الكامل ، حوادث عام ١١٩ ، ج ٤ ، ص ٢٣ .)

(١٥٠) الأبله في هذه القصة يمثل رجلا ميت الروح طغت عليه

(١٥١) ان هذا الأبله كان يسعى الى احياء العظام النخرة التي رآها في الجب ، في حين أن روحه كانت ميتة ، فلم يلتفت اليها ، وما كان أحرام بأن يلتمس العون لنفسه من عيسى ، وبذلك يبدأ باصلاح نفسه قبل أن يسعى لاصلاح غيره .

(١٥٨) « فأصبح مع رفقائه مراقباً » أى دخل معهم حال المراقبة . والمراقبة ، كما يقول القشيري ، هي « علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه ، واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه ، وهذا أصل كل خير ، ولا يكاد يصل الى هذه الرتبة الا بعد فراغه من المحاسبة ، فاذا حاسب نفسه على ما سلف ، وأصلح حاله في الوقت ، ولازم طريق الحق ، وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب ، وحفظ مع الله تعالى الأنفاس ، راقب الله تعالى في عموم أحواله ، فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ، ومن قلبه قريب ، يعلم أحواله ، ويرى أفعاله ، ويسمع أقواله ، ومن تغافل عن هدم الجملة ، فهو بمعزل عن بداية الوصلة ، فكيف عن حقائق القربة » . (الرسالة القشيرية ، ص ٨٧) . وانظر أيضا : (السراج : اللمع ، ص ٨٢ ، ٨٣) ، (الأنصاري : مشارق أنوار القلوب ، ص ٧٨ - ٧٩) .

وقوله : « وان حضور الرفيق لدفتر ، بل أكثر من ذلك » ، يشير الى طريقة الصوفية في التعلم من المرشد ، فالتصوف معرفة وسلوك يتلقاها المريد عن المرشد في أول الأمر ، ثم يسلك بعد ذلك سبل التأمل والمجاهدة . فالرابطة بين الصوفية رابطة محكمة ، وهي عندهم أهم في تحصيل العرفان من الكتاب والدفتر .

(١٥٩) قلب الصوفى - حين يصبح نقياً من علائق المادة - يغدو كالمرآة ، تتجلى فيه شتى المعارف ، وتشرق عليه الحقائق . ولا حاجة به حينذاك الى دفتر ولا كتاب . والدفتر والكتاب يرمزان الى العلم التقليدى . (١٦٠) العالم الدنيوى يعتمد في تحصيل علومه على آثار القلم ، أما

الصوفى فاعتماده يكون على « آثار القدم » ، أى اقتفاء سبيل المرشد حتى يتحقق له ما تحقق للمرشد . فالسلوك عند الصوفية يجىء قبل القراءة والدرس .

(١٦١) بداية الطريق بالنسبة للمريد أن يدخل في طريق التصوف . فهو يكون بذلك شبيها بصياد ، سار في طريق ليحقق غاية . فعليه في بداية الأمر أن يتبع آثار القدم ، وهذا المعنى يرمز الى اقتفاء شيوخ التصوف .

(١٦٢) يكون المريد في بداية أمره قليل الخبرة ، وقد يقتصر سلوكه في تلك المرحلة على تقليد شيخه ، حتى اذا ما أصبح متحققا بالعرفان ، صار جوهر السلوك وغايته هدفاً له .

(١٦٣) المريد الذى تصدق همته في اقتفاء المرشد ، يقوده اخلاصه هذا الى غايته ، فيصبح هو أيضاً من أهل الحقيقة .

(١٦٤) عندما يصبح السالك من أهل التحقيق ، فكل خطوة يخطوها بعد ذلك تكون أعظم من مائة خطوة من خطاه أيام كان من أهل التقليد . (١٦٥) القلب — بالنسبة للعارف الواصل — يصبح مشرقاً لأنوار المعارف ، وسبيلاً للنفوذ الى عالم الروح ، في حين أنه يكون سداً أمام غير العارف .

(١٦٦) يصور الشاعر القلب بالنسبة للعارف ، فيقول انه باب ، ذلك لأنه مفتوح أمام أسرار الغيب ، تتكشف له المعارف اليقينية .

أما من لم يكن من أهل العرفان فقلبه مغلق يفصل بينه وبين عالم الروح ، كأنه حائط . أما قوله : « وهو عندك كالحجر ... » فهذا يشير الى معان عدة . فالقلب بالنسبة للصوفى جوهر نفيس ، لا يتركه نهبا للعبث أو الأحقاد والضغائن ، بل هو للتأمل والتفكر ، والسعى الى الكمال . أما الانسان الغارق في ماديته فلا قيمة للقلب عنده ، فالقلب — بالنسبة له — كقطعة من الحجر . ولفظة « الحجر » هنا تفيد انحطاط

القيمة ، كما تشير الى ما توصف به القلوب القاسية من غلظ يجعلها شبيهة بالأحجار . قال تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة » . (٢ : ٧٤) .

(١٦٧) يعبر هذا البيت بطريقة رمزية عن معنى شبيهه بقول القشيري عن الصوفية : « مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب ... فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور ، والذي للخلق من المعارف مقصود ، فلمهم من الحق سبحانه موجود ، فهم من أهل الوصال ، والناس من أهل الاستدلال ، وهم كما قال القائل :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه في الناس سارى
فالناس في سدف الظلا م ونحن في ضوء النهار
(الرسالة ، ص ١٨٠) .

(١٦٨) ان أرواح العارفين كانت موجودة قبل أن يخلق هذا العالم المادى ، وكانت تنعم في بحر الجود . فهؤلاء قد سلفت لهم الحسنى ، وسبق التقدير بسعادتهم .

(١٦٩) قبل أن تحل أرواح هؤلاء العارفين في الأجساد كانت قد أمضت أعمارا طويلة في عالم الروح . وقد ظفرت بنعيم الله وكرمه من قبل أن تعمل عملا تستحق عليه الجزاء ، فهذا الكرم والنعيم الذى لقيته قبل حلولها في الأجساد لم يكن جزاء على عمل قامت به .

(١٧٠) لقد تكشف لهن هذه الأرواح حجب المستقبل ، فعرفت ما يكون قبل أن يصبح كائنا .

(١٧١ - ١٧٢) حين أخبر الله الملائكة باعتزامه خلق آدم ، كانت هذه الأرواح مدركة لارادة الله . وبينما كانت الملائكة تتساءل عن حكمة الله في خلق آدم ، كانت أرواح العارفين تسخر من الملائكة .

ولقد روى القرآن الكريم اعتراض الملائكة على خلق آدم في قوله تعالى : « واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا

أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال انى أعلم ما لا تعلمون » . (٢ : ٣٠) .

(١٧٣) لقد كان في وسع هذه الأرواح أن تطلع على صورة ما يكون من الكائنات . فهي قبل أن تعلق بالأبدان كانت نقية من علائق المادة ، بعيدة عما يعكر صفاء رؤيتها . يروى ابن عربى عن أبى يزيد البسطامى قوله : « لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس بها » .

وزيد ابن عربى على ذلك قوله : « وهذا وسع أبى يزيد في عالم الأجسام . بل أقول : لو أن ما لا يتناهى وجوده يقدر انتهاء وجوده مع العين الموحدة له في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس بذلك في علمه » . (فصوص الحكم ، ج ١ ، ص ٨٨) .

ويقول الأنصارى : « والنفوس اذا صفت ورقت ، تشبهت بالملأ الأعلى ، وانتقشت فيها أمثلة الكائنات ، واطلعت على المعيات ، وأثرت في السفليات » . (مشارق ، ١٠٠) .

فاذا كان هذا رأيهم في قلب العارف ومدى احاطته ، فلا عجب اذن أن يكون رأيهم في روح العارف — قبل خلق الجسد — أعظم من ذلك . (١٧٥ — ١٧٦) لقد كانت الأفكار تنتقل الى هذه الأرواح بالهام النهى ، ولم تكن بحاجة الى وسائل لتلقيها ، كالدماع والقلب . كما أن هذه الأرواح قد تحقق لها أعظم قدر من الظفر بدون كدح يشبه كفاح الدنيا .

وأرواح العارفين تبصر ما وراء الحس . فكل ما تشهده فهو بالنسبة لها فكرة ، لأنها تنفذ الى حقيقة جوهره . أما الحسيون فان كل ما يشهدونه لا يتعدى الرؤية الحسية بالنسبة لهم .

(١٧٧) ان التفكير في صورته المعروفة للناس يرتبط بالماضى والمستقبل . أما هذه الأرواح التى تحررت من سيطرة الزمن فلم يعد

التفكر عندها مقيدا بهذا القيد ، ولهذا فقد حلت - بالنسبة لها - مشكلة المعرفة .

(١٧٨ - ١٧٩) ان أرواح العارفين - بتحررها من الزمن - قد استطاعت أن ترى كل ممكن الوجود من قبل أن يوجد . فمعرفة جوهريّة كلية ، وليست مرتبطة بالجزئيات التي تتكشف خلال الزمن . (١٨٠) هذا البيت شبيه بقول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
(١٨١ - ١٨٢) هذان البيتان مرتبطان بفكرة الكشف والالهام عند الصوفية ، تلك التي تتيح للعارفين منهم الماما بكليات الحقائق ، فلا يصرفهم جانب منها عن الجانب الآخر ، ولا يحول مظهر للحقيقة أمام أعينهم دون مشاهدة المظاهر الأخرى الكامنة في طي الامكان . وتنطبق هذه القدرة المبصرة على عالمي الغيب والشهادة . يقول ابن عربي : « ثم لتعلم أن الحق وصف نفسه بأنه ظاهر باطن ، فأوجد العالم عالم غيب وشهادة لندرك الباطن بغيبنا والظاهر بشهادتنا » . (فصوص الحكم، ج ١ ، ص ٥٤) .

(١٨٣) يرتبط معنى البيت بفكرة الانسان الكامل ، وأنه محور الوجود . يقول ابن عربي : « فلا يزال العالم محفوظا ما دام فيه هذا الانسان الكامل ، ألا تراه اذا زال وفك من خزانة الدنيا لم يبق فيها ما اختزنه الحق فيها ، وخرج ما كان فيها ، والتحق بعضه ببعض ، وانتقل الأمر الى الآخرة ، فكان ختما على خزانة الآخرة ، ختما أبديا . فظهر جميع ما في الصورة الالهية من الأسماء في هذه النشأة الانسانية ، فحازت رتبة الجمع والاحاطة بهذا الوجود » . (فصوص الحكم، ج ١ ، ص ٥٠) . وقد عبر جلال الدين عن هذا المعنى بأسلوب شعري . فبدلا من أن يتبع الطريقة الاصطلاحية في التعبير فيذكر أن كل مظاهر الوجود خلقت من أجل الانسان الكامل ، قال ان السماوات نشوى بشراب العارفين ،

على اعتبار أن الله أنعم عليها بالوجود ، من أجل الإنسان الكامل ، وكذلك الشمس يرتبط وجودها بوجوده ، « فهي من جوده ترفل في وشى الذهب » .

وهناك حديث قدسى يذكر في كتب الصوفية ، ويروى عن الله تعالى أنه خاطب الرسول بقوله :
« لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك » .

(١٨٤) « اذا رأيت رفيقين من العارفين فأعلم أنهما من حيث وحدة الروح رجل واحد ، أما من حيث القوة والمقدرة فهما يعدلان ألوفسا كثيرة » .

(١٨٥) ان ظهور العارفين كأشخاص متعددين لا يعنى أنهم متعددون الروح ، فما تعددهم الظاهرى الا كتعدد أمواج البحر ، تلك التى تبدو كأنها وحدات متفرقة ، ولا حقيقة لهذه الفرقة ، فكلها من البحر واليه ، وماؤها جميعا ماء واحد ، لكن الريح هى التى تظهرها على هذه الصورة . والريح هنا رمز للارادة الالهية التى تظهر العارفين على هذه الصورة .

(١٨٦ - ١٨٧) الروح الانسانى واحد . وقد أشرق على الأبدان ، فاقتبست منه الحياة . فهو كالشمس تشرق من قرص واحد ، وكل مكان يقتبس النور منها . وهذا تصوير شعرى لوحدة روح الانسانية ، وهو مبنى على الذوق الصوفى ، وليس على أساس فلسفى .

ومن الصوفية من أنكر ذلك بشدة . فالسهروردى الاشراقى يقول :
« وجماعة من الناس لما تفطنوا أن هذه (النفس) غير جسمية توهموا أنها البارى تعالى ، وقد ضلوا ضلالا بعيدا ، فان الله واحد ، ولو كانت نفس زيد وعمر واحد ، لأدرك أحدهما جميع ما أدرك الآخر ، ولاطلع كل الناس على ما اطلع عليه الكل وليس كذلك . ثم كيف تستأمر قوى البدن اله الآلهة ، وتسخره رهين شهوات ، وعرضة بليات ، فى خبط عشوات » . (هياكل النور ، ٥٤ ، ٥٥) .

وهذا موقف فلسفى يختلف عن الموقف الذوقى الذى عبر عنه جلال الدين . ومع ذلك نجد السهروردي يعبر عن وحدة النفوس في أصلها وذلك بصدورها جميعا عن العقل الفعال . يقول : « ومن جملة الأنوار القاهرة أبونا ورب طلسم نوعنا ، ومفيض نفوسنا ، ومكملها بالكمالات العلمية والنفسية ، روح القدس ، المسمى عند الحكماء بالعقل الفعال » . (المصدر السابق ، ص ٦٥) .

ويعبر الأنصارى عن اتحاد الأرواح بقوله : « واعلم أنه ليس في العالم شيء الا وله مغناطيس يجذبه ، لطيفا كان أو كثيفا . ومغناطيس النفوس شعاع نور الجمال ، فلهذا كان تعاشق الأرواح انجذاب بعضها الى بعض حتى تتحد » . (مشارك ، ٩٧) .

ويقول أيضا : « واتصال النفسين هو اتحادهما حتى لا يكون بينهما فرق الا بالجسم ، والجسم زائد على ماهية النفس ، والانسانية تتعقل في الذهن دون جسم ، اذ هي معنى كلى يتصور في النفس دون أمر زائد من شكل أو حامل وسائر الأعراض » . (المصدر السابق ، ٩٩ - ١٠٠) .
(١٨٨) يميز الشاعر بين الروح الانسانية والروح الحيوانية . فالروح الانسانية هو مصدر الحياة الواعية المدركة التى يعيشها الانسان . أما الروح الحيوانية فهو مصدر الحياة في الجسد ، وبه تحيى أجساد البشر والحيوانات على السواء .

ولعل الروح الانسانية هو الذى يعبر عنه بالنفس الناطقة في كتابات بعض الصوفية . يعرف السهروردي النفس الناطقة بقوله : « وهذه النفس الناطقة لها قوى من مدركات ظاهرة ، وهى الحواس الخمس ، وهى اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وقوى من مدركات باطنة ، كالحواس المشتركة وهو الذى يشاهد صور المنام معاينة لا على سبيل التخيل . ومن الحواس الباطنة الخيال .. والقوة الفكرية .. والوهم .. والحافظة » (هياكل النور ، ص ٥١ - ٥٣) .

أما الروح الحيوانى فيتحدث عنه بقوله : « وللحيوانات قوة شوقية ذات شعبتين : منها شهوانية جعلت لجلب الملائم ، وغضبية خلقت لدفع ما لا يلائم . وقوة محركة تباشر التحريك . وحامل جميع القوى المحركة والمدركة هو الروح الحيوانى ، وهو جرم لطيف بخارى مولد من لطائف الأخلاط ، وينبعث من التجويف الأيسر من القلب ، وينبث فى البدن بعد أن يكتسب السلطان النورى من النفس الناطقة . ولولا لطفه ما سرى فيما سرى ، اذا وقعت سدة تمنعه من النفوذ الى عضو يموت ذلك العضو . وهو مطية تصرفات النفس الناطقة . وتتصرف النفس فى البدن ما دام ، واذا انقطع انقطع تصرفها فى البدن . وهذا الروح الحيوانى غير الروح الالهى الذى يأتى فى كلام النبوات ، فانه يعنى به النفس الناطقة التى هى نور من أنوار الله تعالى ، القائمة لا فى أين ، من الله مشرقها ، والى الله مغربها » . (المصدر السابق ، ٥٣ ، ٥٤) .

ولو أردنا أن نلخص آراء السهروردى فى كلمتين جامعتين لقلنا انه يعنى بالنفس الناطقة القوى المدركة ، وبالروح الحيوانى القوى المحركة من غضب وشهوة وطاقنة .

(١٨٩) ما دام الروح الانسانى جوهرًا واحدًا فاض عن الخالق ، فليس من الممكن أن يقع انقسام فى هذا الجوهر .

(١٩٠) الشاعر يدرك أنه أفاض فى الحديث عن معانٍ رمزية عميقة الدلالة ، وانصرف عن رواية قصة الصوفى التى بدأها قبل معالجة تلك المعانى . ولهذا فانه يحث المستمع على الاصغاء اليه ليحدثه بلمحة عما تشهده روحه من جمال التجلى .

(١٩١) ليس البيان بقادر على أن ينقل الى المستمع لمحة من جمال الشهود . وكيف يتسنى له ذلك ، والعالمان بأسرهما ليسا سوى لمحة من أنوار هذا الجمال .

(١٩٢) « لو أئنى تحدثت عن لمحة من لمحات هذا الجمال ، لكاد

كيانى الجسدى يتبدد ، فمثل هذا الحديث الروحى لا تقدر عليه عبارات الحس وأوصافه .

(١٩٣) مثل هذا الكشف الروحى أمانة ينوء بحملها كيان العارف ، ومع ذلك يكون سعيدا بها ، كما تكون النملة سعيدة في ييدر القمح ، برغم ما يحيط بها من أثقال ينوء بها كيانها .

(١٩٤ - ٢٠٠) يبين الشاعر في هذه الأبيات ، كيف مال مستمعوه الى سماع صورة الحكاية التى كان يرويها (حكاية الصوفى) ، وكيف صرفه هذا الميل من جانب مستمعيه عن تقرير معنى الحكاية .

(١٩٥) هناك فيض غزير من القول ، يندفع كمد البحر ، ثم يعود الى الانكماش كالجزر .

(١٩٦) ان انصراف خاطر المستمع عن الاصغاء للمعانى الروحية جعل الشاعر يعرض عن الافضاء بها .

(١٩٩) الصوفى ليس بصورته الظاهرة ، وانما هو بجوهره وحقيقته . والقصة ليست قيمتها بوقائعها السطحية ، بل هى بمغزاها ومعانيها الدقيقة . والولع بظاهر الحكاية مبعثه لذة سطحية ، كتلك التى تجعل الأطفال مولعين بالجوز والزبيب .

(٢٠٠) ولع الرجال بلذات الحس شبيه بولع الأطفال بالجوز والزبيب . فاللذات الحسية مذاقها وقتى ، ومن كان رجلا فلذته أسمى من ذلك ، لأنها ذات طبيعة روحية .

(٢٠١) ان لم تكن قادرا على أن تتخلى عن لذات الحس ، فالله قادر على أن يجعلك تتنزه عنها ، وترتفع فوق طباق السماء .

(٢٠٣ - ٢٥٠) في هذه الأبيات يقص الشاعر قصة الصوفى والخادم والحمار ، وهى القصة التى بدأ في روايتها في البيت رقم ١٥٦ ، ثم ما لبث أن انصرف عنها ، مستطردا الى الحديث عن الصوفية وأحوالهم . ونلاحظ في هذه القصة كغيرها براعة الشاعر القصصية . وقد

تجلت في هذه القصة الخصائص الآتية :

اولا : روح الفكاهة الغالبة على القصة .

ثانيا : براعة الحوار .

ثالثا : مقدرة الشاعر على تصوير هواجس النفس .

رابعا : براعته في تصوير شخصياته القصصية . ولم تقف هذه البراعة

عند حد تصوير الانسان بل تعدته الى الحيوان . فحمار الصوفى هنا

يشير العطف بما يلاقيه من آلام ، وله أيضا هواجسه وأحلامه !

(٢٥١) على الانسان ألا ينخدع بلطف المقال حتى لا يخدعه هذا

عن حقيقة الحال .

(٢٦١) في هذا البيت دعوة قوية صريحة الى الحزم ، والاعتماد على

النفس .

(٢٦٤) عاد الشاعر هنا الى حديث الروح والجسد . فالجسم الترايبى

غريب عن جوهر الانسان .

(٢٦٥) تغذية الجسم ورعايته لن تفيد جوهر الانسان . فالجسم

يتضخم من هذا الغذاء ، في حين أن الجوهر يتضاءل .

(٢٦٦) مهما أحيط الجسم بالرعاية والعناية ، فانه لا محالة هالك ،

والموت يكشف طبيعته الخسيسة ، فمهما أحيط بالمسك ، فلا بد من ظهور

رائحته الخبيثة بعد الموت .

(٢٦٧) المسك الذى يلطخ المرء به جسده لا جدوى منه ، لأن أثره

سطحي ، وأولى بالانسان أن يعطر بالايمان قلبه .

(٢٧٥) ما دمت تنطوى على نفس أمارة بالسوء ، تغلى بلهب

الشهوات ، فكن يقظا ، والا قادتك الى الجحيم .

(٢٧٧) هذا المعنى شبيه بقول زهير بن أبى سلمى في معلقته :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(٢٨٠ - ٢٨٢) في هذه الأبيات صورة مشتقة مما يقع تحت أبصار

الناس في حياتهم اليومية . فهناك دكان العطار وقد صتقت أمامه أوعية تشبه الطبول ، ووضع في كل وعاء صنف من الأصناف . والعطار قد جعل كل صنف منها على حدة . وإذا وقع اختلاط بين الأصناف فانه يحرص كل الحرص على الفصل بينها . وقد اتخذ الشاعر من هذا منطلقا للحديث عن الأنبياء ، وكيف أرسلوا ليفصلوا بين أهل الصلاح وأهل الفساد .

(٢٨٣ - ٢٨٤) قبل بعث الرسل ، لم يكن هناك فيصل بين الطيبين والخبيثين . فكانت الأرواح الطيبة والخبيثة يختلط بعضها ببعض . فأرسل الله الرسل ليكونوا فيصلا بين الفريقين . قال تعالى : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » . (٢ : ٢١٣) .

(٢٩٣ - ٢٩٤) قلب العارف يشرق فيه من نور العرفان ما يزرى في اشراقه بنور النهار . أما الأستار التي يسدلها على أسرارها فشيبة بظلمات الليل . وقد يكون المراد بالستر هنا الجسد الذي يحجب حقيقة الولي العارف . (انظر البيت رقم ٢٩٩) .

(٢٩٥ - ٣٠١) تذكر هذه الأبيات تفسيراً صوفياً لقوله تعالى : « والضحي والليل اذا سجي ، ما ودعك ربك وما قلى » . (٩٣ : ١ - ٣) . فالشاعر يذكر أن الله أقسم بالضحي لأنه نور ضمير المصطفى ، أو لأنه فيض من نور الخالق . ولولا ذلك لما جاز القسم بالضحي لأنه فان ، وهو بهذا غير جدير بقسم الخالق . ان الخليل قال : « لا أحب الآفلين » ، فكيف يقسم رب العالمين بما هو عرضة للفناء ؟

وبعد هذا ينتقل الشاعر الى تفسير « والليل » ، فيقول انه رمز لستره أي جسده الذي يخفى حقيقة جوهره . وحينما أشرقت شمس الوحي على الرسول ، قالت لجسده : « ما ودعك ربك » ، أي أن الله لم يتركك برغم أنه قطع الوحي عنك أياما . أما قوله : « ولقد تجلى الوصل

من عين البلاء» ، فمعناه أن جمال الوصل قد تجلى واضحا بعد الانقطاع ،
فالشئ يتضح بضده ، ولهذا فإن الله تعالى قال : « وما قلنى » . فهذا
الانقطاع لم يكن منبعثا عن اعراض أو كره من الله .

وهذا تأويل صوفى يحمل الألفاظ أكثر مما تحتل ، في بعض
المواقف . والمعروف عند المفسرين أن هذه الآيات نزلت على الرسول
بعد أن تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوما ، وقال الكفار : ان محمدا
ودعه ربه وقلاه .

(٣٠٢) ان كل عبارة رمز لحال . فالحال هو الموجه لمعنى العبارة ،
وليست العبارة سوى الأداة التى يعبر بها الحال عن حقيقته . ان الحال
كاليد والعبارة كالآلة .

(٣٠٣) لا جدوى من اطلاق العبارات على ما ليست ترمز اليه من
الأحوال ، والا كان ذلك كوضع الآلة في يد لا تحسن استخدامها . فلا
بد أن تحمل العبارة تعبيراً صادقا عن الحال .

(٣٠٥) يتضمن هذا البيت مثالا لاستخدام العبارة في موضعها ، ومثالا
لاستخدامها في غير موضعها .

(٣٠٦) عصا موسى ، في يد موسى ، كانت آلة وضعت في موضعها
الصحيح . أما العصا في أيدي السحرة ، فقد ذهبت هباء ، لان تلك
الأيدي لم تكن — في مقام اظهار المعجزة — جديرة بتلقيها .

(٣١٠) انتقل الشاعر من الحديث عن اقتران الأحوال والعبارات ،
واقتران الأيدي والآلات ، الى ذكر الواحد الذى لا قرين له ، ولا آلة .
وبين كيف أن كل عدد يكون عرضة للخطأ ما عدا الواحد فانه لا شك فيه .
(٣١١ — ٣١٢) يقول ابن الفارض في هذا المعنى :

وان عبد النار المجوس وما انظفت كما جاء بالأخبار في ألف حجة
فما قصدوا غيرى وان كان قصدهم سوى وان لم يظهروا عقدنية
وجلال الدين يقول : ان كل من عبدوا اثنين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك

هم - في الوقت ذاته - قائلون بالواحد ، مؤمنون به . ويروى القرآن الكريم عن مشركى العرب قولهم عن الأصنام : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » . (٣٩ : ٣) .

فهؤلاء المشركون كانوا مؤمنين بالاله الواحد . ويعزو جلال الدين هذه الألوان المختلفة من الشرك الى الحَوَل ، وهو مرض يجعل العين تبصر الشيء الواحد متعددا . فاذا شفى هؤلاء المشركون من حولهم العقلى ، فهم لا شك عائدون الى الايمان بالاله الواحد .

(٣١٣) من قال بالوحدانية فقد سلك السبيل الحق الى ربه .

فعليه أن يستسلم لخالقه على أكمل وجه ممكن ، فلا تكون له حركة الا بدافع من الله ، كما تندفع الكرة في الميدان بدفع الصولجان .

(٣١٤) كلما ازداد كمال الكرة كانت أكثر استجابة لدفع الصولجان ، وكلما ازداد كمال الانسان كان أسرع استجابة لارادة الله .

(٣١٥) على الأحوال الذى أخطأ الرؤية أن يحسن الاستماع بعقله ، فلعنه يستطيع أن يتلقى بسمعه ما يعينه على التخلص من علة ابصاره .

(٣١٦) حسن الاستماع ، مع عمق التأمل ، قد يعين القلب على الابصار . أما الاستماع بدون تأمل فلا جدوى منه للقلب الأعمى ، لأن نور العرفان لا يستقر فيه ، بل يرجع الى أصله .

(٣١٧) سحر الشيطان يجد له مستقرا ملائما في القلب المنحرف ، كما تستقر القدم العوجاء في الحذاء الأعوج .

(٣١٨ - ٣٢٠) الحكمة لا تتحقق لانسان ما لم يكن من محبيها المخلصين لها ، الذين يتقبلونها بقلوبهم وأرواحهم . وبدون هذا فلا سبيل لانسان اليها ، فكثرة القراءة والحفظ ، والتشديق بالحكمة ، كلها لا تجدى نفعا ، ما لم تستقر الحكمة في قلب الانسان ويتحقق اخلاصه لها .

(٣٢١) الاخلاص قد يعين صاحبه على أن يحصل من الحكمة ما لم يحصله المجتهد الذى تجرد من الاخلاص . وهذا المعنى مرتبط بفكرة

الإلهام عند الصوفية ، تلك التى تقول بأن القلب النقيّ الذى صفا من الأكدار يتلقى من العرفان ما لا يتحقق لمن أضاع عمره بين الأسفار .

(٣٣٣ - ٣٣٥) تروى هذه الأبيات قصة ترمز الى الروح الذى يفر من كنف خالقه ، ويستسلم للدنيا ولذاتها . فالباز في القصة رمز للروح ، وقد هرب من مليكه الى عجوز شمطاء ، (وترمز للدنيا) فساء جزاؤه من جراء ذلك .

وتروى هذه القصة في مصادر عدة من أهمها أسرار نامه للعطار ، وجوامع الحكايات لعوفى^(١) . والقصة كما رواها العطار لا تنطوى على تلك النظرة العاطفية التى صور بها الملك حبه للباز .

وقد ذكر فروزانفر مواضع أخرى وردت فيها اشارات لهذه القصة ، وهى كشف المحجوب للهجویری ، وديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومى ، وكتاب المقالات المنسوب لشمس الدين التبريزى « مخطوط مكتبة الفاتح باستنبول ، رقم ٢٧٨٨ » . (انظر مأخذ قصص ، ص ٤٤ ، ٤٥) .

(٣٣٥) هذا البيت شبيه بقول أبى نواس :
ان كان لا يرجوك الا مؤمن فبمن يلوذ ويستجير المجرم
(٣٣٦) ان الروح قد تنجرف عن قصد السبيل معتمدة على لطف الله وكرمه .

(٣٣٧) الانسان يقترف السيئات ، مع أن حسناته لا تكاد ترقى الى المستوى الذى يجعلها جديرة بقبول الخالق .

(٣٣٨ - ٣٤٠) من أسباب خطيئة الانسان أن يعتقد أن عبادته لله أمر مستلزم للقبول الالهى ، فيركن الى هذا الاعتقاد ، ويصيب الغرور

(١) انظر تعليقات نيكولسون .

قلبه ، ويظن أنه قد أصبح من خاصة الله . ومثل هذا الغرور يؤدي الى الضلال .

وقد عقد عبد الرحمن بن الجوزي فصلا حول هذا المعنى بعنوان : « غرور المتعبدین » .

يقول : « وفي المتزهدين أهل تغفيل ، يكاد أحدهم يوطن نفسه على أنه ولي محبوب ومقبول وربما احتقر غيره ، وظن أن محلته محفوظة به ، تغره ركيعات ينتصب فيها ، أو عبادة ينصب بها » . (صيد الخاطر ، ١٣٥ - ١٣٦) .

(٣٤١) لا يجوز أن يكون احساس المرء بالاقتراب من ربه دافعا الى اساءة الأدب . ويروى عن أبي يزيد البسطامي - في هذا المعنى - قوله : « قعدت ليلة في محرابي ، فمددت رجلي ، فهتف بي هاتف : من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب » . (السلمي : طبقات الصوفية ، ص ٦٩) .

(٣٤٣) الباز قد اغتر بنفسه ، فظن أنه قادر على صيد الأسود ، ولم يدر أن الصياد الحقيقي هو المليك ، وليس الباز - في حقيقة الأمر - الا ملتقط الصيد . فهو هنا يعتذر لمليكه عن الخطأ الذي وقع فيه نتيجة لغروره وسوء فهمه . وهذا تعبير رمزي عن الانسان الذي يكرمه ربه فيقدره على فعل الأمور العظام ، فيظن أن ذلك قد تحقق له بقدرته الذاتية ، وينسى فضل الخالق ، فيعتبره الغرور من جراء ذلك .

(٣٤٤) تكشف للباز - بعد أن ابتعد عن كنف مليكه - أن قدرته كانت مقتبسة من قدرة هذا المليك . وهكذا الانسان ، لا قدرة له لو تخلى عنه الخالق . فالباز يقول : « مع أن أظافري قد قلمت ، فأنا قادر على اقتلاع الشمس من مدارها ، لو أنك كنت لي » . والانسان - المؤيد بالقدرة الالهية - لا تكون هناك حدود لطاقاته .

(٣٤٥) « لعب الفلك » يقصد به هنا ما كان يُعتقد للفلك من تأثير

على الأحداث . ومعنى البيت : « مع أنتى قد غدوت مقصوص الجناح فانك لو تقبلتنى برضاك تضاءلت قوة الفلك أمام قوتى » .

(٣٤٦) « المئزر » في البيت رمز للتأهب للعمل . والمعنى : « لو دفعتنى الى العمل لهدمت الجبال ، ولو وهبتنى قلما لحطمت به السيوف والرماح .

ويقول جلال الدين أيضا في هذا المعنى : « ان ملك الملوك حين ينزل الى الميدان ، يصبح كل عجز آلة ووسيلة » . (مثنوى ، ١ : ٢٦٩٦) .
(٣٤٧) اشارة الى قصة البعوضة التى أهلكت النمرود بن كنعان .
(انظر : الثعلبى ، قصص الأنبياء ، ص ٩٧ .

وانظر أيضا : مثنوى جلال الدين ، ج ١ ، ص ٤٩٧) .
(٣٤٨ - ٣٤٩) اشارة الى قصة الطير التى أهلكت أصحاب الفيل، وهم في طريقهم الى مهاجمة الكعبة . ويروى أن هذا الحادث وقع في زمن عبد المطلب جد الرسول .

يقول المسعودى : « فأرسل الله عليهم الطير الأبايل ، أشباه العاسيب ، ترميهم بحجارة من سجيل ، وهو طين قد خلط بحجارة من البحر ، مع كل طير ثلاثة أحجار ، فأهلكهم الله عز وجل » . (مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٢٨) .

(٣٥٣) اشارة الى معجزة شق القمر التى تروى عن الرسول عليه السلام .

(٣٥٤) « حتى يعلم الجاهل بالسعد والنحس أن الرسول كان أعمق أثرا في توجيه المقادير من القمر ، وسائر الكواكب » . والجاهل بالسعد والنحس هو المنجم ، الذى يربط مصائر الخلق بالنجوم .

(٣٦٤) هذا البيت عربى في الأصل ، ويشير الى حديث قدسى يروى

عن الله قوله : « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لأعرف » .

(٣٦٩) التخلص من عبادة الأصنام هو بداية الطريق للتخلص من صنم الباطن . وقد وصف جلال الدين النفس بأنها صانعة الأصنام . وأصنام النفس هي شهواتها المختلفة . فالتخلص من أصنام الباطن يقتضى جهادا روحيا عظيما .

(٣٧٢) في البيت اشارة الى بعض الأساطير الفارسية القديمة . زال هو ابن سام بن نريمان الذى كان من أمراء سجستان . أما رستم فهو ابن زال ، وقد اشتهر — في تلك الأساطير — ببطولة خارقة .

(٣٧٥) مهد الشاعر بهذا البيت لقصة يرويها عن الشيخ أحمد بن خضرويه ، وهو من قدامى الصوفية ، (توفى عام ٢٤٠ هـ) . ذكره السلمى بقوله : « أحمد بن خضرويه البلخى ، وهو من كبار مشايخ خراسان ، صحب أبا تراب النخشبى وحاتما الأصم ، ورحل الى أبى يزيد البسطامى ، وهو من مذكورى مشايخ خراسان بالفتوة ... » . ونقل السلمى بعض أقواله (طبقات الصوفية ، ١٠٣ - ١٠٦) .

وقد ذكر السلمى أن أحمد بن خضرويه كان يقترض الأموال لإطعام الفقراء ، وأن دينه قد بلغ مائة ألف درهم . أما القشيرى فقد ذكر قصة شبيهة بقصة المثنوى . يقول : « وكان عليه سبعمائة دينار دينا ، وغرماءه عنده ، فنظر اليهم وقال : اللهم انك قد جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال ، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم ، فدعنى . قال : فدق داق الباب وقال : أين غرماء أحمد ؟ فقضى عنه ثم خرجت روحه ، ومات رحمه الله سنة ٢٤٠ » . (الرسالة ، ص ١٦ ، ١٧) . وروى العطار هذه القصة ذاتها في « تذكرت الأولياء » ، ونقلها عنه فروزانفر . (مآخذ قصص ، ص ٤٦) .

أما قصة الصبي بائع الحلوى فقد عثر عليها نيكولسون مرتبطة بأبي سعيد بن أبي الخير (انظر شروح نيكولسون ، ص ٢٥٢) . وذكر فروزانفر نص هذه القصة (مآخذ قصص وتشيلات ، ٤٦ ، ٤٧) . وقد ذكر أحمد بن خضرويه في حلية الأولياء للاصفهانى ، وكشف المحجوب للهجویری ، ونفحات الأنس للجامی ، الى جانب المراجع السالفة الذكر .

(٣٧٩) في البيت اشارة الى معجزة تنسب الى ابراهيم ، عليه السلام ، وتروى بصور مختلفة ، خلاصتها أن ابراهيم أبى أن يدين بالوهمية النمرود ، كما كان يفعل أهل زمانه ، فردّه النمرود بدون طعام ، فمر على كتيب رمال وملاً منه كيساً يدخل به على أهله ، لكن الله أحال الرمال في الكيس الى دقيق . (الثعلبي ، قصص الأنبياء ، ص ٩٥ - ٩٦) .

(٣٨٠ - ٣٨١) انظر : مثنوى ، ج ١ ، ٢٢٢٣ - ٢٢٢٥ وتعليقنا على الأبيات) ، ص ٢٨٣ .

(٣٨٢) « الجود بالروح ، وتقديمها قربانا لخلق الوجود » ، تعبير عن دعوة الصوفية الى افناء الذات في الخالق . فكأن الشاعر يقول : ان الصوفية الصادقين أكثر الناس سخاء لأنهم ضحوا بأرواحهم ، وجعلوها قربانا لخالقهم . والبيت شبيه بقول الشاعر :

يجود بالنفس اذ ضنّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(٣٨٣) جاء في قصة ابراهيم أنه حين هم بذبح ابنه اسماعيل لم تفعل السكين فعلها في عنقه . يقول الثعلبي : « ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم تعمل السكين شيئاً وضرب الله صحيفة من نجاس على حلقه .. ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبته .. » . (قصص الأنبياء ، ص ٩٤) . ويشير الشاعر بذلك الى أن من ضحى بالذات في سبيل الخالق ، تحقق له البقاء .

(٣٨٤) الشهداء يموتون في حومة الوغى ، ومع ذلك يوهبون حياة

الخلود ، على مقتضى قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » . (١٦٩ : ٣) . وكذلك الصوفية - الذين حققوا فناء الذات - ظفروا بالبقاء . وليست العبرة ببقاء الجسد ، كما يتوهم الكفار .

(٣٨٥) لا يقتصر جزاء الشهداء على خلود الروح ، بل تقترب بذلك البهجة والفرح . ولقد أتبع الله قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا ... » بقوله : « فرحين بما آتاهم الله .. » الآية . (١٧٠ : ٣) .

وكذلك الصوفية ، لا يكون البقاء وحده هو ما يتحقق لهم ، نتيجة لفنائهم الذات ، بل ان لهم بالفناء بقاء مقترنا بالبهجة والسرور .

(٤٣٥) انظر قصة الأصم الذي ذهب ليعود جاره المريض (مثنوى ، ج ١ ، الأبيات ٣٣٦٠ - ٣٣٩٥ ، ص ٣٨٦ - ٣٨٩) .

(٤٣٦ - ٤٣٧) قصة موسى والعبد الصالح - الذي ذكر المفسرون أنه الخضر - قد رويت في القرآن الكريم (سورة الكهف ، ١٨ : ٦٥ - ٨٢) .

(٤٣٨) « يا موسى زماننا » معناها « يا من تنظر الى الصالحين نظرة موسى الى الخضر » .

(٤٤١ - ٤٤٣) انظر : مثنوى ، ج ١ ، الأبيات ٨١٨ - ٨٢٢ ، ص ١٥٠ .

(٤٤٤) « اذا أردت أن تظفر بهذا العطاء الالهي ، فليكن انسان عينك ياكيا أسفا على ما يكون من تهاون الجسد » .

(٤٤٥) انظر الأحاديث النبوية في « فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقا اليه » . (النووى : رياض الصالحين ، ص ٢٠٨ - ٢١٠) .

(٤٤٩) « المسيح » هنا رمز للروح . فالزاهد يقول : « على الانسان ألا يأسى على عين الحس ، ان كان قوى الروح ، ذلك لأن الروح كالمنسحق ، تهب الابصار للأعمى » .

(٤٥١) لا تجعل الروح - في كل لحظة - مسخرا لجسم غليظ .

(٤٥٢) انظر : قصة الأبله الذى رافق عيسى (الأبيات ١٤١ - ١٥٥) .

(٤٥٣) الأبله الذى رافق عيسى طلب منه أن يث الحياة في عظام نخرة ، ولم يلمس منه حياة لروحه . ان على الانسان ألا يسخر الروح لرغاب الجسد ، والا كان كمن يلمس من موسى أن يعمل عمل فرعون .

(٤٥٤) « لا تثقل فؤادك بهم التفكير في المعاش » : في هذه العبارة دعوة للانسان الى أن يتجنب اغراق فؤاده في هموم العيش ، حتى لا يكون هذا سببا في انصرافه عن كل تأمل روحى .

(٤٥٦) طالما كانت الروح في الدنيا فلن تعدم الاستقرار في أحد الأجساد ، ولها حينذاك رعاية من الخالق . انها كالتركماني لا بد له من أن يستقر في احدى الخيام طالما كان مقيما في الحي .

(٤٦١) ان هذا الفتى الأبله كان خاليا من اللب ، ولهذا كان القضاء على جسده قضاء عليه ، لأنه لم يكن ينعم بذلك الروح الذى يعيش بعد فناء الجسد .

(٤٦٣) الأسد كان قد فارق الدنيا ، وانقطع بذلك رزقه الدنيوى ، فبعثه المؤقت على يد عيسى لم يكن يعنى أنه استأنف حياته الدنيوية . (انظر البيت ٤٦٩) .

(٤٦٤) الأسد الضارى قد قتل الرجل ، ومع ذلك ، لم يستطع أن ينال منه رزقا ، لأن الرزق مقسوم . وكثير من الرجال يعيشون في هذه الدنيا بقدرة كاملة على الصيد وحظ قليل من الرزق .

(٤٦٥) يصور الشاعر بهذا البيت الحرص الذى يملك بعض الرجال للحصول على رزق لا يتحقق ، فهم يقضون حياتهم بين دفع الحرص وامتناع الرزق . وليس معنى هذا أن الشاعر لا يؤمن بالسعى ، ففي المشنوى كثير من المواقف التى تحت على السعى . لكن الشاعر ينتقد الحرص المير الذى يكدر الحياة ، ويجعل صاحبه ضحية لسلسلة

لا تنتهى من الرغاب الجامحة ، والفشل المتكرر .

(٤٦٨) العبرة المقصودة من البيت هى أن المرء — برغم بالغ حرصه — قد يحرم من ثمرة يحققها له هذا الحرص .

(٤٧٠ — ٤٧١) انتقل الشاعر الى الحديث عن الجزاء الذى لقيه الفتى الأبله . لقد واجه هذا الهلاك ، لأنه — وقد لقي نبعا لحياة الروح هو المسيح — اختار حياة البدن ، فكان كمن يلوث النبع بدلا من أن ينهل من مائه .

(٤٧٣ — ٤٧٤) هذا الأبله قد لقي هذا الرسول ، الذى وهبه الله مثل هذه القدرة على بعث الحياة في الأرواح ، فكيف يلتبس منه حياة الجسد ؟

(٤٧٤) النفس الأماراة بالسوء تسعى وراء اللذات ، كما يسعى الكلب وراء العظام . وحياة النفس الأماراة بالسوء يكون فيها القضاء على حياة الروح . فهناك هذا التضاد في الذات الانسانية بين النفس الأماراة بالسوء وبين الروح .

(٤٧٥) العظام هنا رمز للذات الحس التى تشتتها النفس ، كما يشتتها الكلب العظام . وقد تكون رمزا لوجود الانسان المادى ، الذى تتعلق النفس بلذاته . أما قول الشاعر :

« تحول بين الكلب وبين صيد الروح » فمعناه : أن لذات الحس تصرف النفس عن تذوق ما يتيحه لها الروح من لذات .

(٤٧٦) « ان لم يكن أسير الشهوات كالكلب المولع بالعظام أو كالضبع المولع بالدماء ، فلماذا هو أسير لشهوات الحس ؟ »

(٤٧٧) الانسان المجرد من البصيرة الروحية ، كالعين المجردة من الابصار ، فهذه عند الامتحان لا جدوى منها ، وهكذا يكون مثل هذا الانسان .

(٤٧٨) المحروم من البصيرة الروحية قد يعتمد على الظن الذى

يخطيء حيناً، ويصيب حيناً آخر، ويكون هذا الظن مبنياً على الاجتهاد العقلي أما الظن الذي لا يبصر فأعتقد أنه كناية تقليد المقلدين الذين حرموا من الالهام الروحي، كما حرموا من الاجتهاد العقلي. وفي الآيات التالية يتحدث الشاعر عن التقليد ومساوئه.

(٤٧٩) يخاطب الشاعر بهذا عين المقلد، فيقول: « أيتها العيّن التي تبكى على سواها! ان حالك أسوأ من حال سواك، فليكن بكاؤك على نفسك، فحالك أولى بالبكاء ». يقصد الشاعر بذلك أن المقلد يردد نعمات الأسى على سواه وينسى نفسه، كما يفعل جهال الواعظين.

(٤٨٠) يذكر الشاعر في مواضع كثيرة أن دموع الندم تجلو القلب، وتجعل الروح مزدهراً، فهي كالسحاب الباكي تزدهر به الرياض، أو كدموع الشمعة تزيدها نورا.

(٤٨١ - ٤٨٣) الانسان الذي يبكى على ما يفنى خير من المقلد الجامد الاحساس. فالباكي على الفانى يكون غافلاً عن كنوز الحياة الروحية الخالدة، لكنه - مع ذلك - خير من المقلد الذي أصاب التقليد قلبه بالجمود.

(٤٨٤) التقليد يكون كالجبل المنيع، يجعل صاحبه غير قابل للتأثر، أو يحول بينه وبين ادراك الحقائق الكامنه وراء ظاهر الأشياء. فالتقليد - في ذاته - أسلوب واه كالقشة.

(٤٨٥) لا قيمة للمقلد مهما كان عظيم الجسم شديد الانفعال. وهذا تصوير لمن يدعون العلم مع تجردهم منه، فمثل هؤلاء الأدعياء قد يعتمدون على المظهر المهيّب، أو اصطناع مظاهر التحمس والانفعال، ولا يكون وراء ذلك قيمة جوهرية. فمثل هذا المقلد كجاهل أعمى، تجرد من البصر والبصيرة، فهو لا يعدو أن يكون كتلة من اللحم.

(٤٨٦) قد يتحدث المقلد بكلام دقيق، لكن قلبه لا يدرك حقيقة

معناه.

(٤٨٧) قد تظهر على المقلد نشوة بما ينطق به ، لكنها نشوة مفتعلة ، بعيدة عن صدق الأحساس ، وعمق التأثير .

(٤٨٨) تشبيه رائع للمقلد ، يصطنع المعرفة ، ويتفوه بالعلم ، من غير أدنى قدر من التذوق ، فهو كالنهر ، يمر الماء بمجره ، ولا يكون له أى تذوق لهذا الماء . وقد يوجد من المستمعين من هو أكثر من المعلم المقلد فهما لما يقوله هذا المقلد ، وهكذا يكون الشاربون متذوقين لطعم الماء ، في حين أن النهر الذى يحمله اليهم مجرد من الذوق .

(٤٩٠) المقلد ينطق بأقوال لا يدركها ، كالنأى يترنم بألحان الأسى ولا علم له بهذا الاحساس .

(٤٩٣) عرف داوود بجمال الصوت والعزف - انظر ما جاء عن ذلك في القرآن الكريم (٣٤ : ١٠) .

والشاعر يشبه قول المحقق بغناء داوود ، أما قول المقلد فهو كرجع الصدى .

(٤٩٥) المقلد يصطنع الاتفعال بدون احساس حقيقى ، أما المحقق فيحمل العبء صامتا . وهكذا يكون شأن العربى والثور ، يحمل الثور العبء الحقيقى ويمضى صامتا على حين أن العربى هى التى تردد الأنين .

(٤٩٨) المتسول يهتف باسم الله من أجل الخبز ، والمقلد يهتف بالعرفان طلبا للمنفعة الدنيوية ، ولا يستشعر ذوقا لما يقول ، أما العارف فيهتف باسم الله من أعماق قلبه ، وهذا هو المحقق الذى يتذوق بروحه ما ينطق به .

(٤٩٩) لو أن المقلد أدرك مضمون قوله لهان في نظره ما يهدف اليه من منفعة دنيوية جعلته يتخذ من ادعاء العلم سبيلا اليها .

(٥٠٠) المقلد يصطنع العلم من أجل هدف تافه ، هو تحقيق شىء من الزبح المادى ، كالحمار يحمل المصحف ليكون جزاؤه على ذلك وجبة من التبن . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة

ثم لم يحملوها كمثّل الحمار يحمل أسفارا » . (٦٢ : ٥) .
(٥٠٢) ان اسم الشيطان يستخدم في السحر ليحقق الثراء العريض ،
فهل يجوز أن يستخدم اسم الله لتحقيق ربح تافه ؟
(٥٠٣ - ٥١٢) يروى الشاعر هنا حكاية عن التقليد ثم يعود بعدها
الى بيان مثالبه .

(٥٠٨) اشارة الى تصدع جبل الطور حين تجلى له الخالق .
قال تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخسر موسى
صعقا » . (٧ : ١٤٣) .

(٥٠٩) اشارة الى قوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيتنه خاشعا متصدعا من خشية الله » . (٥٩ : ٢١) .
(٥١٤) يبدأ الشاعر هنا حكاية أخرى عن آفات التقليد . وأسلوب
الشاعر في هذه الحكاية بعيد كل البعد عن الوعظ والتعليم ، فهي تنطوي
على صور رائعة لحياة الخانقاه ، وسلوك أدعياء التصوف . والشاعر
هنا ، وفي كل موقف مشابه يكشف عن قدرته التصويرية الرائعة ، التي
تشغل الحواس والخيال بالألوان والظلال والأصوات والروائح في وقت
واحد ، وتشتق من الحياة صورا معبرة مؤثرة ترقى الى أرفع المستويات
الفنية . ويقترن هذا كله بأسلوب ساخر ممتع .

(٥١٧) يروى عن الرسول أنه قال : « كاد الفقر أن يكون كفرا » .
(٥٣٣ - ٥٣٤) يحرص الشاعر على أن يميز بين الصوفية العارفين ،
وبين المرتزقة من أدعياء التصوف .

(٥٤٤) قول الخادم : « انظر الى لحيتك » ، تعبير ساخر ، معناه :
« لا تكن أحمق ، وتصرف بحكمة تناسب لحيتك » .

(٥٤٨) يرى صاحب المنهج القوى أن هذا البيت يشير الى الحديث
الذي يروى عن الرسول قوله : « الآخذ ضامن والزعيم غارم » .
(٥٥٥) « لو أنك أخبرتنى بما جرى لابتعت الحمار ممن قد اشتراه ،

أو حصلت على ثمنه قبل أن يقتسمه الصوفية » .

(٥٦٤) اشارة الى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم : « لا أحسب الآفلين » (٦ : ٧٦) . و « الآفلون » في البيت هم المسخرون للنفس الأمارة بالسوء ، وهى آفلة لأنها ليست بذات بقاء .

(٥٦٧) تقليد المريد للمرشد العارف هو أول مراحل التحقيق .
(٥٧٢) لو أن المرأة أصيبت بالطمع لما أظهرت حقيقة الحال ، ولصارت مناققة كالناس . وهكذا القلب الانسانى ، اذا دخله الطمع ، لم تبق له قدرة على الادراك الصحيح . وينطبق هذا أيضا على العقل الذى يصرفه الحرص عن سلامة التفكير .

(٥٧٤) حكى القرآن الكريم عن الأنبياء ما يفيد هذا المعنى . انظر (٦ : ٩٠) ، (١١ : ٥١) ، (٢٦ : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠) ، (٢٣ : ٤٢) .

(٥٧٦) يروى أن أبا بكر أنفق أربعين ألف درهم على الدعوة المحمدية . وقيل انه أنفق أربعين ألف دينار . (انظر تعليق نيكولسون على هذا البيت) . وقد أورد فروزانفر مصادر متعددة لهذا الخبر منها طبقات ابن سعد ، وقد جاء فيه قوله : « كان أبو بكر معروفا بالتجارة . لقد بعث النبى وعنده أربعون ألف درهم ، فكان ينفق منها ويقوى المسلمين ، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم ، ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة » . (انظر : مآخذ قصص ، ٥٢) .

(٥٧٧) الأجر المادى لا يمكن أن يرقى الى مستوى الجزاء الروحى ، ولا مجال لأن يقاس هذا بذلك .

(٥٧٨) الحكاية التى يشير اليها الشاعر هى حكاية « القاضى والفلس » التى تبدأ روايتها بعد أبيات قليلة . وقد أوردها الشاعر ليبين أن الطمع يحجب الأذن عن استماع الحقائق .

(٥٨٣) الصوفى الذى فقد حماره كان بعيدا عن نشوة الشهود ،

لتعلقه بلذات الحس ، واندفاعه وراءها . ولولا الحرص الذى أعماه
لكان بوسع الخادم أن ينبهه الى فقد حماره .

(٥٨٥) ذكر فروزانفر أصلا بسيطا للقصة التى تبدأ روايتها في
هذا البيت . وقد ورد هذا الأصل في محاضرات الراغب (ج ١ ، ص ٢٩٧) .
يقول : « وفلس القاضى رجلا فاركه حمارا فطوف به ، ونودى عليه
أن لا يبايع فانه مفلس ، فلما أنزل قال له صاحب الحمار : هات الكراء .
فقال له : فيم كنا من أول النهار يا أبله » . كما أورد فروزانفر صورة
أخرى لهذه القصة مأخوذة من كتاب « أخبار الظرفاء والمتماجنين »
لابن الجوزى (انظر : مأخذ قصص ، ص ٥٢) .

وهذه الحكاية البسيطة لا تكاد ترتبط بعمل جلال الدين الا
ارتباط البذرة الصغيرة بالدوحة الباسقة .

(٥٨٦) « جبل قاف » - في الأساطير الفارسية - هو أعظم جبال
الأرض . انظر تعليقنا على البيت ٥٤ .

(٥٨٨) كل من حرم من الرضى والقناعة وغنى الروح ، بقى
حريصا على متاع الدنيا حرص المتسول ، حتى ولو تحقق له ثراء
السلطين .

(٥٩٠ - ٥٩١) حياة الدنيا لا يمكن أن تخلو من الآفات ،
والانسان في كل جانب من جوانبها عرضة للعدوان والأذى .

(٥٩٢) يروى عن الرسول أنه قال : « الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر » . فهذا السجن الذى فرض على المؤمن يتقاضاه أجرا ويفرض
عليه تكاليف .

(٥٩٤) بعد أن تحدث الشاعر عن متاع الدنيا ، انتقل الى
الحديث عن موقف الانسان ازاءها . فهو يقول في هذا البيت ان
الانسان يستطيع بجميل الخيال أن يجعل الحياة .

(٥٩٥) الخيال السيء والأوهام القبيحة تقضى على الانسان .

(٦٠٠ - ٦٠١) في البيتين اشارة الى حديث يروى عن الرسول قوله : « الصبر رأس الايمان » ، وكذلك قوله : « من لا صبر له فلا ايمان له » .

(٦٠٣ - ٦٠٥) يبين الشاعر هنا أن الهوى يلون الحكم على الأشخاص ، فعين الرضى يخفى عليها عيب الانسان وعين السخط تبدى مساوئه . ويعجب الشاعر من هذا ، فيقول ان مثل هذا الشخص الذى تتناقض حوله الآراء يكون حينا سمكة وحينا شصا ، أو يكون نصفه مؤمنا ونصفه كافرا ، لو كان لنا أن نصدق هذه الآراء المتناقضة .

(٦٠٦) يبين الشاعر خطأ الناس في أحكامهم المتناقضة على الفرد الواحد ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : « هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير » (٦٤ : ٢) . فالمرء لا يكون كافرا ومؤمنا في الوقت ذاته .

(٦٠٩) من الأمثلة الدالة على خطأ النفس الساخطة في الحكم على الأفراد ما لقيه يوسف من كره اخوته وسوء فعلهم . فسخط نفوسهم عليه جعله يبدو قبيحا في أعينهم .

(٦١٠ - ٦١١) ينتهى الشاعر هنا الى النتيجة التى مهد للوصول اليها ، وهى أن الخيال القبيح يضل عين العقل ، وهذه بدورها تضل عين الحس .

(٦١٢ - ٦١٣) الانسان - في ظاهره - يبدو حسيا مقيدا بالمكان، ولكنه بأصله الروحى ينتمى الى اللامكان . فلو أنه تخلص من سلطان الحس ، فتحت أمامه عوالم الروح الفساح . ان عليه أن يتخلص من هذا العالم الحسى لأنه يفرض عليه موقعا سيئا ، يجعل الهزيمة حتما عليه .

وقوله « العالم ذو الجهات الست » يقصد به العالم الحسى المقيد بجهات ست هى : اليمين والشمال والأمام والوراء ، والفوقية والتحتية.

ويشبه الشاعر جهات العالم الست بالأقسام الستة فوق لوحة النرد .
(٦٢٠) في القرآن الكريم آيات كثيرة ورد بها فعل الأمر « كلوا » .
انظر مثلاً : (٢ : ٥٧ ، ٥٨) ، (٥ : ٨٨) . والشاعر يسخر من هذا
النهم الأكل الذي أراد أن يصور الشره على أنه طاعة لأمر الهى .
(٦٣٤) الشيطان يهدد ويغرى ، يهدد الناس بالفاقة ، فيلتزمون
البخل ، ويغريهم بلذات الحياة فيوقعهم في المعاصى .
(٦٣٥) الايمان في « سجن » الدنيا قليل . ومع قلته فهو مهدد
بعدوان الشيطان .

(٦٣٨ - ٦٣٩) يروى عن الرسول حديث نصه : « الشيطان يجرى
من ابن آدم مجرى الدم » .
(٦٤٠) اذا لم يظهر الشيطان في صورة مجسدة ، هى أحد مواقف
الاغراء ، ظهر في الخيال .

(٦٤١) لا يقتصر اغراء الشيطان على اللهو ، بل هو يغرى بالربح
في التجارة ، واتخاذ العلم سبيلا الى التظاهر وتحقيق المغايم المادية ،
وكذلك بامتلاك الدور والقصور .

(٦٧٩) ان في الغيب صوراً كثيرة ، لكن عين الحس لا تبصرها ،
وفي الغيب أيضاً أصداء كثيرة ، لكن أذن الحس لا تسمعها .

(٦٨٠) الله وحده هو القادر على أن يفتح العين على ما يشاء من
مشاهد الجمال والكمال .

(٦٨٤) الحديث الذى أشار اليه الشاعر يروى عن الرسول قوله :
« ان الله خلق لكل داء دواء » .

(٦٨٦) لعل في البيت اشارة الى الحديث الذى يروى عن الرسول
قوله : « ان الروح اذا قبض تبعه البصر » .

(٦٨٨) يراد بالعدم هنا الوجود غير المادى .

(٦٨٩) ان العالم الروحى ، (العالم الذى تنعدم فيه المحسوسات) ،

هو المكان الذى يتحقق للانسان فيه الربح الكامل ، ذلك لأن حياته فيه أبدية ، وسعادته خالدة ، أما هذا الوجود المادى فهو مكان الانفاق ، ينفق الانسان فيه أيام حياته فيما لا يجدى ، ويضيع فيه ألوانا من السعادة الروحية ، تحول المادة بينه وبين تحقيقها .

(٦٩٠) «العدم مقر مصنع الحق» يعنى أن الله يخلق كل شىء من العدم .

(٦٩٢) « فالدعاء منك والاستجابة أيضا منك » ، يعنى « أن الله يلهم الروح الدعاء المستجاب حينما تصبح ارادة الانسان منبثقة من ارادة الخالق » .

(٦٩٨ - ٧٠١) الشاعر يتحدث في هذه الأبيات عن الصوفية العارفين ، الذين تحرروا من سلطان العالم المادى ، ونجوا من مغرياته ، وأصبح الحس بألوانه لا يغريهم ، بل قنعوا بما وراء الحس ، وعاشوا في هذه الدنيا وأعينهم وقلوبهم متعلقة بعالم الروح .

(٧٠٢ - ٧٠٣) كل تعشق للصور الحسية يحجب بصيرة الروح ، ويصرف الانسان عن حب ما يبقى الى حب مظاهر براققة لا بقاء لها .

(٧٠٤) العشق الجسدى لا بقاء له . ولو كان له بقاء حقيقى فلماذا يتخلى العاشق عن معشوقه اذا فارقت الروح ؟

(٧٠٥) الجسد يبقى على صورته المحسوسة بعد أن تفارقه الروح . فلماذا ينصرف محبه عن التعلق به ؟ ان هذا مدعاة لأن يفكر الانسان في المعشوق الحق ، الذى لا يعتريه من التغير ما يصرف عنه القلوب .

(٧٠٦) لو كان المعشوق هو الجسد المحسوس ، لبقى حس العاشق متعلقا به ، وان فارقت الروح هذا الجسد .

(٧٠٧) من طبيعة العشق أنه يزيد الوفاء . فأين الوفاء لجسد المحبوب اذا فارقت الروح ؟ ان الوفاء حينذاك يتخذ صورة أخرى .

(٧٠٨) ان العاشق الصورى ينخدع بالجسد حين يكون حيا بالروح ، ويغفل عن حقيقة حياة الجسد ، وما الجسد الا كجدار أشرق عليه نور الشمس ، فالنور من الشمس لا من الجدار ، والحياة من الروح لا من الجسد .

(٧٠٩) الافتتان بالجسد الحى كالافتتان بالنور المشرق فوق جدار . فالجسد سرعان ما تفارقه الروح ، والجدار سرعان ما يزول عنه النور . فالأولى بالانسان أن يتعلق بمصدر الحياة ، الذى يثبت الحياة في جميع الأحياء ، كما تنشر الشمس نورها فوق كل مكان .

(٧١٠) المفتون بالعقل الانسانى وقدراته ، مضلل كالمفتون بالحس سواء بسواء ، ذلك لأن قدرة العقل الانسانى محدودة .

(٧١١) النور المشرق على الحس قبس مستعار من نور العقل الكلى . فهذا النور قد استضاءت به الحواس بصورة وقتية ، فأصابت به بعض الادراك ، وما اشراق هذا النور فوق الحواس الا كالتماع قشرة التذهيب فوق النحاس .

(٧١٢) وهكذا يكون جمال الجسد بريقا مؤقتا كبريق قشرة التذهيب ، وسرعان ما يزول هذا البريق . وان لم يكن الحال كذلك ، فلماذا تغدو المرأة الفاتنة قبيحة كالحمار الهرم عندما تبلغ الشيخوخة ؟

(٧١٥) الجسم ينحل بطول البقاء ، على حين أن الروح خالدة ، لا تتأثر بالزمان . فعلى الانسان أن يتعلق بالقلب ، ويتخلى عن التعلق بكيان قوامه العظام البالية .

(٧١٧) عندما يتحرر الانسان من ذاته يصبح هو الساقى والشارب والنشوة ، ذلك لأن ذاته — بعد فنائها في الذات الالهية — لا يبقى لها وجود منفصل ، كاتصال الشارب عن الساقى ، أو انفصال طبيعة الاحساس بالنشوة عن تقديم الشراب أو ارتشافه .

(٧١٨) ادراك مثل هذه الوحدة لا يمكن تحقيقه بالجدل والقياس ؛

فلا سبيل اليه الا بالطاعة الكاملة والخضوع المطلق .

(٧١٩) ان المتعلقين بالمجاذلات والقياسات العقلية يحسبونها جوهر الحقيقة ، وما هذه الا صور ظاهرية براقية . انها كالثقافية في الشعر ، تروق برنينها ، لكنها لا تعبر عن جوهر المعنى .

(٧٢٠ - ٧٢١) المعنى الحقيقي لو تجلى لروح الانسان ، لم تبق له حاجة الى الصور . والمراد بالصور هنا ألوان المناقشات والمجاذلات التي تتعلق بظواهرها الحسيون والعقليون . فهذه المعارف هي التي تجعل الانسان حائرا حيرة الأعمى والأصم ، وتصرفه الى ظاهر العبارات ، وليست هي جوهر الحقيقة ، فهذه لو تجلت للروح ، زالت حاجة الانسان الى كل هذه المعارف الحسية والعقلية .

(٧٢٢) ان الحسى كالأعمى ، يتخبط على غير هدى ، في البحث عن الحقيقة ، وحظه من ادراكها كحظ الأعمى من ادراك المبصرات : كل ما يناله منها هو ما يحمله اليه خياله الضيق . أما صاحب البصيرة الروحية فهو كالعين المبصرة ، تكشف له حقائق العرفان بعد أن تحرر من سلطان ذاته الحسية .

(٧٢٣) يدافع الشاعر هنا عن طريقة الصوفية في تفسير القرآن . فهم ينشدون المعنى الباطني للآيات . ويقول الشاعر ان الجاهل هو الذي يقف به الفهم عند حروف القرآن ، ويحسب أنها جوهر الكتاب الكريم . ومثل هذا شبيه بمن أخطأ رؤية حماره ، وأخذ يسوق سرجه .

(٧٢٤ - ٧٢٥) من أحاط بالجواهر ظفر بالعرض أيضا . أما من ركز اهتمامه في الأعراض ، فلا سبيل له الى الجوهر .

(٧٢٦) الحمار في البيت رمز للجوهر ، والسرج رمز للأعراض . فظهر الحمار هو الذي يجلب الريح ، وليس السرج الذي يوضع فوق ظهر الحمار . والروح هي التي تمثل القيمة الحقيقية للانسان ، وليس الجسد الذي يكبلها بالقيود ، كما يثقل السرج ظهر الحمار .

(٧٢٧ - ٧٢٨) لا يزال الشاعر يستخدم « الحمار » هنا بصورة رمزية ، وهى أنه جوهر بالقياس الى السرج . وقوله : ان الرسول امتطى حمارا عارى الظهر ، كناية عن سلوكه سبيل الروح وابتعاده عما يكبلها من علائق المادة . وقوله « انه أيضا قد سافر ماشيا » كناية عن تجرد روحه من سلطان الجسد بصورة كاملة ، فكأنما كان روحا يسعى بين الناس .

(٧٢٩) ترك الشاعر هنا استخدام « الحمار » في المعنى الرمزي الذى أشرنا اليه من قبل (٧٢٧ - ٧٢٨) ، ونظر اليه من زاوية أخرى ، وهى أنه ذلك الحيوان الذى يسعى وراء حاجات الجسد ، فشبه به النفس الأمارة بالسوء في تمسكها بالحس ولذاته .

(٧٣٠) على النفس أن تحمل أعباء الصبر والشكر ، مهما طال بها الزمن ، لعلها تتخلص من قيود الحس ونزعاته .

(٧٣١) كل نفس مسئولة عن حمل أعبائها ، فلن تحملها عنها سواها . وكل نفس سوف تلقى من الجزاء ما يكافئ جهدها ، فلا سبيل الى الحصاد الا الزراعة .

(٧٣٢ - ٧٣٤) في هذه الأبيات دعوة صريحة الى العمل والجهد وبذل الجهد ، ولا تقتصر هذه الدعوة على الجهاد الروحي ، بل تمتد الى الجهاد العملى في هذه الحياة الدنيا . فالأبيات تنتقد التواكل ، والركون الى الحظ ، وتنادى بوجوب الكسب ما دام الجسم قادرا ، وتدعو الى العمل وتصفه بأنه هو السبيل الى الكنز الذى يحلم المتواكلون بالعثور عليه .

وهذا المعنى العملى ينطبق أيضا على جهاد الروح . فلا سبيل الى المعرفة بدون الصبر والشكر ومجاهدة النفس ، فهى الكنز الذى يظفر به الصوفى لقاء سعيه المتواصل .

(٧٣٧) يذكر شراح المتنوى في تفسير هذا البيت حديثا يروى عن الرسول قوله : « اياكم وكلمة (لو) فانها من كلام المنافقين » .

(٧٣٨) في هذا البيت اشارة الى قوله تعالى : « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين » . (سورة المنافقون ، ٦٣ : ١٠) .

(٧٣٩ — ٧٤٣) إن كلمة « لو » شبيهة بالمنزل الخراب . فهذه الكلمة لا تصلح لأن تكون محورا للفكر المستقيم ، كما أن المنزل الخراب لا يصلح للسكنى . والحياة الدنيا شبيهة بالمنزل الخراب ، والناس يبحثون فيها عن السعادة فلا يجدونها ، فتواجههم دائما كلمة « لو » . ولو عرفوا السعادة الحقيقية ، لأدركوا أن ما يشقون من أجله في الدنيا ليس هو السعادة الحق ، ولكان بوسعهم أن يميزوا بين الأصيل والزائف ، واذا ذاك لا يشقون بامتناع السعادة ، لامتناع أسبابها .

(٧٤٤) الناس جميعا يبحثون عن السعادة بدون أن يدركوا حقيقة جوهرها .

(٧٤٥) لقد اختلطت القيم أمام الناس ، وظهرت كلها بראה أمام أعينهم . ومن هذه ما هو صحيح ومنها ما هو زائف . والانسان في حاجة الى محك صادق للتمييز بينها ، كما يميز الذهب الخالص من الزائف .

(٧٤٦) اذا كان الانسان قد تحققت له القدرة الذاتية على التمييز ، فليمض في اختياره ، والا فان عليه أن يلتمس مرشدا يهديه .

(٧٤٧) المحك الصادق هو الذى ينبثق من الادراك الروحى . فمن لم يكن لديه مثل هذا المحك فلا بد له من مرشد صادق ، يقيه أخطار الطريق .

(٧٤٨) « الغيلان » هنا رمز للمغريات والشهوات . وصوتها يكون « مألوبا » لأنه ينبثق من الكيان الحسى للانسان . وهذه الألفة ذاتها هي التى تقود الانسان الى الدمار .

(٧٤٩) ان الشهوات الدنيوية تنادى الانسان بصوتها المغرى ليتبع سبيلها المهلك ، كما تفعل الغول حين تدعو المسافرين في الصحراء الى اتباع سبيل الضلال والهلاك .

(٧٥٠) قول الشاعر : « ان الغول ينادى كل شخص باسمه » ، يعنى : أن كل انسان يتلقى النداء الذى يؤثر فيه ، فمحب المال يغرى بالمال ومحب الجاه يغرى به وهكذا .

(٧٥١) في البيت صورة فنية رائعة ، تمثل نتيجة الاستجابة لداعى الهوى والشهوة . ان ذئاب الشهوات وأسودها تحيط به ، ويكون قد ابتعد عن طريق النجاة ، ولم يبق من العمر ما يتسع لايجاد مخرج أو خلاص .

(٧٥٢) كشف الشاعر في هذا البيت عما كان يرمز اليه بصوت الغول ، فذكر أنه نداء الحرص على المال والجاه والروث .

(٧٥٥) « لتكن قادرا على تمييز الحقيقة من الأوهام ، فسعادة الدنيا شبيهة بالفجر الكاذب ، أما سعادة الروح فهي الفجر الصادق » .

(٧٥٦) الصبر والمثابرة على التأمل الروحى ، والاخلاص القلبى في التعبد وجهاد النفس قد تتيح للعينين بصرا روحيا ، يختلف عن ابصارهما الحسى . ووصفه العينين بأنهما « تبصران الألوان السبعة » كناية عن تعلقهما بثتى ألوان العالم المادى التى يشبهها الشاعر بألوان الطيف .

(٧٥٧) الابصار الروحى يختلف عن الابصار الحسى ، فابصار الروح يقع على الحقائق الجوهرية ، على حين أن ابصار الحس يقف عند المظاهر الصورية .

(٧٥٩) ان العدم (عالم الفناء المطلق) هو مصنع الحق ، ولا سبيل للانسان الى رؤية الحق الا اذا دخل في هذا العالم . ويتحقق له هذا بنفى الذات الانسانية .

(٧٦٠) هذه المخلوقات المتعددة ، والمظاهر المتنوعة ، تحجب العيون

عن مشاهدة الصانع ، أى أنها تشغل العيون بتعددتها وتنوعها ، فتقف حجابا بينها وبين شهود خالقها . ولهذا فالعدم (عالم النفى) هو وحده مكان شهود الخالق .

(٧٦٢ — ٧٦٣) عالم الامكان هو الذى يظهر قدرة الخالق وروعة صنعة بأجلى صورة ، فهو دائم الخلق ، يصنع من العدم وجودا ، فمن دخل في « العدم » شهد روعة الصنع .

(٧٦٤) « فرعون » رمز للانسان الحسى ، الذى لا يؤمن بقدرة وراء عالم الحس . لقد كان مغرورا بملكه وقوته ، وغفل عن قدرة الله الخالقة ، فأمر بقتل الذكور من بنى اسرائيل ، حتى لا يظهر من بينهم من يقوى على أن يزيل ملكه .

(٧٧٠) لو كان فرعون مدركا لقدرة الله التى لا نهاية لامكانياتها ، لجمدت يدها وساقاه عن ارتكاب مظالم ما كانت لتجديه نفعا .

(٧٧٤) الانسان الحسى يتصور أن له عدوا خارج كيانه ، فيجهد نفسه في البحث عنه ، مع أن ألد أعدائه نفسه التى بين جنبيه . وهكذا كان فرعون يبحث عن عدوه في كل مكان ، على حين أن العدو الحقيقى « موسى » كان ينعم بالسلامة في منزل فرعون .

(٧٧٦ — ٧٨٥) يروى الشاعر حكاية رجل قتل أمه لأنها قد ارتكبت الزنى فلما عوتب لارتكابه تلك الفعل ، وذكر بأنه كان أولى به أن يقتل شريكها في الزنى قال : « كان على اذن أن أقتل كل يوم رجلا ! » وهذه القصة قد رويت لتصوير النفس الحسية ، وما ينبثق عنها من شرور . فهى تدفع الانسان الى العدوان ، والجرم ، ولا سبيل الى التخلص من شرها الا بقتلها ، واذ ذاك يتحقق للانسان الأمن والسلام والسكينة ، ويسود بين الناس الوئام .

(٧٨٦ — ٨٠١) يجب الشاعر في هذه الأبيات عن شبهة قد تثور في نفس القارئ حول الأنبياء والأولياء ، وطبيعة صلتهم بالناس .

فالأنبياء والأولياء قد قتلوا نفوسهم الحسية ، فلماذا لم يتحقق السلام بينهم وبين الناس ؟

ويجب الشاعر على هذه الشبهة بأن هؤلاء الناس الذين عادوا الأنبياء ، كانوا في حقيقة الأمر أعداء لأنفسهم .

فالخفاش الذى يكره الشمس ليس عدوا لها ، لكنه غير قادر على ابصار نورها ، على حين أن الشمس ذاتها لا تتحمل منه غناء . وجميع الكافرين حجبوا أنفسهم عن الشعاع الذى فاض من جوهر الأنبياء . فالكفار الذين عادوا الأنبياء مثلهم كمثل المرضى يعادون الطبيب ، أو الصبيان يعادون المعلم .

(٧٩٠) لم يكن كفر الكافرين مضرا بالأنبياء ، لكن ضرر ذلك وقع على الكفار أنفسهم .

(٨٠٢) « ان كنت قد خلقت قبيحا فلا تزدد قبحا بحسدك سواك » . وقد بدأ الشاعر هنا ينتقل الى الحديث عن الحسد ، وهو خليقة مرتبطة بحقد الكفار على الأنبياء .

(٨٠٣) هذا البيت قد فسر تفسيرات غريبة لا أرى داعيا لها . (أنظر أمثلة منها في تعليقات نيكولسون) . وأعتقد أن الشاعر يريد بهذا البيت أن الانسان اذا كان محروما من احدى النعم ، فعليه ألا يضيف الى الحرمان ما هو أقسى منه ، ألا وهو الاحساس بالحسد . واذا كان الانسان موزع خاطر بين أمرين ، فعليه ألا يزيد الأمر سوءا ، ويصبح مشتتا بين أربعة أمور متعاكسة .

(٨٠٤ - ٨٠٥) انتقل الشاعر من الرمز للحسد الى الحديث عنه بصريح العبارة ، وذكر أنه أسوأ من جميع النقائص . فالحاسد الذى يستشعر التخلف عن سواه ، يوقعه الحسد في شر النقائص .

(٨١١ - ٨١٣) ان بعث الرسل يكشف عما كمن في نفوس الناس من الحسد . فالتناس لا يستتكرون الخضوع للخالق ، وليس منهم من هو

حاسد لله ، لكنهم يحسدون الرسول اذ يحسبونه بشرا شبيها بهم .
(٨١٥) ليس يخلو أى زمن من ولى قائم ، ويكون ظهوره امتحانا
للخلق ، يكشف عن كامن الحسد في نفوسهم .

(٨١٦) الامام الحق هو الولى . ولا عبرة بالنسب في استحقاق
مثل هذه الامامة ، ذلك لأنها مبنية على صفاء الروح والتتوى .

(٨١٨) مثل هذا الامام هو المهدي والهادى ، وقد يكون بين الناس ،
أو بالقرب منهم ، ومع ذلك تخفى عليهم حقيقته . وهذا وصف القطب
الأكبر ، الذى اعتقد الصوفية أنه امام الزمان .

(٨١٩) هذا القطب الأكبر يستمد من الله نور العرفان .
أما الولى الذى هو أدنى درجة فيستمد النور من عقل القطب ،
فالقطب يحمل العرفان الى تابعه المباشر ، كما حمل جبريل رسالة السماء
الى الرسل . والأولياء الذين يجيئون في المرتبة بعد القطب الأكبر هم
الأبدال . ويقال ان عدد هؤلاء سبعة .

(٨٢٠) هناك بعد الأبدال أولياء آخرون هم أقل مرتبة من الأبدال ،
ودرجتهم في النور أقل من درجة هؤلاء ، فنورهم كالمشكاة ، ونور
الأبدال كالقنديل .

(٨٢١ - ٨٢٦) يروى عن الرسول أنه قال : « ان الله سبعمائة
حجاب من نور وظلمة » . فكأنما كل ولى - على مقتضى درجته -
ينتمى الى طبقة من طباق هذا النور .

وقد أورد الغزالي هذا الحديث في « مشكاة الأنوار » على النحو
التالى : « ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات
وجهه كل من أدركه بصره » . يقول : وفي بعض الروايات سبعمائة ،
وفي بعضها سبعين ألفا . (ص ٨٤) . وقد شرح الغزالي معنى هذا
الحديث في الفصل الثالث من « المشكاة » ، وعنده أن الأعداد «سبعمائة»
أو « سبعين ألفا » وردت على سبيل التكثير لا على سبيل الحصر . وقد

حاول أن يذكر أصناف المحجوبين على سبيل المثال لا الحصر واتتهى
الى قوله : « فانهم انما يحجبون بصفاتهم البشرية ، أو بالحس ، أو
بالخيال ، أو بمقايضة العقل ، أو بالنور المحض » . (ص ٩٣) .

وذكر عبد الرحمن الانصارى هذا الحديث ، ثم علق عليه بقوله :
« أما الحجب فقد ثبت بالبراهين أن الحق تعالى لا يسره حجاب ، وانما
الذى حجبه عن خلقه شدة ظهوره ، وعجز الخلق عن رؤيته لقوة نوره » .
(مشارق أنوار القلوب ص ١٢٥) .

(٨٢٥) النور الذى يطيقه القطب وينعم به ، لا يكون في وسع
صاحب الحس الأحول أن يقترب منه .

(٨٢٦) « اذا تجاوز المرء الأستار السبعائة فني في بحر الوحدة » .
(٨٢٧ - ٨٣٩) كل انسان يأخذ من النور على قدر طاقته الروحية .
وفي هذه الأبيات أمثلة متعددة يصور الشاعر بها هذا المعنى . فالحديد
يحتاج في صياغته الى لهب قوى ، على حين أن التفاح أو السفرجل
يطبخ بلهب لطيف ، وهكذا .

(٨٢٩) « التنين » رمز للنار القوية المستعرة .

(٨٣٦) القطب الأكبر بمثابة القلب ، والعالم بمثابة الجسد ، وتدير
العالم بحكمة منوط بالقطب ، كما أن تدير الجسد منوط بالقلب .
(٨٣٩) قلب العارف هو المعدن الصافى ، وأما قلوب العامة فكدرية
شبيهة بالأجساد .

(٨٤١) « قد يسيء العوام فهم ما نقول ، فتصبح محاسننا مثالب
في نظر هؤلاء ، برغم أن كل قولنا صادر عن تجرد من الهوى » .

(٨٤٢) من كان معرضا عن الذوق الصوفى فخير له ألا يدعى الى
ذلك ، فتلك دعوة لا تلائمه ، ومن الأفضل أن يبقى خارج نطاقها . فهو

في معرفة الروح فقير متسول ، ولا مكان له في محفل أصحاب القلوب .
(٨٤٨) قد يُعثر في الخرائب على كنز ويكون الى جانبه ثعبان . وقد
استعار الشاعر هذه الصورة للانسان الذي يكون قوى الروح نقى الفؤاد ،
ومع ذلك لا يخلو من بعض نزعات الحس . فالكنز هو العرفان الروحي ،
والثعبان هو نزعات الحس .

(٨٥٣) عندما يصبح نور القرآن هو نور البصيرة الانسانية ، يكون
لدى الانسان الجواب عن كل ما يثور في نفسه من شبهات .
(٨٥٤) اذا لم يتحقق للعين سداد النظر بنور القرآن الكريم ، فهي
عين حولاء ، ثنائية الشهود ، أسيرة الشبهات .

(٨٥٦) « الفكر شعاع ذلك الجوهر » يعنى أن الفكر شعاع من
نور القرآن الكريم .

(٨٥٧) بعد دعوة الفكر الى التأمل والملاحظة ، ينفه الشاعر هنا
المعارف النقلية التى يعتمد فى تلقيها على السماع .

(٨٥٨) « ليست المعرفة الروحية المبنية على العيان والمشاهدة
كالمعرفة النقلية ، فهذه تبدو سوقية ، اذا قورنت بعرفان أهل الوصال » .
(٨٥٩) المعرفة النقلية محدودة الأثر . انها قد تؤدي الى تبديل في
صفات متلقيها ، أما تبديل الذات من حال الى حال ، فلا سبيل اليه الا
بالشهود والعيان .

(٨٦٢) الأذن حين تحسن الاستماع يمكن أن تصبح سبيلا الى
العلم اليقيني . فالمرید يتلقى من المرشد - عن طريق السمع - ما يمهّد
له السبيل الى التأمل الروحي .

(٨٨٣) السمنى هو عابد الصنم . ويشبه الشاعر من يركز نظره على
سواه ، ويفغل عن ذاته بعابد الصنم الذى يلهيه الصنم عن ادراك حقيقة
روحه وجوهر كيانه .

(٨٨٤) من عرف نفسه فقد عرف خالقه . فادراك الانسان لحقيقة ذاته يجعله أكثر استنارة من سواء من مخلوقات الله ، وهو ان فنى عن ذاته بالشهود ، بقى له هذا الشهود ، اذ أنه يغدو مبصرا بعين الله .
(٨٨٦) معرفة الذات ليست مما يمكن ادراكه بالحس . فالانسان لا يرى بالحس سوى الصورة الظاهرية .

(٨٩٢) من لم يكن مدركا قدرة الله الخالقة لم يجتد بالروح .
(٨٩٣) الانسان الذى يكون بصيرا بقدرة الله الخالقة لا يضمن بحياته على الله ، لأنه يعلم أن الجود بها سوف يجعله مستحقا — من جزاء الله — ما يعوضه عنها بحياة خالدة لا زوال لها .

(٨٩٧) ان الجود بالروح مبعثه رؤية الجزاء . فمن أدرك حقيقة ذلك الجزاء الالهى ، هان عليه البذل والعطاء .

(٨٩٨) البخل — في نظر الشاعر — عجز عن ابصار الجزاء . فمن هذا الوجه يكون البخل جحودا وانكارا لما وعد به الله من حسن المثوبة .
(٨٩٩) لا وجود اذن للبخل في العالم ، وانما مرد ذلك الى الجحود . فمن لا يعتقد بالجزاء ، لا يتقبل بالرضى مبدأ الجود .

(٩٠٠) رؤية الجزاء الأوفى هي التي تدفع الى السخاء . ولهذا فان البصيرة هي الدافع الى السخاء . والمشاهدة الروحية هي وحدها سبيل النجاة .

(٩٠٩) ترجمة البيت على هذا النحو هي السبيل الوحيد لتفسيره .
فكلمة « بركرفت » يجب أن تفهم على أساس « الامسك » فالله خلق النور الصافى ، وأمسك عنه حرارة النار . أما أن يفهم من البيت أن الله خلق النور الصافى من النار ، فهذا ما لا يمكن تأويله ، فسواء أكان المقصود بالنور الصافى نور محمد ، أو كان هذا النور هو النور الابداعى الأول ، الذى يتحدث عنه الاشرافيون ، فهو لم يخلق من النار .

يقول السهروردي عن النور الأول : « فأول ما يجب بالأول واحد لا كثرة فيه ، وليس بجسم فتختلف فيه هيئات مختلفة كالشكل ، ولا هيئة فيحتاج الى محل ، ولا تنفس فيحتاج الى بدن ، بل هو قائم مدرك لنفسه وليارثه : وهو النور الابداعي الأول ، لا يمكن أشرف منه ، وهو منتهى الممكنات ، وهذا انجوهر ممكن في نفسه ، واجب بالأول » . (هياكل النور ، ص ٦٢ ، ٦٣) .

وهذا النور الابداعي الأول ، هو الذي يقول عنه الصوفية انه النور المحمدي . (انظر : الجيلي : الانسان الكامل ، الباب الثامن والخمسون : « في الصورة المحمدية ، وأنها النور الذي خلق الله منه الجنة والجحيم ، والمحتد الذي وجد منه العذاب والنعيم » ، ج ٢ ، ص ٣١) .

(٩١٠) « لقد اقتبس آدم العرفان من النور المحمدي » .

يقول ابن الفارض في التائية الكبرى :

واني وان كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى ناطق بأبوتي
(٩١٢) « الجوهر » التي كان نوح جديرا بها هي الخلافة في الأرض .

أما قول الشاعر : « فكم كان يمطر الدر في جواء بحر الروح » ، فيشير الى خرافة قديمة ، تحكى أن اللائيء تتكون من قطرات المطر المتساقط في أجواء البحار » .

(٩١٣) اشارة الى قصة القاء ابراهيم في النار بأمر النمرود ، وخروجه منها سالما (انظر : مثنوى ، ١ ، ٥٤٧ في الترجمة والتعليقات) ، وانظر القصة في القرآن الكريم (٢١ : ٦٨ - ٦٩) .

(٩١٤) اشارة الى قصة اسماعيل واستسلامه لنصل أبيه ابراهيم ، تصديقا للرؤيا التي كان ابراهيم قد رآها . وقد ذكرت هذه القصة في القرآن الكريم (٣٧ : ١٠١ - ١٠٧) . واسم اسماعيل لم يرد بصريح

انقول في هذه الآيات ، تكن بعض المفسرين ، وكذلك الثعلبي صاحب قصص الأنبياء يذكر أن الغلام المقصود بقوله تعالى : « نبشركم بغلام حليم » ، هو اسماعيل ، وأنه هو الذي استسلم للقتل تصديقا لرؤيا أبيه ، ففداه الله بذبح عظيم .

(٩١٥) عرف داود ببرايعته في صنع الدروع . وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم بقوله : « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون » . (٢١ : ٨٠) .

(٩١٦) ذكر القرآن الكريم في أكثر من موضع أن الجن سُخِّرَتْ لسليمان . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد » . (٣٨ : ٣٦ - ٣٨) .

(٩١٧) كان يعقوب قد فقد بصره من كثرة بكائه على ابنه يوسف . لكن بصره عاد اليه حينما ألقى على وجهه قميص يوسف . (سورة يوسف ، ١٢ : ٨٤ ، ٩٦) .

(٩١٨) انظر ما رواه القرآن الكريم عن تأويل يوسف للأحلام . (١٢ : ٤٣ - ٤٩) .

(٩١٩) ان موسى أظهر بعصاه معجزة قضت على ملك فرعون . قال تعالى عن موسى وسحرة فرعون : « فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون » . (٢٦ : ٤٥) . ولم يقتصر أثر هذه المعجزة على السحرة وحدهم ، بل كان من آثارها القضاء على ملك فرعون .

(٩٢٠) يقول الثعلبي في قصة عيسى بن مريم : « رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب ، فهو يطير مع الملائكة حول العرش ، فكان انسيا ملكيا ، أرضيا سماويا » . (قصص الأنبياء ، ص ٤٥٤) .

(٩٢١) اشارة الى معجزة شق القمر التى ظهرت على يد الرسول ،

وتروى في تفسير قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » . (٥٤ : ١) . فالذين فسروا الآية على هذا الوجه ذكروا أن المشركين سألوا رسول الله آية ، فأشار الى القمر فانشق .

(٩٢٦ - ٩٣٠) ذكر الشاعر في هذه الأبيات بعض المشهورين من الصوفية . وهؤلاء هم الجنيد ، وأبو يزيد البسطامي ، ومعروف الكرخي ، وإبراهيم بن أدهم ، وشقيق البلخي - ول هؤلاء تراجم كثيرة في كتب التصوف . انظر : أبو نعيم الاصفهاني : حلية الأولياء ، السلمي : طبقات الصوفية ، الشعراني : لواقح الأنوار ، الياقبي : مرآة الجنان ، العطار : تذكرة الأولياء ، القشيري : الرسالة . وانظر كذلك كتب التراجم العامة كوفيات الأعيان لابن خلكان ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .

(٩٢٦) الجنيد البغدادي ، من مشهورى الصوفية . توفى عام ٢٩٧ هـ .

(٩٢٧) المقصود هنا الصوفى المشهور أبو يزيد البسطامي ، المتوفى

عام ٢٦٠ هـ ، ويقال عام ٢٦١ هـ .

(٩٢٨) الكرخي هو أبو محفوظ معروف بن فيروز أو ابن الفيروزان .

وهو من صوفية بغداد المعروفين . توفى عام ٢٠٠ هـ ، وقبره ببغداد . وقد ولد لأبوين نصرانيين ، واعتنق الاسلام - كما يروى - على يد على بن موسى الرضى ، امام الشيعة .

(٩٢٩) إبراهيم بن أدهم ، ويذكر السلمي في ترجمته أنه « من أهل

بلخ ، كان من أبناء الملوك والمياسير . خرج متصيذا ، فهتف به هاتف أيقظه من غفلته . فترك طريقته في التزين بالدنيا ، ورجع الى طريقة أهل الزهد والورع . وخرج الى مكة ، وصحب بها سفيان الثوري ، والفضيل بن عياض ، ودخل الشام ، فكان يعمل فيه ، ويأكل من عمل يده » . (طبقات الصوفية ، ص ٢٧) . توفى بالشام عام ١٦٠ هـ .

(٩٣٠) شقيق البلخي هو المقصود بهذا البيت . يقول السلمي :

« شقيق بن إبراهيم ، أبو على الأزدي . من أهل بلخ . حسن الجري

على سبيل التوكل ، وحسن الكلام فيه . وهو من مشاهير مشايخ خراسان . وأظنه أول من تكلم في علوم الأحوال بكون خراسان . كان أستاذ حاتم الأصم ؛ صاحب ابراهيم بن أدهم ، وأخذ عنه الطريقة . (طبقات الصوفية ، ص ٦١) . توفي عام ١٩٤ هـ .

(٩٣١) يروى عن الرسول حديث قدسى نصه : « أوليائي تحت قبابى لا يعرفهم غيرى » . ويستشهد السلمى^(١) على وجود أولياء مجهولين بقوله تعالى في سورة الفتح : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء » . (٤٨ : ٢٥) . وهذه الآية تذكر أن من أسباب كف أيدي المؤمنين عن الكفار يوم فتح مكة أنه كان بين الكفار مؤمنون ومؤمنات لا يعرفهم المؤمنون الفاتحون . وعند الصوفية أن الله « لم يخل وقتنا من الأوقات من داع اليه بحق ، أو دال عليه ببيان وبرهان » . (المصدر السابق) .

(٩٣٩) « ماذا حصلت أنت من العرفان ، وأية درة ظفرت بها من بحر الروح ؟ »

(٩٤٣) « ما دامت هذه الحياة المادية لا تبقى فمن الواجب على المرء أن ينشد حياة الروح الخالدة » .

(٩٤٤ - ٩٥٧) في هذه الأبيات يعالج الشاعر موضوع الأعمال . وهل قيمة الفعل الحسن في الفعل ذاته ، أم في نتيجة ذلك الفعل . والشاعر قد جعل الملك يشرح لغلامه أن العبرة ليست بالفعل بل بنتيجته . فقوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، لا يقصد به أن الثواب نتيجة للفعل ذاته - وهو عرض - بل هو نتيجة لتقديم الفعل الى الله وهذا هو جوهر الفعل . وكأنما يريد الشاعر بأجراء هذا الرأى على لسان الملك ، أن يقول : ان الله لا يكافئ على الفعل ذاته بل على النية الدافعة

(١) طبقات الصوفية ، ص ١ .

أليه والنتيجة المترتبة عليه بالنسبة لفاعله فتسبيح المرائى لا قيمة له ، وصلاة المنافق لا جدوى منها . والهدف من الأعمال الحسنة ليس الفعل ذاته ، بل نتيجة الفعل وهى تنقية النفس وتطهيرها ، والتقدم بها الى الله نقية بريئة من السيئات . وهذا البحث فى قيمة الفعل مرتبط بالأخلاق ارتباطا وثيقا ، وهو يختلف عن أبحاث الفعل التى قام بها المتكلمون ، والمعتزلة منهم بوجه خاص ، وكانت أبحاثهم مرتبطة بأسباب الحسن والقبح وهل هى عقلية أو شرعية ، ومتعلقة بالاستطاعة ، وهل هى من الله أو من الانسان . لكنهم لم يتناولوا هذا الجانب الأخلاقى الدقيق ، الذى يتناول علاقة الفعل بالفاعل من حيث النية والأثر .

(٩٤٧ - ٩٤٨) الأفعال الحسنة فى ذاتها أعراض تنفى باتتهاء وقتها . لكن هذه الأعراض تنقى جوهر الروح من الأمراض . فمثل هذه الأعمال لا تنفع الخالق ، بل تنفع صاحبها اذ تنقى روحه ، وتسمو بنفسه . (٩٤٩) « العرض يغدو بالجهد جوهرًا » ، فالأفعال الحسنة التى هى أعراض تغدو جوهرًا حين تنقى الروح الانسانى وتبلغ به درجة الكمال . ذلك لأن الفعل فى ذاته لا بقاء له ، لكن نتيجته تبقى بقاء الجوهر الذى أثرت فيه ، وهو الروح الانسانى .

(٩٥٨ - ٩٦٣) يعرض الشاعر وجهة نظر أخرى عن الأعمال على لسان الغلام . فالخادم - الذى هو أدنى مقاما من الملك - هو فى أسلوب الرمز أدنى عرفانا من الملك . فهو هنا يمثل الاتجاه العامى فى تقويم الأفعال ، وأنها - ليست كما يقول الملك - أعراضا لا توجد فى زمانين ، بل تنفى بقاء وقتها ، وانما هى - فى رأى الخادم - تعود ، وتحشر مع الانسان ، وتكون لها صورتها الخاصة بها يوم الحشر . ولو كان مآل الأفعال الحسنة الى الفناء ، لكان ذلك مدعاة لقنوط فاعليها .

(٩٦٤ - ٩٨٢) يقدم الخادم أمثلة كثيرة للأعراض التى أصبحت جواهر ، فيذكر أمثلة لكثير من الأمور العرضية التى تنبثق عنها جواهر

مكتملة . فالديار والقصور الجميلة ، أولم تكن أفكارا عارضة في ضمير المهندس ؟ وكل عمل فنى متكامل ، أولم يكن في أول الأمر خيالا عارضا ؟ فما كان في أول الأمر فكرا مجردا ، أصبح عملا . والزارع حين يزرع يكون دافعه الى ذلك ما يجنيه من ثمار، وهذه لا تظهر الا في النهاية . والعالم كله كان عرضا في عالم الامكان ، فأصبح جوهرًا في عالم الوجود . وكل هذه الأمثلة التي ذكرها الغلام تشير الى امكان حشر الاعمال ، برغم أنها من الأعراض .

ولقد أبدع الشاعر في عرض وجهتى النظر ، ودافع عن كل منهما بأسلوب بارع . ومع أنه قد رجح في النهاية رأى الملك ، فهو قد أتاح لكل رأى عرضا جميلا ، ودفاعا حارا .

(٩٧٤) كان ظهور محمد — وهو الانسان الكامل — غاية لخلق هذا الكون كله . ويروى الصوفية حديثا قدسيا نصه : « لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك » ، وعندهم أن هذا الحديث يعنى أن محمدا هو الغاية من خلق العالم .

(٩٧٥) هذا البحث والحديث المتبادل بين الملك والغلام كان عرضا يهدف الى ادراك الحقيقة . وهكذا أيضا قصة الأسد وابن آوى (من قصص كليله ودمنة) ، ان هى الا صورة ، تستخلص منها الحقيقة .

(٩٧٦) هذا البيت يقبل تفسيرين : أولهما أن البشر قبل أن يخلقوا ، كانوا أعراضا لا وجود لها الا في عالم الامكان . لقد كانوا عدما ، ولم يكن يربطهم بهذا الوجود سوى امكان خلقهم . أما التفسير الثانى فهو أن جميع الناس يخلقون من نقطة لا صورة لها ، ثم يتخذون بعد أن يخلقوا تلك الصورة التى يكونون عليها . وقد يؤيد هذا الشرح أن الشاعر يستشهد هنا بسورة الانسان ، والآية الثانية منها تتحدث عن خلق الانسان من نقطة . قال تعالى : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نقطة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا

بصيرا» . (٧٦ : ١ - ٢) .

وبرغم ذلك أعتقد أن التفسير الأول الذى ذكرناه أقرب الى السياق .
ذلك لأن الشاعر يتحدث في الأبيات التالية عن العقل الكلي ، ومعنى
الأبيات يشير الى أن الشاعر كان يتحدث عن نظرية الخلق ، بلغة القائلين
بوحدة الوجود .

(٩٨٣) الملك يخاطب خادمه قائلاً : « لو سلمنا جدلاً برأيك ، وهو أن
الأعراض تنجب الجواهر ، فلماذا لم يتحقق ذلك بالنسبة لك ، وبقيت على
ظاهرك ، ولم تغير من هذا الظاهر حقيقة باطنك ؟ »

(٩٨٤) أجاب الخادم الملك بقوله : « ان العقل الكلى حجب صورة
الباطن عن الناس في هذه الدنيا . فالدنيا عالم امتزج فيه الخير بالشر ،
والارادة الالهية قد قضت بالألا تتبين فيها حقيقة الضمائر والأرواح » .

(٩٨٥) « لو كانت خلجات النفوس وخبايا الضمائر تثرى في هذه
الدنيا ، لاختفى منها الخبث ، وتساوى الناس في نقاء القلب » . وشرح
نيكولسون لهذا البيت بعيد كل البعد عن معناه .

(٩٨٦ - ٩٨٧) « لو كان الكفر بقبحه يرتسم على الجبين ، والايان
يتجلى على الوجوه بجماله ورونقه ، فهل كان يبقى كافر واحد في هذه
الدنيا ؟ وهل كان انسان يجترىء على الجحود ؟ »

(٩٨٨) لو أن الخير والشر ظهرا على حقيقتهما للناس لكانت هذه
الدنيا كالعالم الآخر ، ولما كان هناك مقترف للآثام .

(٩٩٢) الملك يقول لخادمه : « اذكر لى علامة واحدة تشير الى
عرفانك الصوفى ، ولسوف أعلم منها كل شىء ، وأدرك أسرار عرفانك
مهما أحاطت به الحجب » .

(٩٩٣ - ٩٩٤) يقول الخادم للملك : « ما دمت قادرا على كشف
المحجوب فما حاجتك الى قولى ؟ » فيجيبه الملك بقوله : « ان الحق ذاته
أراد العيان لعلمه ، فخلق الدنيا » .

(٩٩٥) طبيعة العيان تختلف عن طبيعة العلم . فالخالق لم يلق على الخلق أعباء الأمانة والمسئولية الا بعد أن جاء بهم الى عالم الوجود . وهذا الوجود الدنيوى قد فرض على الخلق ألم المخاض في سعيهم للتحرر مما يفرضه عليهم من أثقال ، سعيًا الى حياة أسمى ، ووجود أبقى .

(٩٩٦) من طبيعة الوجود الدنيوى أن الانسان يكون فيه عرضة للدوافع المختلفة . فهذه الدوافع تحركه نحو الخير أو الشر .

(٩٩٧) من شأن الدوافع التى تحرك الانسان أن تؤدى الى كشف سره وبيان طبيعته .

(٩٩٨) طالما أن الضمير يتحرك ، ويشير الدوافع ، فلا سكون للجسد .

(٩٩٩) دفع الضمير للانسان يجعله يعانى من القلق المستمر . وهذا الاحساس ذاته هو الذى يجعل خلو الانسان من العمل أمرا شديداً الايلام ، كأنه نزع الروح .

(١٠٠٠) في هذا العالم ، وكذلك في العالم الآخر ، تولد الأسباب على الدوام ، وهذه الأسباب تترتب عليها الآثار . فحركة العالمين مبنية على الأسباب ، وما تولده من آثار . ووراء ذلك كله مسبب الأسباب .

(١٠٠١) كل أثر تترتب على سبب يصبح بدوره سبباً تترتب عليه آثار ، فاللبذرة سبب في نمو الشجرة . فالشجرة اذن أثر لللبذرة . لكنها من جهة أخرى سبب للثمار . والثمار أثر للشجرة ، ولكنها من جهة أخرى سبب للغذاء ، وهكذا .

(١٠٠٣) استطاع الملك — بحديثه مع الغلام — أن يرى علامة خفية دلته على ما كان عليه هذا الغلام من العرفان .

(١٠٢٣ — ١٠٢٤) كل الأجساد تنطوى على أرواح ، ولكن هذه الأرواح ليست جميعاً صافية ظاهرة نبيلة .

(١٠٢٦ — ١٠٤٥) عالج جلال الدين في هذه الأبيات الصورة والمعنى،

أى الجسد والفكر . وبين أن العبرة ليست بالضخامة ، فالجبال الضخمة أقل قيمة من اليواقيت الصغيرة . والجسد العظيم يسيره فكر خفى . وقدم صورا فنية كثيرة لايضاح هذه المعانى . فالملك وهو فرد واحد ، يتبعه الآلاف من الناس . وهذا الملك ذاته يخضع لسلطان الفكر . والعين وهى صغيرة الحجم أكثر ادراكا من الأيدي والأرجل والشعر ، مع أن هذه تفوق حجم العين مئات المرات . والخلق كلهم يتحركون مندفعين بسيل الفكر . وهذا العالم الواسع الأرجاء ، بأرضه وشمسه ونجومه وأفلاكه ، يتحكم فيه سلطان الفكر . ويوم تقوم الساعة فإن سلطان الفكر هذا يجعل كل هذه الظواهر — التي تروعا بروبقها وجلالها — حطاما وعهنا منقوشا وهباء . فعلى الانسان أن يدرك أين تكمن القوة فى الانسان ، فلا يعد الجسد سلطانا فى قوة سليمان ، فى حين أنه يحسب الفكر نملة .

فالفكر أساس كل الحرف . والفكر هو الذى عمر الأرض بالديار والقصور والمدائن .

(١٠٤٩) أياز كان غلاما تركيا جميلا ، من عبيد السلطان محمود الغزنوى (٣٨٩ — ٤٢١ هـ) . وكان محمود شديد التعلق بأياز ، وقد اشتهر ذلك الحب فى تاريخ محمود . (انظر : نظامى عروضى : جهار مقاله ، ص ٣٩ ، طبعة لندن) .

(١٠٥٠) الأولياء كانوا ذوى أرواح حية مدركة قبل أن يخلق هذا العالم . لقد سبق لجلال الدين ذكر ذلك (انظر الأبيات ١٦٨ — ١٧٥) . فالشاعر يعزو هذه الألفة بين الملك وغلामه ، الى سابق محبة كانت بين روحيهما قبل خلق هذا العالم .

(١٠٥١) حياة الجسد لا اعتبار لها اذا قورنت بحياة الروح قبل الجسد ، ويصدق ذلك — بوجه خاص — على الأولياء ، الذين نعموا

بحياتهم الروحية قبل خلق الأجساد .

(١٠٥٢) العارف ذو النظر السديد لا يخطئ الرؤية ، ويبصر الأشياء على حقيقتها ، فيدرك بذلك جوهرها الأصيل ، غير حافل بما آل إليه ظاهر حالها .

(١٠٥٣) العارف يبصر الحقيقة في جوهرها ، سواء نظر إليها فى النهار المضى أو الليل المظلم .

(١٠٥٤) ما سبق تقديره فلا سبيل الى الفرار منه . ومهما احتال المرء للخلاص من قدر الهى سابق ، فان حيلته لا بد أن تذهب هباء .
(انظر : المثنوي ، ج ١ ، الآيات ٩٥٠ - ٩٧٠) .

(١٠٥٥) في هذا البيت اقتباس معنوى من قوله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » . (٣ : ٥٤) .

(١٠٥٨) مهما احتال الانسان ليغير الأقدار ، فلا سبيل له الى ذلك . فالقضاء راسخ لأنه ارادة الله ، واردة الانسان - أمام الارادة الالهية - واهية عاجزة .

(١٠٦٢) ليكن سعيك وجهدك كله من أجل الله ، ان كنت بحق تستشعر المحبة الالهية .

(١٠٦٤ - ١٠٦٥) يصور الشاعر النفس الأمارة بالسوء بلص يختلس المتع ، تحجب حقيقته هذه الحياة الدنيا ، فاذا تجلى صبح البعث وتكشفت السرائر ، كان في ذلك افتضاح النفس السارقة . وكل ما سرقة يبقئ عالقابها ، لأنها تبعث على ما كانت عليه في حياتها الدنيا ، ويتكشف ما كان خافيا من نقائصها ، فكأنها لص ضبط متلبسا بالسرقة .

(١٠٦٨ - ١٠٧٠) بعد أن بين الشاعر أن الانسان في هذا الوجود أسير القضاء ، تصور أن سائلا يسأله : « ما فائدة الوجود اذن ، وما جدوى خلق الانسان ؟ » ويجب الشاعر على ذلك بأن مجرد السؤال عن

فائدة الوجود ، هو في ذاته فائدة محققة . فمثل هذا السؤال رمز للتفكر والتأمل .

(١٠٧١) لأن كانت الحياة الدنيا — من جهة لذاتها ومتعها ، وصرفها الناس عن خالقهم — تبدو عديمة الفائدة ، فهي من جهة أخرى حافلة بالفوائد : انها مجال لتجلى القدرة الالهية ، وهي ميدان لتأمل هذه القدرة ، ثم هي السبيل الذى يسلكه الخلق الى الآخرة .

(١٠٧٢) اذا كانت الحياة الدنيا تبدو غير مفيدة للعارفين ، فليس معنى ذلك أنها غير مفيدة لسواهم . فمن الممكن أن تصير هذه الحياة — بالنسبة للمحرومين — سبيلا الى العرفان ، ووسيلة للتحقق به .

(١٠٧٥) انظر البيت رقم ٦٩٤ .

(١٠٧٦) اشارة الى قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » . (٣ : ١٦٩) .

(١٠٧٩) النفس المتعلقة بلذات الدنيا تكون متعلقة بقوت عارض . فهذه الحياة المادية صورة مؤقتة للانسانية ، ترجع منها الى أصلها الروحى . ولهذا فان النصيح والتهذيب يردان النفس عن هذه الطبيعة المنحرفة .

(١٠٨٤) القلب العليل أصابه ما أصاب النفس الحسية ، فتعلق أيضا بلذات الحس (الماء والطين) .

(١٠٨٥) لقد خارت قوى القلب من جراء التعلق بالماء والطين ، « فأصبح شاحب الوجه ، واهى الساقين ، خفيف اللب . وما ذاك الا لانصرافه عن غذاء السماء .

(١٠٨٦) الغذاء الروحى لا يقتضى تناوله حلقا ولا أداة طعام .

(١١٠٢) دأب جلال الدين على ذكر الأفلاك التسعة في المثنوى ، بالرغم من أن المعروف أن السموات سبع . وقد ذكر بعض شراح المثنوى أن الفلك التاسع هو « العرش الأعظم » (المنهج القوى ، ٢ : ٢٦٧) .

انظر أيضا : (تعليقات نيكولسون على هذا البيت) . ورأى أن جلال الدين يقصد بالفلك التاسع السماء السابعة . والسماء السابعة هي الفلك التاسع ، اذا أخذنا في اعتبارنا أن بعض الصوفية يضيفون الى أفلاك السموات السبع فلكين آخرين يحيطان بالأرض هما فلك الهواء أو « كرة الهواء وفلك النار أى « كرة النار » . (انظر : الجبلى : الانسان الكامل ، ٢ ، ٦٦) . فمعنى البيت أن هذه المعانى التى لا تبدو في الدنيا ذات مجد ورواء ، تنتمى الى أعالي السماء ، ولها مجد ورواء مستمد من تلك الأعالي .

(١١٠٦) أعتقد أن المتحدث هنا هو الولي الذى ينكر على الناس اندفاعهم وراء مجد زائف ، على حين أنه ينعم في عزة ، تغمرها شمس الحقيقة .

(١١٠٧) قول الشاعر : « ومشرق الشمس برج أسود اللون » ، يحتمل أحد تفسيرين . أولهما أن الناس يترقبون اشراق الشمس من سماء مظلمة . وثانيهما أن الشمس التى تغرب في عين حمئة مظلمة ، (انظر سورة الكهف ، ١٨ : ٨٦) ، تعود الى الشروق من حيث غربت . أما « الشمس التى هي فوق المشارق » ، فالمقصود بها شمس الحقيقة ، واشراق التجلى الذى لا يحده مكان ولا زمان .

(١١٠٨) ليس معنى شروق شمس التجلى أنها قابلة للغيب ، فهى في تجل دائم . فالحديث عن شروقها لا يكون الا باعتبار الذرات العالقة بها ، فهى التى ينقلها تعلقها بالشمس الى حال الشروق .

(١١٠٩) « مع أنتى لست من الأولياء المقربين - وهؤلاء هم الذرات العالقة بشمس التجلى - فان النور الذى يفشانى بتجليه يجعلنى شمسا لا تغشاها الظلال » .

(١١١٠) المحبة تنبعث من المحبوب ، ولا فضل للمحب في ايجادها .
(١١١١) في العلاقة بين المحب والمحبوب يكون الجمال والجلال .

من بين الأسباب التي تجذب المحب الى المحبوب ، هذا من وجهة نظر المحب . أما المحبوب فليس الجمال والجلال عنده أسبابا ، وإنما هما من صفات الذات . فالعبد قد ينظر الى بعض الأمور على أساس أنها أسباب ، والخالق يكون مدركا لهذه الأسباب ، لكنه لا يتأثر بها .

(١١١٤) الخالق صانع كل شيء . وهذه حقيقة لا تقبل استثناء فالإنسان الذي قد يصيب النفس هو أيضا من خلق الله .

(١١١٥) النفس التي صنعها الخالق تبقى مرتبطة بخالقها حتى في حالة اليأس ، لأن الصنع لا ينفصل في وجوده عن ذات الصانع .

(١١١٦) البراق والخيال العراب والحميز كلها رموز للناس ، على تفاوتهم في قواهم الروحية ، أو تعلقهم بغرائزهم الحسية . وجميع الموجودات مهما كانت طبيعتها تقتبس وجودها من الوجود المطلق .

(١١١٧) من غفل عن حقيقة الصانع ، توجه الى سواه ، ظانا أنه صاحب القدرة . ويظل يتخبط في هذا الجهل فيقع في كل يوم فريسة لوهم جديد .

(١١١٨) قول الشاعر : «فهو قد شرب من البحر العذب ماء ملحا» ، يعنى أن هذا الغافل الذي يسعى الى خالقه لم يسلك في سعيه السبيل القويم ، ولهذا فإن هذا السعي قاده الى الضلال والتهيه ، بدلا من أن يقوده الى أمن اليقين .

(١١١٩) « الشرب باليد اليمنى من البحر » رمز للسلوك القويم الذي يحقق الغاية المنشودة .

(١١٢٢) الشاعر يقول ان عشق شمس الدين قد شغله عن كل ما سواه ، فلم يكن لديه مجال للعناية بمن عميت بصيرتهم الروحية . وشمس الدين المقصود هنا هو شمس الدين التبريزي . ولعل الشاعر أشار بذلك الى ما كان يعانيه حينذاك من أحزان لفقد أستاذه الروحي .

(١١٢٣) يدعو الشاعر تلميذه حسام الدين الى أن يقوم عنه بمداواة من كلت بصائر أرواحهم .

(١١٢٥) قدرة الله وحدها هي التي تستطيع أن تكشف عن النفس والروح ما تراكم فيهما من ظلمات الجهل .

(١١٢٦) الحسد يحجب صاحبه عن تلقى نور الهداية ، ويمثل عقبة يصعب على الروح تخطيها . أما الجهلاء الذين خلت نفوسهم من الحسد فهم قابلون لتلقى نور العرفان .

(١١٢٨ - ١١٣٠) الحسد احدى الرذائل التي أكثر الشاعر من بيان أخطارها . فالحسد هو الذى دفع بعض مريدى جلال الدين الى القضاء على شمس الدين . وكان الحسد دائما مصدر حقد على الأولياء . وهو علة لا دواء لها ، لأنه - كما يقول الشاعر - يجعل المرء يسعى الى اطفاء نور لا يخبو ، وشمس لا تغيب .

(١١٣١) روح العارف تهتدى الى خالقها ، كما يهتدى الباز الى الملك فيعود اليه . أما الروح التي تضل سبيلها فشبیهة بالباز الأعمى .

(١١٣٢) « الهبوط في احدى الخرائب » كناية عن الركون الى عالم الدنيا ، هذا الذى حق عليه الخراب ، والفرار من عالم الروح . أما « البوم » فرمز لعشاق الدنيا الذين يتعلقون بها ، كما تتعلق البوم بالأرض الخراب .

(١١٤٦ - ١١٤٧) البوم تكذب الباز حين يذكر لها صلته بالملك . وكذلك الكفار والمنافقون يكذبون النبى حين يذكر لهم صلته بالخالق .

(١١٥٤ - ١١٥٥) بالرغم من أن الشاعر قد استخدم الباز رمزا للولى أو النبى ، وذلك على اعتبار أن رجل الله يرتبط بالله ارتباط الباز بمليكه ، فقد استخدمه في هذين البيتين رمزا لمعنى حسى هو القوة والسطوة . فالبوم لا تقدر على اىذاء باز المليك ، بل ان اليزان الجارحة - وهى هنا رمز لأهل السطوة من الكافرين - تعجز عن أن تمس بالسوء

باز المليك . ولا مناسبة بين باز الملك وبين البيزان الجارحة ، فالأول وفى المليك ، مطيع لندائه ، وأما البيزان الأخرى فتوحشة تحكمها قوة حسية عارمة .

(١١٥٧) الباز يباهى بأن خياله مقيم في قلب السلطان ، وأن قلب السلطان يغدو سقيما لو غاب عنه هذا الخيال . وفي هذا تعبير رمزى عن محبة الخالق للانسان الكامل ، تلك المحبة التى جعلته - في رأى كثير من الصوفية - يخلق الأكوان من أجله .

(١١٦٢) يمكن تفسير هذا البيت على أساس أن الانسان الكامل يشفع للخلق عند الخالق . كما يمكن النظر اليه من زاوية العقيدة الصوفية ، فيكون معناه أن الله قد حرر - على يد الانسان الكامل - كثيرا من الخلق ، كانوا يرسفون في أغلال سجن المادة .

(١١٦٣) لقد حل الانسان الكامل بين الكفار - أشباه البوم - برهة من الزمان ، فصاروا بفضل ذوى قوة روحية ، وحلقوا في السماء كالبيزان .

(١١٦٧) المحب الصادق مهما قاسى من الآلام فانه يكون سعيدا في آلامه ، بما أوتيته من سعادة الروح .

(١١٦٩) ان المحب الصادق يلجى نداء خالقه : « يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعى الى ربك راضية مرضية » . (٨٩ : ٢٧ - ٢٨) . فهذا النداء بالنسبة للمؤمن كالطبل بالنسبة للباز .

(١١٧٠) يبين الشاعر هنا أن الانسان الكامل مختلف عن خالقه ، وهو ليس سوى عبد لملك الملوك .

(١١٧١ - ١١٧٣) ليس معنى فناء العبد في الخالق أن هناك تشابها بين ذات العبد وذات الخالق . فالتجانس لا يحتم التشابه بين المتجانسين . فالماء يتجانس مع التراب في النبات . والخمر تتجانس مع الطبع الانسانى . والفناء في الخالق لا يقتضى تشابها في الذات بين العبد وخالقه .

(١١٧٤) صورة فنية للأرواح التي تفنى في حب خالقها ، فلا يبقى لها وجود منفصل ، بل تصبح في حضرتها هباء ، ويبقى الخالق وحده ، لا شريك له .

(١١٧٥) في هذا البيت صورة فنية أخرى لقناء الروح في الخالق . « فالروح تغدو ترابا » وهذا رمز الى فنائها « وتبقى أقدامه منطبعة فوق ترابها » وهذا رمز الى بقائها ، فهي بالقناء تحقق لها البقاء .
(١١٧٦) القناء في ذات الخالق يحقق لصاحبه أنبل مجد ، وأخلد بقاء .

(١١٧٧) هذا البيت يجرى على لسان الولي الذي يخاطب سواء بقوله : « لا تتخدع بظاهري ، وتحسبني مجرد انسان مادي ، بل تذوق ما أقدمه لك من غذاء روحي ، قبل انتقالى من هذه الحياة » .
(١١٧٨) كم من أناس خدعوا بظاهر الصورة ، فحسبوا رجل الله أو النبي انسانا عاديا ، وغرهم ما شاهدوه من ظواهر انسانيته ، فتهجموا عليه ، فكان تهجمهم على الله .

(١١٧٩) الصلة بين الله وبين نبيه أو وليه قائمة ، ولا ينفىها ما يكون من بعد الشبه بين ذات الله وذات عبده . ويستدل الشاعر - في هذا البيت وفي الأبيات التالية - على امكان قيام هذه الصلة ، وذلك بما يكون من صلة بين الروح والجسد ، أو بين العين المكونة من شحم وماء وبين البصر ، وهكذا فمثل هذه الصلات بين المعنى والمادة صور تبين امكان قيام الصلة الوثيقة بين الانسان والخالق .

(١١٨٣ - ١١٨٨) أوّل الشراح هذه الأبيات تأويلات مختلفة لا تستند الى النص . ورأى أن هذه الأبيات تتضمن أفكارا عن خلق العالم مستوحاة من مذاهب الاشرقيين . ولنا نستطيع أن نجزم بأن الروح الكلى هنا يشير الى الخالق ، أو الى الحقيقة المحمدية . ثم هناك في البيت رقم ١١٨٦ عبارة « روح الروح » ، ويتضمن معنى لا يمكن تحديده

على وجه اليقين . والشاعر يستخدم هذه المصطلحات كلها في سياق شعري ، يعبر به عن صدور العالم عن الخالق ، وفق نظرية الاشرائيين . ولكننا لا نستطيع أن نجزم بتفسير يحدد معنى كل مصطلح من المصطلحات ، كما أننا لا نستطيع أن نقطع بمرحلة الخلق التي بدأت بالحديث عنها هذه الأبيات ، وهل هي الفيض الأول الذي صدر عن واجب الوجود ، أم أنها مرحلة تالية لذلك . وخلاصة مضمون هذه الأبيات هي أن هذا العالم المتعدد المظاهر والأشكال قد صدر عن الواحد ، « روح الروح » ، الذي أبدع الروح الكلية ، ففاض منه هذا العالم ، وأن هناك في كل وقت فيضا جديدا ، وأن هذا العالم سوف يلد العالم الآخر ، واذ ذاك تتضح للخلق حقيقة الحشر .

(١١٨٤) لقد كان ميلاد هذا العالم المادي من أصل روحي ، كما كان ميلاد المسيح بصورة حسية صادرا عن أصل روحي .

(١١٨٥) ومع أن هذا المسيح قد ظهر للناس وخالطهم ، وأظهر من المعجزات ما بهرهم (ومنها المشى على الماء) ، فحقيقته أسمى مما شهده الناس منه وعرفوه ، لأنه روح تسامى فوق حدود المكان .

(١١٨٦) العالم فيض من الروح الكلية ، والروح الكلية فيض من الخالق .

(١١٨٧) عالم الدنيا يلد بدوره عالم الآخرة ، واذ ذاك تتجلى للخلق حقيقة الحشر .

(١١٨٩) يقول الشاعر ان كل هذه الأقوال التي قدمها ليست فسى جوهرها سوى دعاء لله ، انطلقت كلماته من شفاه طيبة ، ملتزمة من الخالق جواب الدعاء .

(١١٩٢) يبدأ الشاعر هنا قصة رمزية جديدة ، تصور البدن بصورة جدار عال يقف في سبيل الروح ويعوقها عن الانطلاق الى عالمها ، وأن الروح تتمنى لو حطمت هذا السجن ، وتحررت منه .

(١١٩٤) كان صوت الماء في أذنه كخطاب فرج همه ، وبشّـره

بالخلاص .

(١٢٠٣) اشارة الى حديث يروى عن الرسول قوله : « انى لأجد

نفس الرحمن من قبل اليمين » .

(١٢٠٧) كل غريزة من غرائز الجسد - أمكن التغلب عليها واقتلاعها

من النفس - كان في التغلب عليها اقلال من سلطان الجسم على الروح .

(١٢٠٨) الاقلال من سلطان الجسد هو السبيل الى خلاص الروح ،

فهو الذى يقف حائلا بينها وبين اللحاق بعالمها .

(١٢٠٩) أعمال العبادة تؤدي الى التخفيف من سلطان الجسد ،

وتتيح للروح بعض الانطلاق . وقد رمز لهذه الأعمال في القصة بمتابعة

هدم الجدار الذى يقف حائلا بين الرجل وبين الماء .

(١٢١٠) لا يتسنى خفض الرأس اذا كان العنق شامخا ، وكذلك

لا يمكن الاخلاص في العبادة ، اذا كان الجسد مسيطرا على الروح .

(١٢١٢) كل من كانت روحه أكثر اخلاصا وشوقا ، كان أكثر اجتهدا

في التخلص من سلطان الحواس ونزعاتها .

(١٢١٣) بقدر ما يكون الاخلاص الروحي تكون القدرة على اخضاع

الجسد .

(١٢١٤) كل اتصال بعالم الروح (كما يكون في التعبد مثلا) يغمر

الصوفي بالنشوة ، على حين أن الحسى لا يتجاوز ذلك عنده حد أداء

العبادات في صورها الحسية .

(١٢١٦ - ١٢٢٥) صور الشاعر الشباب والشيخوخة ، فرسم

لنا بأسلوبه البارع صوراً فنية رائعة .

(١٢٢٧ - ١٢٤٠) ذكر الشاعر في هذه الأبيات قصة رجل زرع

الشوك، فلما نهي عن ذلك وعد باقتلاعه ، ودأب على اخلاف وعده حتى

قويت شجرة الشوك ورسخت ، وأما هو فضعفت قوته ازاءها . بهذه

الصورة أراد الشاعر أن يقدم مثالا لمن يترك الأخلاق السيئة تستقر في نفسه ، ولا يسعى الى اقتلاعها حتى تتأصل وترسخ ، ولا تبقى لديه قوة على مقاومتها .

(١٢٤١) ان صاحب الخلق السيء - الذى تأصل عنده هذا الخلق - يسىء الى نفسه من غير أن يشعر بذلك .

(١٢٤٤) الرجل المكتسل الرجولة يكون قادرا على أن يقتلع ما رسخ في نفسه من خلق سيء ، كما اقتلع على باب خير ، فكان ذلك تحطيا لما كان يمثل هذا الباب ، وهو تحصن الكفر وراء الأسوار المنيعة . وقد فتح المسلمون خير عام ٧ هـ / ٦٢٨ م .

(١٢٤٥) « ان لم تستطع الخلاص من الخلق السيء فاتخذ لك رفيقا من رجال الله ، حتى يكون شوكتك هذا مقترنا بشجرة ورد ، ونارك مقترنة بالنور الصافي » .

(١٢٤٦) لعل النور الصافي (ويمثله رجل الله) يخلصك مما يضطرم بنفسك من النار ، وتغدو أشواكك بفضل صحبته ورودا .

(١٢٤٧) ذو الخلق السيء شبيه بنيران الجحيم ، أما المرشد فهو مؤمن ، والمؤمن لا يخشى النار .

(١٢٤٨ - ١٢٤٩) انظر : مشوي ، ج ١ ، ٣٧٠٠ .

(١٢٥٣) يروى عن الرسول أنه قال : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه » . فلعل هذا الاحسان هو المقصود من قول الشاعر :
« روح المحسن الطاهر » .

(١٢٥٨ - ١٢٥٩) كما كانت النار بردا وسلاما على ابراهيم ، كذلك يكون جحيم النفس بردا وسلاما على المؤمن ، فلا يحرق بستان صفائه واطمئنائه ، ولا يضرم النار في عدله واحسانه .

(١٢٦٠) « النمام » نبت شبيه بالريحان عطري قوي الرائحة ، وسمى بذلك لسطوع رائحته .

(١٢٦١) « لقد انصرفنا عن موضوعنا الأصلي الى سواه ، وأطلنا البحث في ذلك ، فلنعد الى موضوعنا الأصلي » .

(١٢٦٢) يعود الشاعر هنا الى الحديث عن الخلق السيء ، وكيف يصعب اقتلاعه اذا رسخ في النفوس . وهو يربط قوله هنا بما كان قد انتهى اليه في البيت ١٢٢٥ .

(١٢٦٤) « ان الفساد قد تأصل في النفس ، فلم يبق لها سبيل الى الشفاء الا بالفناء » .

(١٢٦٦) « ابذل قصارى جهدي وأنت بعد في عنفوان قدرتك ، فهذه القدرة لا تدوم طويلا » .

(١٢٦٧) الانسان الذي يحسن استثمار أيام الحياة — على قلتها — يستطيع أن يحقق لنفسه عمرا روحيا مديدا .

(١٢٦٨) « السراج اللائع » في الانسان هو قلبه أو روحه ، لأن القلب ينير للانسان سبيل الحياة . فعليه أن يعنى بهذا القلب ، ويحافظ عليه وينقيه ، حتى لا تخبو أنواره ، وتتلاشى في ظلمات الحياة الجسدية . (١٢٧١) يدعو الشاعر هنا الى الاقلال من الكلام ، مع الاكثار من صالح الأعمال . ويحث على التخلي عما اقترن بالجسد من البخل ، ويدعو الى الاقبال على ما ارتبط بالروح من السخاء والجود .

(١٢٧٤) ورد ذكر « العروة الوثقى » في موضعين من القرآن الكريم . قال تعالى : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » . (٢ : ٢٥٦) . وقال : « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » . (٣١ : ٢٢) .

(١٢٧٦) « يوسف الحسن » رمز للروح للظاهر . والبئر رمز للدنيا ، فكما ألقى يوسف الصديق في البئر ، كذلك دفع الروح الطاهر الى هذه الدنيا ، وهي بئر الشهوات .

(١٢٨٤ — ١٢٩٣) يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن نور الحس ،

ونور القلب أو الروح ، وهو النور الذى يفيضه الله على قلوب أهل الصفاء ، فيجعل لنور الحس ادراكا أوسع ، وشهودا لا يقتصر على الواقع المحسوس ، وانما يتعداه الى الغيب المحجب . وقد بحث الغزالي هذا الموضوع في مشكاته . قال : « اعلم أن نور بصر العين موسوم بأنواع النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ، ولا يبصر ما بعد عنه ، ولا يبصر ما هو وراء حجاب . ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها . ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها . ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له . ويغلط كثيرا في ابصاره : فيرى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا . فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة . فان كان في الأعين عين منزهة عن هذه النقائص كلها فليت شعري هل هي أولى باسم النور أم لا ؟

واعلم أن في قلب الانسان عينا هذه صفة كمالها ، وهي التى يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانسانى ... » ويمضى الغزالي بعد ذلك في بيان تنزه نور القلب عن هذه النقائص التى يعانى منها ابصار العين . (مشكاة الأنوار ، ٤٣ - ٤٩) .

وأسلوب جلال الدين في الموازنة بين النورين قائم على التصوير الفنى ويكثر فيه استخدام الرمز .

والصبر على أمر الله هو سبيل الخلاص . لقد صبر يوسف ، فأرسل الله اليه من خلصه من البئر . والروح الصابر أيضا يمد الله له أسباب النجاة .

(١٢٧٩) « عالم الروح الجديد » يعنى « العالم الحافل بالرؤى ، المتجدد على الدوام » .

(١٢٨٠ - ١٢٨٣) يشبه الشاعر في هذه الأبيات عالم الحس وعالم الغيب بالتراب والهواء .

فالتراب ينتشر في الفضاء ، ويبدو كأنه موجود متحرك ، أما الهواء

فيكون خفيا ، مع أنه هو الذى ينشر الغبار ويحركه . فهذا التراب ليس
الا العوبة في أيدي الهواء .

(١٢٨٤) « من كانت العين الحسية سبيله الوحيد الى الابصار
فسوف يعجز عن مشاهدة الهواء ، ورؤيته تكون مقصورة على مشاهدة
التراب » .

(١٢٨٥) العين الترابية (الحسية) يقتصر ادراكها على ما يكون في
مستواها وهو التراب . وشبيه بذلك معرفة الحيوان لأبناء جنسه ،
فالحصان يعرف الحصان ، وهكذا . أما الابصار الروحي فمن طراز
آخر . انه شبيه بمعرفة الفارس لنظيره .

(١٢٨٦) عين الحس - بدون نور الله - تبقى بعيدة عن الابصار
الصحيح ، كالحصان يبقى - بدون الفارس - قاصرا عن ادراك السبيل .
فنور الله يوجه عين الحس ويرشدها ، كالفارس يوجه حصانه ويحسن
قيادته .

(١٢٨٧) اذا لم يهذب الحصان ، فانه لا يكون لائقا بالمليك ، وكذلك
العين الحسية لا تكون جديرة بنور الله ، ما لم تسلك السبيل الى ذلك
بالتزام العفة والتهذب ، والاعراض عن الطمع ، والطموح الى لذات الحس .
(١٢٨٨) بدون نور الله يسوء حال العين الحسية ، وتضطرب رؤاها ،
فهى كالحصان يتخبط في سيره ، اذا لم يكن له فارس يهديه .

(١٢٨٩) اذا لم يهتد الابصار الحسى بنور الله ، فأى مطمع يكون
له سوى لذات الحس ؟ كالحصان اذا ترك وشأنه فلا مطمح له اذ ذاك
سوى المرعى . أما النفع الذى يحققه الحصان فلا يكون الا بهداية
الفارس .

(١٢٩٠) حين يسيطر نور الله على نور الحس ، يكون هذا سبيل
اهتداء الروح ، وباعث شوقها الى عالمها .

(١٢٩١) الطريق الملكى هو الطريق الى الله . والفارس الملك هو

الرجل الكامل .

(١٢٩٣) يشير الشاعر هنا الى قوله تعالى : « نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » . (٢٤ : ٣٥) . وهذه الآية — في نظر الشاعر — دليل واضح على افتقار الحس الى الهداية ، بدون نور الله . والهداية هنا روحية ، والله يهب لمن يشاء مثل هذه الهداية . وللنور أهمية كبرى في فلسفة الصوفية . وعليه تقوم عقائدهم الاشراقية . انظر : (الغزالي : مشكاة الأنوار) ، (السهروردي : حكمة الاشراق ، وهياكل النور) .

(١٢٩٦) الحس الباطنى الذى يوجه الحس الظاهرى لا يظهر الا في جميل الأثر ، وطيب الكلم .

(١٢٩٧) نور الحس الذى هو — بالقياس الى نور الروح — غليظ كثيف يكون محتجبا في سواد العين . وكان الأقدمون يعتقدون أن الابصار أشعة تنطلق من العين الى المرئيات ، وهذه الأشعة لا ترى لأن النور محتجب في سواد العين .

(١٢٩٨ — ١٢٩٩) من بين ما ذكره الغزالي عن نقائص نور العين أنه « يبصر غيره ولا يبصر نفسه » . (المشكاة ، ٤٣) . وما دامت العين تعجز عن مشاهدة نورها المحسوس ، فكيف تستطيع أن تشاهد النور الروحى ، وهو أكثر من النور الحسى لطفا وخفاء ؟ وهذا البيت أيضا مرتبط بفهم الأقدمين لطبيعة الابصار ، وهو أنه أشعة تنطلق من العين الى المرئيات .

(١٣٠٤) قول الشاعر : « وتأمل كيف أن الأرواح ظاهرة » يعنى أنها ظاهرة الفعل والأثر .

(١٣٠٥) قول الشاعر : « ولا تحطم السهم » يعنى : « ولا تغالب القضاء الالهى » ، أما قوله : « فانه سهم المليك » فيعنى أنه نافذ لا محالة . (١٣٠٦) انظر المتنوي ، ج ١ ، ٦١٤ ، ٦١٥ .

(١٣٠٧) الغضب مما تأتى به الأقدار يعمى الانسان عن ارادة الله في ذلك . فالانسان يحارب القضاء ، مع أنه وقع بمشيئة الله ، وينظر الى الأقدار بسخط مع أنها فعل الله .

(١٣١٣) المخلص لا يكون في مأمن من شباك الأقدار الا اذا خلاص من ذاتيته . فالفناء عن الذاتية يجعل الانسان في رحاب الله ، وبذلك يستعصى على ضربات القدر .

(١٣١٥ - ١٣١٦) في هذين البيتين يوازن الشاعر بين الاخلاص والخلاص . فالاخلاص مرحلة اولى في سبيل الخلاص . فلو وقف المرء عند هذه المرحلة الاولى ، فهو رجل مخلص فحسب ، لكنه لم يظفر بعد بمراده ، وهو تحقيق النجاة الكاملة ، فهذه النجاة لا تتحقق الا بتنقية القلب حتى يصبح مرآة صافية . وبدون ذلك فليست هناك نجاة ، بل سعى الى النجاة . والساعى الى النجاة كالصياد الذي يبحث عن صيد ، أما مدركها فهو كصياد ظفر بصيده . والفائز بالنجاة يبلغ مقام الأمن الذى لا يشوبه خوف .

(١٣١٧ - ١٣١٨) الواصل الذى بلغ مقام الأمن لا يبقى بعد ذلك عرضة للتغير . فالمرآة التى بلغت درجة الصقل لا تعود حديدا خشنا ، والخبز لا يرتد قمحا ، والعنب الناضج لا يرجع الى الفجاجة ، وهكذا .

(١٣١٩) يذكر الشاعر أستاذه برهان الدين محقق بوصفه مشالا لبلوغ النضج ، الذى يجعل الانسان في مأمن من التغير . وقد ذكر الجامى برهان الدين محقق بقوله : « السيد برهان الدين محقق رحمه الله هو شريف حسنى ترمذى ، وكان من مريدى مولانا بهاء الدين ولد ، وممن ربوا على يديه . واشتهر في خراسان وترمز بالسيد المطلع على الأسرار ، وذلك بسبب اشرافه على الخواطر . وفي اليوم الذى مات فيه مولانا بهاء الدين وكلد كان جالسا مع الجماعة في ترمذ ، فقال : وأسفاه ! لقد

مات أستاذي وشيخي . وبعد أيام سافر الى قونية لتربية مولانا جلال الدين » . ويذكر الجامي بعد ذلك أن جلال الدين تتلمذ تسع سنوات على برهان الدين محقق ، وأن برهان الدين قد ذاع صيته في أرض الروم ، وأن السهروردي^(١) قد ذهب لزيارته ووصفه بأنه بحر مواج من درر المعاني . (نفحات الأنس ، ص ٢٩٨ ، طبع الهند ، ١٨٩٣) .

(١٣٢١ - ١٣٢٣) يذكر نيكولسون أن هذه الأبيات لم ترد في أقدم مخطوطات المثنوى ، وأنها ظهرت لأول مرة في مخطوط يرجع الى منتصف القرن الرابع عشر . كما يذكر أن هذه الأبيات وردت في حاشية إحدى النسخ تحت عنوان « ولدي » . وقد استنتج نيكولسون من ذلك أن هذه الأبيات ربما كانت من نظم سلطان ولد ، الذي كان متزوجا من ابنة صلاح الدين زركوب ، وأراد أن يذكر صهره في المثنوى الى جانب شمس الدين التبريزي ، وبرهان الدين محقق ، وحسن حسام الدين . (انظر تعليقات نيكولسون) . ومهما يكن من أمر فإن صلاح الدين زركوب كان من تلاميذ جلال الدين المقربين . وقد ذكره جلال الدين في كثير من غزليات الديوان . وكان صلاح الدين فريدون زركوب (الصائغ) من مريدي برهان الدين محقق . ويروى أن برهان الدين قال : « وهبت حالي لصلاح الدين ، ومقالى لجلال الدين » . (نفحات الأنس ، ٢٩٩) . ويذكر الجامي أن صلاح الدين تخلى عن دكان الصياغة الذي كان يملكه ولزم جلال الدين . وانتهى الأمر الى ارتباطهما بالمصاهرة ، حيث تزوج سلطان ولد بابنة صلاح الدين زركوب ، وكان جلبي عارف من أبنائهما . ويذكر الجامي أن جلال الدين قال في صلاح الدين :

(١) المقصود هو أبو حفص عمر بن محمد المتوفى ٦٣٣ ، وصاحب كتاب عوارف المعارف . أما السهروردي الاشرافي فقد مات قبل ذلك بكثير (عام ٥٨٨) .

يكي كنجى بديد آمد درين دكان زر كوبى

زهى صورت زهى معنى زهى خوبى زهى خوبى

« لقد ظهر كنز في دكان الصياغة هذا ، فما أجمل الصورة ، وما أجمل المعنى ، وما أروع هذا الحسن والبهاء » . (انظر : تفحات الأنس ، ٣٠٤ ، ٣٠٥) .

(١٣٢٣) للشيخ سلطان على القلوب مقتبس من قدرة الله . وهذا السلطان يجعله ذا أثر على القلوب بدون آلة يستعين بها في تحقيق ذلك .

(١٣٢٥) أثر الشيخ المرشد على القلوب شبيه بأثر الخاتم على الشمع ، ولكن من ذا الذى صنع في الأصل نقش الخاتم ؟
(١٣٢٦) صانع هذا النقش هو الصائغ ، وهو هنا رمز للخالق .
فهناك سلسلة مترابطة الحلقات ، تربط المسببات بأسبابها حتى تصلها بالخالق .

(١٣٢٧) من القلوب ما يتردد في جوانبه صوت رسالات السماء ، ومنها ما يكون خاليا من هذا الصوت .

(١٣٢٩) تختلف الجبال في مقدار الصدى الذى تردد به ما تتلقاه من أصوات ، فمنها ما يكون رجع الصدى فيه محدودا ، ومنها ما يكون رجع الصدى فيه عظيما مدويا . وهكذا شأن القلوب بالنسبة لصوت السماء ، فمنها ما يستجيب له بقدر محدود ، ومنها ما يكون عظيم الاستجابة .

(١٣٣٠) ان مئات الألوف من ينابيع الحكمة والمعرفة تنفجر من استجابة العارفين والمؤمنين لدعوة السماء .

(١٣٣١) اذا ما فارق القلوب صوت السماء صارت المعارف التى تصدر عنها غير سائغة المذاق . ومع أن الأصل في طبيعة القلوب أن تكون لطيفة ، لا يصدر عنها الا ما هو لطيف ، فانها بالخبث والجحود تفارق

طبيعتها فلا يصدر عنها غير ما يؤذى ويضر .

(١٣٣٢) « الملك الأكبر » هنا هو موسى ، عليه السلام ، فقد صعد فوق جبل الطور ، وناجى ربه ، فتجلى له الله . ولقد بورك الجبل بهذا التجلى الالهى . ولعل الشاعر يستخدم الرمز هنا أيضا ، فيكون مرور موسى فوق جبل الطور رمزا لاشراق نور الرسالات السماوية على قلوب العارفين ، وليس سوى هذا ما يسمو بها ، ويعلى قيمة جوهرها .

(١٣٣٣) « ان الجبل قد أصبح ذا روح وادراك حين تجلى له الخالق ، فكان أن دُكَّ ساعة التجلى . فما هو هذا الجمود الذى أصاب بنى الانسان ازاء رسالات السماء ؟ فهل يكون الناس أقل إدراكا من الحجر ؟ » . (انظر : مثنوى ، ج ١ ، ٢٥ - ٢٦) .

(١٣٣٤ - ١٣٣٥) ينتقد الشاعر في هذين البيتين ما يعانیه الناس من جمود روحي وجسدي .

(١٣٣٦) « أين الحمية التى تجعلهم يعملون على افناء هذا الكيان الذاتى الراسخ الذى يقف كالجبل حائلا بينهم وبين تلقى نور الرسالات » . (١٣٣٧) لعل فناء النفس الحسية - التى تقف حائلا دون التأمل الروحي - يتيح للقلب أن يتلقى لمحة من أشعة التجلى ، فيستضيء بنورها الكيان الانسانى .

(١٣٣٨ - ١٣٣٩) يوازن الشاعر هنا بين القيامة الكبرى التى تعنى نهاية العالم ، وفيها يصيب العالم الدمار « وتصير الجبال كالعهن المنفوش » ، وهذه القيامة لا يهون أمرها على الانسان ، فهى موقف فيه هول ورعب ، على حين أن تلك « القيامة الروحية » تحقق الراحة والأمن والسلام . فالقيامة الروحية هى بعث الروح الذى أزهقته الشهوات ، وخنقته الأطماع . ان خلاص الروح من الشهوات والأطماع يمثل لونا من البعث ، يتيح للانسان حياة جديدة . (انظر ما كتبه الجيلى عن « الساعة الكبرى » ، و « الساعة الصغرى » . الانسان الكامل ، ٢ : ٥٢ - ٥٧) .

(١٣٤٠) كل من استطاع أن يبلغ هذه اليقظة الروحية ، فقد تحقق له الأمن في موقف البعث الرهيب . وهذه اليقظة ذاتها هي السبيل لمحو ما سبقها من سيئات .

(١٣٤٥ - ١٣٤٧) يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن الصوفية الذين يسعون الى افناء ذواتهم في ذات الله ، ويستشعرون التحقق بالفناء ، فيدفعهم هذا الى التعبير عن هذا الاحساس بعبارات تعرف عادة بالشطح . وهناك عبارات كثيرة تروى عن أهل السكر من الصوفية . ومن أمثله ذلك قول أبي يزيد البسطامي : « سبحانى ، ما أعظم شأنى ! » ، وقول الحسين بن منصور الحلاج : « ما في الجبة غير الله » .

(١٣٤٨) من الصور التى يتخذها جلال الدين رمزا للفناء الصوفى تلاشى لون الحديد في لون النار . وقد سبق أن قدم صورا مماثلة لهذه الصورة . (انظر : مثنوى ، ج ١ ، ١٥٣١ - ١٥٣٥) .

(١٣٥٣) الانسان الذى أصبح - بفنائه في الذات الالهية - مغمورا بنور الله ، يكون جديرا بأن تسجد له الملائكة ، كما سجدت لآدم .

(١٣٥٤) كل انسان خلصت روحه من الشك والطغيان ، يصير كالملائكة ، واذ ذاك ، يخلص في متابعة هذا الانسان الكامل ، لأن الله هو الذى اجتباه .

(١٣٥٥) خشى الشاعر من تعلق المستمع بالتمثيلات ، وانصرافه عن جوهر المعنى فقال : « وأى قيمة للنار والحديد في هذا البحث . انهما ليسا سوى مثالين ، فلا تقع أسير التشبيه ، في حين أنك تسخر من التشبيه » .

(١٣٥٦) « ما دمت قد تعلقت باللفظ وانصرفت عن الجوهر ، (وقد تجلى هذا في تعلقك بظاهر المثال ، وانصرافك عن جوهره) ، ما دمت كذلك فلا تتقدم نحو بحر الوحدة ، وأقلل من حديثك عنه . والزم الصمت والحيرة ازاء هذه الأسرار ، ولا تخض في الحديث عنها » .

(١٣٥٧) البحر رمز للخالق الذى يستوعب في وجوده كل الموجودات .
والشاعر يقول انه برغم ضعفه البالغ أمام مثل هذا البحر فهو حريص
على خوضه ، لا يطيق ابتعادا عن الفناء في لجّته . والمقصود بخوض اللج
السعى الى افناء الذات الانسانية .

(١٣٥٨) قول الشاعر : « هذا البحر هو الذى أدى دية العقل
والروح » ، يعنى أن الخالق يمنح البقاء جزاء لمن أفنى ذاته في السعى اليه .
(١٣٥٩) « سوف أسعى الى البحر ما دامت الى ارادة . فاذا ما بلغت
— بافناء ارادتي — بقيت ملازما له ، لا أحيد عنه » .

(١٣٦٠) من تحقق له هذا الوصول — مهما كان مشوبا بشيء من
النقص — خير ممن تخطى عن السعى اليه . فالحلقة فوق الباب تكون
نافعة حتى ولو كانت معوجة . « والحلقة » هى الأداة التى يقرع بها
الباب ، وربما قصد الشاعر أن يجعل منها رمزا للسعى .

(١٣٦١) « الحوض » هنا رمز للقلب . فالشاعر يدعو المتعلقين
بالجسد — ممن تلوثت أجسادهم — الى أن يكون تعلقهم بالقلب ، لا بالجسد ؛
فالقلب هو الحوض الذى ينضح بماء الطهر ، ولا سبيل الى الطهر بدونه .
(١٣٦٢) من كان طاهر الجسد لا يكون طاهر الذات ، اذا تخطى عن
حياة القلب .

(١٣٦٣) طهارة القلب لا حدود لها ، أما طهارة الجسد فهيئة الأمر ،
طفيفة القيمة .

(١٣٦٤) القلب هو الحوض الذى يفيض منه الطهر ، ذلك لأن له
اتصالا خفيا ببحر الطهر ذاته .

(١٣٦٥) هذه الطهارة التى تتحقق بالتقوى تحتاج الى مدد دائم من
القلب ، والا تناقصت على مرّ الزمن ، اذ أن العبادات تصبح مجرد
عادات ما لم تستند الى الايمان القلبى المتجدد . فبدون هذا الايمان تخلو
العبادات — بمرور الزمن — من روحها .

(١٣٦٩) الجسد يسبب تلوث القلب ، في حين أن القلب يسعى الى تطهير الجسد .

(١٣٧٥) « واهى العرى » معناها « ضعيف منحل » .

(١٣٨٢) انك لتخلق فى " مختلف الأحوال ، وكل حال من هذه مختلف في وقعه وتأثيره عن سواه » .

(١٣٨٤) استخدم الشاعر المثل المعروف « الجنون فنون » رمزاً لتعدد الأحوال وتنوعها . وبما أن الأحوال هبات الهمة يتوالى ورودها الى العارفين ، فقد رمز الشاعر اليها بعبارة :

« سلاسل هذا الأمير الأجل » . و « السلاسل » لا تعنى تتابع الحلقات فحسب ، بل ترمز الى سلطان هذه الأحوال على النفوس .
(١٣٨٦) يبدأ الشاعر هنا رواية قصة عن ذى النون ، تروى في بعض كتب التصوف عن الشبلى البغدادي . (انظر تعليقات نيكولسون ، وانظر أيضا : فروزانفر : مأخذ قصص ، ص ٥٣) .

وتروى القصة أن الشبلى البغدادي كان قد ظن مجنوناً ، ووضع في بیمارستان ، « فدخل عليه جماعة فقال : من أنتم ؟ فقالوا : أحباؤك جاؤوك زائرين . فأخذ يرميهم بالحجر ، وأخذوا يهربون ، فقال : يا كذابون ! لو كنتم أحباؤى لصبرتم على بلائى » .

(١٣٨٨) « الأرض الملحة » رمز للمرارة التى لا طائل وراءها . فالأرض الملحة لا تنبت . أما أهل العرفان فقد يكونون ذوى أخلاق شديدة ، وطباع مريرة ، لكن وراء ذلك صفاء الروح ونقاء القلب . فليس يجوز لجاهل فج الطباع أن يقيس نفسه بهم .

(١٣٨٩) قول الشاعر : « كانت ناره تمحو لحاهم » ، يعنى أن عنف طبعه كان يفرعهم ، ويذهب بوقارهم .

(١٣٩٠) « لما أفزع ظاهر حاله العوام ظنوا ذلك جنونا وأدخلوه

السجن » .

(١٣٩١) « ليس في الامكان وقف اندفاع الصوفى ، مهما ضاق

العوام بما قد يظهر عليه من أحوال ، لا يروقههم ظاهرها .

(١٣٩٢) قول الشاعر : « والملوك ليست لهم علامة ظاهرة » ، يعنى أن

العارفين لا يظهر عليهم ما يميزهم في نظر العوام .

(١٣٩٣) « اذا كان الحكم في يد أسارى الحس الجلاء ، فلا

غربة اذا أصبح السجين مصير العارفين » .

(١٣٩٤) ان الصوفى ملك بقلوته الروحية وبعرفانه . لكن قوة الروح

والعرفان لا يظهرانه في أبهة الملك التى يعرفها العوام . فكأنه ملك يمشى

وحيدا (مجردا من أبهة الملك) ، فيعبت به الصبية . و « الصبية » هنا

رمز لجلاء الناس وعوامهم . وهم في سوء تقديرهم للعارف الكامل

كالأطفال اذ يعبتون بالدرة اليتيمة ، ولا يعرفون شيئا عن قيمتها .

(١٣٩٥ - ١٣٩٧) سبق للشاعر أن وازن بين ظاهر الولى وبين

حقيقة حاله ، وضرب مثلا لذلك بالنبي صالح الذى كان فردا واحدا

فاتصر - بقدرة الله - على قبيلة بأسرها . والأبيات هنا قريبة المعنى

من أبيات جاءت قبل ذلك في المثنوى (ج ١ ، ٢٥٠٢ - ٢٥٠٨) .

(١٣٩٦) قد يبدو الولى في بداية الأمر بسيط المظهر ، لكن حقيقته -

المحتجبة وراء مثل هذا المظهر - تتكشف بعد ذلك رويدا رويدا .

(١٣٩٧) « اذا تجلى الانسان الكامل تلاشت في ضيائه الكائنات

جميعا ، وسكرت بكماله ، ثم صحت على وجود أسمى » . (انظر :

الجيلى : الانسان الكامل ، ج ٢ الباب ٦٠ ، ص ٤٧ وما يليها) .

ومن أمثلة ما قاله عن الانسان الكامل : « وقد جرت سنته صلى

الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ، ليعلى

شأنهم ويقيم ميلانهم » . (ص ٥٠) . وكذلك قوله : « والانسان الكامل

أيضا مرآة الحق ، فان الحق تعالى أوجب على نفسه ألا ترى أسماؤه

وصفاته الا في الانسان الكامل » . (ص ٥٢) .

(١٤.١) كيف يلتبس المسيح الأمان من السيد الذي صلب . وما دام هذا السيد ذاته قد تعرض للصلب ، فكيف يستطيع أن يدفع عن غيره النسوة . ويعتقد المسلمون أن السيد المصلوب ليس المسيح عيسى بن مريم .

(١٤.٢) « ان كان المسيح قد صلب على أيدي اليهود ، وفقا لاعتقاد ذلك المسيحي ، فكيف يستطيع أن يمدّه بالعون ؟ »

(١٤.٣) مهما كانت محبة ذلك الرسول الكريم (عيسى) لقومه ، وحرصه عليهم ، فلا سبيل الى أن يتحقق لهم بعد ارتفاعه ما كان يتحقق لهم من الأمان ابان وجوده بينهم . ويستند هذا المعنى على آية كريمة خوطب بها الرسول في سورة الأنفال . قال تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » . (٨ : ٣٣) .

(١٤.٤) انتقل الشاعر هنا الى تصوير حياة الولي بين قومه : وقد قدم لها بالحديث عن حياة الأنبياء بين أقوامهم . فالرجل الكامل يكون دائما عرضة لزيغ المزيفين ، وتزوير أهل الخيانة ، كما يكون الذهب وصائغته هدفا للمزيفين والمزورين .

(١٤.٥) الحسد هو القوة التي تدفع الناس الى محاربة أهل الكمال . وهو قوة مدمرة ، تجعلهم يعيشون في لهيب مستعر ، وتدفعهم الى الأيذاء دفعا . ومن هنا كان ميل أهل الكمال الى اخفاء حقيقتهم وانصرافهم عن اظهار مزاياهم .

(١٤.٦) الجبّ الذي ألقى به يوسف كان نتيجة لحسد اخوته . فالحسد هو الجبّ الحقيقي . وأهل الكمال هدف وضحية لهذا الجبّ الذي يكمن في طريقهم ، وهو الحسد . فالحاسدون يسعون الى اهلاك كل من تفوق عليهم .

(١٤.٧) الذئب الذي تحدث عنه اخوة يوسف وذكروا لأبيهم أنه أكل أخاهم ، لم يكن سوى ذئب الحسد الذي كمن له في الخفاء ، ذلك

لأنه لم يكن هناك ذئب حقيقى . وفي البيت اشارة الى قوله تعالى ، حكاية عن اخوة يوسف : « قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب » . (١٢ : ١٧) .

(١٤٠٨) حينما طلب اخوة يوسف من أبيهم أن يرسله معهم يرتع ويلعب عبر لهم يعقوب عن خوفه من أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون . قال تعالى حكاية عن يعقوب : « قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون » . (١٢ : ١٣) . فالذئب الذى خاف منه يعقوب هو في رأى الشاعر ذئب الحسد الذى كان يغلى في نفوسهم ، وكان من الممكن أن يدفعهم الى ايدائه وهم في غفلة عما بينه وبينهم من اخاء . وفي آيات القرآن الكريم ما يوضح خوف يعقوب على يوسف من حسد اخوته له . قال تعالى : « قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيذا » . (١٢ : ٥) .

(١٤١١) آلاف الذئاب لا يكون لها من المكر ما يكون لذئب الحسد . ذلك لأن ذئب الحسد يدبر كيده في الخفاء . لكن أمره لا بد أن يفتضح في النهاية .

(١٤١٢ — ١٤١٥) ذكر الشاعر الصور التى يحشر عليها الحاسدون والحريصون والزناة وشاربو الخمر . أما أصحاب القلوب التتنة ، الذين لا يظهر في الدنيا تنن قلوبهم ، فسوف يصبح تننها — في الآخرة — ظاهرا محسوسا .

(١٤١٦ — ١٤١٧) في البيتين تصوير رائع للوجود الآدمى . فقد شبهه الشاعر بغابة كثيفة الأشجار ، لا يعرف أحد ما يجوس خلالها من الوحوش الضواري . فالانسان لا ينبىء بظاهره عن حقيقة باطنه .

(١٤٢٠) الكيان البشرى قابل لاكتساب الصفات الجميلة والقيحة . فقد تنفذ اليه صفة غادرة شبيهة بصفات الذئب ، وقد تنفذ اليه صفة جميلة ، كأنها يوسف في جمال محياه .

(١٤٢٢) لا يقتصر اكتساب الصفات على الانسان وحده ، بل ربما اكتسبها الحيوان من الانسان .

(١٤٢٧) الصدور يرتبط بعضها ببعض خلال طريق خفى يدرکه العارفون . فالصدور تمد شباكها لتصيد المعارف والخصال من سواها . وقد رمز الشاعر الى العارفين بالأسود . ولا داعي للأخذ بالتفسير القديمة (انظر المنهج القوى ، ٢ ، ص ٣٣٢) ، كما أنه لا ضرورة لتفسير « الأجمة العجبية » في هذا البيت بأنها « أجمة الذات الالهية المشتملة على كل ألوان الوجود والعقل الالهى المتضمن لجميع الأفكار » . فالشاعر هنا يتحدث في موضوع تعليمي ، هو امكان اكتساب المعارف من العارفين . وفي البيت التالى لهذا يحث المريدين على سرقة جواهر المعرفة من صدور العارفين . « فالأجمة العجبية » هنا ليست سوى صدر الانسان بما ينطوى عليه من عجائب .

(١٤٢٨) قول الشاعر : « يا من أنت أقل من كلب » تويخ للمريد الذى لم يستطع أن يقتبس المعرفة من الشيخ العارف ، وبهذا لم يبلغ ما بلغه كلب أصحاب الكهف ، حين اكتسب الصلاح من أصحابه .

(١٤٢٩) في البيت اشارة الى مثل عربى نصه : « اذا سرت فاسرق الدرة » . فالشاعر يخاطب المريد قائلاً : « ان كان لا بد لك أن تسرق ، فدرة العرفان هى أثمن شئ يسرق . وفي هذا المعنى دعوة الى تحويل الرذائل الحسية الى فضائل روحية .

(١٤٣٤) « العقلاء » هنا هم العقلاء الدنيويون .

(١٤٣٦ - ١٤٤١) تشير هذه الآيات الى قصة وردت في تفسير آيات من سورة البقرة . يقول الزمخشري : « كان في بنى اسرائيل شيخ موسر ، فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه ، وطرحوه على باب مدينة ، ثم جاءوا يطالبون بديته . فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله

وروى أنهم لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دما ، وقال :
قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ، ثم سقط ميتا ، فأخذا وقتلا » . (الكشف
ج ١ ، ص ١٤٨ ، ١٥٣) . وقد وردت هذه القصة في تفسير الآيات ٦٧ ،
٧٢ ، ٧٣ من سورة البقرة . قال تعالى : « واذا قتلتم نفسا فادّارأتم فيها
والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله
الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » . (٢ : ٧٢ - ٧٣) .

(١٤٤٢) هذا البيت يتضمن التفسير الصوفى للقصة السابقة . فحينما
تقتل شهوات الجسد الغليظ ويقضى على تسلطه ، يبعث الروح حيا .
والبقرة في القصة السابقة رمز للكيان الجسدى الغليظ .

(١٤٤٣) حينما قتلت البقرة - رمز الكيان الجسدى - الغليظ -
تكشفت الأسرار ، وظهر ما كان خافيا . وهكذا الحال عندما يقضى على
الجسد ، فالروح يتحرر حينذاك ، ويطلع على عالم الغيب ، وخفى
الأسرار .

(١٤٤٤) حينذاك يصبح الروح قادرا على كشف حقيقة الشياطين
المستترين ، ولا يكون للخداع والمكر سبيل للايقاع به . وربما كانت
« الشياطين المستترة » هنا رمزا لشهوات الحس التى تزين اللذات للناس ،
كما يفعل الشيطان . ووصف الشياطين بأنها « دابة على سفك الدماء »
رمز الى أنها مثابرة على قتل الأرواح .

(١٤٤٥) « قتل البقرة » ، يعنى قتل رغبات الحس ، وشهوات
الجسد .

(١٤٦٤) روى عن مجاهد أنه قال : « كان لقمان عبدا أسود ، عظيم
الشفقتين مشقق القدمين » . (الثعلبى : قصص الأنبياء ، ص ٣٩١) .

(١٤٦٥) يبدأ الشاعر هنا رواية حكاية عن ملك وصوفى . وتتضمن
هذه الحكاية حكمة في الزهد نسبت الى مصادر متعددة . ومن أقدم من
نسبت اليهم ديوجانس الكلبى . يذكر الشهرستانى أن ديوجانس سئل :

كم عبد لك ؟ قال : أربابكم ، يعنى الغضب والشهوة . (الملل والنحل ، ١٥٠ ، ٢) .

وقد بين نيكولسون ورود قصة الملك والصوفى في كشف المحجوب للهجویری ، كما تتبع فروزانفر هذه القصة في مختلف مصادرها . (مآخذ قصص ، ٥٣ - ٥٥) .

وتروى القصة أن ملكا التقى بأحد الدراويش . فخطب الملك الدراويش قائلا : « سلى حاجة » . فقال الدراويش : « لست أريد شيئا ممن هو عبد لعبیدی » . فقال الملك : « وكيف كان ذلك ؟ » فقال الدراويش : « ان لى عبيدين كلاهما سيد لك ، أحدهما هو الجرص وأما ثانيهما فهو طول الأمل » .

(١٤٦٩) الملك الحق هو الذى لا يكون للملك سلطان على نفسه ، فلا يتسرب اليها - من جرائه - الغرور والحرص .

(١٤٧٠) الكنز الحقيقى هو الروح اليقظ . وصاحب هذا الروح هو مالك الكنز ، لأنه ظفر بالوجود الحق . أما المعتد بوجوده الحسى فلا سبيل له الى الوجود الحق .

(١٤٧٢) قول الشاعر : « فالجوهر أدنى في نظرهم من القش » ، يعنى أن الناس يقبلون على الزائف ويقدرونه ، على حين أنهم يعرضون عن الجوهر الأصيل ، ولا يدركون قيمته .

(١٤٧٨ - ١٤٧٩) جاء في رسالة القشيري (ص ١٠٧) ، رواية عن أحمد بن عاصم الأنطاكي : « اذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق ، فانهم جواسيس القلوب ، يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون » .

ويتصل هذا المعنى بملكة الفراسة التى تنسب الى العارفين . ويبنى القول بها على حديث يروى عن الرسول قوله : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » . يقول القشيري (ص ١٠٥) : « وهى (الفراسة) على

حسب قوة الايمان ، فكل من كان أقوى ايمانا كان أحد فراسة » . وقد
فُسِّرَ قوله تعالى : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » (١٥ : ٧٥) ، بأن
« المتوسمين » هم أهل الفراسة ، العارفون بالسماوات .

ونقل القشيري عن الواسطي قوله : « ان الفراسة سواطع أنوار
لمعت في القلوب ، وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب ، من غيب
الى غيب ، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الله الحق سبحانه
اياها ، فيتكلم على ضمير الخلق » . (الرسالة ، ١٠٥) .

(١٤٨٣) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « ولقد آتينا داوود منا
فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد » . (٣٤ : ١٠) .
فمن لان في كفه الحديد فما أهون الشمع في كفيه ، ومن كان عالما
بأسرار الوجدانية فما أهون أسرار الخلق عليه .

(١٤٩٥) السيادة في الدنيا ليست دليلا على السيادة في الآخرة ،
ولا ضعة الشأن مقدمة لحدوث ذلك في الآخرة ، بل كثيرا ما يكون الوضع
في الدنيا سيذا في الآخرة ، والسيد في هذا العالم وضع المقام خاوى
الوفاض في العالم الآخر .

(١٥٠٠) ليس كتمان السر عن الأشرار فعلا عظيما يستدعى الاعجاب ،
فهذا من الأمور التي لا يقتصر ادراكها على خاصة العارفين . ان الفعل
العجب يتجلى في مقدرة المرء على كتمان سره عن نفسه . و « كتمان
السر » عن النفس » ، يعنى الامتناع عن الاحساس بالذات ، لأن ذلك يبعث
الغرور في النفس . وتهذيب النفس على هذا النحو يُعتبر - عند الصوفية -
نهجا رفيعا من الاخلاص . روى عن أبي على الدقاق أنه قال :
« الاخلاص هو التوقى عن ملاحظة الخلق وصدق التنقى من مطالعة النفس .
فالمخلص لا رياء له ، والصادق لا اعجاب له » . (رسالة القشيري ، ٩٥) .
(١٥٠٢) « اسلام النفس الى شباك المثوبة » ، كناية عن تقديمها
الى الله . وحينما يتحقق هذا الموقف لا يبقى للمرء حرص ذاتي ، ويستطيع

— في غمرة هذا الاخلاص — أن يقتلع الأنانية من ذاته .

(١٥٠٣) انتزاع الأنانية من النفس الحسية يهون ، حين يسلم المرء قلبه الى الخالق . فمثل هذا التوجه يخرج النفس الحسية عن وعيها ، فيسهل حينذاك اقتلاع الشرور منها ، كما يسهل بالتخدير اقتلاع رأس الحربة من الجريح .

(١٥٠٥) اذا ركز فؤاد المرء في احدى الأفكار سلب منه ما سواها . فلو كان اهتمامه الكلى بمتاع الدنيا ، سلبت منه معارف الروح .

(١٥٠٦) مهما يكن لك من عرفان تعتقد أنه يقينك ، أو علم تركز اليه ، فان الشيطان يستطيع أن ينفذ الى قلبك ساعة اشتغالك بما سواهما .

(١٥٠٧) لو اشتغل الانسان بما هو أهم — وهو العرفان الروحي — سلب منه ما هو أدنى ، وهو التعلق بالمادة ، والحرص على مطالب الحس .

(١٥٠٨ — ١٥٠٩) اذا كانت بعض الخواطر لا بد أن تضيع من المرء ، فخواطر الشر هي الأخرى بالضياع . فالتاجر حين تسقط بضائعه في الماء يسارع الى استنقاذ أثمنها .

(١٥١٠ — ١٥٢٨) القصة التي يرويها الشاعر عن لقمان في هذه الأبيات وردت في مصادر متعددة ، لكن بطلها — طبقا لهذه المصادر — لم يكن لقمان . ولعل الشاعر قد وجد فيها من الحكمة ما يشبه حكمة لقمان فنسبها اليه . وقد بين فروزانفر بعض المصادر التي وردت بها هذه القصة ، وهي الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، وكذلك منطق الطير للعطار ، وجوامع الحكايات لمحمد عوفى ، وأسرار التوحيد . (مآخذ قصص وتمثيلات ، ٥٥ — ٥٦) .

وفيما يلي ترجمة لأبيات العطار ، التي روى فيها هذه القصة :
« يحكى أن ملكا طيب السيرة أعطى ذات يوم فاكهة لأحد غلمانه . فآكل الغلام هذه الفاكهة ملتذا ، وكأنه لم يذق طعاما مثلاً !

فَكَانَ التَّلَذُّذُ الْعَلَامَ بِالْفَاكِهَةِ ، عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، مِمَّا أَثَارَ رَغْبَةَ السَّيِّدِ فِي تَذْوُقِهَا .

فَقَالَ : « هَبْ لِي نَصْفَهَا أَيُّهَا الْعَلَامُ ، فَإِنَّكَ تَبْدَى غَايَةَ التَّلَذُّذِ بِهَذَا الطَّعَامِ الطَّيِّبِ » .

فَتَنَاوَلَهُ الْعَلَامُ نَصْفَهَا ، فَلَمَّا تَذْوَقَهُ الْمَلِيكَ ، وَجَدَهُ مَرًّا ، فَقَطَّبَ حَاجِبِيَهُ .

وَقَالَ : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ مِثْلَ هَذَا قَطُّ أَيُّهَا الْعَلَامُ . وَمِنْ ذَا الَّذِي يَجِدُ الْحَلَاوَةَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَرَارَةِ ؟ »

فَقَالَ هَذَا السَّالِكُ لِلْمَلِكِ : « أَيُّهَا الْمَلِيكَ . مَا دُمْتُ قَدْ تَنَاوَلْتُ مِنْ يَدِكَ أَلُوفًا مِنَ التَّحَفِ ،

فَلَسْتُ أَسْبِغُ رَدْحَةً مِنَ الْفَاكِهَةِ الْمَرَّةَ ، أَفَلَسْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ مِنْ يَدِكَ .
فَمَا دَامَ لِي فِي كُلِّ لَحْظَةٍ كَنْزٌ مِنْ يَدِكَ ، فَكَيْفَ تَزْعِجُنِي حَبَّةٌ وَاحِدَةً مِنَ الْفَاكِهَةِ الْمَرَّةَ ؟ »

(١٥٢٦) قول الشاعر : « وما دمت غريق حبِّك وشبابك » يعنى :
« وما دمت غريق فضلك أسير انعامك » .

(١٥٢٧) قول الشاعر : « فليُحْثِ فَوْقَ كُلِّ أَعْضَائِي تَرَابَ مَائَةِ طَرِيقٍ » : حَثُو التَّرَابِ عَلَى رَأْسِ انْسَانٍ يُعَدُّ صُورَةً بَالِغَةً مِنْ صُورِ الْإِهَانَةِ وَالتَّحْقِيرِ . وَكَثِيرًا مَا يَرِدُ هَذَا التَّعْبِيرُ فِي الْمَثْنَوِيِّ وَغَيْرِهِ . وَقَدْ بَالِغَ الشَّاعِرُ هُنَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ ، فَجَعَلَ لِقَمَانٍ يَرْجُو اللَّهَ أَنْ يُحْثِيَ فَوْقَ كُلِّ أَعْضَائِهِ تَرَابَ مَائَةِ طَرِيقٍ لَوْ أَنَّهُ تَنَكَّرَ لِسَيِّدِهِ ، مِنْ جَرَاءِ هَفْوَةٍ وَاحِدَةٍ .

(١٥٣٢) العرفان يجعل من تحقق به محبا صادق الحب . ولا سبيل الى الوصول الى مقام المحبة ما لم يتحقق المرء بكامل العرفان .

(١٥٣٣) ان من نقص العرفان أن يتعلق الانسان بالجِوَادِ أَوْ بِالْمَادَةِ . وَلَوْ تَحَقَّقَ لَانْسَانٍ كَامِلٍ الْعِرْفَانِ مَا ارْتَضَى أَنْ يَشْغَلَ قَلْبُهُ بِشَيْءٍ يَصْرِفُهُ عَنْ

الخالق . ذكر القشيري قولاً منسوباً الى يوسف بن عليّ جاء فيه : « لا يكون العارف عارفاً حقاً حتى لو أعطى مثل ملك سليمان لم يشغله عن الله عز وجل طرفة عين » . (الرسالة ، ١٤٢) .

(١٥٣٧) روى في الجامع الصغير عن ابن مسعود أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « ذهاب البصر مغفرة للذنوب ، وذهاب السمع مغفرة للذنوب ، وما نقص من الجسد فعلى قدر ذلك » . (المنهج القوى ، ج ٢ ، ٣٥٢) .

(١٥٤٢) بدون صفاء الرؤية لا يستطيع الانسان أن يميز بين النور الآفل وبين النور الخالد ؛ يبهره البرق الخلب ، فيتصور دوامه ، فلا يلبث البرق أن يختفى ويتركه للظلام . والعرفان الروحي هو النور الخالد ، أما المعارف الدنيوية فهي البرق الخلب .

(١٥٤٤) ان أنوار الفلك كسيحة مقطعة الأرجل ، تشرق وتغيب ، ومن الممكن حجبها . فأين هي من نور الله الخالد ، الذي لا يؤثر فيه شروق ولا غروب .

(١٥٤٩) « المشتري » كوكب سعد ، وأما زحل فهو كوكب نحس . يقول البحتري ، في قصيدته عن ايوان كسرى :

عكست حظه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس
(١٥٥٠) « تأمل بنظرك العقليّ هذا النحس الذي وقعت فيه ، لعلك بذلك تدرك حقيقة النفس الأماراة بالسوء ، وكيف أنها جرت عليك كل هذا النحس » . هذا هو المعنى الواضح للبيت . وتفسير نيكولسون له فيه كثير من التكلف والتأويل البعيد عن النص .

(١٥٥١) النظر المدرك الذي يشهد ما يصيب الانسان من جزر ومدّ ، قد استطاع أن يشق له سبيلاً الى السعد برغم ما يحيط به من حجب النحس .

(١٥٥٢) الله قادر على أن يحول الانسان من حال الى حال . وهو

يقوده الى هذا التحول بما وهبه من ملكات ، منها ادراك الضد بضده .
فالموازنة والمقارنة المبنية على الادراك السليم تنقل الانسان من النحس الى
السعد ، أى من الحسنة المظلمة ، الى مشرق الروح .

(١٥٥٣) « عندما يظهر لك الله الشر وأخطاره ، في مواجهة الخير ،
يتولد الخوف في قلبك من أن تذهب ضحية الشر ، وتصبح من أصحاب
الشمال . ويأتى حينذاك الأمل في لذة أصحاب اليمين ، وهم هنا العارفون
الروحانيون . ومثل هذا الأمل لا يطمح اليه سوى الرجال ، الذين صدقت
رجولتهم بالاستقامة والايمان .

ووصف الشاعر للأشرار بأنهم « أصحاب الشمال » وكذلك وصفه
للأخيار بأنهم « أصحاب اليمين » مقتبساً من القرآن الكريم . (٥٦ :
٢٧ ٤١٦) .

(١٥٥٤) « الجناحان » في البيت رمز للخوف والرجاء . فلا بد
للانسان من هذين الدافعين ، يحركانه بصورة متوازنة . فالخوف بدون
رجاء ، قنوط لا يرجى معه عمل . والرجاء بدون الخوف سذاجة وطمع
لا يستندان الى أساس . فالخوف والرجاء ضروريان لاتزان السلوك
الانسانى ضرورة الجناحين للطائر . يروى السلمي عن أبى عثمان المغربي
أنه قال : « من حمل نفسه على الرجاء تعطل ، ومن حمل نفسه على
الخوف قنط ، ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة » . (القشيري : الرسالة ،
٦٣) .

(١٥٥٧) حكمة الله في أعماله لا يدركها حق ادراكها سوى الأنبياء
والصديقين . وأصعب ما يكون ادراك الحكمة حينما تقترن ببلاء يقع فيه
الانسان . ولا بد من روح شبيه بروح ابراهيم ليقدر على اختراق حجب
البلاء ، ويبصر الحكمة الكامنة وراءها . فهذا الرسول — وهو في صميم
النار — أبصرت روحه الفردوس .

(١٥٥٨) لا بد من الروح المبصر لكى يرقى الانسان في درجات الكمال

والاشراق الى القمر ثم الى الشمس ، ولا يبقى أسير هذا الوجود المادى ”
كما تبقى الحلقة أسيرة الباب . والمعروف عند الفلكيين العرب أن القمر
أقرب الكواكب الى الأرض ، وان الشمس في السماء الرابعة .

(١٥٥٩) ان الروح المكتملة بالعرفان لتتجاوز في تساميتها السماء
السابعة ، ولا يكون نور الأفلاك الآفلة شيئاً بالقياس الى ما تراه من النور
الخالد . وهذا ما كان من ابراهيم ، ذلك الرسول الكريم ، الذى قال عنه
الخالق : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من
الموقنين » . (٦ : ٧٥) . فقد ظلت روحه تنشد النور الخالد وتعرض عن
النور الآفل ، وانهى بها البحث والطلب الى الاهتداء اليه .

(١٥٦١ - ١٥٦٢) رجع الشاعر هنا الى قصة كان قد بدأ روايتها في
البيت رقم ١٠٤٧ ، ثم استطرد منها الى سواها بعد أبيات قليلة .
(١٥٦٣) بستانى ” المثلک هو العارف الكامل ، وهو الذى رمز الشاعر
اليه بالملك في هذه القصة . والاستفهام هنا انكارى ” . فالمراد تأكيد
عرفانه وقدرته على التمييز .

(١٥٧٤) قول الشاعر : « كان يصفق بيديه ساخرا من هؤلاء
الخزافين » ، يعنى أن الملك كان يسخر من هؤلاء القوم الذين لم تكن لهم
عناية الا بأبدانهم ، وهى الهياكل الترابية ، فكأنهم خزافون ، لا هم لهم
الا تشكيل الطين وصقله .

(١٥٧٧) « لقد كانوا يحيكون شبكة للمليك ، لكنهم عرفوا في النهاية
كيف أن الملك كان أحكم منهم تدبيرا » . ذلك كان على مقتضى قوله
تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » . (٣ : ٥٤) .

(١٥٨٠ - ١٥٨١) ان عين الشيخ العارف تنفذ خلال الحجب ، وتطلع
على ما يكتم التلميذ المريد في قلبه ، في حين أن التلميذ يسعى الى
أن يحجب حقيقته عن أستاذه بستار بال ، هو قلبه المهلهل .

(١٥٨٣) يخاطب الأستاذ تلميذه الخالى من الوفاء بقوله : « يا أخس

من كلب » ، على أساس أنه لا يملك الوفاء ، مع أن الوفاء من صفات الكلب .

(١٥٨٥) قول الأستاذ لتلميذه : « وبدونى ما كان ينساب من أجلك ماء » ، يعنى : « بدون ارشادى ما كنت بمستطيع أن تتلقى أى قبس من العرفان الروحى » .

(١٥٨٧) يقول الأستاذ لتلميذه : « أنت تقول : لقد كنت أقدح النار في الخفاء » ، فالأستاذ هنا يوبخ تلميذه على اعتقاده بأن الظن الفاسد لم يتجاوز عنده الخفاء الى العلن . ويؤكد له الأستاذ - بعد ذلك - أن القلب الصافى يطلع على خبايا القلوب .

(١٥٩٣) دخول الشمس في برج الحمل يكون من نتائجه قدوم الربيع . (أنظر : نلينو : علم الفلك ، ص ١٢٧) .

(١٥٩٦) « اذا رأيت الذبول يشيع في بستان روحك ، فاعلم أن ذلك قد أصابك لأن الشيخ غاضب عليك » .

(١٥٩٧) لا معنى لتفسير « برج العتاب » هنا بأنه « برج الجدى » كما فعل ويلسون . وقد تبعه في ذلك نيكولسون . (انظر تعليقه على البيت) . ان التعبير هنا مجازى ، والمراد به أن الشيخ - الذى شبهه الشاعر بالشمس - لو دخل برج العتاب ، لاسودّ بذلك وجه المريد . فالبروج التى يمكن أن يدخل بها الشيخ هى برج الرضا ، وبرج العتاب ، وبرج الغضب ، وما الى ذلك . فحالاته النفسية ومشاعره نحو مريده يكون لكل منها أثر مختلف على المريد ، كما تختلف آثار الشمس بين برج وآخر .

(١٥٩٨) الشاعر هنا يشبه الشيخ بعطارد ، كاتب السماء . فالشيخ يخط في قلوب مريديه ما يشاء من قبض وبسط ، فيكون ما يتركه عليها من سواد وبياض ميزان ترددها بين هاتين الحالتين .

(١٥٩٩) « الأحمر والأخضر » هنا كناية عن الربيع . فمعنى البيت

أن الشيخ يعود فينشر في القلوب ربعا من البهجة والبشر ، يخلصها من الكتابة والعجز .

(١٦٠٠) بين الشاعر في هذا البيت ما قصد اليه من الرمز باللون الأحمر والأخضر ، وهو الربيع . ثم قال ان الربيع يبدو - عند التأمل - شبيها بقوس قزح ، يعنى أن من يحسن تأمل الربيع يجد أن ألوانه لا تقتصر على الأحمر والأخضر ، بل هى متنوعة تنوع ألوان الطيف . والتعبير بالألوان المتعددة هنا يشير الى تنوع احساسات البهجة والتفاؤل التى ينشرها الولي في نفوس مريديه .

(١٦٠١) يبدأ الشاعر هنا رواية قصة بلقيس ملكة سبأ مع النبى سليمان . ويبدو من السياق أن تفسيره الصوفى لهذه القصة هو أن بلقيس تمثل المريد الطيع ، اذ سرعان ما أدركت أسرار دعوة سليمان من كلمات قليلة نقلها اليها الهدهد .

(١٦٠٢) ذكر القرآن الكريم نص كتاب سليمان على لسان ملكة سبأ .

قال تعالى : « قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم . انه من سليمان وانه باسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا على وأتوني مسلمين » . (٢٧ : ٢٩ - ٣١) .

(١٦٠٤) يشير الشاعر بهذا الى أن المظهر المتواضع قد يحجب حقيقة عظيمة . وكثيرا ما أكد الشاعر هذا المعنى ، حين حديثه عن الأنبياء الذين حسبهم الناس أفرادا عاديين ، ولم يفطنوا لما كان يدعمهم من تأييد الهى . (١٦٠٥) ان العقل يكون دائما على خلاف مع الحس في مواجهة هذه الطلسمات ذات اللونين ، أى التى تفهم من جانبين ، جانبها الحسى ، وجانبها المعنوى . فالعقل ينفذ وراء الظاهر ، والحواس تقف عند ظاهر الحس ، فينشأ خلاف في الادراك . والشاعر قد ذكر الرسول بوصفه أسمى من تحقق له الادراك الروحى ، وأبا جهل بوصفه صورة للغفلة الناجمة من

الخضوع الكامل لسلطان الحس .

(١٦٠٨) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها

ولهم أعين لا يبصرون بها » . (٧ : ١٧٩) .

(١٦١٠) « سيد الغد والحال » هو الخالق . أما قول الشاعر عن

العين الحسية انها « لا ترى من الكنز مثقال شعيرتين » فمعناه : أن هذه

العين لا تبصر من كنز العرفان الا أقل القليل .

(١٦١٥) انشقاق السماء يكون يوم البعث . فلعل الشاعر يتحدث هنا

عن بعث الروح الغافل ، وأن هذا البعث أيضا يجعل السماء تنشق ، فيرى

الروح ما كمن وراءها من عالم الغيب . ويؤيد ذلك قوله عن الانسان في

البيت التالي (١٦١٦) : « تأمل ذلك التراب الذي جاوز العرش مسرعا » .

(١٦١٦) التراب - بطبيعته - يرسب في الماء ، ولكن الله صاغ

من التراب كائنا تسامى الى العرش . هذا المخلوق هو الانسان الكامل .

وشبيه بهذا المعنى (تسامى التراب) قول الشاعر : « ان العشق جعل

الجسد الترابي يعلو على الأفلاك » (مثنوى ، ١ ، ٢٥) .

(١٦٢٤) قول الشاعر : « وأنت يا ابليس ، أيها النارى ! اهبط الى

حضيض الثرى » ، يمكن أن يفهم على ضوء قول الجبلى :

« وأما الطبقة السابعة من الأرض فانها تسمى أرض الشقاوة . وهى

سطح جهنم ، خلقت من سفليات الطبيعة ، يسكنها الحيات والعقارب وبعض

زبانية جهنم ... وحياتها وعقاربها كأمثال الجبال ، .. وهى ملحقة

بجهنم ... أسكن الله هذه الأشياء في هذه الأرض لتكون أنموذجا لما في

جهنم من عذابه » . (الانسان الكامل ، ٢ ، ٧٥) .

(١٦٢٥) يسخر الشاعر من الفلاسفة الذين ينسبون التحول في

الأشياء الى الطبائع الأربع ، الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة .

(انظر تعريف كل من هذه الطبائع عند ابن سينا : تسع رسائل في الحكمة

الطبيعية ، الرسالة الرابعة « في الحدود » ، ٩٥ - ٩٦) .

ويذكر الجيلي أن الطبيعيين عبدوا الطبائع الأربع مدعين أنها أصل الوجود ، اذ العالم مركب من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة . (الانسان الكامل ، ٢ : ٨١) .

ويسخر الشاعر هنا أيضا من بعض المتفلسفين الذين وصفوا الخالق بأنه « العلة الأولى » . ويعرف الشهرستاني العلة بقوله :

« المبدأ والعلة يقال لكل ما يكون قد استتم له وجوده في نفسه ، ثم حصل منه وجود شيء آخر ، وتقوم به » . (الملل والنحل ، ٢ : ١٨٦) .

(١٦٢٦) قول الشاعر : « وليس بذى علة » فيه تورية . فقد يعنى وصف فعل الخالق بأنه لا سبيل الى أن ينسب اليه اعتلال ، وقد يعنى أن فعل الخالق ليس مبنيًا على علل وأسباب ، اذ أنه يفعل ما يشاء . ويصدق هذا التفسير أيضا على قوله : « وتقديرى لا علة فيه » .

(١٦٣٠) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر » . (٧٥ : ٨ - ٩) .

(١٦٣١) قول الشاعر ان الخالق يجعل بالقدرة « عين الدم مسكا » يعنى أن الخالق يستطيع أن يجعل عين الشمس الملتهبة الحمراء مظلمة سوداء كالمسك . ومع أن الشاعر يعبر هنا عن المعنى تعبيرًا لونياً ، فليس هناك ما ينفي الاشارة الى الحقيقة المعروفة ، وهي أن المسك يستنبط من دم ، هو دم الغزال ؛ فتحول الدم الى مسك هو فى ذاته صورة من صور القدرة الالهية المشهودة .

(١٦٣٢) الشمس والقمر - عند قيام الساعة - يشرقان من المغرب ، فيصيران مظلمين ، ويمضيان على هذا النحو مسخرين ، كأنهما ثوران أثقل عنقاها بالأعباء . (انظر : الجيلي : الانسان الكامل ، ٢ ، ٥٧) .

(١٦٣٣ - ١٦٤٠) يروى الشاعر في هذه الأبيات قصة وردت فى تفسير قوله تعالى : « قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين » . (٦٧ : ٣٠) .

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية : « وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال : تجيء به القووس والمعاول . فذهب ماء عينيه » . (تفسير الكشاف ، ٤ ، ٥٨٣) .

وأورد فروزانفر صورا أخرى لهذه القصة من مصادر متعددة . (مأخذ قصص وتمثيلات ، ٥٦ - ٥٨) .

(١٦٤٦) شعيب هو النبي الذي أرسل الى أهل مدين . يقول صاحب المنهج القوى : « روى من معجزات سيدنا شعيب أن المحل الذي يسكنه كان جبلا محجرا لا يقبل الزراعة ، فدعا الله تعالى أن يبدله بأرض ذات تراب تقبل الزراعة ، ففعل » . (المنهج القوى ، ٢ ، ٣٧٨) . ولم أعثر على أصل ذلك فيما قرأت من سيرة شعيب . وليس في القرآن الكريم نص على معجزة شعيب ، بل فيه إشارة إليها . قال تعالى : « والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم » . (٧ : ٨٥) . يقول الزمخشري : « فان قلت ما معجزته ؟ قلت : قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله : (قد جاءتكم بينة من ربكم) غير أن معجزته لم تذكر في القرآن ، كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه » . ويستطرد الزمخشري - بعد ذلك - بذكر معجزات رويت عن شعيب ، ليس من بينها ما أشار اليه الشاعر . (الكشاف ، ٢ ، ١٢٧) .

والشاعر يتساءل في هذا البيت عن ولىّ يكون له من الكرامة عند الله ما كان لشعيب ، فيجعل من الجذب خصبا .

(١٦٤٧) « الأمر الصعب المستحيل » الذي يشير اليه الشاعر هو خوض النيران من غير احتراق بها ، وهو ما حدث للخليل ، حين ألقى في النار ، فكانت عليه بردا وسلاما .

(١٦٤٨) أورد فروزانفر ما يمكن أن يكون أصلا لهذه القصة ، وذلك في نص نقله عن معجم البلدان لياقوت الحموى ، جاء به قوله :

« سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فتعجب عمرو من ذلك ، وقال : أكتب بذلك الى أمير المؤمنين ، فكتب بذلك الى عمر ، فكتب اليه أن سله لم أعطاك به ما أعطاك ، وهى أرض لا تزرع ، ولا يستنبط فيها ماء ، ولا ينتفع بها ، فقال : انا نجد صفتها في الكتب وأنها غراس الجنة ، فكتب الى عمر بذلك فكتب اليه عمر : انا لا نجد غراس الجنة الا للمؤمنين » . (مآخذ قصص وتمثيلات ، ٥٩) .

(١٦٥١ - ١٦٥٢) ليست التوبة مجرد ارادة ينويها المرء ، فيقترب الذنوب ، معتمدا على أنه سوف يتوب يوما الى الله ، فتُمحى ذنوبه . ان التوبة هبة الهية . والقرآن ملئ بالآيات التى تذكر أن الله يتوب على الناس ، وتصفه بأنه هو التواب الرحيم . قال تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » . (٢ : ٣٧) . وقال : « ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات » . (٣٣ : ٧٣) . وغير ذلك كثير . وهذه الهبة مقترنة بصدق اخلاص المرء في طلبها .

(١٦٥٣) قول الشاعر : « لا بد للتوبة من لهيب وماء » ، يعنى أنه لا بد للتوبة من حرقه القلب ودموع العينين .

(١٦٥٤) لا بد من الدمع ولهيب القلب لكى تحقق الحياة الروحية ثمارها . فثمار الحياة الروحية شبيهة بثمار البستان في حاجتها الى الحرارة والماء .

(١٦٥٥ - ١٦٦٤) انتقل الشاعر من حديثه عن الحرارة والماء ، وضرورتهما لنضج الثمار ، الى التوسع في بيان ما لهما من أثر على الحياة . وقد اتخذ الشاعر من الحرارة والماء رمزا لحرارة القلب المخلص ، ودموع الخوف والرجاء . ويبيّن ما يكون لهذين من الأثر على بستان الروح ، ثم صور هذا البستان حافلا بالورد والأزهار والأشجار ، مفعم الجنبات بشدو البلابل ، وهتاف الحمام .

(١٦٦٢) « اللقلق طائر أعجمى طويل العنق ، وكنيته - عند أهل

العراق - أبو خديج .. وصوته اللقطة .. ويوصف بالفطنة والذكاء » .
(انظر : الدميري : حياة الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣١٩) .
(١٦٦٥) هذه الهبات الروحية التي يتلقاها العارف أدلة يهتدى بها ، وعلامات يقتفيها ، في سلوك السبيل الى خالقه .
(١٦٦٦) من كان عارفا بالخالق سعد بتلك الآثار الروحية التي يتلقاها . أما من حُرم هذا العرفان فان هذه الآثار تحدث له فلا يفتن اليها ولا يدرك معناها .

(١٦٦٧ - ١٦٦٨) ساعة « ألت » اشارة الى قوله تعالى : « واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » . (٧ : ١٧٢) . فالعارفون - قبل خلق العالم - تذوقوا خمر المحبة ، ولهذا فانهم يعرفون هذه الخمر في الدنيا ، أما سواهم فلم تتحقق لهم مثل هذه النشوة من قبل ، فهم في هذه الدنيا غافلون عنها .
(١٦٦٩) في البيت اشارة الى الحديث المشهور : « الحكمة ضالة المؤمن » . وقد أورده الترمذي بسند ينتهي الى أبي هريرة .

ان الحكمة - بالنسبة للمؤمن - كالناقة الضالة ، يبحث عنها ويطلبها ، فاذا ما لقيها عرفها ، لأن روحه كانت قد تذوقتها قبل هذه الحياة . فالحكمة - التي هي ضالة المؤمن - تكون دلالة له على أصله الروحي . وينسب الى الامام على أنه قال : « الحكمة دلالة المؤمن » .
أما الملوك - المذكورون في هذا البيت - فيقصد بهم الصوفية العارفون .
(١٦٧٠ - ١٦٧١) قد يوحى للعارف بالبشائر الالهية ابان النوم .
(١٦٧٣) قول الشاعر : « ومن علاماته أنه سوف يطوى أمامك ساعديه » ، يعنى أن « من علاماته أن يقف أمامك مبديا احترامه لك ، وطاعته لأمرك » .

(١٦٧٥) هذه الآيات التي يبيدها الحق للعارفين شبيهة بالآية التي أبداهها الحق لنبيه زكريا .

(١٦٧٦ - ١٦٧٧) النهى - في هذين البيتين - تفسير للنهى عن الكلام الذى وجهه الله الى زكريا .

(١٦٧٨) عاد الشاعر هنا الى الحديث عن العارف الذى يتلقى فى منامه حلما ينبئه بآيات وعلامات لتحقيق مراده .

(١٦٨٠ - ١٦٨٦) يصور الشاعر فى هذه الأبيات حال المحب الذى يطلب الحق باخلاص ، وما يقدم من تضحيات ، وما يصيبه من آلام فى سبيل ذلك . فهو يبكى ويتضرع خلال الليالى والأسحار . وهو يشعر بالتعاسة أثناء النهار ، ويغدو عنقه - من كثرة المجاهدة - نحيفا كالمغزل . وهو يجود بكل شئ ، ويتخلى عن كل ما يملك . ويخاطر فى كل سبيل ، غير مبال بالأخطار .

(١٦٨٧) يصور الشاعر هذا المحب - الذى ضحى وبذل كل هذا الجهد - وقد استيقظ ذات صباح ، بعد ليل من الأنس ، تلقى فيه أثناء النوم بشرى بتحقيق مراده .

(١٦٨٨ - ١٨٩٦) فى الأبيات صور متعددة لهذا الحالم الذى تلقى البشرى ، فهو فى الغداة يتلفت فى كل اتجاه ، وينظر فى كل جانب ، لعله يصادف تلك الآيات التى تبشره بتحقيق مراده .

(١٦٩٠) فى البيت تعبير رمزى يشير الى أن الحكمة ضالة تدفع العارف للبحث عنها ، كما تدفع الممتلكات الدنيوية الناس للبحث عنها ، والجد فى طلبها .

(١٦٩١) فى البيت تعبير عن دهشة العوام لسعى العارف وراء شئ غير محسوس ولا ملموس .

(١٦٩٤) فى البيت اشارة الى تهمة الجنون التى كثيرا ما كان يرمى بها من غلب عليه الوجد الصوفى .

(١٦٩٦) قوله : « أيها الراكب » يعنى : « يا من أنت مستريح ناعم مغتر بأبهتك ... » .

(١٦٩٩) قول الشاعر : « فيقول من لا خبر عنده : ان هذا لخداع

و اتفاق » ، يعنى أن أحوال الصوفية لا يمكن أن يعرفها سواهم ، لأن هؤلاء لم يجربوها .

(١٧٠٠) المنكرون على الصوفية ظاهر حالهم لا يعلمون حقيقة الحال التى يكون عليها هؤلاء . وهكذا من حُرم من الآيات والعلامات الروحية ، لا يستطيع أن يفتن لما يفتن اليه من وهب هذه الآيات . والأرواح منذ وقتت أمام خالقها ، قبل خلق الدنيا ، كان منها ما اتشى بهذا الموقف ، وكان منها اكتفى باظهار الطاعة .

(١٧٠٤) روح العارف سرعان ما تصدق الأنبياء ، لأنها تكون مدركة لما يظهرونه من آيات .

(١٧٠٦) « وكيف يستطيع انسان أن يحصى ما لا يحصى من آيات الله .. » .

(١٧١٩) لو كان تنزيه الخالق يستند الى وصفه بأنه ليس بحائك أو ماشابه ذلك من الصفات الجسدية ، فليس هذا بتنزيه . ولا يصدر مثل هذا القول الا عن جاهل .

(١٧٢٠ - ١٧٦٠) يروى الشاعر في هذه الأبيات قصة عن موسى — عليه السلام — وأحد الرعاة ، توضح التباين في تصور الله بين الراعى ، وبين ذلك النبى المرسل . ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن مدى مسؤولية الجاهل عن هذا التصور الخاطىء .

وقد وردت في العقد الفريد صورة بسيطة لهذه القصة ، لم يذكر فيها موسى ، ولكن جوهرها مشابه لجوهر قصة موسى والراعى ، كما رواها الشاعر . وفيما يلى نص قصة العقد الفريد :

« قال الأصمعى : كان الشعبى يحدث أنه كان في بنى اسرائيل عابد جاهل قد ترهب في صومعته ، وله حمار يرعى حول الصومعة ، فاطلع عليه من الصومعة فرآه يرعى ، فرفع يديه الى السماء ، فقال : لو كان لك حمار كنت أزعيه مع حمارى ، وما كان يشق على . فهم به نبى كان فيهم في ذلك الزمان ، فأوحى الله اليه : دعه ، فانما أثيب كل انسان على

قدر عقله » . (العقد الفريد ، ٦ ، ١٦٤) .

وذكر فروزانفر صورا متعددة لهذه القصة من مصادر مختلفة .

(مأخذ قصص وتمثيلات ، ٥٩ - ٦١) .

وقد تناول جلال الدين هذه القصة بأسلوبه الفني ، فصاغ لها

حوارا رائعا ، وأغناها بكثير من الصور .

(١٧٣٧ - ١٧٣٩) يصف الشاعر في هذه الأبيات الانسان الكامل .

ويقول على لسان موسى : ان مثل هذه الأوصاف الجسدية التي

تحدث بها الراعى عن الخالق لا تجوز في حق الانسان الكامل ، فهي -

من باب أولى - غير جائزة في حق الله ، جل وعلا .

(١٧٣٧) « العبد الذى قال عنه الحق : انه ذاتى وأنا ذاته » هو العبد

الذى أفنى ذاته في ذات الحق ، فصدق عليه قوله تعالى : « وما رميت

اذ رميت ولكن الله رمى » . (٨ : ١٧) .

(١٧٣٨) يتضمن هذا البيت اشارة الى حديث رواه أبو هريرة عن

الرسول . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز

وجل يقول يوم القيامة ، يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدنى ! قال : يا رب

كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال أما علمت أن عبدى فلانا مرض

فلم تعده . أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم ،

استطعمتك فلم تطعمنى ! قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟

قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك

لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ! قال :

يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم

تسقه . أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى ؟ » . رواه مسلم .

(النووى : رياض الصالحين ، ٣٦٩ - ٣٧٠) .

(١٧٣٩) « بعد ان غدوت له سمعا وبصرا » : هذه العبارة تتضمن

اشارة الى الحديث القدسى الذى رواه الرسول بقوله : « يقول الله

تعالى : ما زال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها ، وسمعه الذى يسمع به ، ويده التى يبطش بها . (السراج : اللمع ، ٤٦٣) .

(١٧٤٦) « هذا الجانب من النهر » ، كناية عن عالم الدنيا .
(١٧٥٢) في البيت اقتباس من حديث يروى عن الرسول قوله : « ما خلق الله مباحا أحب اليه من العتاق ، وما خلق الله مباحا أبغض اليه من الطلاق » . (المنهج القوى ، ٢ : ٣٩٦) .

(١٧٥٣ - ١٧٥٤) كل مؤمن يعبد ربه ، ولكن درجة الادراك لمعنى العبادة ، وأسلوب التعبير عنها ، يختلف من شخص الى آخر . فتعبد الرجل الساذج لا يمكن أن يكون شبيها بتعبد النبىؐ أو العارف .
(١٧٥٥ - ١٧٥٦) ذات الخالق منزهة عن كل طهر وتلوث ، فمقاييس الانسان في هذين الأمرين لا تصدق عليها ، كما أن الخالق غنى عن العالمين ، لا حاجة به الى عبادة الناس . وقد فرض عليهم التكاليف لا لربح ينشده منها ، وانما لتكون سبيل الناس للسمو بأنفسهم ، والوصول الى درجة الكمال الروحى ، وهذان هما السبيل الى رضى الله ، وتحقيق السعادة الأبدية .

(١٧٦٠) في هذا البيت يبدو أن الشاعر يدافع عن أهل الشطح من الصوفية ، الذين قد ترد على ألسنتهم عبارات منافية لمألوف القول ومعقوله ، ومع ذلك لا يعوز قلوبهم الاخلاص والايمان والخشوع .

(١٧٦٥) يدافع الشاعر هنا عن أهل الشطح من الصوفية . فعنده أن هؤلاء من العشاق الذين تحترق قلوبهم في كل لحظة . فليس يفترض فيهم ما يفترض في أهل الصحو من مراعاة للآداب ، فالعاشق صار - من جراء احتراقه - مثل القرية الخربة ، وهذه لا يفرض عليها خراج ولا عسور .

(١٧٦٨) الصلاة في كل اتجاه جائزة في الكعبة . والتوجه الى الله ممكن

في كل اتجاه ، لأن الله منزّه عن المكانية . وكما لا يكون الغواص بحاجة الى ارتداء ما يقيه من الغوص ، فكذلك طالب الوصال لا يتوسل الى ذلك بما هو من معوّقات الوصال .

(١٧٦٩) سكارى المحبة لا يكون سلوكهم من ذلك اللون التقليدي المعروف ، فهوّلاء لا تلتبس عندهم الهداية التي ينشدها العوام . ومن يفترض فيهم الاقلاع عن سلوكهم فهو شبيه بمن يطلب الى من تهلّلت ثيابه أن يقوم برفوها .

(١٧٧١) افتقار العارف المحب الى الصور الظاهرية لا ينتقص منه ، كما لا ينتقص من الياقوتة أن تكون مجردة من نقش الخاتم . واذا كان العاشق غريق بحار الأسى ، فلا خير عليه من آلام العشق .
(١٧٨٨) « سدرة المنتهى » هي نهاية المكانة التي يبلغها الانسان ، في سيره الى الله تعالى . (انظر : مشوى ، ١ ، شرح ١٠٦٦) .

(١٧٩٠) يعتبر الحلاج من أقدم من تحدث عن الناسوت واللاهوت في الاسلام . قال :

سبحان من أظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب
وقال : « اللهم انك المتجلى من كل جهة ، المتخلى عن كل جهة ، بحق قيامك بحقى ، وبحق قيامى بحقك ، وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى ، فان قيامى بحقك ناسوتية ، وقيامك بحقى لاهوتية ، وكما أن ناسوتيتى مستهلكة في لاهوتيتك ، فلاهوتيتك مسؤولة عن ناسوتيتى ، غير مماسة لها » .

وقول جلال الدين — على لسان الراعى — لا يتعدى دعاء الله أن يجعل كيانه الانسانى جديرا بأن يكون نجى سرّ الخالق .

(١٧٩٢ — ١٧٩٥) انتهى حديث الراعى الى موسى في البيت ١٧٩١ .
وعاد الشاعر من جديد الى سرد آرائه . وقد وقعت شبهات حول تفسير البيتين (١٧٩٢ — ١٧٩٣) اذ اعتبرهما بعض الشراح من كلام

الراعى لموسى . والواقع أنهما حديث مباشر من الشاعر ، وهما مرتبطان
بالبيتين التاليين لهما . فالشاعر يحذر المتعبدین من الاغترار بما يوجهونه
الى الخالق من مدح وثناء ظانين أنهم بذلك قد وفوه حقه . فالثناء مهما
علا لن يتجاوز ما يفهمه قائله من معنى الكمال . ولهذا فان الانسان يستمد
تصوره المثالى من صورة نفسه ، ظانا أن هذا التصور شىء خارج عن
ذاته ، وليس الأمر كذلك . فهو كمن نظر الى المرأة فرأى صورتها ،
فحسبها شيئا مختلفا عن ذاته ، أو كمن نفخ في الناي ، وحسب الأنغام
أمرا منفصلا عن أنفاسه .

(١٧٩٧) المستحاضة ، هي الحائض التى لا ينقطع عنها الدم بعد
انقضاء فترة الحيض .

(١٧٩٩ — ١٨٠٠) من اليسير التطهر من النجس الذى يصيب
ظاهر الانسان ، أما النجس الذى يصيب باطنه فيصعب التطهر منه .
(١٨٠٨) عبر الشاعر عن اغترار الكافر بحياته الدنيوية ، وحرصه
عليها ، بأنه اختار الخروج عن تراثيته ، ثم يقول : انه لو بقى ترابا ،
لاستطاع أن يكون كالتراب ، يتلقى الحبة وينميها . فالخروج
عن الترابية يرمز الى غرور الكافر — في تناسيه أصله — وكذلك يرمز الى
عقمه ، وعجزه عن الاثمار .

(١٨٠٩) ان رحلة الكافر في الحياة الدنيا لم تكن رحلة مثمرة ، ولهذا
فقد عاد منها بدون أن يحصل شيئا .

(١٨١١) الاعراض عن طريق اليقظة الروحية مبعثه الحرص والطمع ،
وأما الانطلاق في هذا السبيل فدافعه الصدق والاخلاص .

(١٨١٧) « اعتراض الملائكة » ، هو القول الذى روى القرآن
الكریم أنهم خاطبوا به ربهم حين أخبرهم بخلق آدم . قال تعالى : « قالوا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء .. » . (٢ : ٣٠) .

(١٨٢١) يريد موسى أن يطمئن بالشهود والعيان ، كما فعل ابراهيم .
قال تعالى : « واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى ، قال

أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » . (٢ : ٢٦٠) .
(١٨٢٣) « لقد كشفت للملائكة سر خلق آدم ، وأظهرت لهم أن مثل
هذا المخلوق كان جديرا بأن يخلق ، برغم أنه كان عرضة لارتكاب
المعاصي ، فهو قد تحقق بصفات كمالية تفوق ما كان يتوقع أن يقترب من
مخالفات » . وقد رمز الشاعر للروح الآدمي بالشهد ، وأما الجسد فقد
رمز له بالابر .

(١٨٢٤) حين عرض الخالق نور آدم على الملائكة تبين لهم ما لم
يكونوا يعلمون ، وأدركوا حكمة الله في خلق الانسان .

(١٨٢٥) كل ما بدا للادراك الآدمي سرا غامضا ، يكشفه الله في نهاية
الأمر . فهو الذي كشف للملائكة سر خلق آدم . وهو الذي يكشف
بالحشر سر الموت ، كما تكشف الثمار عن سر الأوراق .

(١٨٢٦) الموجودات تبدأ بداية متواضعة ، ثم تتجلى بعد ذلك
امكاناتها . فالدم والنطفة هما بداية الوجود الانساني . ومن هذه البداية
يتشكل الجمال الانساني بصورته ، ثم بمعناه .

(١٨٢٧ - ١٨٢٨) العلم هو أحد الأمور التي تكون ذات بداية
متواضعة . فالعالم يكون - في أول أمره - طفلا يغسل اللوح ليكتب
فوقه . وكذلك القلب الانساني ، هو - في بداية أمره - دم ودموع (أى
مجرد حياة حسية عاطفية) ، ثم ينتهي به الأمر الى أن يكون موضعا
لتجلى الأسرار الالهية .

(١٨٢٩) لكي يحقق كل عمل إمكاناته الكاملة يجب أن يتضح هدفه
منذ البداية . فالطفل الذي يغسل اللوح يجب أن يعلم أن ذلك للتعليم ،
وليس للعب .

(١٨٣٠) من الواجب أن يبدأ العمل على أساس سليم . فعند الشروع
في بناء منزل ، يجب أن يزال من موقعه الأساس القديم ، قبل وضع
الأساس الجديد .

(١٨٣١) للوصول الى النتيجة المثمرة لا بد من التعب والعناء . لا بد من الحفر ، ورفع الطين ، من أجل الوصول الى الماء .
(١٨٣٢ - ١٨٣٣) غناء الكد والسعى يكون بغيا الى الجهلاء ، الذين لا يدركون عاقبة الأمور . أما العارفون المدركون لتلك العاقبة فالعناء محبب الى نفوسهم . ان الجهلاء شبيهون بالأطفال الذين لا يدركون من ابرة الحجام سوى وخزها . أما العارفون فهم شبيهون بالرجال المدركين لجدوى ابرة الحجام ، ولهذا فانهم يقبلون عليها راغبين ، ويبدلون في سبيلها المال .

(١٨٣٤ - ١٨٣٥) كل من أدرك نتيجة الجهد سارع الى بذله . فهو كالحمال الذى يسابق الآخرين الى حمل الأثقال ، لأنه يعلم ما يعود عليه من ربح لقاء ذلك . وهكذا البصير بالعواقب . يبذل جهده في هذه الحياة ، لأنه يعلم نتيجة ذلك .

(١٨٤٢ - ١٨٤٤) من صفت نفسه ، وأصبح ذا بصيرة روحية فهو قادر على ادراك الحقائق من غير حاجة الى أسباب ومبررات . أما من يعتمد في معارفه على الحواس فهو أسير الأسباب والعلل . وليست تتحقق منزلة الكشف الا لمن تحررت روحه من سلطان المادة . فمثل هذا يكون قادرا على ادراك معجزات الأنبياء ، على أساس حقيقتها الروحية المستمدة من عالم الغيب ، ولا يقف ازاءها موقف أسير الحس ، الذى ينظر اليها نظرة سطحية ، لا تخرج عن نطاق العالم المادى .

(١٨٤٥) « الأسباب » قادرة على أن تبين أمورا حسية محدودة ، . كما يكون من شفاء المريض بمعالجة الطبيب ، أو اضاءة السراج باشعال الفتيل .

(١٨٤٦) « ابذل جهدك لتصحيح هذه الأسباب التى تستند اليها في تحصيل المعارف . وكن على يقين أن هناك عرفانا أسمى من كل ذلك ، يشبه نور الشمس ، على حين أن معارف الحس شبيهة بنور السراج » .

(١٨٤٧) الطين الذي يتكون منه سقف الدار رمز للأسباب التي تستمد منها معارف الحس . أما سقف السماء فهو رمز لعرفان الروح . وهذا العرفان منزّه عن الأسباب .

(١٨٤٨) « لقد انقضت خلوة التجلى بما شاع فيها من أنس ، وبزغ صبح الوعي الحسى » .

(١٨٤٩) لا بد للقلب أن يلقي العناء حتى يتحقق له مثل هذا التجلى . فالبدن لا يتجلى الا في الظلام .

(١٨٥٠) « نبي الله عيسى وقد امتطى الحمار » رمز للروح وهى مرتبطة بالجسد . فمن عثى بجسده وغفل عن روحه شبيه بمن يرعى الحمار ويعرض عن عيسى . فلا جرم أن من يفعل هذا يكون خارج نطاق العرفان . (١٨٥٢) « أنين الحمار » رمز لنداء البدن وهو يلتمس الشهوات . فمن استجاب لهذا النداء شبيه بمن وقع تحت سيطرة حمار ، لأن البدن في حسيته وتعلقه بالذات شبيه بالحمار .

(١٨٥٣) « كن رحيمًا بالروح ، ولا تكن رحيمًا بالجسد . ولا تتح نغرائك سبيل التحكم في عقلك » .

(١٨٥٦) في البيت اشارة الى حديث يروى عن الرسول قوله : « أخروهن من حيث أخرهن الله » . ويقال ان المقصود من هذا الحديث تأخير النساء عن الرجال في صلاة الجماعة ، أى جعلهن فى الصفوف الخلفية . وقد فسر الشاعر هذا الحديث تفسيراً رمزياً ، فاعتبر المرأة رمزا للنفس الأمارة بالسوء ، وهذه يجب أن تتنحى جانبا لكي يتقدم عليها العقل .

(١٨٥٧) العقل الوضيع ينحط في تفكيره ، ولا يبقى له نشاط خارج نطاق الحس . واذا ذاك يصبح شريكاً للجسد ، لا هم له الا تحصيل اللذات .

(١٨٥٨ - ١٨٥٩) لقد تغلبت روح عيسى على جسده وأخضعته ،

فالروح القوية يتضاءل أمامها الجسد .

(١٨٦٠) الجسد الضعيف يقوى ويتسلط ، حينما يقترن بعقل ضعيف .

(١٨٦١) « فلو أن المرشد الروحي قسا عليك وآلمك ، فلا تعرض

عنه ، فإن هذا الألم هو السبيل الذى تكسب منه روحك قوة ومناعة » .

(١٨٦٢) ان المرشد العارف يلقى ججودا وحسدا من الناس ، برغم

أنه كنز روحى أتيح لهم . فهذه الآلام التى يعانها العارف شبيهة بالثعبان

الذى يحرس الكنز . فهناك خرافة شعبية تؤمن بأن كل كنز لا بد له من

ثعبان يحرسه . فكأنما يريد الشاعر أن يقول ان كل مرشد عارف لا بد

له أن يقابل بحسد الحاسدين وكيدهم .

(١٨٦٣) المرشد العارف يلقى من الحاقدين والحاسدين ما لقيه

عيسى من اليهود ، وما لقيه يوسف من اخوته الحاسدين .

(١٨٦٥) لا فضل عند الحاقدين ذوى الوجوه الصفراء . انهم

شبيهون بمرض الصفراء ، لا فضل له سوى ما يحدثه من صدام . وفى

الشطر الثانى من البيت تأكيد للذم بما يشبه المدح .

(١٨٦٦) ورد الشطر الثانى من البيت : « ما نفاق ... » بدلا من

« بائفاق .. » ، فى بعض الروايات . فيكون معنى البيت :

« فلتفعل أنت (أيها المرشد) ما تفعله شمس المشرق . وأما نحن

(أهل الدنيا) ففعلنا نفاق واحتيال وسرقة وخداع » .

(١٨٦٧) « أنت - أيها المرشد - فى تساميك ، واستقامتك فى

الدين والدنيا ، شبيه بالعلس ، ونحن فى سوء أخلاقنا شبيهون بالخل » .

ولا علاج لعلتنا الا باقتباسنا من أخلاقك » .

(١٨٦٨) « لتزد - أيها المرشد - فضلا كلما ازددنا نحن سوء خلقا

ذلك لأن سوء خلقنا ناشئ من اعتلالنا ، فنحن فى حاجة الى مزيد من

عنايتك وكرمك » .

(١٨٦٩) « لئن ساءت أفعالنا فهذا مدى قدرتنا . فالنفس السيئة لا يصدر عنها سوى السوء . وكل ما يصدر عنها من سوء يزيدنا خبثا ، كالرمل في العين يزيدنا عمى » .

(١٨٧٠) أفعال المرشد الخيرة جديرة بنفسه الخيرة . انه كالكحل ينير لضعاف النظر أبصارهم . وهو لا يبخل بعونه على أحد ، مهما بلغ هوان أمره .

(١٨٧١) الانسان الكامل يكتوى بنار الظالمين ، ومع ذلك لا يحقد عليهم ، بل انه لا يضمن عليهم بالحب والحنان . وهذا ما أثر عن الرسول عندما أصيب في غزوة أحد ، فدعا ربه قائلا : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » .

(١٨٧٢ - ١٨٧٥) في هذه الأبيات يصف الشاعر الانسان الكامل .
(١٨٧٢) « منجم العود » : العود بطبيعة الحال نبات . فكلمة « منجم » هنا استعملت استعمالا مجازيا . وقد ترجمنا بها كلمة « كان » الفارسية . ويقصد بمنجم العود منبته أو مصدره .

(١٨٧٧) لم يقف الشاعر عند مفهوم هذا الحديث ، وهو أن عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل ، بل تعدى ذلك الى بيان النفع الذى يتحقق من عداوة العاقل ، والضرر الذى يحدث من صداقة الجاهل ، فساق قصتين لبيان ذلك : أولاهما قصة « الأمير والرجل الذى دخلت في بطنه حية » (الأبيات ١٨٧٨ - ١٩٣٠) ، والثانية قصة « الرجل الذى صاحب الدب » (البيت ١٩٣٢ وما يليه) .

(١٨٧٨) الفارس العاقل في هذه القصة رمز للمرشد الروحى ، أما الرجل النائم فهو رمز للجاهل الغافل .

(١٩١١ - ١٩١٣) لعل الحديث المشار اليه بهذه الأبيات هو ذلك الذى ذكره صاحب المنهج القوى (مرويا عن أبى الدرداء ، باخراج الطبرانى

والحاكم) ، ونصه : « لو تعلمون ما أعلم ، لبكيتم كثيرا ، ولضحكتهم قليلا ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى ، لا تدرؤن تنجون أو لا تنجون » . (المنهج القوى ، ٢ ، ٤٢٦) .

وعن أنس بن مالك أن الرسول عليه السلام خطب فقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا » . (النووى : رياض الصالحين ، ص ٢٠٩) .

(١٩١٤ - ١٩٢٠) مضى الشاعر في شرح الحديث ، وتصوير معناه . وقد أجرى هذا الشرح على لسان الرسول ، لتقريب المعنى الى أفهام سامعيه .

(١٩١٦) مما يكثر ذكره في كتب الصوفية أن الرسول عرف الأولياء الذين جاءوا بعده ، وأنه كان يظهر لهم ويخاطبهم . وهم كثيرا ما ينسبون الى الرسول أقوالا ، يذكرون أنه حدث بها هؤلاء الأولياء . ولهذا لا يستغرب أن ينسب اليه معرفة أبى بكر الربابى ، وما اشتهر به من طول الصمت .

أما قوله : « وهأنذا أضرب الحديد بيدى مثل داوود » ، فمعناه : « وهأنذا ألين تلك القلوب القاسية ، وأسعى الى تغييرها ، كما كان داوود يصنع بالحديد » .

(١٩٢٠) معجزة شق القبر أظهرت - فوق السماء - ما كان ليد الرسول من المقدرة .

(١٩٢١) قول الشاعر : « وهذه الصفة أيضا هى من جراء ضعف العقول » ، يمكن أن يفهم على وجهين ، حسب تفسيرنا لما أراده الشاعر بكلمة « الصفة » . فربما كان المقصود بهذه الصفة لزوم الصمت حتى لا يخطئ ضعاف العقول فهم المعانى . وربما كان المقصود بها الحديث عن قدرة الله بأسلوب تمثيلى ، ينسب الى الله اليد ، وغيرها من الأعضاء .

(١٩٢٦) انظر التعليق على البيت ١٨٧١ .

(١٩٣٢) يبدأ الشاعر هنا حكاية معروفة هي حكاية الدب الذي

قتل صاحبه . (انظر : تعليقات نيكولسون ، وانظر أيضا : فروزانفر :
مأخذ قصص ، ٦٢) .

(١٩٣٨) الرجل الشجاع لا يهدف الى نفع من وراء أعماله الخيرة ،

وليس له من دافع ولا هدف سوى المحبة . انه كالدواء ، لا غاية له
سوى ازالة المرض .

(١٩٤٣) « هتاف الأفلاك » : كان المعتقد في زمن الشاعر أن للأفلاك

أنعاما وألحانا . والنص التالي - وهو من رسائل اخوان الصفاء - يوضح
لنا هذا المفهوم :

« ولما كانت الأفلاك دائرات ، والكواكب والنجوم متحركات ، وجب
أن يكون لها أصوات ونغمات . ولما كانت مستوية في نظامها ، محفوظة
عليها صورة تمامها وكمالها ، وجب أن تكون حركاتها منفصلة ، وأصواتها
متصلة ، وأقسامها معتدلة ، ونغماتها لذيذة ، وألحانها بديعة ، ومقالتها
تسيحيا وتقديسا وتكبيرا ، وتهليلا تفرح له نفوس المستمعين لها ، والحافين
بها من الملائكة والنفوس التي تقدم عليها ، وتصعد اليها . وتلك الحركات
والأصوات هي مكيال الدهور والأزمان التي بها يحكم على عالمها بالبقاء
من حيث هي ... وقد استمعتها النفوس وهي في عالم الكون والفساد ،
فتذكرت بها عالم الأفلاك ولذات النفوس التي هناك ، من فسحة الجنان ،
وروضة الرياح ، وعلمت أنها في أحسن الأحوال ، وأطيب اللذات ، وأتم
الأشكال وأدوم السرور .. » . (رسائل اخوان الصفاء : ٣ ، ٩٠ - ٩١) .
(١٩٤٤) « نزه بصرك وبصيرتك عن الحسية ، والتعلق بالمادة ، واذ

ذاك تستطيع شهود حقيقة الغيب » .

(١٩٤٦) « خلّص كيائك من علل الحس وأمراضه ، لأن هذه

الأمراض تعوقك عن تذوق حلاوة العرفان الروحي » .

(١٩٤٧) « الرجولة » هنا رمز لقوة الروح وانطلاقها ، و « العنة » رمز لضعفها وتراخيها . والشاعر يدعو الى تقوية الروح حتى تصبح بقوتها وتحررها مجلى للشهود ، وما يكشفه من ألوان الحسن والجمال .
(١٩٤٩) « الفلك العتيق » ، هو عالم الحس الذى يؤول الى بلى وفناء .

(١٩٥١) قول الشاعر : « فالتواح والبكاء ذخيرة عظيمة » ، يعنى أن دموع الندم والخوف هما من أسباب رحمة الله وغفرانه .
(١٩٥٦) « ان لكم في السماء أرزاقا روحية عظيمة ، فلماذا تشبثتم بعالم الحس الوضيع ؟ » .

(١٩٥٧) « صوت الغول » رمز للضلال . فالخوف واليأس يبعدان المرء عن سلوك سبيل اليقظة الروحية ، ويقودانه الى الهلاك ، كما تفعل الغول بالمسافرين في البداء .

(١٩٥٩) « صوت الذئب » هو نداء الحرص والشهوات الحسية .
(١٩٨٠ - ١٩٨٢) السامري : (انظر : مثنوى ، ج ١ ، البيت ٢٢٥٨ ، وشرحه) .

(١٩٨٧) قول الشاعر : « انه أنت فابحث عن ذاتك فيه » ، يعنى : أن المرشد بمثاليته وتساميه يمثل حقيقة جوهرك ، فاطلب عنده تلك الحقيقة .

(١٩٨٨) « فان أعرضت عن المرشدين العارفين ، فأنت أسير الحرص والطمع ، ومآلك الى هلاك محقق ، كما كان مآل ذلك الدب بين فكى التنين » .

(١٩٩٣) بدأ الشاعر في هذا البيت قصة قصيرة ، هى حكاية السائل الأعمى . وقد وردت هذه القصة في محاضرات الراغب الأصفهاني على الوجه التالي :

« كان أعمى يقول : ارحموا ذا الزماتين ، فليل : ما هما ؟ »

قال العمى ، وقبح الصوت . أما سمعتم :

فبي عيان ان عدا فخير منهما الموت

فقير ما له قدر وأعمى ما له صوت

كما وردت بصورة مشابهة لهذه في شرح نهج البلاغة ، نقلا عن الجاحظ . (انظر : فروزانفر : مأخذ قصص وتمثيلات ، ٦٥) .

(٢٠٠٦) « قبيح الصوت الذى يكون ثملا بدم الخلق » هو من يجيز لنفسه قذف الأعراض ، ويتناول بالسوء سيرة الخلق .

(٢٠٠٩) الجرح القديم لا سبيل الى مداواته الا بالكى . والنفس الموغلة في الآثام والخطايا هى في أمس الحاجة الى مثل هذا العلاج القاسى .

(٢٠١٠) في الأبيات التالية يصور الشاعر ذلك الرجل الذى أنقذ

الدب وكأنه شخص عنيد أبله . ولا تناقض بين هذه الصورة ، وبين ما

سبق وصفه به من الشجاعة والنجدة . فهذا الرجل الشجاع ، كانت تنقصه

اليقظة الروحية ، وسلامة الإدراك ، ولهذا فان شجاعته لم تنقذه من

المصير الذى ينتظر أمثاله .

(٢٠٢٣) قول الشاعر : « اننى مؤمن وقد أصبحت ناظرا بنور الله » ،

يتضمن اقتباسا من حديث يروى عن الرسول قوله : « اتقوا فراسة

المؤمن ، فانه ينظر بنور الله » . (انظر : المثنوى ، ١ ، البيت ١٣٣١

وشرحه) . أما قوله : « اهرب من بيت النار هذا » ، فمعناه : « دع عنك

محبة الدب - (وهى هنا رمز لصداقة الأبله) - لأنها شبيهة بعبادة

النار » .

(٢٠٤٠) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « واذا فرقنا بكم البحر

فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون » . (٢ : ٥٠) .

(٢٠٤١) في البيت اشارة لبعض معجزات موسى التى ورد ذكرها

في القرآن الكريم . قال تعالى : « وأنزلنا عليكم المن والسلوى » .

(٢ : ٥٧) . وقال : « واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك

الحجر فاتجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم » .
(٢ : ٦٠) .

(٢٠٤٤) في هذا البيت يعاتب موسى عابد العجل ، ذلك الذى شك فيما أظهره موسى من معجزات عظيمة ، على حين أنه خر ساجدا عندما سمع صوت العجل . فكان صوت العجل طوفان جرف الى نفسه الأوهام ، وكل ما ثار عنده من شكوك حول الدين والايمان ، وكأنما عقل هذا الكافر المخالف قد غلبه نوم الغفلة ، فلم تبق له أية مقدرة على التفكير .
(٢٠٤٧) السامري : (انظر : المثنوى ، ١ ، البيت ٢٢٥٨ وشرحه) .
(٢٠٦٨ - ٢٠٧٥) في هذه الأبيات تعبير عن قصة معروفة ، رويت على أنها سبب لنزول سورة « عبس » ، وأوردها صاحب الكشف على الوجه التالي :

« أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم (الأعمى) .. وكان عنده صناديد قريش : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف ، والوليد بن المغيرة ، يدعوهم الى الاسلام ، رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم . فقال : يا رسول الله ، اقرئنى وعلمنى مما علمك الله ، وكرر ذلك ، وهو لا يعلم تشاغله بالقوم ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه ، وعبس وأعرض عنه ، فنزلت « عبس وتولى » . فكان رسول الله يكرمه ويقول اذا رآه : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي . ويقول : هل لك من حاجة . »
(الزمخشري : تفسير الكشف : ٤ ، ٧٠٠ - ٧٠١) .

(٢٠٧١) الحبش : من الواضح أن المقصود بهذه الكلمة تلك الجماعة التى كانت تعرف « بأحاييش قريش » . وهناك خلاف حول تفسير كلمة أحاييش ، فقد فهمها البعض على أنها تعنى عبيدا من الحبشة ، ولكن نصوصا تاريخية متعددة بينت أنهم كانوا جماعات تنتمى الى بعض

القبائل العربية ، وكانت قريش تستخدم هذه الجماعات في حراسة قوافلها التجارية ، فكأنهم كانوا لها بمثابة الحلفاء . (انظر : عبد الحميد العبادي : أحايش قريش ، هل كانوا عربا أو حبشا ؟ بحث في مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، مايو ١٩٣٢) .

(٢٠٧٢) « بصره » تمثل في هذا البيت مشكلة تاريخية . فان كان المقصود بها مدينة البصرة العراقية ، فانها لم تنشأ الا بعد وفاة الرسول ببضع سنوات . واجتماع الرسول بصناديد قريش كان قبل الهجرة ، فمعنى ذلك أن هذه المدينة قد ذكرت في قصة جرت وقائعها قبل بناء هذه المدينة بنحو خمسة عشر عاما . فهل هذا خطأ تاريخي وقع فيه الشاعر ؟ أم أن المقصود مدينة بصرى ، « من أعمال دمشق ، وهي قصبة حوران ^(١) » والتي يصفها ياقوت بأنها « مشهورة عند العرب قديما وحديثا » ، وقد فتحها العرب عام ١٣ هـ . ومما يساعد على مثل هذا التفسير أنها اقترنت في ذكرها هنا بتبوك « وهي أيضا من أرض الشام » توجه اليها النبي عليه السلام في عام تسع للهجرة - وهي آخر غزواته - ولما وصلها وجد أن من تجمع فيها من الروم وبعض القبائل العربية قد تفرقوا ^(٢) .

وربما كان ذكر الشاعر للبصرة هنا مبني على استبعاد عنصر الزمن في مثل هذا المقام . فالأبيات تعبر عن تفسير عتاب الخالق لرسوله ، كما ورد في سورة « عبس » . ويكون المراد بذكر البصرة هنا الموقع الذي قامت عليه هذه المدينة .. بعد فتح العراق .

ومما روى عن علي بن أبي طالب أن الرسول ذكر البصرة ، وتنبأ بحدوث موقعة الجمل . قال : « سمعت رسول الله يقول : تفتح أرض

(١) ياقوت : معجم البلدان ، مادة بصرى . (٢) المصدر السابق : مادة تبوك .

يقال لها البصرة^(١) ... الخ » . وهذا الخبر — برغم ما يمكن أن يوجه إليه من النقد — يشيع أن الرسول ذكر البصرة ، وتنبأ بما يحدث فيها . ومما له مغزاه أن هذا الخبر مذكور في معجم البلدان لياقوت . وهذا المؤلف — مثل جلال الدين — من رجال القرن السابع ، كما أنه جمع الكثير من معلوماته في ذات المنطقة التي عاش بها جلال الدين .

(٢٠٧٧) روى أبو هريرة عن الرسول أنه قال : « الناس معادن كمدائن الذهب والفضة » . (المنهج القوي : ٢ ، ٤٥٢) .
(٢٠٨٦) « الجعل » حشرة صغيرة تقبل على الروائح الكريهة ، وتنفر من الروائح الطيبة .

(٢٠٩٠) « انني أميز بين أهل الصورة وبين أهل المعنى » .
(٢٠٩٥ — ٢١٠٢) رويت هذه القصة في مصادر أخرى بشيء من الاختلاف عن رواية جلال الدين . فقد ذكرها ابن حزم في طوق الحمامة ، وهي في روايته تدور حول أبقرات . وذكرها صاحب قابوس ثامه ، وروايته أشبه برواية جلال الدين ، إلا أن بطلها هو محمد بن زكريا الرازي ، وليس جالينوس . (انظر : تعليقات نيكولسون ، وانظر أيضا : فروزانفر : مآخذ قصص ، ٦٦) .

(٢١٠٣ — ٢١٠٥) تناول الغزالي المعنى الذي عبرت عنه هذه الأبيات على الوجه التالي : « وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان في عشرة إلا في أحدهما وصف من الآخر ، وأن أجناس الناس كأجناس الطير ، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة . قال : فرأى يوما غرابا مع حمامة ، فعجب من ذلك فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ، ثم طارا ، فاذا هما أعرجان » . (انظر : فروزانفر ، مآخذ قصص ، ٦٦) .

(١) المصدر السابق : ١ ، ٤٣٦ .

(٢١٠٧) سَجَّينَ : هذه الكلمة تعنى هنا الجحيم . (انظر :
المثنوى : ١ ، ٦٤٠) .

(٢١١٨) « الورد » في الأبيات السابقة رمز لأهل الكمال .
والشاعر - في هذا البيت - يقول : « لقد خلصت من الحسية خلاصا
كاملا ، وكانت بى آثار منها . فالله - الذى طهرنى منها - لن يرجعها
الىّ » .

(٢١٣٥ - ٢١٣٦) عبر الشاعر عن مثاليته الخلقية بقوله : ان من
لا يتقيد بعهده ، فإنه لا يتقيد بقسمه . ويمضى في تحليل هذه الفكرة
على أساس نفسى فيقول : ان القسم يكون بمثابة قيد فرض عليه ، وهذا
القيد يجعل نفسه الحسية أكثر ميلا الى الثورة على العهد ، والتخلى عنه .
(٢١٣٧ - ٢١٣٨) « الأسير » في هذين البيتين رمز للعقل ،
و « الحاكم » رمز للنفس الحسية . فالإنسان المتعلق بشهوات الحس
ولذاته تحكمه نفسه الحسية . فاذا حاول عقله أن يقيد هذه النفس
بقسم أو عهد كان بمثابة أسير وضع قيда على حاكمه . والحاكم لا يبقى
في القيد بل ينطلق منه ، ثم يحطم عبده الذى قيده . وهكذا النفس
الطاغية ، ما لم تهذب فان العقل لا يستطيع السيطرة عليها بأية صورة ،
ولئن حاول أن يحد من طغيانها عن طريق الزامها بالعهد ، كان ذلك
مدعاة لازدياد ثورتها واندفاعها .

(٢١٤٠) قول الشاعر : « يجعل من جسده خيطا ، ويلتف حول
صاحب عهده » ، يعنى أنه يرهق جسده في الوفاء بالعهد لمن عاهده ،
ولا يجيد قط عن دائرة الوفاء له .

(٢١٤١) بدأ الشاعر في هذا البيت رواية قصة وردت في أحد
الأحاديث النبوية . وقد أطال الشاعر الوقوف عند مختلف دقائق هذه
القصة ، واستطرد استطرادات كثيرة . والحديث المشار اليه روى على
الوجه التالي :

« عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من المسلمين قد خفف فصار مثل القرخ . فقال له رسول الله : هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه . قال : نعم . كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبى به في الآخرة ، فعجله لى في الدنيا . فقال رسول الله : سبحان الله . لا تطيقه (أو لا تستطيعه) ، أفلا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قال : فدعا الله له فشفاه » .

وقد ورد هذا الحديث في صحيح مسلم ، وغيره من المصادر (انظر : تعليقات نيكولسون . وانظر أيضا : فروزانفر : مآخذ قصص ، ٦٦) .

(٢١٤٣) تروى أحاديث متعددة في الحث على عيادة المريض ، وبيان ثوابها . (انظر : النووى : رياض الصالحين ، ٣٦٨ - ٣٧٣) .

(٢١٥٠) قول الشاعر « وكصانع الأصنام ، انحت لك من الحجر صديقا » ، تعبير رائع عن الدعوة الى اكتساب الأصدقاء . فالحجر الصلد أبعد الأشياء عن الاستجابة ، وهو هنا رمز للانسان العنيد ، الذى يغلق قلبه دون الناس . ومثل هذا - فى رأى الشاعر - يجب ألا يستعصى على المرء اكتساب وده . وكأنما المرء فى اكتساب هذا النوع من الأصدقاء صانع أصنام ، ينحت من الحجر تماثيل يتعلق بها قلبه .

(٢١٥٤) « ما دمت - أيها المريد - عاجزا عن معرفة الأولياء الصادقين ، فاقصد كل درويش ، والتمس حقيقة حاله ، فلعلك ببحثك تهتدى الى العارف الكامل ، وشأنك فى ذلك شأن الباحث عن الكنز ، ينقب عنه فى كل خربة حتى يهتدى اليه » .

(٢١٥٦ - ٢١٦١) فى هذه الأبيات اشارة الى حديث سبقت الاشارة اليه . (انظر البيت ١٧٣٨ وشرحه) . ولم يتضمن هذا الحديث ذكر موسى . (٢١٥٦) قول الشاعر : « يا من شهدت طلوع البدر من جيبك » يشير الى معجزة موسى اذ أدخل يده فى جيبه ، فخرجت بيضاء من غير

سوء . انظر الآيات الكريمة : (٧ : ١٠٨) ، (٢٦ : ٣٣) ، (٢٧ : ١٢) .
(٢١٦٧) يبدأ الشاعر في هذا البيت رواية قصة وردت في كتاب
« جوامع الحكايات » لمحمد عوفى . والقصة — كما رواها عوفى —
تذكر أن البستاني وجد في بستانه أربعة أشخاص ، أحدهما فقيه والثاني
شريف والثالث جندي والرابع بائع « جوال » . والقصة في رواية
عوفى تخلو من كثير من التفاصيل التي جاءت في رواية المثنوى . لقد
أضاف إليها جلال الدين من التفاصيل ما جعلها تبدو أكثر واقعية ، كما
صورها بأسلوب ساخر يختلف كثيرا عن أسلوب عوفى . وقد رأيت أن
أورد هنا ترجمة عربية للقصة ، كما وردت في كتاب عوفى .

قال : « حكى أن أربعة أشخاص من أصناف البشر دخلوا بستانا ،
وشغلوا بأكل الفاكهة . وكان واحد من هؤلاء فقيها وثانيهم علويا ،
وثالثهم جنديا ورابعهم سوقيا . ودخل صاحب البستان فرآهم وقد
أثلفوا كثيرا من الفاكهة . وكان رجلا ذكيا فتفكر قائلا : انهم أربعة
أشخاص ، ولن أقدر على الأربعة مجتمعين . فتوجّه إليهم ثم قال للعالم
(الفقيه) : انك رجل عالم ، وأنت لنا قدوة ومرشد . وقد ارتبطت
مصالح دنيانا وأخرانا ببركة أقدام العلماء وحركة أقلامهم . وأما ثانيكم
فهو سيد كبير من أسرة النبي ، ونحن جميعا موالى أسرته ، ذلك لأن
محبته واجب أمرنا به الله حين قال : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا
المودة في القربى » . وأما ثالثكم فجندي من أرباب السيف ، وإن عمران
ديارنا وأرواحنا منوط بسيف هؤلاء . فلو أنكم دخلتم بستانى ، وأكلتم
كل فاكهتي بدون حق ما ضننت بها عليكم ، ولكن من ذا يكون هذا
الرجل السوقى ؟ وبأية وسيلة دخل في بستانى ؟ وما فضيلته التي تتيح
له أكل فاكهتي ؟ ثم مد يده وأمسك بجيب السوقى ، وحمل عليه حملة
قوية حتى طرحه أرضا ، ووضع القيد في يديه ورجليه . ثم توجه الى
الجندي وقال : انتى عبد للعلماء ولأبناء النبي . وأما أنت ، أفلم تعلم

أننى دفعت للسلطان خراج هذا المال ، وأنه لم يبق له قبلى شيء أكثر مما دفعت ؟ فلو أن الأئمة والأشراف تقاضونى روحى (لبذلتها) وعددت نفسى مقصرا ! أما أنت فلم تقل لى من أنت ، ولا بأى حق عدوت على مالى ! وأمسكه هو أيضا ، وأدبه تأديبا كاملا ، وأحكم قيد يديه ورجليه . وبعد ذلك توجه الى العالم وقال : ان الناس جميعا عبيد لآل بيت الرسول ، وحرمة نسب هؤلاء ظاهرة للجميع . أما أنت ، يا من تدعى العلم ، أما حصلت من العلم ذلك القدر الذى تعرف به أنه لا يجوز دخول بستان سواك بغير اذن ؟ فأى قدر من العلم بقى لك ؟ انى ومالى وروحى فداء لآل الرسول . أما كل جاهل يدعى العلم ، ويستحل أموال المسلمين ، فانه يكون جديرا بالتأديب ، مستحقا للتعذيب . ولقد أدبه أيضا أدبا بالغا ثم قيده ، واذا ذاك ، بقى العلوى وحيدا ، فتوجه اليه وقال : أيها المدعى الخسيس ، يا صاحب الشعر الكثيف والجهل الوافر ! انك لم تقل لى بأى سبب أجزت التناول على بستانى ، وأضعت على مالى ؟ وهل قال الرسول عليه السلام أن مالى حلال للعلويين ؟ ثم انه قيد ذلك الرجل أيضا ، وبهذه الطريقة استطاع أن يقيد الرجال الأربعة ، ثم استوفى منهم ثمن كرومه . وقد نقل فروزانفر النص الفارسى لهذه القصة (مآخذ ، ٦٧ - ٦٩) ، أما نيكولسون فترجمها الى الانجليزية في تعليقاته .

(٢١٨٣) الجنيد البغدادي ، وأبو يزيد البسطامي امامان من أكبر أئمة الصوفية . توفي أبو يزيد عام ٢٦٠ هـ ، وتوفي الجنيد عام ٢٩٧ هـ . (٢١٩٦ - ٢١٩٧) يدافع الشاعر في هذه الأبيات عن الأشراف المتيمين النى بيت الرسول ، ازاء ما اتهمهم به البستاني من الزيف والاتساع الكاذب . وخلاصة دفاعه أن المرء اذا ساءت أحواله وأفعاله ساءت ظنونه بسواه . فما قاله البستاني عن الأشراف ، لم يكن الا صدى لخبط نفسه ، وسوء ظنه . وهذا شبيه بقول الشاعر العربى :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ

وصدق ما يعتاده من توهم

(٢٢٠٤) شمر ، هو شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين يوم كربلاء ،

في العاشر من محرم عام ٦١ هـ . وكان قتله للحسين مثالا للخسة والجبن ،
لأنه لم ينازله منازل الرجال ، بل تحين الفرصة حين تكاثر الرجال على
الحسين ، فركب صدره واحتز رأسه . أما يزيد فهو يزيد بن معاوية
ثاني الخلفاء الأمويين ، وهو الذى حدث في عهده مأساة الحسين .

(٢٢١٨) يبدأ الشاعر بهذا البيت رواية قصة تحكى عن أبى يزيد

البسطامى . (انظر أصول هذه القصة في « مأخذ قصص » لفروزانفر ،
وكذلك في تعليقات نيكولسون) .

(٢٢٢١) أورد الشراح تفسيرات متعددة لهذا البيت ، وهى جميعا

تدخل في باب التأويل البعيد . (انظر - على سبيل المثال - شرح
صاحب المنهج القوى . ج ٢ ، ص ٤٧٣) . ولقد نشأت هذه الصعوبة من
تفسير كلمة « حق » في البيت على أنها تعنى الله . فالقرآن الكريم لا
توجد به آية تعبر عن المعنى الذى أشار اليه البيت . وكل ما ذكره
الشراح من الآيات لا تعبر عن هذا المعنى الا بكثير من التأويل .

ولعل خير وسيلة لفهم هذا البيت هى أن تفسر كلمة « حق » هنا
بمعناها الحرفى . فتكون ترجمة البيت : « ان القول الحق في السفر هو
أنك حيثما توجهت يجب عليك أن تلتمس رجلا » . وبذلك يكون معنى
البيت مطابقا للقول العربى : « خذ الرفيق قبل الطريق » .

(٢٢٢٢ - ٢٢٢٤) « عليك أن تطلب الجواهر الحقيقى قبل كل

شئ » ، وإذا ما تحقق لك الجواهر ، تحققت لك معه أعراض كثيرة ، تابعة
له . أما من ركز همه في الأعراض فلن يتحقق له الجواهر قط . ومثال
ذلك من يزرع القمح ، فهو بالضرورة يحصل على التبن ، الى جانب

القمح ، أما من يزرع التبن : فلن يحصل قط على القمح . ومن طلب الله باخلاص قلبى ، وصل الى الله ، وتحقق له بهذا الوصول كل ما تصبو اليه النفوس من آمال .

(٢٢٢٥) من قصد الكعبة للحج ، فسوف يرى مكة - الى جانب قيامه بالحج . فالحج الى الكعبة هو القصد الجوهري ، ورؤية مكة عرض جانبي تحقق بدون قصد خاص .

(٢٢٣١) « خضر زمانه » . (انظر : المثنوى ، ج ١ ، الأبيات ٢٢٤ ، ٢٩٦٩ ، ٢٩٧١ وشروحها) .

(٢٢٣٣) « الفيل الذى يرى في منامه بلاد الهند » ، رمز للصوفى العارف الذى يشهد في تأمله عالم الروح ، وطنه الحبيب الذى يحلم به ، فكأنما هو فيل مغترب رأى في منامه بلاد الهند .

(٢٢٣٤ - ٢٢٣٥) النوم يمثل انطلاق الروح من عقال الجسد . (انظر : المثنوى ، ١ ، ٣٨٧ - ٣٨٩) . ولهذا فان الانسان يرى في النوم ما لا يراه في اليقظة .

(٢٢٣٦) العارف - وهو من استطاع تخليص روحه من سلطان الجسد - يتحقق له في يقظته شهود روحى .

(٢٢٤٤) يتفق معنى هذا البيت مع ما يقوله الصوفية عن « الانسان الكامل » ، وهو أنه أفضل مخلوقات الله .

(٢٢٤٥) في هذا البيت تعبير عن معنى حديث قدسي ، نصه : ما وسعنى أرضى ولا سمائى ، ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن . التقى النقى الورع .

(٢٢٤٧ - ٢٢٤٩) في هذين البيتين تعبير عن الفناء في الله والاتحاد به ، وهما من النظريات المشهورة عند الصوفية ، والقول بهما مبنى على التجربة الروحية ، التى يتحدث بها العارفون من أهل التصوف .

(٢٢٥٢) يعود الشاعر هنا الى رواية « قصة الصحابي المريض »

اتى بدأها في البيت ٢١٤١ ، ثم استطرد منها الى سواها من الموضوعات .
(٢٢٥٧ - ٢٢٦٥) في هذه الأبيات يعبر الصحابي عن الألم ، وأثره
في تنبيه الروح ، وإيقاظ القلب والضمير . وقد سبق له أن عبر عن مثل
هذا المعنى في حديثه عن الحزن . (انظر المثنوى ، ج ١ ، الأبيات
٨١٧ - ٨٢٢ وشرحها) .

(٢٢٧٠ - ٢٢٧١) « لو أن المستشار كان امرأة أو طفلا (وكلاهما
مجرد من الحكمة) ، فإن مشاورتهما تجوز ، شريطة أن يعمل المرء بخلاف
ما أشارا به » . وفي هذا البيت تعبير عن معنى الحديث الذي يروى عن
الرسول قوله : « شاوروهن وخالفوهن » .

(٢٢٧٨) « النفس قادرة على الخداع ، تقدم الوعود البراقة ،
وتخلفها ، ومع ذلك لا تفقد مقدرتها على الخداع » .

(٢٢٨١) يذكر هذا البيت خرافة عن أثر السحر على رجولة الرجال ،
وهي من الخرافات التي لا تزال شائعة بين السذج والجهلاء . وقد اتخذ
الشاعر من حالة العجز - التي يقال انها تصيب الرجل من جراء
« الربط » - رمزا الى حالة العجز الروحي الذي يقعد الرجل عن التحرر
من سلطان المادة . والنفس هي مسببة هذا العجز الروحي ، بما تزينه
للمرء من لذات الحس وشهواته .

(٢٢٨٢) حسام الدين مثال للعارف الكامل . ولا سبيل الى خلاص
أسارى الحس من غفلتهم الا بمعونة العارفين أصحاب الكمال .

(٢٢٨٣) لقد ألقى الله حجابا على قلوب الخلق من جراء ما ارتكبه
من مظالم . وهذا القضاء ينزل بالناس لو توجه بالضراعة الى الله قلب
جريح .

(٢٢٨٥) النفس الحسية تكون في بداية أمرها صغيرة كالودودة ثم
تكبر فتصبح كالثعبان ، ثم يتعاضم أمرها فتصبح تنينا .

(٢٢٨٦ - ٢٢٨٧) هذه النفس الثائرة العصية تغدو طيعة بفضل

تعليم العارف وارشاده ، وقوته الروحية ، فكأنما هي الحية ، وقد أصبحت عصا طيعة في كف موسى . قال تعالى : « فألقاها فاذا هي حية تسعى ، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » . (٢٠ : ٢٠ - ٢١) .

(٢٢٨٨) لا يزال الشاعر يشبه حسام الدين بموسى . ويشير الى معجزة أخرى من معجزات موسى ، ذكرت في قوله تعالى : « واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى » . فهو يطلب من حسام الدين (مثال الرجل الكامل) يدا بيضاء (أى مكرمة جديدة) ، وهى أن يكشف بعرفانه دياجير الظلمة التى غمرت الناس .

(٢٢٩٠) للنفس مكر يخدع الناس ، فهى تظهر لهم في صورة تبديها أهون من حقيقتها ، فيستهينون بأمرها ، على حين أنها تقودهم الى الهلاك وهم لا يشعرون .

(٢٢٩١) ظهور النفس قليلة الخطر أمام العارف ، لا يخدعه عن حقيقتها ، كما هو الحال بالنسبة لعامة الناس ، بل يقويه ، ويزيد من قدرته على مقاومتها . وهذا شبيه بما حدث للرسول في وقعة بدر ، حينما ظهرت جيوش المشركين قليلة في عينيه ، فزاده ذلك استهانة بأمرها ، واقداما على القتال . (انظر : سورة الأنفال ، ٨ : ٤٣ - ٤٤) .

(٢٢٩٢ - ٢٢٩٧) هذه الآيات تتحدث عن غزوة بدر ، وما حققه الرسول من نصر فيها ، بعون الله وتأييده . وقد وصف القرآن الكريم هذه الغزوة في سورة الأنفال . وآيات الشاعر هنا تعبر عن معنى الآيات الكريمة ، التى سبقت الإشارة اليها في التعليق على البيت ٢٢٩١ .

(٢٢٩٦) التأييد الالهى للرسول أظهر الكفار قلة في عينيه ، فيسر له ذلك ما كان ميسورا ، وجعله يقبل على الأمر العسير ، بدون خشية ولا وجل . قال تعالى : « اذ يريكم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر » . الآية . (٨ : ٤٣) .

(٢٢٩٨) من لم يظفر بمثل هذا التأييد الالهي الذي ظفر به الرسول ، يكون من خذلان الله له أن يظهر لعينيه الأمر العسير يسيرا ، فهذا المخذول شبيه بمن أبصر الأسد هرة ، أو رأى المائة مقاتل شخصا واحدا ، فدفعه الغرور وسوء التقدير الى القتال .

(٢٣٠٠ - ٢٣٠١) من خذلان الكافرين أن سيف الرسول ظهر لهم وكأنه حربة واهية ، وأن هذا الرسول القوى المؤيد بالله بدا لهم ضعيفا ، فتجاسروا على قتاله ، فحاق بهم الهزيمة .

(٢٣٠٢) ظهور الرسول ضعيفا للكفار كان استدراجا الهيا ، أدى الى هزيمتهم ، وقادهم الى جزائهم في النار .

(٢٣٠٣ - ٢٣٠٤) النبي يظهر لخصومه ضعيفا ، فهو في بداية أمره يكون قليل الأنصار ، فيظنون أنهم قادرون على القضاء عليه بأقل جهد . وهم لا يدركون أن وراء هذا المظهر قوة لا قبل لهم بها ، هي قوة الله . فظاهر النبي أنه - بالقياس الى خصومه - ضعيف كالقشة ، وحقيقته أنه أكثر ثباتا من الجبال ، يزول معاندوه ، ويحقق بهم قهر الله ، وتبقى دعوة النبي بين الناس ، ضاحكة من خصومها .

(٢٣٠٥) عوج بن عنق : من الشخصيات الأسطورية التي عرفها المسلمون عن أساطير بني اسرائيل شخصية عوج بن عنق . وعنق اسم أمه التي قيل انها إحدى بنات آدم من صلبه . وقد جاء وصف عوج بن عنق في قصص الأنبياء على الوجه التالي :

« قال ابن عمر : كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الأول . وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ، يرفعه اليها ، ويأكله .

ويروى أنه أتى نوحا أيام الطوفان فقال له : احملني معك في سفينتك ، فقال له : اذهب يا عدو الله ، فاني لم أؤمر بك . فطبق الماء

الأرض من سهل ومن جبل ، وما جاوز ركبتيه . وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى . وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ ، فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقد منه صخرة على قدر العسكر ، ثم حملها ليطبقها عليهم ، فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور ، فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة ، واثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق ، فطوقته وصرعته ، فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع ، وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع في الأرض ، فقتله . قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه ، فلما قتل ، وقع على نيل مصر ، فحسره سنة » . (الشعبي : قصص الأنبياء ، ص ٢٦٥) .

وقد استخدم الشاعر شخصية عوج في تصوير استدراج الله للكفار ، اذ يظهر لهم الماء ضحلا لا يتجاوز عمقه كعب الرجل ، في حين أن الماء يكون عميقا بحيث يغرق مائة من أمثال عوج بن عنق . وفي البيت اشارة الى أن قوة الحس ، مهما عظمت ، فهي ضعيفة أمام قوة الروح . (٢٣٠٧ - ٢٣٠٨) في البيتين اشارة الى قصة هلاك فرعون . (انظر : سورة البقرة ، ٢ : ٥٠) .

(٢٣١٨) الدهرى هو المادى الذى يؤمن بقدوم العالم وأزليته . وكان في بلاد العرب قبل الاسلام جماعة آمنوا بذلك . وقد أشار اليهم القرآن الكريم بقوله تعالى : « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » . (٤٥ : ٢٤) .

(٢٣١٩) « لولا الأنبياء ما استطاع الناس ادراك أسرار الفلك وأنه مثلهم مخلوق محدث » .

(٢٣٢٠) « النبى المطلع على أسرار خلق السموات والأرض هو الذى يخبر عن حدوث الأفلاك . ولا سبيل للانسان الى ادراك ذلك بتجربته الذاتية ، لقصر عمره . فالانسان بالقياس الى الأفلاك ،

كالعنكبوت بالقياس الى الدار . فبينما صاحب الدار يدرك سر بنائها ،
فان العنكبوت ينسج خيوطه في جوانبها ، من غير أن يدرك من سرها
شيئا .

(٢٣٢١ - ٢٣٢٢) في البيتين صورتان بياثتان ، تعبران عن المعنى
الذى ورد في البيت السابق ، وهو أن الكائنات الحسية لا تستطيع أن
تتجاوز الحس ، الى مدركات سبقت وجودها الحسي . وحياة الحس
أيضا قصيرة المدى ، وهذا مما يزيد عجزا فوق عجزها . فالبعوضة
لا تستطيع أن تعرف أصل البستان . ودودة الخشب لا علم لها بأصل
الخشب .

(٢٣٢٣ - ٢٣٢٥) الادراك الحق يكون للعقل وحده . وليس
المقصود بالعقل هنا ذلك العقل الجزئى الذى يعتد بقدرته الانسان .
فهذا - في نظر جلال الدين وغيره من الصوفية - محدود المعرفة .
فالعقل المقصود هنا هو العقل الكلى الذى يظهر ذاته في كثير من الصور ،
فكأنما هو جنى يتجلى في مختلف الصور ، بل اين منه الجنى ، وهو
أسمى من الملك . ولولا عجز المستمع عن ادراك عميق المعانى ، لما جاز
تشبيه العقل الكلى بالجن في قدرته على الظهور بمختلف الصور .

(٢٣٢٨) « الجنون » هنا معناه الخروج على ما تعارفت عليه عقول
أهل التقليد . فالعقل المقلد والعلم التقليدى يتنافيان مع العرفان
الصوفى .

(٢٣٣٣ - ٢٣٣٧) في هذه الأبيات حكاية قصيرة ساقها الشاعر
لايضاح معنى البيت ٢٣٣٢ ، وفيه يسخر الشاعر من العقل (المقلد) ،
ويفضل عليه عرفان الروح (وهو ما قد يصفه بعض المقلدين بأنه
جنون) . فهذه الحكاية ترمز الى أن عشقا روحيا ظاهره الجنون وباطنه
العقل خير من عقل مقلد ، ظاهره العلم ، وهو في حقيقة أمره أسير الجهل .
(٢٣٣٨) بدأ الشاعر هنا قصة رجل عاقل كان يتظاهر بالحمق ،

فيركب قصبة كالأطفال ، ويمضى بها في الطريق . والظاهر أن هذه القصة — كما يقول نيكولسون — كانت شائعة قبل زمن الشاعر . وقد ذكر نيكولسون صورا متعددة لهذه القصة نقلها عن بستان العارفين ، لأبي الليث السمرقندي ، وكذلك عن جوامع الحكايات لمحمد عوفى . (انظر تعليقات نيكولسون) . كما أورد فروزانفر صورا أخرى لهذه القصة عن العقد الفريد لابن عبد ربه ، وريبع الأبرار للزمخشري ، واسكندرنامه (المنشور) . (مآخذ قصص ، ٧٠ - ٧٢) .

ويعزى تظاهر الرجل بالجنون في هذه القصص ، الى أسباب مختلفة . فمنها ما ينسب اليه أنه أراد بذلك الفرار من منصب حكومى كان يراد استناده اليه . ومنها ما ذكر أنه انما فعل ذلك ليستطيع الأمر بالمعروف والنهي على المنكر من غير ان يقع تحت طائلة العقاب . وقد وجدت في العقد الفريد صورة أخرى لهذه القصة ، مرويّة عن العتبى ، وهى كما يلى :

« سمعت أبا عبد الرحمن بشرا يقول : كان في زمن المهدي صوفى ، وكان عاقلا عالما ورعا ، فتحقق ليجد السبيل الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان يركب قصبة في كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فاذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صيانه حكم ولا طاعة . فيخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلالا وينادى بأعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون ؟ أليسوا في أعلى عليين ؟ فيقولون نعم : فيقول : هاتوا أبا بكر الصديق . فأخذ غلاما فأجلس بين يديه ، فيقول : جزاك الله خيرا أبا بكر عن الرعية . فقد عدلت ، وقمت بالقسط ، وخلفت محمدا عليه الصلاة والسلام فأحسنتم الخلافة ... » . وهكذا يذكر الخلفاء الواحد بعد الآخر ويبين ما لهم وما عليهم ، حتى بلغ دولة بنى العباس ، فسكت . فقيل له : « هذا أبو العباس أمير المؤمنين . قال : بلغ أمرنا الى بنى هاشم . ارفعوا حساب

هؤلاء جملة واقدفوا بهم في النار جميعا » . (العقد الفريد ، ٦ ، ١٥٢ - ١٥٤) .

(٢٣٤٣) السامري . (انظر : المثنوى ، ١ ، البيت ٢٢٥٨ وشرحه) .
والشاعر هنا يحذر من اعتبار الجنون علامة من علامات الولاية . وهذه
الخرافة كانت منتشرة بين السذج حتى وقت قريب ، فكثيرا ما ظنوا
البله أولياء .

(٢٣٤٧) « لو أبصرت بعين اليقين لرأيت تحت كل مظهر متواضع
جنديا من جنود الله ، كما قد يجد المرء كنزا كان مختفيا تحت قطعة من
الحجر .

(٢٣٤٨) العين القادرة على ابصار اليقين لا يحجبها عن ادراك
جوهر العارف بساطة مظهره . انها ترى - في رداء كل صوفى - رجلا
يناجي ربه ويسمع منه ، شبيها بموسى الكليم .

(٢٣٥١ - ٢٣٥٣) « العَمى » في هذه الأبيات مستخدم بطريقة
رمزية . وهو يعنى هنا العجز عن معرفة الأولياء والمرشدين . فمن سلبت
المادية والحسية بصيرته ، وصرفته عن جوهر الروح ، لا يستطيع أن
يكشف هذه العلة في نفسه ، لأنه ذو بصيرة مظلمة ، فهو كالأعمى
الذى لا يعرف سارقه ، حتى ولو اصطدم به ذلك السارق ، على الطريق .
(٢٣٥٤) يبدأ الشاعر هنا حكاية تمثيلية صغيرة عن الأعمى الحكيم ،

والكلب العقور . وقد استخدم « العَمى » هنا في معناه الحسى . فالعمى
الحسى لا يقف حائلا دون الحكمة ، ولا يعوق صاحبه عن تحصيل
العرفان . وليس افتقاد البصر مؤديا - بالضرورة - الى الجهل ، لأن
بصيرة الروح أقوى وأعمق من ابصار العينين . والكلب العقور في هذه
الحكاية رمز للطاغية الظالم الذى يؤذى الدراويش الصالحين . « والعمى
الحسى » هنا يشير الى انصراف العارفين عما حولهم من المظاهر التى
تأسر الحس ، من غير أن يكون لذلك أثر على حكمتهم وعرفانهم ، بدليل

أن الدرويش الأعمى ، قد استطاع أن يخلص نفسه من الكلب الضارى .
(٢٣٦٢ - ٢٣٦٣) « الكلب العالم » رمز للمتعلق بالحس الذى
حصل شيئا من العلم . فمثل هذا يميز بين الكسب الحلال ، والكسب
الحرام .

(٢٣٦٤) قول الشاعر : « والكلب حين صار عالما أصبح سريع
الوثبات » ، يعنى أن المتعلق بالحس ، حينما حصل العلم ، تحقق له
بعض التحرر من سلطان الحس . وهو حين صار عارفا غدا من أصحاب
الكهف . والاشارة هنا الى كلب أصحاب الكهف الذى يشار اليه كثيرا
على أنه قد تحققت له مرتبة البشرية المكرمة ، وذلك بملازمته لأصحاب
الكهف . قال سعدى :

« ان ابن نوح عاشر الأشرار ، فضاع بذلك بيت نبوته . وكلب
أصحاب الكهف اقتفى أثر الصالحين بضعة أيام ، فصار كالنفس » .
(الكليستان ، الحكاية الرابعة) .

وانظر أيضا : المثنوى ، ١ ، ١٠٢٢ وشرحه .

(٢٣٦٥) « لقد غدا كلب (أصحاب الكهف) عارفا بخالقه ،
فيا الهى ، ما أعجب نور العرفان ، وما أقواه على كشف الحقائق ! » .
(٢٣٦٦) يبين الشاعر هنا أن افتقار بصر العينين لا يعنى فقدان
البصيرة .

(٢٣٦٨) قارون : (انظر : المثنوى ، ١ ، ٨٦٤ وشرحه) .

(٢٣٦٩) قول الشاعر : « ولقد رجفت لاهلاك كل دعى » يشير
الى قوله تعالى في قصة صالح : « فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم
جاثمين » . (٧ : ٧٨) . انظر : المثنوى ، ١ : ٢٥٠٩ - ٢٥٦٩ ، وشرح
هذه الأبيات .

أما قول الشاعر : « وفهمت من الحق قوله : يا أرض ابلعي
ماءك » ، فيشير الى قصة نوح والطوفان ، وكيف أطاعت الأرض أمر

ربها بعد الطوفان ، حين أمرها أن تبلع ماءها .

(٢٣٧٠ - ٢٣٧١) قد يعرف بعض الجماد عن الله أكثر مما يعرف

بعض عقلاء البشر . يستشهد الشاعر على ذلك بطاعة السموات والأرض

لأمر الله . (انظر أيضا : المثنوى ، ١ ، ٥١٢ - ٥١٣) .

(٢٣٧٢) هذا البيت يشير الى قوله تعالى : « انا عرضنا الأمانة على

السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

الانسان انه كان ظلوما جهولا » . (٣٣ : ٧٢) . انظر : المثنوى ،

١ ، ١٩٥٨ وشرحه .

(٢٣٧٣) يفسر الشاعر اعراض السموات والأرض والجبال عن

حمل الأمانة بأنه نفور من تلك الحياة التي يصبح فيها المخلوق شديد

السعى الى الخلق والبعد عن الحق .

(٢٣٧٤) ان الانقطاع عن الخلق يجعل المرء يتيما منفردا . لكن

مجرد الانقطاع عن الخلق لا يعنى الأنس بالله ، بل لا بد لذلك من قلب

سليم . والقلب السليم قد ذكر في القرآن الكريم مرتباً بإبراهيم

ال خليل . انظر الآيات : (٢٦ : ٨٩) ، (٣٧ : ٨٤) .

(٢٣٧٥ - ٢٣٧٨) « اللص » هنا رمز للشيطان ، أو للنفس الحسية

وشهواتها . والأعمى هو الانسان الذى لم يرزق الكشف الروحى .

ومعنى « الامساك باللس » مراقبة الشيطان ، أو النفس ، حتى يستطيع

المرء أن يتخلص من سلطان الشر .

(٢٣٧٩) « الجهاد الأكبر » هو جهاد النفس الأمارة بالسوء . فعلى

المرء أن يقوى في مراقبتها ومحاسبتها حتى يتخلص من آثارها السيئة .

(٢٣٨٠) النفس الحسية تغشى بصيرة الروح . وأولى مراحل

الابصار الروحى تكون بعد اخضاع تلك النفس .

(٢٣٨١) « أصحاب القلوب » هم المرشدون العارفون .

(٢٣٨٣) « الجماد » هنا رمز لمن تجرد من الحياة الروحية . وهو

المقابل المضاد لأصحاب القلوب .

(٢٣٨٤) عاد الشاعر هنا الى قصة « الحكيم الذي كان يتظاهر بالحمق » . وهى التى بدأها بالبيت ٢٣٣٨ .

(٢٣٨٥) قوله : « تخل عن حلقة الباب » يعنى لا تطرق الباب . وهذا القول — على لسان الحكيم — يعنى أنه ليس على استعداد للتباحث مع المستفسر ، فالباب لن يفتح ، لأن ذلك اليوم لم يكن يوم الأسرار . وهذا المعنى يتضح في البيت التالى . فالعارف لا يقبل على التعليم من أجل الكسب والزهو ، كما يفعل العلماء المقلّدون ، فقد يمر بحالات تجعله راغبا في العزلة والتأمل .

(٢٣٨٦) « لو كنت من علماء الحس المقلدين ، لكان سبيلى أن أجلس فوق دكان وأمارس التعليم » .

(٢٣٨٧) « المحتسب » هو الموظف الادارى الذى كان يناط به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومراقبة الأسواق والآداب العامة . وقد خصص فصل لبيان واجبات المحتسب في كتاب الأحكام السلطانية ، للماوردي ، وكذلك وصلت إلينا بعض كتب الحسبة ، ومن أهم مؤلفيها الشيزرى صاحب « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » ، ومحمد القرشي صاحب « معالم القربة في أحكام الحسبة » . وتضم الموسوعات العربية القديمة فصولا عن الحسبة ، ومن أهمها ما ورد في « نهاية الأرب » للنويرى .

(٢٣٩٢) طلب المحتسب الى السكران أن يقول (آه) ، حتى يشم أنفاسه ، لكن السكران لم يستجب له ، وأخذ يهتف « هو ، هو » ، وهو هتاف الصوفية عندما تتأهبهم سكرة الوجد .

(٢٤٠٠) عاد الشاعر الى قصة الحكيم الذى كان يتكلف الحمق .

(٢٤١٢) جاء في نص عربى لهذه القصة رواه صاحب العقد الفريد :

« البكر لك ، والثيب عليك ، وذات الولد لا تقربها » .

(٢٤٢٥) يقول الحكيم ان هذا الجنون الذى تظاهره به ، برغم اكتمال عقله ، يشبه أرضا خرابا تخفى في باطنها كنزا . فظاهرها يدعو الى الزهد فيها ، لكن باطنها عامر بالكنز النفيس .

(٢٤٢٦) « العسس » رمز للحكام الدنيويين الظالمين ، الذين يهرب منهم الصوفية ، ذلك لأن الصوفية لا يقبلون التورط فيما يرتكبه مثل هؤلاء الحكام من المظالم .

(٢٤٢٧) يقول هذا الحكيم انه لا يبيع علمه من أجل أغراض دنيوية عارضة ، فعلمه جوهر خالد ، وليس عرضا فانيا .

(٢٤٢٨) يعبر الحكيم في هذا البيت عن تساميه على الأغراض المادية . فقلبه الصافى يتلقى العرفان من الخالق ، وهو سعيد بهذا العرفان الذى يتكشف له .

(٢٤٣٦) « علم الكلام يتوقف ازدهاره على مقدار ما يلاقه من اقبال المستمعين . فهو علم يستمد وجوده من غرور أصحابه ، وحبهم للظهور ، وليست له حياة ذاتية » .

(٢٤٣٩) انظر : المشنوى ، ١ ، ١٧٥٠ وشرحه .

(٢٤٤٠) أى عطاء يقدر عليه أهل الدنيا ؟ وماذا يكون عطاؤهم اذا قيس بعطاء الخالق الوهاب ؟

(٢٤٤١) « أكل الطين » رمز للاسراف في التعلق بالمادية . ومن أصيب بمثل هذا الاسراف اعتل كيانه .

(٢٤٤٢) « غذاء الروح » هو الذى يجعل الانسان دائم الشباب . والروح ذاتها لا تشيخ ، أما الجسد فيشيخ ويفنى . وقول الشاعر : « اغتذ بقلبك » يعنى : اجعل غذاء الروح قوام وجودك .

(٢٤٤٨) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » . (١٦ : ٥٠)

(٢٤٤٩) الدعاء والصلوات - التي يرفعها البشر الى خالقهم - مستمدة من الخالق ذاته ، فهو الذى علمهم اياها ، فتساموا بها ، والا فان الوجود الانسانى الذى غلب عليه الحس لا تنبت منه هذه الصلوات . ان هذه الأفعال الروحية الصادرة عن البشر ، شبيهة بورود نبتت في رماد الموقد .

(٢٤٥٠) كرم الله أيضا هو الذى بث الفهم والادراك في اللحم والدم ، وجعل المعانى الفكرية المجردة متعلقة بكيان حسي .
(٢٤٥١) الابصار - كما يقول الشاعر - نور يفيض من العينين فتلاطم أمواجه السماء . وفي هذا تعبير عن اتساع البصر لكل هذه المشاهد المتجلية في السموات والأرض .

(٢٤٥٥) جنة الروح هي أصل السعادة ونبعها ومجلاها .
(٢٤٥٦) يعود الشاعر هنا الى قصة الرسول والصحابى المريض ، وهي القصة التى بدأت في البيت ٢١٤١ .
(٢٤٥٧ - ٢٤٥٨) انظر شرح البيت ٢١٤١ .
ويشير هذان البيتان الى نوع من صحابة الرسول تلقوا تعاليمه بتزمت . وهؤلاء هم الأصل في ظهور فرقة الخوارج التى بنيت تعاليمها على هذا التزمت في التفسير .

وقد أشار الشاعر الى هؤلاء من قبل . (انظر : المثنوى ، ١ ، ٣٦٦ - ٣٧٠) .

(٢٤٦٨ - ٢٤٧٠) انظر قصة هاروت وماروت . (المثنوى ، ١ ، شرح الأبيات ٣٣٢١ - ٣٣٥٤) .

وفي هذه الأبيات تفسير جديد للقصة ، هو أن هاروت وماروت آثرا أن يلقيا - في الدنيا - نصيهما من العذاب ، لقاء ما اقترفا من الاثم والخطيئة ، بدلا من معاناة ذلك في الآخرة .

(٢٤٧١) « ألم الدخان » رمز لعذاب الدنيا ، فهو بالقياس الى

عذاب الآخرة شبيه بالدخان ، اذا قيس بالنار .

(٢٤٨١) انظر حديث الرسول في شرح البيت ٢١٤١ .

(٢٤٨٤) كان موسى يريد أن يسير ببني اسرائيل الى الأرض المقدسة ، بعد أن خرجوا من مصر ولكنهم خافوا دخولها على من كان بها من الحكام والأقوام ، وجبنوا عن القتال . قال تعالى : « قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » (٥ : ٢٤) . فحزن موسى لذلك وشكاهم الى الله ، فكان عقابهم أن الله أوقعهم في التيه ، وحرم عليهم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة . قال تعالى : « قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » . (٥ : ٢٥ - ٢٦) .

يقول الزمخشري عن التيه : « التيه المفازة التى يتناه فيها . روى أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ ، يسرون كل يوم جادين ، حتى اذا سئموا وأمسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه فان قلت : هل كان معهم في التيه موسى وهارون عليهما السلام ؟ قلت : اختلف في ذلك ، فقليل لم يكونا معهم ، لأنه كان عقابا . وقد طلب موسى الى ربه أن يفرق بينهما وبينهم . وقيل : كانا معهم الا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة ، لا عقوبة ، كالنار لابراهيم » . (تفسير الكشاف ، ١ ، ٦٢٢ - ٦٢٣) .

ويمكن أن يفسر البيت تفسيراً رمزياً على أساس أن التيه رمز للعالم المادى الذى تاهت الأرواح فيه عن أصلها . وأن الرسول يرشد الأرواح في هذا التيه . وأن الاثم (وهو التعلق بملذات الدنيا ومتاعها) هو الذى يبقى الأرواح في التيه رهن البلاء .

(٢٤٨٥) مضمون هذا البيت شبيه بما أصاب قوم موسى حين

وقعوا في التيه ، فقد لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ (انظر شرح البيت السابق) .

(٢٤٨٦) استخدم موسى في هذا البيت رمزا لمحمد صلى الله عليه وسلم . وفي البيتين ٢٤٩٣ - ٢٤٩٤ تعليل لهذا الرمز .

(٢٤٨٧) « الموائد » التي كانت تنزل على بنى اسرائيل هي المن والسلوى . قال تعالى : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى » . (٢ : ٥٧) .

(٢٤٨٨) في البيت اشارة الى معجزة لموسى ذكرت في القرآن الكريم . قال تعالى : « واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » . (٢ : ٦٠) .

(٢٤٨٩) اذا غضب الرسول على قومه أصابهم العذاب . ولا يقتصر هذا على ما يصيبهم في الآخرة ، بل ان بعضه قد يصيبهم في الدنيا .

(٢٤٩٠) « القلبان » هما الرضى والسخط . والرسول يرضى عن قومه اذا أحسنوا ، ويغضب عليهم ان أساءوا . وكل انسان عرضة لحالى الرضى والسخط ، على مقتضى أفعاله .

(٢٤٩٣ - ٢٤٩٤) في هذين البيتين يعتذر الصحابي عن اتخاذ موسى رمزا للرسول في أعماله - وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين - فيقول انه فعل ذلك لأن مدح الحاضر مدعاة للخرج . فهذا الصحابي كان يدلى بهذه الأقوال في حضرة الرسول ، فلجأ الى الرمز ، والا فان موسى ذاته ما كان ليحيز أن يذكّر اسمه على أنه مثال للتعبير عن كمال محمد .

(٢٤٩٦) انتهى الكلام الموجه الى الرسول في هذا البيت .

(٢٤٩٧) بدأ الشاعر هنا مجموعة من الأبيات ، في مناجاة الله . فالصفات التي تضمنتها هذه الأبيات لا تصدق الا على الخالق . وليس من المستطاع أن تعرف ما اذا كان الشاعر يتحدث بهذه المناجاة حديثا

مباشرا ، أم أنه يجريها على لسان الصحابي الذي كان يكلم الرسول .
وهذا الأمر — على أية حال — لا يخلق صعوبة في فهم الآيات .

(٢٥٠٧) اشارة الى قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب
عليه انه هو التواب الرحيم » . (٢ : ٣٧) .

(٢٥٠٨) يصور جلال الدين الشيطان ملاعبا لآدم على رقعة
الشطرنج . وقد سبق له التعبير عن هذا المعنى بصورة لطيفة . (انظر
الآيات ١٢٩ — ١٣١) .

(٢٥١٤) انظر الآيات الكريمة : (٣٥ : ٤٣) ، (٤ : ٧٩) ،
(٤١ : ٤٦) .

(٢٥١٦ — ٢٥١٧) أول العلاج معرفة الداء . والشيطان وأمثاله قد
أعماهم الغرور ، فأصبحوا غافلين عن حقيقة أنفسهم . ولو أنهم فطنوا
لقبحها ، لكان ذلك بداية لسعيهم الى اصلاحها .

(٢٥١٨ — ٢٥٢٠) حين يتألم المرء لسوء حاله يكون ذلك بشيرا
بمولد روحى جديد . فالألم تشعر بالألم قبل ولادة طفلها . والمريد يشعر
بالألم لما فرط منه قبل انبثاق وعيه الروحى . لكنه بحاجة الى المرشد ،
ليعاونه على استنباط ذلك الوعى الروحى ، كما تحتاج الأم الى القابلة
في ولادة طفلها . وكل انسان قد انطوى قلبه على « الأمانة » ، وهى
القدرة على الايمان والعلم والمحبة . لكن النفس الحسية — بامعانها في
الشهوات واللذات — تحجب عن الانسان الوعى بهذه الأمانة . فالألم
من سوء حال النفس هو البداية لذلك الوعى . ونصائح المرشد ضرورية
لمعاونة المريد .

(٢٥٢١) من لم يحس بالألم كان طاغيا وتأله ، كما فعل فرعون
وأمثاله من الطغاة . وهو أيضا قاطع طريق لأنه يؤذى الأنبياء ، ويقطع
على الناس سبيل الاهتداء بهديهم .

(٢٥٢٤) اذا كان الاعتماد في معرفة المواقيت على أصوات الطير ،

فوجب قطع رأس الطائر الذى يصيح قبل وقته ، حتى يكون هناك تحقق من صدق الاعلام . والطائر الذى يصيح قبل وقته رمز للنفس الحسية التى تدفع صاحبها الى الغرور والاعتداد بذاته ، فيؤكد لها وجودا منفصلا عن خالقه .

(٢٥٢٦ - ٢٥٢٧) قتل النفس الحسية في الانسان شبيه باقتلاع الابرة من العقب ، أو الأنياب من الحية . فقتل النفس الأمانة بالسوء يهين للمرء النجاة بروحه . واقتلاع الابرة أو الأنياب يبعد خطر الموت عن العقب والحية ، وبذلك تتحقق لهما النجاة من القتل .

(٢٥٣٠) كل ما يتجلى في الروح فهو من الهام الخالق .

(٢٥٣٤) سبق للشاعر أن قدم تأويلا صوفيا لبعض آيات هذه السورة (انظر الأبيات ٢٩٥ - ٣٠١) .

ويفهم من هذا البيت - على ضوء الأبيات السابقة عليه - أن الله لا يتخلى عن عبده المؤمن النقى القلب ، مهما طال بالعبد انتظار الهام الخالق .

(٢٥٣٥ - ٢٥٤٣) يقدم الشاعر تفسيراً لخلق الشر في هذه الأبيات . فهو يقول ان خلق الله للشر دليل على كمال قدرته . فكأنه بذلك يقول ان الله هو الفنان الأعظم ، الذى يخلق الجميل ، ولا يعجز عن خلق القبيح .

(٢٥٣٧ - ٢٥٤١) أراد جلال الدين أن يقرب الى الأذهان معنى تجلى القدرة الكاملة في خلق الخير والشر ، فمثل لذلك بالفنان الذى يصور الجمال والقبح على السواء ، ويكون تصويره لهذا وذاك دليلاً على كمال فنه . فكأن جلال الدين بذلك قد ذهب الى أن الفن ليس مقصوراً على صنع الجمال ، بل هو أيضاً في القدرة على تصوير القبح . فالفن اذن هو الخلق ، وليس مقصوراً على صنع الجمال . وشاعرنا - بهذا الرأى - قد سبق شاعر الألمان جوته بمئات السنين .. فهذا

الأخير قد قال : الفن قوة مشكّلة قبل أن يكون جميلا ... وحين يكون كذلك ، يكون فنا صحيحا عظيما ، أصح وأعظم من الفن الجميل نفسه » . (انظر : كاسيرر : مدخل الى فلسفة الحضارة الانسانية . الترجمة العربية لاحسان عباس ، ومحمد يوسف نجم ، ص ٢٤٦) .

(٢٥٤٣) انظر : المثنوى ، ١ ، ٢٤٤٦ .

(٢٥٤٤ - ٢٥٤٥) كل من المؤمن والكافر يكون خاضعا لله ، لكن المؤمن يخضع عن طوعية ورضى ، وأما الكافر فيخضع مكرها . قال تعالى : «وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها» . (٨٣ : ٣) . وقال : « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها » . (١٣ : ١٥) .

(٢٥٤٦) الكافر قد يعمر الأرض ، ويبذل في ذلك جهده ، ولكن عمله هذا لا يكون في سبيل الله ، بل من أجل نفسه ، وغروره الذاتي . فهو يدعى الامارة على ما هو ملك الخالق .

(٢٥٤٧) يظن الكافر الباغي أنه قد تملك الأرض بطغيانه . ولكن كل شيء يؤول الى الخالق في نهاية الأمر . قال تعالى : « انا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون » . (١٩ : ٤٠) .

(٢٥٤٩) الكافر القبيح الأفعال يتخذ من الجبر حجة يبرر بها سوء عمله . فهو يعزو ذلك الى ارادة الله ، الذي لو شاء لخلقه من الأخيار الصالحين .

(٢٥٥٠) الصالح الخير ينسب حسن فعله الى الله ، ويشكره على ما وهبه من هداية لتجنب الأخطاء .

(٢٥٥١) استأنف الشاعر من جديد قصة الرسول والصحابي

المريض .

(٢٥٥٢) يتضمن هذا البيت نظما لآية كريمة ، كان الرسول قد علم صاحبه المريض أن يدعو بها ربه ، هي قوله تعالى : « ربنا آتنا في الدنيا

حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . (٢ : ٢٠١) .

انظر نص الحديث في شرحنا للبيت ٢١٤١ .

(٢٥٥٣) « ما دمت أنت مقصدنا — أيها الخالق الكريم — فهون

علينا أهوال الطريق ، واجعل طريقنا اليك لطيفا كالبلستان » .

(٢٥٥٤ — ٢٥٥٥) قول الشاعر : « ألم تكن النار طريقا مشتركا »

يشير الى قوله تعالى : « وان منكم الا واردها كان على ربك حتما

مقضيا » . (١٩ : ٧١) .

(٢٥٦٩) في البيت اقتباس من قوله تعالى : « هل جزاء الاحسان

الا الاحسان » . (٥٥ : ٦٠) .

(٢٥٧٤ — ٢٥٧٥) ان المحبين يحترقون بنار المحبة ، يجذبهم اليها

نور وجه الحبيب ، فيندفعون نحوها كما يندفع الفراش نحو الشموع .

(٢٥٧٦) بدأ الشاعر هنا يوجه الخطاب الى المريد ، ويبين فضل

المرشد على المريد . فالمرشد نور يغمر المريد ، وهو مجن يقيه محنة

العالم الحسى وبلاءه .

(٢٥٧٨) شبه الشاعر المرشد بالأفق السماوى ، والمريد بالكوكب

الذى يتعلق بهذا الأفق .

(٢٥٧٩) عطارد كاتب الفلك ، فهو الذى يفتح دفتر الفلك ويسجل

به الأحداث ، والمرشدون يفتحون لك دفتر القلب ليكشفوا لك خفى

الأسرار .

(٢٥٨٠) دعك من الحيرة ، والتحق بذوى قرباك من أهل القلوب .

وان كنت قطعة من النور ، فالتحق بالكل الذى أنت منه .

(٢٥٨١) « لماذا يكون اجتنابك للمرشدين العارفين ؟ وما هذا

التخلى عنهم والامتزاج بالمخالفين ؟ »

(٢٥٨٢) يعبر هذا البيت عن نظرية الفيض المستمدة من الأفلاطونية

المحدثة . يقول اخوان الصفاء : « ان الأشياء كلها بأجمعها صور وأعيان

غيريات أفاضها البارى تعالى على العقل الفعال ... ومن العقل على النفس الكلية الفلكية التى هى نفس العالم بأسره ومن النفس الكلية فاضت على الهيولى الأولى ومن الهيولى على النفس الجزئية البشرية فمن أراد أن يعرف صور الأشياء في النفس الكلية قبل فيضها على الهيولى ، فليعتبر صور مصنوعات البشر ، كيف تكونها في نفوسهم قبل اظهارهم لها في الهيولات الموضوعة لهم في صناعتهم ومن أراد أيضا أن يعرف كيف كانت صور الأشياء في العقل الفعال قبل فيضه على النفس الكلية ، وكيف كان قبولها تلك الرسوم والصور ، فليعتبر حال رسوم المعلومات التى في أنفس العلماء ومن أراد أيضا أن يعرف حال المعلومات في علم البارى عز وجل ، قبل فيضه على العقل ، فليعتبر حال العدد كيف كان في الواحد الذى قبل الاثنين » . (رسائل اخوان الصفاء ، ١ ، ٣٩٨ - ٣٩٩) .

لقد انتقد الشاعر - في البيت السابق - اجتناب الجزء لكله ، واندفاعه الى ما يصرفه عن هذا الكل . ثم بين في هذا البيت الصلة بين الواحد وبين الكثرة ، وكيف يتوالى الفيض حتى تتحول الأجناس الى أنواع ، وتصير المغييات الروحية أعيانا حسية ملموسة .

(٢٥٨٣) من خدعه ظاهر الحس ومغرياته عن حقيقة جوهره ، كان كالنساء يخدعن معسول القول ، وكاذب الثناء .

(٢٥٨٤) هذا المغتر بالكذب والخداع ، يحرص عليهما حرصه على الذهب .

(٢٥٨٥) ان ما قد يلقاه المريد من تعنيف المرشد وقسوته خير له من كذب المدح وزائف الثناء .

(٢٥٩٦) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » . (٢٩ : ٦٤) .

(٢٦٠٤) يبدأ الشاعر هنا قصة عن معاوية وابليس ، خلاصتها أن ابليس أيقظ معاوية في وقت الصلاة ، فشك معاوية في اخلاصه ، وظل يحاوره حتى كشف خبث سريرته ، وأنه ما قصد من ذلك الى خير .

وقد أبدى نيكولسون شيئا من العجب ازاء اختيار الشاعر لشخصية معاوية في هذه القصة ، برغم ما عرف عن الأمويين من اقبال على الدنيا وبعد عن الزهد ، ثم التمس للشاعر عذرا في ذلك ، هو أن معاوية كان من صحابة الرسول ، كما أن الرسول أيضا تزوج أخت معاوية .

ورأى أن اختيار معاوية هنا لم يكن لمكائنه في الاسلام فحسب ، وانما لما كان يعرف به معاوية من دهاء وسعة حيلة . فلقد وضع الشاعر — في القصة — داهية لا يسهل خداعه ، في مواجهة الشيطان ، فطال بذلك الحوار بين هذين المتصارعين ، واستطاع الشاعر أن يملأه بكثير من الصور الفنية الرائعة ، والمعاني التي تكشف عن قدرته في تصوير الصراع ، والتعبير عن وجهات النظر المتعارضة ، حتى ولو كان الشيطان — عدو الانسانية الأكبر — يمثل أحد الجانبين المتصارعين .

وقد أورد فروزانفر نصوصا تعبر عن الفكرة الأساسية لهذه الحكاية ، بايجاز ، وبدون أى تصوير فنى ، مما يجعل عمل جلال الدين ابداعا مستقلا لا يكاد يدين بشيء لمثل هذه النصوص . وفيما يلي مثال للصور التي وردت بها هذه القصة :

« يروى أن رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة . فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص فأيقظه وقال : قم فان الجدار ها هو يسقط . فقال له : من أنت الذى اشفقت علىّ هذه الشفقة . فقال له : أنا ابليس . فقال : كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة . فقال : هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله ، فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم

ما ينالون » . (عن قصص الأنبياء للثعلبي ، ص ٣٦ . انظر أيضا : فروزانفر :
مأخذ قصص ، ٧٢ - ٧٣) .

(٢٦٢٠) « ختن (بضم أوله وفتح ثانيه ، وآخره نون) : بلد
وولاية دون كاشغر ، ووراء يوزكند ، وهي معدودة من بلاد تركستان .
وهي في واد بين جبال في وسط بلاد الترك ، وبعض يقول بتشديد
التاء » . (ياقوت : معجم البلدان ، مادة ختن) .

(٢٦٣٥ - ٢٦٣٧) هذه الآيات تعبر عن معنى حديث قدسي ينقل
عن الرسول أنه روى عن الله قوله : « انما خلقت الخلق ليربحوا عليّ » ،
ولم أخلقهم لأربح عليهم » .

(٢٦٤٠) يجادل ابليس قائلا : انه لا ينظر الى سبب ضلاله ، وهو
عصيان الخالق بالامتناع عن السجود لآدم ، ولا الى الجزاء الذي وقع
من جراء هذا العصيان ، وهو غضب الخالق .

(٢٦٤١) الخالق لطيف رحيم ، سبقت رحمته على غضبه . وابليس
ينظر الى ذلك اللطف الأزلي ، ولا يصرفه عن ذلك ما أصابه من غضب
الله نتيجة لعصيانه . ان العصيان حادث ولا اعتبار للحادث اذا قيس
بالأزلي .

(٢٦٤٢ - ٢٦٤٤) ساق الشاعر على لسان ابليس حجة أخرى
يعتذر بها عن عصيانه ، خلاصتها أن هذا العصيان جاء نتيجة لحبه
للخالق ، وحرصه على أن يكون التقديس له وحده ، وغيرته من أن يظهر
آدم بمنزلة تفوق ما كان لابليس من منزلة عند الخالق .

(٢٦٤٥) يقول ابليس : « ان الخالق قد قدر على العصيان منذ الأزل ،
ولهذا لم يكن في وسعي أن أفعل سوى ذلك » . (انظر : المثنوى ، ١ ،
١٤٨٨) .

(٢٦٤٧) يدعى ابليس أنه - برغم ما يقاسيه من قهر وخذلان -
ينعم بالمحبة الالهية .

(٢٦٤٨) « الجهات الست » رمز للحواس الخمس ، والحس المشترك ، (وهو الحس الذى تدرك به الصورة) . والمراد أن التخلص من سلطان الحواس الست أمر بالغ العسر . وقد شُبِّهت الحواس الست بالأقسام الستة في لوحة النرد ، فالوقوع تحت سلطان الحواس يحدث الهزيمة ، وكذلك احتباس أحجار لاعب النرد في « الخانات » الست يؤدى الى هزيمته .

وحاصل المعنى أن المرء لا يستطيع أن يجرى في ستة اتجاهات في وقت واحد .

وحديث ابليس هنا يبدو وكأنه صادر عن انسان ذى حواس . ولا غرابة في ذلك ، فأسير الحواس عند الصوفية صنو ابليس .

(٢٦٤٩) أعتقد أن المقصود « بجزء الستة » هنا هو الحس المشترك (الذى تدرك به الصور) . فمثل هذا الحس لا يصلح سبيلا الى معرفة روحية ، ما دام يستمد كل مدركاته من الحواس . فلا قدرة لهذا الحس المشترك على التخلص من سلطان العالم الحسى .

(٢٦٥٠) كل من كان واقعا تحت سلطان الحواس فهو في جحيم لا يخلصه منه سوى الخالق القدير .

(٢٦٥٨) شبه معارف ابليس بالصفير الذى يحدثه الصياد ليوقع الطيور . فالناس ينخدعون بحديث ابليس ، كما تنخدع الطيور بصفير الصياد .

(٢٦٦١) ان سيطرة الشيطان على قوم نوح جعلت هؤلاء يعصون نبيهم هذا ، فحل بهم غضب الله وأغرقهم الطوفان .

(٢٦٦٢) انظر : المثنوى ، ١ ، ٨٥٤ - ٨٥٥ وشرحهما .

(٢٦٦٣) في البيت اشارة الى قصة قوم لوط ، وكيف هلكوا من جراء ما كانوا يتعلقون به من الآثام . قال تعالى : « وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » (١٥ : ٧٤) . وقال أيضا : « وأمطرنا عليهم مطرا فساء

مطر المندرين » . (٢٦ : ١٧٣) . ولقد كان هلاك قوم لوط بحجارة أمطرتها عليهم السماء . أما وصف الشاعر لقوم لوط بأنهم « غرقوا في المياه السوداء » ، فلعل ذلك اشارة الى ما أصابهم من عسى ، جاء ذكره في قوله تعالى : « ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم » . (٥٤ : ٣٧) .

(٢٦٦٤) انظر المثنوى ، ١ ، ١١٨٩ وشرحه .

(٢٦٦٥) فرعون ، الملك الذكى القادر ، صار عديم الفهم من جراء مكر الشيطان ، فلم يستمع الى رسالة السماء .

(٢٦٦٦) أبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب ، عم الرسول . كان من أشد أقرباء الرسول عداوة له . يقول البلاذرى : « لما نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم : « وأنذر عشيرتك الأقربين » (٢٦ : ٢١٤) ، اشتد ذلك عليه ، وضاق به ذرعا ، فمكث شهرا أو نحوه جالسا في بيته ، حتى ظن عماته أنه شاك ، فدخلن عليه عائدات . فقال : ما اشتكيت شيئا ، ولكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، فأردت جمع بنى عبد المطلب لأدعوهم الى الله . قلن فادعوهم ، ولا تجعل عبد العزى فيهم — يعنين أبا لهب — فانه غير مجيبك الى ما تدعوه اليه » . وتاريخ أبى لهب وامرأته ابان الدعوة حافل بالكيد والعداء المرير لرسول الله .

وقد نزلت في ذمهما سورة من القرآن الكريم ، وهى سورة المسد ، (١١١) أما أبو جهل ، فهو أبو الحكم عمرو بن هشام ، وكان من أشد الكفار عداء للرسول . (انظر : المثنوى ، ١ ، ٢١٥٤ — ٢١٦٠ ، والشرح)

(٢٦٧٠) في البيت اشارة الى قوله تعالى (حكاية عن ابن نوح) : « قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم » . (١١ : ٤٣) . العصمة وحدها هى التى تنجى الانسان من مكر الشيطان ، كما كانت رحمة الله هى المنقذ الوحيد يوم طوفان نوح .

(٢٦٧٣) يدعى ابليس أنه محك لتمييز الخير من الشر . وهو بهذا يجعل نفسه على مستوى الأنبياء . (انظر المثنوى ، ٢ ، ٢٨٤ - ٢٨٧) .
وابليس - من هذه الناحية - محك سلبيّ فهو يدعو الى الشر ، وبهذا يتبين الشرير من الخير ، على العكس من الأنبياء ، فهم يدعون الى الخير ، فيتميز الخير من الشرير .

(٢٦٧٤) « ليس الشر من صنعى ، بل هو كامن في النفوس التى تستجيب لى . وقيمة هذه النفوس تظهر على حقيقتها باستجابتها لى ، فكأنما أنا صيرفى حدد قيمتها » .

(٢٦٧٥) الشيطان يظهر السبيل للطيبين ، فهو يجعلهم شهودا لما حاق بالعصاة الهالكين من سوء المصير . وهو الذى يقود العصاة الى نهايتهم .

(٢٦٧٦) « ألوان العلف » ، هى ألوان المغريات التى يظهرها ابليس للناس .

(٢٦٨٢) الأبر هو من لا يكون له أثر من نسل ولا ذكر حسن . والمقصود هنا أن من عاش حياة حسية ، فلن يكون لحياته أثر ، فكل ما هو حسى فمآله الى الفناء .

(٢٦٨٤) ان الخير والشر - برغم اختلافهما - يقومان بعمل واحد ، هو التمييز بين الأخيار والأشرار . فكما يظهر الانبياء الاخيار من الأشرار ، كذلك يظهر الشيطان الأشرار وهم الذين يلبون نداءه ، والأخيار وهم الذين لا يستجيبون لاغرائه .

(٢٦٨٦ - ٢٦٨٧) في هذين البيتين يتضح الفرق بين فكرة الشيطان في الاسلام وسائر الأديان السماوية من جهة ، وبين تلك الفكرة في الأديان الثنوية من جهة أخرى . فبينما تؤمن الأديان الثنوية بقدرة الشيطان على الخلق ، ومقاومته لارادة الله ، تنفى الأديان السماوية عن الشيطان القدرة على الخلق ، وتنفى عنه أية قدرة على مشاركة الله في ملكه .

(٢٦٨٨) اشارة الى حكاية صغيرة وردت بصور متعددة في مصادر أخرى . (انظر : فروزانفر : مآخذ قصص وتمثيلات ، ص ٧٤) . وتعتبر احدى الروايات العربية عن هذه القصة كما يلي : « ومر أعرابي بمرآة ملقاة في مزبلة ، فنظر وجهه فيها ، فاذا هو سمج بغیض ، فرمى بها ، وقال : ما طرحتك أهلك من خير » .

(٢٦٩٠) هنا يعود ابليس الى ادعاء صفات لنفسه شبيهة بصفات الأنبياء . فالنبي هو الشاهد على الخلق ، وليس ابليس .
(٢٦٩٢) يدعى ابليس أنه يقتلع الفساد من الأرض حتى يسودها
الصلاح !

(٢٦٩٣ - ٢٦٩٦) الشجرة الذابلة هنا رمز لاستقامة الظاهر وفساد الباطن . فهذه الشجرة تقف مستقيمة كغيرها من الأشجار لكنها في الحقيقة ذابلة جافة . واستقامتها الظاهرية لا تشفع لها في البقاء ، بل ان ابستاني يستأصلها . وهكذا جال من استقام ظاهريهم ، وفسد باطنهم .
(٢٧٠٢ - ٢٧٠٣) ان ابليس يدور حول الانسان ، متظاهرا بأنه يريد مؤازرته ، على حين أنه لا يريد له الا الهلاك . فهو مثل قاطع الطريق ، يسلب ، ولا يشتري . وان تظاهر بالشراء كان ذلك كيدا وخداعا .

(٢٧٠٦) « ان لم تأخذ بيدي غدوت مجللا بسواد الاثم والخطيئة » .
(٢٧٠٨) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة » . (٢ : ٣١) .

فآدم - وهو الذي تعلم من الحق - وقع ضحية لخداع ابليس .
(٢٧١٠) في البيت اشارة الى قصة سقوط آدم وندمه . قال تعالى حكاية عن آدم وزوجه : « قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . (٧ : ٢٣) .

(٢٧١٨ - ٢٧٢٠) يقول ابليس : « ان النفس الأمانة بالسوء تقود

الانسان الى ارتكاب الخطايا ، حتى يسوء من جراء ذلك حاله . وهو يلعن ابليس ويعزو اليه ما أصابه ، والواقع أن نفسه هي التي جلبت عليه الوبال ، وهو غافل عن خداعها .

(٢٧٢٢) يشير البيت الى معنى المثل القائل : « ألية في برية ما هي الا لبلية^(١) » . فأذناب الخراف كانت توضع في أشراك لاصطياد الوحوش الكاسرة .

(٢٧٢٤) في الشطر الأول من هذا البيت نظم لمثل عربى معروف نصه : « حبك الشئ يعمى ويصم^(٢) » .

(٢٧٢٦) « انى منتظر أن يكشف الله عنى ما غشيني من ليل الاثم والخطيئة » .

(٢٧٥٨) يقول معاوية لابليس : « هأنذا قد كشفت زيفك وألزمتك الحجة ، فلتقل الصدق ... » .

(٢٧٦٥) قول الشاعر : « فنطق ابليس من تحت أسنانه » ، يعنى أن ابليس أرغم على البوح بسره .

(٢٧٧٠) « ان احساس العبد بالحسرة على فرض فاته أداؤه ، وأساه المنبثق من اخلاص روحه ، ربما كانا مما يعدل عند الله مائة صلاة » .

هذا هو المعنى الذى عبر عنه البيت . وهو مرتبط بنصوص صوفية سابقة . ومن أمثلة ذلك ما نقله أبو نعيم الاصفهاني . قال : « ان الشيطان يزین للعبد الذنب حتى يكسبه ، فاذا كسبه تبرأ منه ، ولا يزال العبد يبكى منه ويتضرع الى ربه ، ويستكين ، حتى يغفر له ذلك الذنب وما قبله ، فيندم الشيطان على ذلك الذنب ، حين أكسبه اياه ، فغفر له الذنب وما قبله » . (حلية الأولياء ، ٣ ، ٣٣٥) . وقال أيضا : « ان

(١) الميدانى : مجمع الامثال ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

العبد ليعمل الذنب ، فاذا ذكره أحزنه ، فاذا نظر الله عز وجل اليه قد أحزنه ، غفر له ما صنع ، قبل أن يأخذ في كفارته ، بلا صلاة ولا صيام .
ومما يجب الانتباه اليه هنا أن التقصير الذى يثقاب بمثل هذا الغفران هو تقصير غير مقصود ، كالنوم حتى يفوت موعد الصلاة ، كما هو واضح من قصة ابليس ومعاوية ، في رواية الشاعر ، وكما يتضح أيضا من القصة التى يرويها الشاعر في الأبيات التالية (٢٧٧١ - ٢٧٧٩) .
(٢٧٨٨) « انتى روح مؤمنة ، لا يملكنى سوى الحق ، فأنا كالباز الأبيض ، لا يصيدنى الا المليك ، وليس لصياد الذباب قدرة على اصطيادى » . وصياد الذباب هنا رمز للشيطان ، كما أن تشبيهه ضعاف النفوس المتهاكين بالذباب يصور هؤلاء تصويرا رائعا ، يعبر عن ضعفهم وتراهمهم ، وتهالكهم على اللذات المهلكة ، وسرعة هلاكهم ، ثم زوالهم الكامل .

(٢٧٩٣ - ٢٨٠٧) ساق الشاعر في هذه الأبيات قصة يمثل بها لخداع الشيطان الذى يصرف الانسان من الحقيقة الى الوهم . ففى القصة نرى رجلا يطارد لصا حتى يوشك على الامساك به ، فيناديه لص آخر بطريقة مثيرة ، فيتراخى في القبض على اللص ، ويتجه نحو المنادى ، وهناك يخبره اللص الآخر بأنه يريد أن يريه آثار قدمى اللص الهارب .
وقد استطرد الشاعر من هذه القصة الى الحديث عن « العلم اليقيني » وهو - في نظره - العرفان الصوفى ، و « العلم الوهمى » ، ويقصد به علم الكلام وما شاكله .

(٢٨١١) العلم الدنيوى مرتبط بالحس ، أما العلم اليقيني فقد تحرر من الحس .

(٢٨١٢) يشير الشاعر في هذا البيت الى درجات ثلاث من المعرفة . أولاها ادراك الصنع ، وهذا ما تتيحه للانسان معارف الحس . والثانية

معرفة الصفات الالهية ، وتلك هى الأسباب الكامنة وراء الصنع ، فمثل هذه المعرفة تشغل المتكلمين ، الذين يقفون عند حد الأسباب والعلل . وأما الثالثة فهى معرفة الذات ، وهى التى ينشدها الصوفية العارفون . وقد يفهم البيت على أساس ترجمة أخرى يسمح بها النص وهى : « ان المحجوب (عن الذات) يرى أن الصنع (ينبثق) من الصفات ، فمن أضعاف الذات ، يتعلق بالصفات » . فالمعنى — على أساس هذه الترجمة — يشير الى أن هناك نوعين من المعرفة ، أحدهما هو الفكر العقلى القائم على الأسباب والعلل ، وثانيهما هو العرفان الروحى ، المستند الى الذات الالهية وحدها .

(٢٨١٣) « الواصلون الغارقون في الذات » هم الصوفية . وهؤلاء قد ركزوا نظرهم في الذات ، فصرفهم ذلك عن الصفات . فعندهم أن من عرف مسبب الأسباب ، هانت عليه معرفة الأسباب .

(٢٨١٤) من غاص الى أعماق أعماق العرفان لم تعد تهمة القشور ، فهو كمن غاص الى قاع البحر ، فلم يعد بصره متعلقا بلون الماء .

(٢٨١٥) من أدرك العلم اليقينى ، ثم عاد منه الى بحث الأسباب والعلل ، فهو شبيه بمن أخذ ثوبا خشنا لقاء فراء .

(٢٨١٦) كل انسان تكون عبادته على قدر عرفانه وادراكه . فظاعة العوام — التى تقتصر على أداء الفروض من غير ادراك لجوهرها ومعناها — تعد اثما في نظر الخواص . وما يحسبه العوام كشفا الهيا ، وشهودا روحيا ، فهو عند العارفين حجاب .

(٢٨١٧) ان من وصل الى مقام القرب ، ثم هبط الى منزلة أدنى من ذلك ، يشبه من كان وزيرا ثم جعله الملك محتسبا .

(٢٨١٨) يذكّر في تفسير هذا البيت قوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (١٣ : ١١) .

(٢٨٢١ — ٢٨٢٤) في هذه الآيات تعبير عن قدرة الانسان على

تحديد مصيره بعمله . فيجب على المرء ألا يعزو ما يحقق به من سوء المصير الى ما يسمى عادة « بالقسمة » أو « النصيب » بل عليه أن ينظر الى عمله ، ويلتمس فيه تفسيراً لمصيره .

ويؤيد معنى هذه الآيات قوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » . (٤ : ٧٩) .

(٢٨٢٥) يبدأ الشاعر هنا قصة « مسجد الضرار » . وقد أشار إليها القرآن الكريم ، في قوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وأرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » . (٩ : ١٠٧ - ١٠٨) .

وقصة مسجد الضرار مشهورة . وقد وردت في كافة كتب التفسير بصور متقاربة . وننقل فيما يلي نصاً لهذه القصة عن ابن فضل الله العمرى في كتابه مسالك الأبصار (ج ١ ، ص ١٢٩ - ١٣٠) :

« روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء - وكان يأتهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويصلى فيه - حسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف . وقالوا : بنى مسجداً ونرسل الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلى فيه ، ويصلى فيه أبو عامر الراهب ، اذا قدم من الشام ، ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم . زعموا . وأبو عامر هو الذى سماه النبى (صلى الله عليه وسلم) الفاسق . وقال لرسول الله : لا أجد قوماً يقاتلونك الا قاتلتك معهم . فلم يزل يقاتله الى يوم حنين . فلما انهزمت هوازن خرج هارباً الى الشام . وأرسل الى المنافقين أن استعدادوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، فانى ذاهب الى قيصر ، وآت بجنود ، ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة » .

أما القسم الذى صورته جلال الدين من هذه القصة فهو ما يلى :

« فبنوا مسجد الضرار الى جانب مسجد قباء ، وقالوا للنبي :
بنينا مسجدا لدى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية . ونحن نحب
أن تصلى لنا فيه ، وتدعو لنا بالبركة » . فقال (صلى الله عليه وسلم) :
« انى على جناح سفر وحال شغل . واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه » .
فلما قفل من غزوة تبوك ، سألوه اتيان المسجد ، فنزل قوله (تعالى) :
« والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا » الى قوله : « لا تقم فيه
أبدا » . فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن
ووحشى قاتل حمزة ، فقال لهم : « انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله ،
فاهدموه واحرقوه » . ففعلوا . وأمر أن يجعل مكانه كناسة تلقى فيها
النجيف والقمامة » .

(٢٨٢٩) قول الشاعر : « وزينوا أرضه وسقفه وقبته .. » ، يجب
ألا يؤخذ على معناه الحرفى ، ففن انشاء القباب لم يكن قد انتقل الى
الحجاز في عهد الرسول .

(٢٨٣١ — ٢٨٣٣) جاء في قصة « مسجد الضرار » أن المنافقين
خاطبوا الرسول قائلين : « بنينا مسجدا لدى العلة والحاجة ، والليلة
المطيرة والشاتية ، ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة » .
(انظر القصة في شرح البيت ٢٨٢٥ من هذا الكتاب) .

(٢٨٣٥) قول الشاعر : « وان صحبة الاخوان لتجعل المر حلوا » ،
قد بدا لبعض الشراح محتاجا الى التأويل ، لأنهم فهموا من قوله
« تجعل المر حلوا » أن الجماعة تخفف مرارة العبادة . والواقع أنه لا
داعى لهذا التأويل ، وينبغى أن يفهم هذا القول على معناه الحرفى بدون
تأويل ، فتزول بذلك الصعوبة في فهمه . وما دامت صحبة الاخوان تجعل
المر حلوا ، فمن الطبيعى أنها تزيد الحلو حلاوة . فالعبادة تزداد بالجماعة
حلاوة وتأثيرا في النفس .

(٢٨٤٠ - ٢٨٤٣) من الصور الرائعة في هذه الأبيات تشبيه اللطف الذي ينطق به اللسان - بدون اخلاص من القلب - بالخضرة فوق رماد المواعد ، وكذلك تصوير اللطف الزائف بأنه جسر مهدم ، لا يمكن الركون اليه .

(٢٨٥٤ - ٢٨٥٦) تعبر هذه الأبيات عن معنى الحديث الذي يروى عن الرسول قوله : « انما مثلى ومثل أمتى كرجل استوقد نارا فجعلت الدواب والقراش تقعن فيها وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون » . (انظر : المنهج القوى ، ٢ ، ٥٥٧) .

(٢٨٦٠) قول الشاعر : « لقد بنوا مسجدا على جسر النار » ، مقتبس بمعناه من قوله تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين » . (٩ : ١٠٩) .

(٢٨٦١) جاء في مسالك الأبطار للعمري (ص ١٣٠) نص يروى عن عطاء قوله : « لما فتح الله الأمصار على عمر أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه » . (٢٨٦٢) المقصود باليهودي في هذا البيت هو أبو عامر الراهب . (انظر قصة مسجد الضرار ، شرح البيت ٢٨٢٥ من هذا الكتاب) . (٢٨٦٣ - ٢٨٦٤) انظر نص قول الرسول في قصة مسجد الضرار .

شرح البيت ٢٨٢٥ .

(٢٨٧٢) قال تعالى : « اتخذوا أيمانهم جنة » . (٥٨ : ١٦) ، (٦٣ : ٢) . والجنة هي الوقاية . فهؤلاء المنافقون قد احتموا بالآيمان الكاذبة ، واستتروا وراءها .

(٢٨٨٣ - ٢٨٨٤) اشارة الى قوله تعالى : « فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين » . (٢٨ : ٣٠) .

(٢٩٠٣) يشير الشاعر هنا الى « القليس » وهى كنيسة بناها أبرهة، القائد الحبشى الذى فتح اليمن ، قبل ظهور الاسلام بفترة وجيزة . يقول ياقوت : « وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة ، وجشمهم فيها أنواعا من السخرة ، وكان ينقل اليها آلات البناء كالرخام المجزع ، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس ، صاحبة سليمان ، عليه السلام ، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس ولما استتم أبرهة بنيان القليس كتب الى النجاشى : انى قد بنيت لك - أيها الملك - كنيسة لم يثن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنتته حتى أصرف اليها حج العرب » . (معجم البلدان ، ٤ ، ٣٩٤ - ٣٩٥) .

ويقال ان رجلا من العرب غضب - حين سمع بذلك - وتوجه الى الكنيسة ، ودخلها ولوثها . فلما علم بذلك أبرهة ، جهز جيشا وسار لهدم الكعبة ، فكانت قصة الفيل التى رواها القرآن الكريم . (انظر : المصدر السابق) .

(٢٩١١) الجمل الضال في القصة رمز للحكمة الروحية التى ينشدها المرید ، فالحكمة ضالة المؤمن .

(٢٩١٥ - ٢٩٢٢) ان ملتزم الحكمة عند علماء الدنيا شبيه بمن أضاع جملا ، ثم أخذ يسأل عنه العوام ، فكان كل منهم يدلّه عليه ، بأسلوب يخالف أسلوب الآخرين ، طمعا في مكافأته . فهذا التناقض في الارشاد الى الجمل الضائع ، شبيه بتناقض الباحثين في الارشاد الى الحقيقة ، وبخاصة حين يكون هؤلاء من علماء الحس . ويتبين مغزى هذه الصورة في أبيات تالية . (٢٩٢٣ - ٢٩٢٦) .

(٢٩٢٦) « كل منهم يشير الى الحقيقة بأقوال توهم أنه عارف بها ، عليم بجوانبها » .

(٢٩٢٧) هؤلاء الباحثون الضالون يطلبون الحق ، فيهتدون الى باطل يحسبونه حقا .

(٢٩٢٨) لا أحد يطلب الباطل لذاته . فالذين يقبلون النقد الزائف ، يكون قبولهم له على أساس أنه نقد صحيح .

(٢٩٣١) المستقيم السويّ يسوغ للأعوج وجوده . فالجاهل يتقبل الأعوج ، على أنه مستقيم ، والجهل هو الذي يجعل الأعوج مستقيما في نظره . ان الأمل في الصالح يسوغ قبول الطالح ، كما يجعل السكر السم سائغا لمن يجهل حقيقته .

(٢٩٣٥) لقد احتجبت الحقيقة بين الأباطيل ، كما احتجبت ليلة القدر بين الليالي . واحتجاب الحقيقة بين الأباطيل يلقي على الروح مسؤولية اكتشافها ، وكذلك الحال بالنسبة ليلية القدر . فمن المعروف أنها احدى الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان . فالروح التي تطمح الى اكتشافها قمينة بأن تسهر الليالي لعلها تصادفها .

وقد ذكرت ليلة القدر في القرآن الكريم على أنها الليلة التي بدأ فيها نزول القرآن الكريم . قال تعالى : « انا أنزلناه في ليلة القدر » . (٩٧ : ١) .

(٢٩٣٧) بين المتظاهرين بالزهد يكون هناك زاهد صادق . والبحث الدائب هو الذي يهدي الى حقيقة مثل هذا الزاهد .

(٢٩٣٩) من مزايا وجود الباطل أنه محك لقدرة الروح على اكتشاف الحق . فلو لم توجد في هذه الدنيا سلع معيبة لكان من الميسور لجميع البله أن يصبحوا تجارا .

(٢٩٤٣) تجارة الأنبياء ذات طبيعة روحية ، وهي تحقق ربحا جوهريا . أما تجارة الحس فلا تجيء بربح حقيقى . وقول الشاعر : « تجار الألوان والروائح » يرمز للمتعلقين بالمادة ، المنصرفين الى لذات الحس .

(٢٩٤٦ - ٢٩٤٧) بدأ الشاعر هنا يتحدث عن وجوب امتحان كل شيء حتى يظهر ما فيه من خير ومن شر . فما دامت الحقيقة قد اختلطت بالباطل ، فهذا البحث واجب على كل روح يطمح الى اليقين .

وقد ضرب - في هذين البيتين - مثلاً بالسموات التي يتجلى فيها كمال خلق الله ، وبرغم ذلك ، أمرنا الخالق أن ننظر اليها فاحصين . قال تعالى : « الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » . (٦٧ : ٣ - ٤) .

فهذه الدعوة الى النظر والتأمل في السموات لادراك ما فيها من احكام الخلق ، تبين لنا مدى ما نحتاج اليه من نظر ثاقب لاجتلاء حقيقة ما نلاقيه في هذا العالم الحسى .

(٢٩٥١ - ٢٩٦٤) اتخذ الشاعر من الأرض ، وما تتمتع به من عوارض ، مثلاً للانسان . فالأرض تنطوى على كثير من ألوان الجمال : انها تبدو في ظاهرها ترائية كالحبة ، لكن معدنها ينبت الأزهار والرياحين وطيب الثمار . ولا بد من الريح والخريف ، والحر والبرد ، والبرق والرعد ، لكي يستخلص من هذه الأرض الترائية ما تنطوى عليه من ألوان الجمال . وهكذا الحال بالنسبة للانسان . فهو يتعرض لألوان متعددة من البلاء تظهر حقيقة جوهره ، وتبين ما كمن في ذاته من صفات الكمال .

(٢٩٥٧) « مخاطبة الأرض بقول لطيف كالسكر » كناية عن الريح ، والاعتدال ، أما « تعليقها في الهواء » فكناية عن الرياح التي تعصف بها ، فتثير غبارها ، وتجعله معلقاً بالهواء .

(٢٩٦٣ - ٢٩٦٤) يعبر الشاعر هنا عن معنى قوله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » . (٢ : ١٥٥) .

(٢٩٦٥) أطلق الله الوعد والوعيد ليفصل بين الخير والشر اللذين امتزجا باذنه .

(٢٩٦٩ - ٢٩٧٢) صور الشاعر المحك الصادق لاختبار الحقائق - وهو العرفان الحق - فاتخذ من قصة موسى في طفولته مثالا لذلك . فموسى كان قد عرف حليب أمه ، فلم يتقبل سواه . وكل من شربت روحه من حليب اليقين يوم حشد الله الأرواح قبل خلق هذا العالم بقي لها مذاق اليقين ، ورزقت القدرة على ادراكه . فمن كان حريصا على سلامة ادراكه فليغذ قلبه باليقين ليعرف مذاقه ، كما غذت أم موسى طفلها موسى بالحليب ، فعرفها ، ورفض سواها من المراضع .

(٢٩٦٩) من تلقى العرفان الحقيقي من مرشد صادق ، خاض غمار هذه الحياة ، بدون أن يتعرض لمخاطرها ، كما كان من أمر موسى حين ألقى في اليم وهو طفل ، ومع ذلك سلم من أخطاره .

(٢٩٧٠) من أتيح له أن يتذوق العرفان الحق - يوم أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم - قبل خلق هذا العالم ، فهو يستطيع تمييز العرفان الصادق ابان وجوده في هذه الحياة ، لأنه يذكّره بما سبق أن تذوقته روحه قبل خلق العالم .

(٢٩٧٢) من تلقى الارشاد من مرشد عارف ، أدرك منذ البداية مذاق العرفان الصادق ، ولم يكن عرضة لالتماس معارف الحس ، عند أصحابها من علماء الحس المغرورين الجاهلاء .

(٢٩٧٣) عاد الشاعر هنا الى مثال الرجل الذى أضاع جملا . (انظر الأبيات ٢٩١٥ - ٢٩٢٢ ، وشرحها) .

(٢٩٧٥) عالم الحس يمارى ويجادل ، ويتظاهر بالبحث عن الحقيقة ، في حين أنه لا يبحث عن شيء .

(٢٩٧٦) أسلوب هذا العالم الحسي هو التقليد . فهو يردد ما يقوله العارفون المخلصون من طلاب الحقيقة .

(٢٩٨٢) قول الشاعر : « يغدو جسدك نفسا ، ونفسك روحا » ،
يعنى أن من تلقى الالهام الروحى تسمو حواسه من مستواها المادى الى
مستوى معنوى هو مستوى النفس ، كما تسمو نفسه من مستواها
الانفعالى الى مستوى الروح فى تساميتها وتجردها .

(٢٩٨٣) «الأمين» هو العارف الذى يكشف الحقيقة لطالب العرفان.
(٢٩٨٥ - ٢٩٨٦) طالب العرفان لا يطول به الوقت حتى يكتشف
صدق المرشد ، واحاطته بجوهر الحقيقة ، وسرعان ما يقتفى أثره ، ملتصقا
تحقيق العرفان لروحه ، بمعونة هذا المرشد العارف .

(٢٩٨٧ - ٢٩٩٨) قد يتحقق للمقلد وصول الى جوهر الحقيقة ،
اذا اقتفى أثر المحققين ، واستعار قبسا من حرارة صدقهم . فهو فى بداية
أمره يدعى أنه مثلهم طالب للحقيقة ، لكنه سرعان ما يدرك اخلاصهم فى
الطلب ، واذا ذاك يفتن الى أنه أيضا يبحث مثلهم عن ضالة ، هى الحكمة
الحقيقية . وبجده واخلاصه يصل هو أيضا الى الحقيقة ، فيلتقى حينذاك
مع العارفين .

(٢٩٨٨) المقلد لا يفيد من تقليد المحقق الا بمقدار ما يعتقد من
صدق هذا المحقق .

(٢٩٨٩) اخلاص المحقق ، وحرارة يقينه ، ينبهان المقلد ، فيفتن الى
طريق الحقيقة .

(٢٩٩٠) الفطنة الى طريق الحقيقة - التى يقتبسها المقلد من العارف -
تنبيه أيضا الى أن له ضالة ينشدها ، شبيهة بما ينشده هذا العارف .

(٢٩٩١) « الطمع فى جمل الغير » رمز الى الطمع فى الوصول الى
الحقيقة من غير طريقها . فالمقلد يظن أنه قادر على كشف الحقيقة عن طريق
التقليد .

(٢٩٩٢) قد يؤدى تقليد المقلد للمحقق الى أن يصبح هذا شريكا
لذلك فى عناء الطلب والبحث والتحرى .

(٢٩٩٣) اقتفاء المقلد للمحقق قد ينتهي بالمقلد الى أن يصبح هو أيضا من أهل التحقيق . وتلك حال شبيهة بحال الكاذب الذي يصحب صادقا ، ويقتفى أثره ، فيصبح كذبه — من جراء ذلك — صادقا .

(٢٩٩٤) عثر المقلد — بعد أن جعله الاجتهاد من أهل التحقيق — على الحقيقة ، وسط متاهات الخيال والأوهام .

(٢٩٩٥) حينما اهتدى هذا المقلد الى الحقيقة ، بعد ان سلك سبيل أهل التحقيق ، أدرك أنها هي الهدف الذي كان يسعى لادراكه ، واطمأنت روحه اليها ، وبرئت من المراء والجدال والطمع .

(٢٩٩٦) كانت المجاهدة سبيل شهود الحقيقة . وبشهودها أصبح المقلد محققا .

(٢٩٩٧) شهود الحقيقة جعل السالك المقلد طالبا لها .

(٢٩٩٨) شهود الحقيقة فتح عين السالك المقلد على نور جديد ، ترك كل ما عداه ، وتوجه نحوه .

(٢٩٩٩) يتساءل المحقق في هذا البيت عما دعا السالك المقلد الى تركه ، وكان من قبل يقتفى أثره .

(٣٠٠٠) يكشف المقلد عن الدافع الذي دفعه الى اقتفاء أثر المحقق . ولم يكن هذا سوى الطمع ، اذ لم يكن في بداية أمره قد عرف الاخلاص في الطلب ، والصدق في المجاهدة .

(٣٠٠١) وحدة السلوك الروحي توحد بين السالكين وان تفرقت الأجساد ، وذلك على العكس من التقاء الناس بأجسادهم ، فمثل هذا اللقاء لا يترتب عليه وحدة هدف ولا غاية .

(٣٠٠٢) يذكر المقلد أن معرفته التقليدية كانت أوهاما مستقاة من عرفان الغير ، أما شهود الحقيقة فقد ملأ عليه نفسه .

(٣٠٠٤) تبين للسالك المقلد أن هذا العرفان الذي تكشف له ، أسمى وأنبل بكثير مما كان يطلب . انه شيء لم يكن يخطر له على بال . كان

طلبه على مستوى نفسه ذات المعدن الخسيس ، لكن هذه النفس قد أصبح معدنها كالذهب بفضل اكسير العرفان .

(٣٠٠٦ - ٣٠٠٧) « المجاهدة والسعى توصل المقلد الى الصدق واليقين اللذين يتحلى بهما المحقق . لكن الطلب لا ينتهى عند بلوغ مرتبة التحقيق . فاليقين موقف يقتضى دوام الطلب ، طلب الروح لخالقها ، وسعيها اليه » .

في رأى أنه يجب التمييز بين طلب السالك المقلد ، ليصل الى منزلة التحقيق ، وبين طلب المحقق ، الذى أشرقت روحه باليقين .

وقد نقل نيكولسون عن الهجویری نصا يفهم منه أن الصدق والطلب مقترنان ، فلا صدق الا ويقترن بطلب ، ولا طلب الا ويقترن بالصدق . وأعتقد أن هذا النص يتعلق بالعارف المحقق وحده ، وليس بالسالك الساعى الى التحقيق .

(٣٠٠٨ - ٣٠٠٩) يشبه السالك مجاهدة النفس ، وما لاقاه فيها من عناء ، بشق الأرض وزراعتها . وكان - لشدة عنائه - يظن ذلك العمل من قبيل السخرة التى لن يؤجر عليها ، فاذا به يحقق له أعظم الكسب ، واذا بكل حبة قد أنبتت مائة حبة .

(٣٠١٠) « اللص » رمز للمقلد الذى كان يسرق لغة العارفين . وهو الذى اقتفى أثر العارفين ، فأصبح عارفا . فكان اليقين الذى اطمأنت اليه نفسه - على غير توقع منها لذلك - شبيها بمنزل تسلل اليه أحد اللصوص ، ثم تبين له أن المنزل منزله .

(٣٠١١) في هذا البيت دعوة للمقلد الى أن يستشعر حرارة اليقين ، فلعلها تخلصه من برودة تقليده ، وإلى أن يصبر على عناء السعى والمجاهدة ، فعمل ذلك العناء ينتهى به الى راحة اليقين .

(٣٠١٢) الحقيقة واحدة ، وان اختلفت سبل السالكين ، الساعين اليها .

(٣٠١٣) اشارة الى حديث يروى عن الرسول قوله : « من عرف الله كلّ لسانه » .

(٣٠١٤) ان الحديث عن المعانى الروحية لا يعبر الا عن لمحات قليلة من حقيقتها ، فهو كالاضطراب فيما ينبىء به من معلومات عن الفلك والشمس .

(٣٠١٥) سبر أغوار هذا الفلك وشمسه لا يعد شيئاً بالقياس الى سبر أغوار فلك الروح وشمسها . فهذا الفلك — بالقياس الى فلك الروح — كالفراشة ، وشمسه — بالقياس الى شمس الروح — كأنها ذرة .

(٣٠١٧) مما روى من أخبار مسجد الضرار أن الرسول أمر بأن يهدم ، ويجعل مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة . (انظر القصة في تعليقنا على البيت ٢٨٢٥) .

(٣٠١٨) المقصود « بصاحب المسجد » أبو عامر الراهب . (انظر شرح البيتين ٢٨٢٥ ، ٢٨٢٦) .

(٣٠٢٢) لكل شيء ظاهر وحقيقة . والأصل في تقدير الأشياء حقيقتها . وفي عالم الحقائق توجد فروق وفصول شبيهة بما يكون في عالم الظاهر من فروق وفصول ، لكن الفروق في عالم الحقائق تكون أصدق ، وأكثر اقترانا بالصواب . وينطبق هذا على حقائق الناس التي قد لا تكون متفقة مع ظواهرهم .

(٣٠٢٥) « بناء مسجد الضرار » رمز للنفاق .

(٣٠٣٥) الانسان مزيج من الحس والروح ، والحس ينتمى لعالم العيب والخطايا ، وأما الروح فتتنمى لعالم الغيب .

(٣٠٣٩) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » . (٤١ : ٣٠) .

فما دام المؤمنون من أهل الاستقامة بحاجة الى أن يطمنهم الملائكة،

فيجب ألا يغتر الانسان بعمله ، ويحسب أنه قد خلا من العيوب ، وتحقق له حسن الجزاء . سئل الجنيد عن الخوف فقال : « هو توقع العقوبة على مجارى الأنفاس » .

(٣٠٤٢) على الانسان ألا يصاب بالغرور لقيامه بعمل صالح ، يرجو من ورائه الشهرة والتظاهر ، بل ان عليه أن يكون خائفا حذرا من ارتكاب الاثم .

(٣٠٤٦) الأتراك الغز شعب من شعوب آسيا الوسطى ، بدؤوا غاراتهم على خراسان منذ أوائل القرن الخامس الهجرى . وقد اشتهرت من بينهم قبيلة قوية هى قبيلة السلاجقة التى استطاعت أن تقيم في القرن الخامس الهجرى دولة اسلامية عظيمة سيطرت على غرب آسيا .

(٣٠٥٥ - ٣٠٥٨) عالج الشاعر هذه الفكرة من قبل في قصة « الأسد والذئب والثعلب » . (انظر : مثنوى ، ١ ، ٣١١٧ - ٣١٢٣) .

(٣٠٧٧) يشير الشاعر الى تساؤل ابراهيم عن الخالق ، واهتدائه اليه . (انظر : سورة الأنعام ، ٦ : ٧٦ - ٧٩) .

(٣٠٧٨ - ٣٠٨٠) المؤمن الحق لا يستطيع أن يستمتع بشيء من لذات الحياة ، من غير أن يقترن ذلك بتأمل صنع الخالق ، وذكر فضله . (٣٠٨٢) من كان من أهل الضلال المخادعين ، فلا بد أن يتضح أمره ، مهما حاول أن يخفيه وراء ستار كثيف من الدهاء والمكر . فأعماله تنبئ عن خبث سريره ، كما تنبئ الرائحة النتنة عن قذارة صاحبها .

(٣٠٨٣) قول الشاعر : « ولقد عاش برهة قصيرة ثم انقضى يومه » ، يعنى أن المنافق المنصرف الى لذات الحس يستمتع بأيام قليلة تنقضى بانقضاء هذه الحياة الدنيا ، وبعد ذلك يلاقى سوء المصير .

(٣٠٨٦) النفس اللئيمة تخدع صاحبها المنافق ، فتسهل له ارتكاب الآثام ، على أساس أن الله غفور رحيم .

(٣٠٨٧) لو كان المنافق مؤمنا بالله حقا ، معتقدا برحمته وغفرانه ،

فلماذا يقتله الغم لو خلت يداه من الخبز ، ولماذا يرهقه الخوف ما دام الله غفورا رحيمًا .

(٣٠٨٨ - ٣١٠١) في هذه الأبيات حكاية صغيرة تصور الشيخوخة الحسية ، بما تجلبه من ضعف وآلام ، وتبين كيف أن الأخلاق تتأثر أيضا بعوارض الوهن ، لكن الشاعر يعقب على القصة بقوله : ان الشيخ الذي هو ثمل بالحق يكون في الظاهر شيخا ، لكنه في الباطن فتي . ومعنى ذلك أن حياة الروح هي الحياة الخالدة التي لا تتأثر بشيخوخة الجسد ، ولا يذهب بنضرتها كالأعوام .

(٣١٠٢) لو لم تكن حقيقة الأنبياء والأولياء وفضائلهم معروفة للأخيار والأشرار على السواء ، فعلى أى شيء يحسدهم الأشرار ؟ (٣١٠٣) ان كان الأشرار يعرفون الأنبياء معرفة يقينية ، ويدركون حقيقتهم ، فلماذا اذن يناصرونهم العدا على تلك الصور المريرة . (٣١٠٤) يعجب الشاعر من الأشرار ، يعرفون البعث والقيامة ، ومع ذلك يحاربون الأنبياء والأولياء ؟ فكيف يُعرّضون أنفسهم لانتقام يوم الحساب .

وقد رمز الشاعر الى عقاب الآخرة « بالسيف الحاد » . (٣١٠٥) ان ظاهر النبي أو الولي يخدع الناس عن حقيقته . فهو في ظاهره وديع رقيق ، يبدو لهم ضعيفا ، على حين أنه يمتلك من القوة ما يقيم مائة قيامة ، لأنه يكون مؤيدا بالله . (٣١٠٦) يتضمن هذا البيت لمحة من فكرة « الانسان الكامل » عند الصوفية .

يقول الجيلي : « واعلم أن الانسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه ، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته ، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته ... » . (انظر : الانسان الكامل ، ج ٢ ، ٥٠ - ٥٢) . (٣١٠٨) كيف يتهجم السفهاء على الأنبياء والأولياء ، وهم يعلمون

أن قوتهم مستمدة من قوة الله وتأييده ؟

(٣١٠٩) يسخر الشاعر من أدعياء الايمان الذين يتقربون الى الله بتعظيم المسجد ، في حين أنهم يوقعون الأذى بقلوب العارفين من رجال الله .

(٣١١٠) المسجد بيت الله ، على سبيل المجاز ، وأما قلب العارف فهو — على التحقيق — بيت الله .

(٣١١٦ - ٣١٢٧) حكى الشاعر في هذه الأبيات قصة عن جحى . وهذه القصة ذات أصل عربى ، رويت في مصادر متعددة ، لكنها لا تدور حول جحى . فمن صورها العربية تلك التى وردت في كتاب الأغاني ، على النحو التالي :

« قال ابن دراج الطفيلي : مرت بى جنازة ومعى ابن ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول : بك يذهبون الى بيت لا فراش فيه ولا وطاء ولا ضيافة ولا غطاء ، ولا خبز ولا ماء . فقال لى ابنى : يا أبت الى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت : كيف ويلك . قال : لأن هذه صفة بيتنا . » انظر : (فروزانفر : مأخذ قصص وتمثيلات ، ٧٧ - ٧٨) ، (تعليقات نيكولسون) .

(٣١٢٨) الطغاة لا يستطيعون أن يروا من الأمور سوى ظاهرها . فابصار هؤلاء شبيه بابصار الطفل ، في القصة السابقة .

(٣١٢٩ - ٣١٣١) القلب الذى لم يتلق نور الهداية ، ولا شعاع الالهام ، يكون مظلما ، لا قدرة له على الادراك السليم .

(٣١٣٢) من كان قلبه مظلما فهو دفين ظلمة الجهل . وبعض الموتى أحسن حالا من الأحياء الذين يعيشون في ظلام الجهل . أما قول الشاعر : « فلتنهض الآن من ضريح قلبك » فمعناه : « حطم سجن الجهالة الذى يغشاك بظلمة شبيهة بظلام القبر ، وانطلق الى بعث روحى جديد مشرق بنور العرفان » .

(٣١٣٣) من كان سليل آدم — الذى علمه الله الأسماء كلها — كيف يستريح الى الجهل ، ولا تضيق به أنفاسه ؟
(٣١٣٤) الروح الانسانى الذى أحاطت به الظلمة شبيه بيوسف فى قرارة الجب ، أو بشمس السماء وسط الظلمات . والجب لا يليق بيوسف ، وكذلك الظلمات لا تناسب الشمس .
(٣١٣٥) يشير هذا البيت الى قصة يونس حين ابتلعه الحوت ، ثم انقذه الله .

لقد ذكر القرآن الكريم قصة يونس فى قوله تعالى : « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين » . (٢١ : ٨٧ — ٨٨) .

وقد وردت قصة يونس فى تفسير هذه الآيات . وخلاصة القصة أن يونس كان رجلا صالحا يتعبد فى جبل . وكان من أهل نينوى فبعثه الله اليهم ليدعوهم الى الايمان بالله ، وترك عبادة الأصنام . وكان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم ، فتعجل الأمر وخرج مغاضبا ، وأتى البحر . قال الثعلبى : « فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجره ، فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت ، والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون : ان فيها عبدا آبقا من سيده ، وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر . فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس . فقال أنا الآبق . فقالوا تلتقى فى الماء . فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس ، فزج نفسه فى الماء ، فذلك قوله تعالى : « فساهم فكان من المدحضين » (٣٧ : ١٤١) . فلما وقع فى الماء وكل الله به حوتا فابتلعه ، وأوحى الله تعالى الى الحوت انى لم أجعله لك رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا ، فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخذش له لحما » . (قصص الأنبياء ، ٤٦٢ — ٤٦٣) .

وبينما يونس في جوف الحوت تاب الى ربه وسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسيحه . وشفعت له الملائكة فأمر الله الحوت فلقه الى ساحل نينوى . وكان ضعيفا من جراء ما مر به فأثبت الله عليه شجرة من يقطين .

وقد ذكر القرآن الكريم قصة ابتلاع الحوت ليونس ، ونجاته منه بقوله تعالى : « وان يونس لمن المرسلين . اذ أبق الى الفلك المشحون . فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه الى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وأنبتنا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون . فآمنوا فمتعناهم الى حين » . (٣٧ : ١٣٩ - ١٤٨) .

(٣١٣٦) يشير هذا البيت الى قوله تعالى : « فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه الى يوم يبعثون » . (٣٧ : ١٤٣ - ١٤٤) .
(٣١٣٧) قول الشاعر : « فماذا يكون التسيح ؟ انه آية يوم (ألت) » يعنى أن التسيح الحق هو ذلك المنبثق من ايمان الروح بالخالق ، من قبل أن يخلق العالم . ويوم « ألت » يتقصد به ما جاء في قوله تعالى : « واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » . (٧ : ١٧٢) .

(٣١٣٨) « ان كانت روحك قد نسيت تسيحها الذى عرفته قبل خلق هذا العالم ، فاستمع الى تسيح أهل الكمال ، فانه يذكرك بما كانت روحك قد عرفته » . والحيتان هنا رمز للعارفين ، وكثيرا ما يشبههم جلال الدين بالحيتان ، كما يشبه عالم الروح بالبحر .

(٣١٣٩) قول الشاعر : « وكل من شهد هذا البحر فهو ذلك الحوت » ، يعنى كل من شهد بحر الروح فهو صوفى عارف .
(٣١٤٠) بدأ الشاعر هنا يستخدم البحر والحوت للتصوير البياني ، وليس للرمز ، كما فعل في البيتين السابقين .

(٣١٤١) الروح قد انطوى في الجسد ، كما انطوى يونس في جوف الحوت . ولولا تسبيح الروح لقضى عليه الجسد ، ومحا وجوده ، فالتسبيح هو الذى يمكن الروح من أن يطرح عنه أغلال الجسد ، كما استطاع يونس بالتسبيح أن يخلص نفسه من جوف الحوت . (انظر : سورة الصافات ، ٣٧ : ١٤٣ - ١٤٤) .

(٣١٤٢) هذه الدنيا لا تخلو من صوفية عارفين ، ولكن أهل الحس ، الغارقين في اللذات ، لا يتبهنون الى هؤلاء .

(٣١٤٣) ليس احتجاب العارفين عن أهل الحس ناشئاً من حرص هؤلاء على الابتعاد عنهم ، بل الحقيقة أن العارفين كثيراً ما يسعون الى ارشاد أهل الحس ، لكن هؤلاء لا يفتنون الى هذا السعى الكريم .

(٣١٤٤) ان كنت قد اخفقت في ملاقة الرجال العارفين ، فلا بد أن أذكك قد استمعت الى تسبيحهم .

(٣١٤٥) يكثر الصوفية من الثناء على الصبر . ويروون في الصبر أقوالاً كثيرة ، منها قول على بن أبى طالب : « الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد » . والصبر - عند الصوفية - محمود في كل المواقف ، الا الصبر عن الله ، ومن ذلك قول الشاعر :

الصبر يَجْمَلُ في المواقف كلها الا عليك فانه لا يَجْمَلُ

(انظر : رسالة القشيري ، باب الصبر ، ٨٤ - ٨٧) .

(٣١٤٧) « الصبر » هو الطريق الموصل الى السعادة . انه كالصراط الذى يعبره المؤمن الى الجنة .

(٣١٤٩) جكل Chegel بلدة وراء نهر سيحون من بلاد تركستان (ياقوت : معجم البلدان) . وقد اشتهرت هذه البلدة بجمال نسائها . وقد ذكر جلال الدين هذا المعنى مراراً في شعره . قال في ديوان شمس تبريز .

كفت له اين خانه دل بر همه نقشست جرا
كفتم كين عكس تو است اي رخ تو شمع جكل
(قال : لماذا قد حفل منزل القلب هذا بالصور
قلت ان هذه خيالات محياك يا من وجهك شمع جكل) .
والمراد بالصبر هنا الصبر عن الجمال الأسمى ، وهو ما لا تكون
للمحب العارف طاقة به .

(٣١٥٠) عاد الشاعر هنا الى استخدام الصبر بمعنى القوة على مقاومة
البلاء ، ومعاناة الشدة . وهذا ما يكون من الفضائل التي يتحلى بها
الرجال . ومثل هذا الصبر في مجاهدة الحياة يعتبر درجة أدنى من الصبر
في مجاهدة النفس ، فهو أيضا يحتاج الى قوة وجلد ، هما من صفات
الصوفي العارف .

(٣١٥٤) هناك فرق بين رايات ترفع للجهاد ، ورايات يرفعها
المتسولون ملتسين كسر الخبز . وليست العبرة بالارتفاع وانما هي
بجوهر هذا الارتفاع .

(٣١٥٩) يشير البيت الى مثل الثعلب والطبل ، وهو من أمثال كليله
ودمنة ، ونصه كما يلي :

« زعموا أن ثعلبا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة ، وكلما هبت
الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت
عظيم باهر . فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته . فلما أتاه
وجده ضخما ، فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم ، فعالجه حتى شقه .
فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال : لا أدري لعل أفشل الأشياء أجهرها
صوتا وأعظمها جثة » . (كليله ودمنة ، ١٣٢) .

أما قول الشاعر : « فيا من تشبه بضخامتك قوم عاد » ، فيشير الى
ما اشتهر به هؤلاء من ضخامة الأجساد . وقد أخبر القرآن الكريم بذلك
في قوله تعالى : « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في

الخلق بسطة » . (٧ : ٦٩) .

(٣١٦٣ - ٣١٧٥) نقل فروزانفر أصلا لهذه القصة عن « مقالات

شمس » . انظر : مآخذ قصص وتمثيلات ، ٧٨ - ٧٩ .

(٣١٧٦ - ٣١٨٣) لهذه القصة أصل عربي جاء في عيون الأخبار

لابن قتيبة .

قال : « مر رجل من العباد وعلى عنقه عصا في طرفيها زنبيلان قد

كادا يحطمانه ، في أحدهما برّ وفي الآخر تراب . فقيل له : ما هذا ؟ قال :

عدلت البرّ بهذا التراب لأنه كان قد أمانني في أحد جانبي . فأخذ الرجل

زنبيل التراب فقلبه ، وجعل البرّ نصفين في الزنبيلين ، وقال له : احمل

الآن ، فحمله ، فلما رآه خفيفا قال : ما أعقلك من شيخ » . (فروزانفر :

مآخذ قصص وتمثيلات ، ٧٩) .

(٣٢٠١) الصوفية لا يؤمنون بالفلسفة العقلية ، ويرون أنها لا توصل

الى علم يقينى ، وأن حاصلها الشقاء والحيرة .

(٣٢٠٧) « الفكر الحق هو الذى يفتح طريقا للهداية الروحية » . أما

« الملك » هنا فهو رمز للمرشد الكامل .

(٣٢٠٨) العارف يكون ملكا بذاته ، لا بخزائنه وجيشه .

(٣٢١٠) بدأ الشاعر هنا قصة صغيرة عن ابراهيم بن أدهم .. وقد

وردت هذه القصة في تذكرة الأولياء للعطار (ج ١ ، ص ١٥٥) . وترجمة

القصة كما يلي :

« يروى أنه كان ذات يوم جالسا على شاطئ دجلة ، وكان يرقع

خرقته الممزقة ، ف وقعت ابرته في النهر . فسأله أحد الرجال : لقد تخلت

عن مثل هذا الملك ، فماذا وجدت (عوضا عنه) . فأشار الى البحر ليرجع

اليه ابرته . فخرجت من النهر ألف سمكة ، وقد أمسكت كل منها بآبرة

ذهبية في فمها . فقال ابراهيم : أريد ابرتي ! فخرجت سمكة صغيرة

ضعيفة ، وقد أمسكت بفمها ابرته . فقال ابراهيم : هذا أهون شيء وجدتته

لقاء تركى ملك بلخ ، أما ما سوى ذلك فانك لن تدركه » . انظر
(فروزانفر : مآخذ قصص وتمثيلات ، ٨٠) ، (تعليقات نيكولسون) .
وقد روى السلمى أن ابراهيم بن أدهم كان ابن أحد ملوك خراسان ،
وأنه خرج ذات يوم الى الصيد ، وبينما هو يطارد صيده هتف به هاتف
دعاه الى ترك ما كان فيه ، فاستجاب له ، وتخلّى عن جواده ومتاعه لأحدا
رعاة أبيه ، وأخذ جبته الصوف فلبسها وتوجه الى مكة . (طبقات
الصوفية ، ٣٠) .

(٣٢٢١) « العميان » هنا رمز لمن حرموا نور البصيرة الروحية .
(٣٢٢٢) « المبصرون » هنا رمز للعارفين الذين أشرقت قلوبهم بنور
العرفان .

(٣٢٣٠) ربما أتيح للمتعلق بعالم الظاهر أن يتلقى نفحة من الغيب .
لكنه لا يكون مثل أهل العرفان الذين يطلعون على عالم الروح الخفى .
(٣٢٣١) « الحديقة » رمز لعالم الروح .
(٣٢٣٢) « ان لم تكن من السالكين الى حديقة الروح ، فالتمس
شيئا من المقدرة على تنسم شذاها ، وادفع عنك تلك الروابط المادية ،
التي تحول بينك وبينها » .

(٣٢٣٤) قميص يوسف الذى ألقى على وجه يعقوب فارتد بصيرا
رمز لنفحات الروح التى تنير ظلام الحس ، وتكشف سبيل الابصار الحق .
(٣٢٣٥) قول الرسول : « جعلت قرّة عينى فى الصلاة » يشير الى
ما كان يتلقاه فى صلاته من نفحات روحية .

(٣٢٣٦) يقول الغزالى ان المدركات الحسية تلتقى جميعا لتقدم
الصورة للحس المشترك ، فهو القوة التى تكون الصورة العامة مما تتلقاه
الحواس المختلفة . « تلك القوة مجمع المتماثلات والمختلفات فسميناها
الحس المشترك ، اذ لا تكون النفس مدركة الا بهذه القوة ، وسميناها
اللوح اذ لا تجتمع المحسوسات الا فى هذه القوة ، وليس لها الا الادراك

فقط » . (الغزالي : معارج القدس ، ٤٧ - ٤٨) .

وجلال الدين يرى ارتباط الحواس بعضها ببعض الآخر لأنها جميعا تنبع من أصل واحد . وسياق الأبيات يبين ان جلال الدين يرى أنه لو تخطت احدى الحواس نطاق حسيتها الى ما وراء الحس ، فان ذلك يقود الحواس الأخرى الى تخطى نطاق الحس .

(٣٢٤٠) « ان انطلاق احدى الحواس من قيد المادة ، واستنارتها بالاحساس الروحي ، يعين بقية الحواس على تحقيق استنارة مماثلة » .

(٣٢٤٢) الشاعر يشبه الحواس بقطيع من الخراف ، فلو أن واحدا من القطيع قفز من فوق القناة الى الجانب الآخر تبعته بقية الخراف . والقناة هنا رمز للحد الفاصل بين عالم الادراك الحسى ، وعالم الادراك الروحي .

(٣٢٤٣) ان حواسك - التى تشبه الخراف فى حسيتها - غافلة عن ذلك المرعى ، وهو عالم الروح الكامن وراء عالم الحس . فسق هذه الخراف الى ذلك المرعى حتى تنعم هناك بغذاء يختلف عما عهدته فى عالم الحس .

(٣٢٤٥) لو اطلع كل حس من حواسك على عالم الروح ، أصبح بمثابة النبى الذى يقود حواس الآخرين الى ذلك العالم ، كما يقود النبى أتباعه الى الجنة .

(٣٢٤٦) عندما تصبح الحواس كلها مطلعة على الأسرار ، تزداد الحاجة الى التعبير عنها ، والاشارة اليها بالألفاظ والعبارات .

(٣٢٤٧) الحقيقة - حينما لا تكون مشهودة - تتقبل الكثير من التأويلات ، وتنشأ حولها الخيالات والأوهام .

(٣٢٤٨) حقيقة الشهود لا تتقبل أى تأويل ، ما دامت مبنية على العيان ، والمشاهدة .

(٣٢٤٩) من تجلّى له الغيب ، وأصبح مرشدا لسواه الى ذلك

الشهود ، فقد تحقق له سلطان على الأفلاك .

(٣٢٥٠) الأفلاك وغيرها من مظاهر العالم المادى ليست سوى مظهر يخفى وراءه جوهر الحقيقة ، فمن ملك هذا الجوهر ، فهو - نتيجة لذلك - مالك لما يحيط به من قشور .

(٣٢٥٣) الروح المشار اليه في هذا البيت هو الروح (الحيواني) . وقد عرفه الغزالي بقوله : « أما الروح فيطلق ، ويراد به البخار اللطيف الذى يصعد من منبع القلب ، ويتصاعد الى الدماغ بواسطة العروق ، ومن الدماغ يسرى بواسطة العروق أيضا الى جميع البدن ، فيعمل في كل موضع بحسب مزاجه واستعداده عملا ، وهو مركب الحياة ، فهذا البخار كالسراج ، والحياة التى قامت به كالضوء ، وكيفية تأثيره في البدن ككيفية تنوير السراج أجزاء البيت » . (معارج القدس ، ١٤) .

(٣٢٥٤) قول الشاعر : « فالحس أكثر سرعة في سلوكه سبيل الروح » ، يعنى أن الحس أكثر استجابة لدواعى الحياة المتحركة ، وأوضح من العقل تعبيراً عنها .

(٣٢٥٦) الحركة لا قيمة لها في ذاتها ، فهى تظهر من الحيوان ومن الإنسان ، ولكن العقل حين يخلق على الحركة اتزاناً يجعل لها قيمة ذاتية . فهذا التغير في قيمة الحركة شبيه بفعل الأكسير الذى يجعل المعدن الخسيس ذهباً .

(٣٢٥٨) « الروح الملهم » هو الروح الانسانى الكامل ، وهذا عند الصوفية أسمى بكثير من العقل . وهو ينتمى الى عالم أسمى من هذا العالم . وادراك أسرار العقل أيسر من ادراك أسرار هذا الروح الملهم . يقول الغزالي : « هو الروح الانسانى المتحمل لأمانة الله ، المتحلى بالمعرفة ، المركوز فيه العلم بالفطرة بالتوحيد بقوله (بلى) ، فهو أصل الآدمى ، ونهاية الكائنات في عالم المعاد » . (معارج القدس ، ١٣ - ١٤)

(٣٢٥٩) كان من الميسور لكل انسان أن يدرك مقدار عقل

الرسول ، أما ادراك أسرار روحه الملهم فهذا قد امتنع على كثير من الناس .

(٣٢٦٠) للروح الملهم أفعال متناسبة متزنة ولكن العقل يعجز عن ادراكها . ومن هنا كان عجز علماء الدنيا عن فهم الصوفية العارفين .

(٣٢٦١) لا سبيل للعقل الى فهم الروح الملهم ، الا اذا أصبح العقل ذاته روحا . ويبدأ ذلك بإيمان العقل بسمو هذا الروح ، وصدق الهامه . وبدون هذا الايمان تبدو تجليات الروح جنونا ، في نظر العقل .

(٣٢٦٢ - ٣٢٦٣) من أمثلة الصعوبة التى يلاقيها العقل في فهم الروح ما أبداه موسى من انكار لأعمال الخضر ، وذلك حين خرق السفينة وقتل الغلام . (انظر : سورة الكهف ، ١٨ : ٧١ - ٧٥) .

(٣٢٦٥) العلم التقليدى يكون ذا رونق ورواء حينما يجد المشتري ، لأنه يقوم على التظاهر ، وطلب المنفعة .

(٣٢٦٦) العلم الروحى لا يخبو رونقه ، ولا يتأثر بالمنافع الموقوتة ، كالعلم التقليدى ، بل هو دائم الرونق ، لأنه من الهام الله ، ولا يراد به سوى وجه الله .

(٣٢٦٨) الملائكة كانوا هم المشتريين لدرس العلم الالهى الذى تلقاه آدم عن خالقه . أما ابليس فلم يتقبل هذا العلم ، لأنه لم يكن أهلا لتلقيه .

(٣٢٦٩) اشارة الى قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم » . (٢ : ٣١ - ٣٣) .

(٣٢٧١) سبق للشاعر أن صور قصير النظر بأن له عقلا كعقل الفأر (البيت ٣٢٦٤) . وهو هنا يشير الى هذا البيت بقوله : « قد دعوته فأرا » . أما قول الشاعر : « لأن مقره التراب » فيعنى أن نفسه

غارقة في ماديتها ، لا تستطيع الخلاص منها .

(٣٢٧٦) انظر الآيات (١٦ : ١٥) ، (٧٨ : ٧) .

(٣٢٩١) قدرة الله هي التي ألفت في العين الحسية نور البصر ، وجعلت عظام الأذن قادرة على السمع .

(٣٢٩٤) قول الشاعر : « فان كنت لا ترى الماء بين الطين ... »

يعنى : « فان كنت لا تدرك وجود الروح في جسدك ، فما هذه الآثار الدالة عليها ، كما تدل الأعشاب السابحة فوق الماء على وجود الماء » .

(٣٢٩٥ - ٣٢٩٦) ان الصور المنعكسة على صفحة الفكر تدل

على وجود عالم معنوى ، خارج العالم الحسى ، ينعكس على الفكر بصورة جميلة أو قبيحة ، على مقتضى ما تكون عليه نفس الانسان من جمال أو قبح .

(٣٢٩٧) الالهام الذى يقبل الى النفوس من عالم الغيب يقوم دليلا

على وجود هذا العالم . والأرواح تحمل آثارا منه ، كما يحمل ماء النهر قشورا من ثمار بستان بعيد .

(٣٢٩٨) هذه اللمحات التى تقبل من عالم الغيب ليست الا ظلالا

للحقيقة ، وعلى الانسان أن يبحث عن الحقيقة ذاتها . فقشور الثمار التى تسبح فوق صفحة النهر ليست هى الثمار ، وانما هى دليل على وجود تلك الثمار .

(٣٢٩٩) تحرك الأفكار والخواطر دليل على حياة الروح ، فهذه

تحملها الى الفكر من عالم الغيب ، كما يحمل النهر قشور الثمار من بستان بعيد . وحركة القشور توضح حركة الماء .

(٣٣٠٢) اذا ازدادت قوة الروح لم يبق للجسد وجود الى جانبه .

(٣٣٠٩) فى رأى الشافعى أن الماء اذا بلغ قلتين لا تقدر القطرة من

النجاسة على أن تخرجه عن طهارته . (انظر : المنهج القوى ، ٢ ، ٦٢١ ، وكذلك تعليقات نيكولسون) . وفى هذا تعبير رمزى عما يبلغه العارف من طهارة روحية لا ينتقص منها ما قد يبدو عليه من ظاهر على خلاف ذلك .

(٣٣١٠) انظر : المثوى ، ١ ، البيت ٥٤٧ وشرحه .

(٣٣١١) الأدلة العقلية والبراهين الجدلية من مطالب النفس ، أما الروح فمستقرها عين الحقيقة .

(٣٣١٢ - ٣٣١٣) السالك في اليداء هو الذى يكون بحاجة الى الدليل ، لأنه يكون في كل لحظة عرضة للضلال ، أما الواصل فلا حاجة به الى غناء البحث ، وحسبه نعمة الشهود .

(٣٣١٤ - ٣٣١٥) لو أن أحد العارفين لجأ الى بسط الأدلة الجدلية ، فهو يفعل ذلك ليثفهم من لم تتح له نعمة الشهود ، فكأنما هو أب يصطنع أصوات الطفولة لوليد الجديد .

(٣٣٢٠ - ٣٣٢١) الذنوب والتقائص الانسانية كلها فانية ، فهي تنتهى بانتهاء صاحبها ، أما نور العارف فهو نور خالد ، لأنه مستمد من نور الله .

(٣٣٢٢ - ٣٣٢٣) ايمان العارف مستمد من عرفانه بجوهر ان حقيقة ، وليس حاله كحال العوام في ايمانهم أو كفرهم ، فهم يتعلقون بأمور نسبية لا تقاس بجوهر الحقيقة ، بل انها هى التي تحجب الحقيقة .
(٣٣٢٤) رأس الجسد - بما ينطوى عليه من غرور ، وانكار لعالم الروح - كافر منكر .

(٣٣٢٥) الكافر المنكر هو الغافل عن حقيقة ايمان العارف .
فما دامت هذه الحقيقة منبثقة من محبة الخالق والفناء فيه ، فهي أسمى درجات التوحيد .

(٣٣٢٦) بقاء الروح - بعد تحققها بالفناء - ليس سوى خبر يروى ، بالنسبة لغير العارف . فاذا ما عانى المرء هذه التجربة قويت روحه ، وتأصل عرفانه .

(٣٣٣٠ - ٣٣٣١) انظر : المثوى ، ١ : ١٢٣٤ ، ٢٦٥٩ - ٢٦٦٣ ،

والشرح .

(٣٣٤٠) الشاعر في هذا البيت يسفه الذين يسيئون الى الشيوخ العارفين ، ويضمرون لهم الخسد والبغضاء ، في حين أن هؤلاء المسيئين لا يحسنون غسل وجوههم .

(٣٣٤١) قول الشاعر : « انك تشن غارة على الملائكة » ، يعنى أن المسيء الى العارف الكامل يسىء الى الملائكة الذين عرفوا لهذا العارف قدره ، وسجدوا له ، حينما شهدوا صفاته في شخص آدم .

(٣٣٤٤) اذا تأبى المتعلق بالحس على المرشد العارف ، فلم ينتفع بارشاده ، فذلك لا يسىء الى عرفان العارف .

(٣٣٤٥ - ٣٣٤٩) يوازن الشاعر في هذه الأبيات بين المرشد العارف وبين عدوّه الحسى العنيد ، ثم يقدم للحاسد صورا تبين استحالة النيل من العارف أو انتقاص فضله وكماله .

(٣٣٥٠) من عاب الصوفى العارف ، ولم يطق مواجهته ، شبيه بخفاش يعيب الشمس ويطلب احتجابها .

(٣٣٥١) قول الشاعر : « والغيوب قد أضحت - بغيرتهم عليها - غيوبا » يعنى أن هؤلاء الصوفية يحرصون على اخفاء الأسرار الغيبية عن لا يكونون أهلا لتلقيها .

(٣٣٥٥) الروح التى هبطت من عالمها الى هذا العالم الحسى ، ينبغى لها ألا تصبح غريقة عالم الحس . فالحمار - وهو من الحيوانات التى اشتهرت بالغباء - لو انزلق في الوحل فانه يتحرك على الدوام لكى ينهض من كبوته .

(٣٣٥٨) « ها أنت ذا تتأول رخصة لتعلقك بالمادة وحرصك عليها ، لأنك لا تريد أن تخلص قلبك من سلطانها » .

(٣٣٥٩) « انك تبرر تعلقك بالمادة ، فتدعى أنك مُجبر على ذلك ، وأن الله لا يعاقب المجبر على عمل لا حيلة له فيه » .

(٣٣٦٠) من اقترف الاثم وحسب أن الله لن يأخذه باثمه فهو في

الحقيقة مغرور أعماه الغرور . وهذا العجز عن ابصار الخطأ هو في ذاته عقوبة الهية . يقول ابن الجوزي في هذا المعنى : « وإياكم والافتراء بحلمه وكرمه فكم استدرج » . (صيد الخاطر ، ص ١٣٣) .

(٣٣٦١ - ٣٣٦٣) اشتهر الضبع عند العرب بالحمق ، حتى ضربوا به المثل ، فقالوا : « أحقق من الضبع » .

يقول الدميري : « الضبع أحقق الحيوان ... ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له . ولذلك قال علي بن أبي طالب : لا أكون كالضبع تسمع اللدم فتخرج حتى تصاد ، واللدم الضرب الخفيف والصيد إذا أراد أن يصيدها رمى في جحرها بحجر ، فتحسبه شيئاً تصيده ، فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك » .

وذكر الدميري كلاماً يقال على باب جحرها ، « فلا يزال يقال لها حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها ورجليها ، ثم يجرها » . (حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٦٥ ، ج ٢ ، ص ٨٢) . وذكر النويري كلاماً شبيهاً بهذا عن الضبع . (انظر : نهاية الأرب ، ج ٩ ، ٢٧٤ - ٢٧٦ ، « ذكر ما قيل في الضبع ») . والنويري يستبعد ما يقال عن استسلام الضبع لصائديه فيقول : « وهذا القول - فيما أظن - من خرافات العرب » .

(٣٣٦٤ - ٣٣٦٩) أوردت المصادر العربية قصة شبيهة بما رواه الشاعر في هذه الأبيات .

انظر : (حلية الأولياء ، ١٠ : ١٦٨) ، (محاضرات الأدباء ، ٢ : ٢٧٧) . وقد نقلها عنهما فروزانفر . (مأخذ قصص ، ٨٠) . ونص هذه القصة كما يلي : « قيل : وكان في بني إسرائيل حبر قال في دعائه : يا رب . كم أعصيك وأنت لا تعاقبني ! فأوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان ، قل لعبدي : كم أعاقبك ولا تدري ، أسلبك حلاوة مناجاتي » . (٣٣٧٠) « ان الآثام الكثيرة التي ارتكبتها قد جعلت باطنك أسود ،

فلم تعد لديك قدرة على معرفة الخير من الشر .

(٣٣٧١) قلب الانسان كالمرآة ، والآثام التي يرتكبها شبيهة بالصدأ .
فكلما ازداد ارتكاب الآثام ، زادت ظلمة القلب ، فيصبح كالمرآة
التي تراكت فوقها طبقات من الصدأ .

(٣٣٧٢) من كان نقي القلب ، أحس بوقوعه في أدنى خطأ . فالقدر
الجديدة يظهر أثر الدخان فوقها ، مهما قل هذا الدخان .

(٣٣٧٣) الاثم يكون غريبا على القلب النقي ، فسرعان ما يتكشف
لهذا القلب قبحه ، كما تتميز الأشياء بضدها ، أو كما يتضح السواد
فوق البياض .

(٣٣٧٤) اذا أصبح القلب أسود لفرط ما ران عليه من الاثم ، فكيف
يتضح فيه ما يغشاه من اثم جديد ؟ انه يكون كالقدر السوداء ، لا يظهر
فوقها أثر الدخان .

(٣٣٧٥) « الحداد الزنجي » رمز للقلب الأسود . فهذا الحداد
الأسود الوجه لا يبين في وجهه أثر الدخان . وهكذا القلب المظلم بأخطائه
وآثامه .

(٣٣٧٦) « الحداد الرومي » رمز للقلب النقي . فمثل هذا يتبين له
أثر الدخان في وجهه .

(٣٣٩٤) انظر شرح الآيات ٣٣٦٤ - ٣٣٦٧ .

(٣٤١٦) قال تعالى : « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور
رحيم » . (٢ : ١٧٣) . وانظر أيضا : (٦ : ١٤٥) ، (١٦ : ١١٥) .

(٣٤٣٠) العارف لو تذوق متاع الدنيا فانه يتقوى به على التأمل
الروحي ، على حين أن الرجل الحسى يتذوق الشهد فينقلب في كيانه
سما ، لأنه يزيد من حرصه على الشهوات ، ومتع الحس .

(٣٤٣٢ - ٣٤٣٣) في البيتين اشارة الى قصة أصحاب الفيل الذين

أرادوا هدم الكعبة فأهلكهم الله . قال تعالى : « وأرسل عليهم طيرا
أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » .
(١٠٥ : ٣ - ٥) .

(٣٤٣٦) يبدأ الشاعر هنا حكاية ترمز الى أن المرید لا يليق به أن
يجترىء على العارف . وهذه الحكاية مرتبطة بالبيت السابق (رقم ٣٤٣٥) .
(٣٤٥٣) « ما دمت لست من العارفين فلا بد لك من السير في
طريقهم ، وبذل الجهد ، لعلك تصبح واحدا منهم ، فتخلص من بئر
الشهوات الى حيث يتحقق لك الجاه والمجد » .
(٣٤٥٤) « ما دمت لم تصل بعد الى مقام العارفين فلا بد لك من
مرشد » .

(٣٤٥٦) السالك بحاجة الى الانصات لكي يتعلم . وقد أمر الله
بالانصات في قوله تعالى : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا
لعلكم ترحمون » . (٢٠٤ : ٧) .

(٣٤٦٤) من كانت روحه مفعمة بالكمال ، لم يكن للجاه الدنيوى
قيمة عنده ، ولا أثر عليه . أما المتعلق بالحس فالرياسة تدفعه الى الغرور
والتعالى وتزيد نفسه قبحا .

وفي هذا البيت هدم لمبدأ اعتزال الحياة ، والانصراف عن الدنيا ،
وهو ما قال به بعض الصوفية الذين يصرون على مواجهة هذا العالم
بموقف سلبي .

(٣٤٦٥) في اعتقادي أن « الجبل الملىء بالشعابين » يرمز هنا للحياة
الدنيوية الحافلة بالمغريات . فالشاعر يدعو الانسان الى مواجهة هذه الحياة
بقوة ، وعليه ألا يخافها ما دام في الامكان أن تنطوى هذه الحياة على
مضمون روحى ، يحول بين الانسان وبين المهلكات الحسية ، من لذات
وشهوات .

(٣٤٦٦) قول الشاعر : « فاذا ما أصبحت الرئاسة نديما لدماغك... »

يعنى : « فاذا ما تولاك الغرور من جراء جاهك وسلطانك ... » .
(٣٤٦٧ - ٣٤٦٩) يصور الشاعر هنا موقف العناد الذى يقفه بعض
الأفراد من آراء المخالفين ، وكيف أنهم يتصورون أن كل مخالفة لآرائهم
انما هى محاولة للقضاء على كيانهم الذاتى . وهذا - فى نظر الشاعر -
ينشأ من رسوخ الأخلاق السيئة فى نفس صاحبها .

(٣٤٧١) ينشأ الانسان وعنده قدر محدود من الشهوة . لكن بعض
الناس يترك لشهواته مجال النمو حتى تتحكم فيه . « ان الشهوة تكون
- فى بداية أمرها - نملة ، لكنها سرعان ما تعظم ، وتصير مثل الثعبان » .
(٣٤٧٣ - ٣٤٧٤) أسير الشهوات لا يظن الى ما يعاينيه من اسار
الشهوة ، ولا بد له من مرشد يعينه على ادراك حقيقة حاله . وحين يتحقق
لمثل هذا خلاص من سيطرة اللذات الحسية ، فانه يتسنى له اذ ذاك أن
يدرك ما كانت عليه نفسه من سوء الحال .

(٣٤٧٥) لكى تتحول النفس الخسيسة المعدن ، الى نفس كريمة
المعدن ، لا بد لها من الصبر على مشقة هذا التحول . فالنحاس لا بد له
من الصبر على الأكسير . والقلب لا بد له من الصبر على ما يفرضه عليه
من تملكه .

(٣٤٧٦) قول الشاعر : « وان هؤلاء ليهربون من الدنيا كالنهار
والليل » يعنى : « أن الصوفية العارفين يهربون من سلطان الدنيا كالنهار
والليل ، اللذين يمران بها ، ويعملان عملهما ، ومع ذلك لا يستقران فيها ،
ولا يخضعان لسلطانها » .

(٣٤٧٨ - ٣٤٩٥) يروى الشاعر فى هذه الأبيات حكاية عن كرامات
فقير اتهم بالسرقة . وكرامات الأولياء كانت موضوعا لحكايات كثيرة تملأ
كتب التصوف ، وبخاصة تلك التى تهتم بتراجم الصوفية .
والقصة المذكورة هنا وردت فى مصادر متعددة ، وأشار اليها
فروزانفر ، كما نقل نصا فارسيا لها من « كشف المحجوب » للهجویری .

(انظر : مآخذ قصص وتمثيلات ، ٨١ - ٨٢) . وفيما يلي ترجمة لنص كشف المحجوب :

« وبلغت منزلته (مالك بن دينار) أنه كان ذات يوم راكبا في سفينة ، وكان أن فقدت جوهرة في هذه السفينة ، فاتهموه بأنه أخذها لأنه بدا أقل القوم حظا من ظهور الحال ، فرفع رأسه الى السماء ، وفي الحال صعد الى سطح الماء كل ما كان في البحر من الأسماك ، وقد أمسكت كل سمكة بجوهرة في فمها . فأخذ جوهرة من جملة هذه الجواهر ، وأعطاها للرجل ، ثم وضع قدمه فوق الماء ، وسار فوقه برفق حتى خرج الى الساحل » .

(٣٤٧٨) قول الشاعر : « وقد اتخذ لنفسه من بضاعة الرجولة ظهيرا » ، يعنى أن ذلك الصوفى لم يكن يمتلك بضاعة كغيره من الناس ، اذ لم تكن له بضاعة سوى الرجولة والشرف .

(٣٥٠٠) قول الشاعر : « ان النفس سوفسطائية ... » يعنى أنها تميل الى المغالطة ، والمجادلة بالباطل .

(٣٥٠٣) الشهود الروحي لا يتسنى الا لعين طهرت من أهواء الحس .
(٣٥٠٤) الشهود الروحي يتسامى فوق ملكات الحس . فهو كالطاووس ، لا يستقر في حفرة ضيقة . واستخدام « الطاووس » هنا رمزا للشهود الروحي يشير الى ما ينطوى عليه هذا الشهود من الجمال والبهجة .

(٣٥١٢ - ٣٥١٣) الأخلاط في جسد الانسان أربعة ، هي المرة السوداء ، وهى مسكن اليبوسة ، والمرة الصفراء وفيها الحرارة ، والدم وفيه الرطوبة ، والبلغم وفيه البرودة . « فأيا جسد اعتدلت فيه هذه الأربعة الأخلاط ... وكانت كل واحدة منهن ربعا لا تزيد ولا تنقص ، كملت صحته واعتدلت بنيته . وان زادت واحدة منهن على أخواتها وقهرتهن ومالت بهن ، دخل السقم على الجسد من ناحيتها ، بقدر ما زادت . واذا كانت ناقصة ضعفت طاقتها عن مقاومتها فغلبنها ، ودخل السقم على

الجسد من نواحيهن بقدر قتلها عنهن ، وضعف طاقتها عن مقاومتهن » .
(رسائل اخوان الصفا ، ١ : ٣٠٠) .

وكان يعتقد أن هذه الأخلاط ذات تأثير على أخلاق الانسان ، « فان مالت به اليبوسة وأفرطت ، كانت عزمته قساوة وفضاظة ، وان مالت به الرطوبة ، كان لينه توانيا ومهانة ، وان مالت به الحرارة ، كانت حدته طيشا وسفاهة ، وان مالت به البرودة ، كانت أناته ريثا وبلادة ، وان اعتدلت وكن سواء ، اعتدلت أخلاقه واستقام أمره ، وكان عازما في أناته ، لينا في عزمه ، هادئا في لينه ، متأنيا في حدته ، لا يغلبه خلق من أخلاقه ، ولا تميل به طبيعة من أخلاطه عن المقدار المعتدل » . (المصدر السابق ، ١ : ٣٠١) .

(٣٥١٥ - ٣٥١٦) في البيتين اشارة الى قصة موسى والعبد الصالح الذي ذكر المفسرون أنه الخضر . وقد وردت هذه القصة في القرآن الكريم (١٨ : ٦٥ - ٨٢) . وكان افراط موسى في سؤال الخضر سببا في أن الخضر تخلى عن صحبة موسى . انظر أيضا : المثنوى ، ج ١ ، ٢٩٦٩ ، ٢٩٧١ وشرحهما) .

(٣٥١٧ - ٣٥١٨) « موسى » هنا رمز للمريد . والمرشد يدعوه الى الصمت ، حتى لا يضطر الى الابتعاد عنه ، كما اضطر الخضر الى مفارقة موسى .

(٣٥٢٢) أهل الغفلة يكونون بحاجة الى من يحميهم . ويكون حاميمهم أحد الذين تحققت لهم يقظة روحية . أما الصوفية العارفون فهؤلاء قد تحقق لهم الأمان ، بعد وصولهم الى عالمهم الروحي ، ولم تعد بهم حاجة الى حارس .

(٣٥٢٣) « ان الذين يتطلعون الى حياة الحس هم بحاجة الى من يصونهم عن الضلال . فالجسد كالثوب ، يكون بحاجة الى من ينظفه . أما الروح الذي تحرر من سلطان الجسد ، فيكون ذا رونق حين يتعري

من رداء البدن .

(٣٥٢٤) من أراد صحبة العارفين فليكن مثلهم متحررا من رداء البدن . ومعنى « التحرر من رداء البدن » أن يكون الروح هو المسيطر على الانسان ، المتحكم في أفعاله .

(٣٥٢٥) « ان لم تستطع أن تسيطر على البدن سيطرة كاملة فعليك أن تبذل جهدك حتى لا يطغى على روحك ، وليكن لك موقف وسط بين الروح والبدن » .

(٣٥٢٧ - ٣٥٢٨) انظر : سورة الكهف ، ١٨ : ٦٥ - ٨٢ .

(٣٥٣٠) كان هذا الدرويش من أهل الكمال ، وهؤلاء - في رأي الصوفية - يظهرون في كل زمان . والقائلون بوحدة الوجود يرون أن أهل الكمال مرتبطون بالحقيقة المحمدية . (انظر : الجيلي : الانسان الكامل ، ج ٢ ، ٥٠) .

(٣٥٤٥) في البيت اشارة الى قوله تعالى « ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » . (٣١ : ٢٧) .

(٣٥٤٧) يرد الدرويش هنا على ما اتهمه به أصحابه من شدة استغراقه في النوم . (البيت ٣٥١٠) .

(٣٥٥٠) بدأ الدرويش - في هذا البيت - يسفه رأى من اتهمه بطول استغراقه في النوم . ويوالى الدرويش الدفاع عن نفسه في الأبيات التالية .

(٣٥٥١) « حس القلب » هو الحس الكونى الذى يشهد به العارف ما لا تشهد الحواس .

(٣٥٥٢) « لقد خدعك ظاهرى فلم تظن الى حقيقة حالى . لقد نظرت الى من خلال ضعفك ، فظننتنى على شاكتك ، في حين أن ما يخفى عليك من الأمور ، يبدو أمامى واضحا كالضحى » .

(٣٥٥٤) « انك مقيد بقيود الحس وأغلاله ، وأما أنا فقد أصبح الحس عندي مثيرقا بنور الروح . وأنت من حياتك المادية في هم مقيم ، على حين أننى في فرحة وهناء » .

(٣٥٥٥) ان العارف يقيم مع أهل الغفلة في مكان واحد ، لكنه كثيرا ما تنطلق روحه من اسار الحس فتبلغ السماء السابعة .

(٣٥٥٦) مهما تجاوز العارف والغافل ، فان تجاوزهما لا يعنى أنهما في منزلة واحدة . فالعارف يجاور الغافل بجسده ، على حين أن روحه تحلق في سمائها التى لا يرقى اليها فكر الغافل .

(٣٥٥٨) الأفكار تكون رهن ارادة العارف يتحكم فيها كما يتحكم الباني في البناء . أما الغافل فالأفكار تسيطر عليه وتحكمه .

(٣٥٦٢) ربما ينزل الرجل العارف الى مستوى ضعاف الناس ، ذوى الطاقة الروحية الواهية ، وذلك ليتمكن من أن يأخذوا عنه الهداية ، ويقتبسوا منه العرفان .

(٣٥٦٣) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير » . (٦٧ : ١٩) .

فالعارف يذكر هنا مقدرته على الانطلاق الى الآفاق العالية .
(٣٥٦٤) « ان قدرتى على الانطلاق نابعة من الذات التى صفت ، والروح الملهم ، وليس أساسها علما زائفا ولا وهما باطلا » .

(٣٥٦٥) يطلق لقب جعفر الطيار على جعفر بن أبى طالب ، وهو ابن عم الرسول الذى استشهد في غزوة مؤتة ، وقد قام بها المسلمون عام ٨ هـ = ٦٢٩ م . وكانت موجهة الى الروم . قال ابن هشام : « وحدثني من أثق به من أهل العلم : أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير

بهما حيث شاء» . (سيرة ابن هشام ، ج ٤ ، ٢٠) . أما جعفر العيار فهو من يتسمى بجعفر ، برغم أنه يكون تقيض جعفر بن أبي طالب ، في إيمانه وصدقته . (٣٥٦٦) من لم يجرب ذوق الروح يجد أن هذا الكلام مجرد دعوى أما من ذاق لذة الشهود فهو وحده يدرك معناه .

(٣٥٦٧) يُعرف الغراب عند العرب بأنه من أخس الطيور . قال الجاحظ : « قال صاحب منطق الطير : الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ولا من أحرارها ، ومن شأنه أكل الجيف والقمامات » . (الدميري : حياة الحيوان ، ج ٢ ، ١٧٣) .

وقد اتخذ الشاعر الغراب رمزا للجاهل الخبيث النفس ، المتعلق بالحس .

أما الذباب فهو رمز لقصير النظر الذي يعجز عن ادراك معنى الابصار الروحي ، كما تعجز الذبابة عن ادراك حقيقة المرئيات . (انظر : المثنوى ، ١ ، ١٠٨٢ - ١٠٩٠) .

(٣٥٦٨) اذا كان الغذاء الحسيّ يزيد من قوتك وطاقتك الروحية فلا ضير منه . فالعارف الحق يأكل ليعيش ، ويحيى حياة روحية ، متحررة من سلطان الحس . والأكل في هذه الحال لا يَطلب لذاته ، وانما لأثره في تقوية الانسان . يقول الغزالي : « اعلم أن طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره ، وتأكيده استعدادا لقبول أنوار المعرفة » . (الأربعون في أصول الدين ، ٦٣) .

(٣٥٦٩ - ٣٥٧٠) يروي الشاعر هنا معجزة لأحد الصوفية ، هي أنه تقياً جوهرًا أمام بعض من أسأؤوا به الظن ، فكانت هذه كرامة ، اذ تحول الجوهر المعقول ، وهو جوهر العرفان ، الى جوهر محسوس أمام هؤلاء المنكرين . واعتقاد الصوفية بوقوع الكرامات يسمح بأمثال هذه القصة . (٣٥٨٨) قول الشاعر : « أصغ اليه ، واجعله قرطا في أذنك » ، يعني : « أصغ اليه ، وأحسن الاصغاء حتى يستقر الكلام في أذنك ، كأنه

قرط معلق بها » .

(٣٥٨٩) قول الشاعر : « يكون هذا الكلام — بالنسبة اليك — معجزة جديدة ، وذهبا قديما » ، يعنى أن هذا الكلام الذى سبق لك أن سمعته في نومك تسمعه في يقظتك ، فيبدو لك معجزة جديدة ، وذهبا قديما ، لا يذهب القدم بقيمته ، بل يبقى كما هو معدنا نفيسا . فما تلقينه في منامك من حديث روى لا يذهب بقيمته التكرار ، كما هو شأن الحديث المعاد .

(٣٦٠١) الروح الغريبة في عالم الخس تسمع صوت النبی الذي يكون في هذا العالم مغتربا عن عالمه الروحي ، فيكون ما تسمعه الروح من النبی مقربا لها من خالقها . وفي البيت اشارة الى قوله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » . (٢ : ١٨٦) . (٣٦٠٢ — ٣٦٠٦) يروى الشاعر هنا حكاية لها أصولها العربية عن يحيى والمسيح . وقد أورد الثعلبي هذه الحكاية على الوجه التالى :

« يحيى أول من آمن بعیسی وصدقه ، وذلك أن أمه كانت حاملة به ، فاستقبلتها مريم وقد حملت بعیسی ، فقالت لها أم يحيى : يا مريم ! أحامل أنت ؟ فقالت : لماذا تقولين هذا ؟ قالت : انى أرى ما في بطنى يسجد لما في بطنك ، فذلك تصديقه له ، وإيمانه به » . (قصص الأنبياء ، ٤٢٣) . انظر أيضا : (فروزانفر ، مأخذ قصص ، ٨٢) ، (تعليقات نيكولسون) ، (٣٦١٧) يبدأ الشاعر هنا اشارات الى بعض قصص كليله ودمنة . ويشير الشاعر في هذا البيت والأبيات الثلاثة التى تليه الى قصة « الأسد والثور » .

(٣٦٢٠) قول الشاعر : « وكيف صار الفيل وجلا من خيال القمر » بشير الى قصة « الأرنب وملك الفيلة » . (كليله ودمنة ، الباب الثامن ، ص ٢٧٢ . طبعة دار الحياة ، بيروت) .

(٣٦٢٤) شعراء الغزل من الفرس كثيرا ما يتغنسون بحب البلبل

للوردة ، ويديرون بينهما الحوار في غزلياتهم . ومن أشهر من فعل ذلك حافظ الشيرازى .

(٣٦٧١) جوهر المعرفة الروحية واحد مهما اختلفت تجلياته وآثاره .

(٣٦٧٧) الأسماء المتعددة تشتت الفكر وتصرفه عن ادراك جوهر

الصفات .

(٣٦٨٧) « الرجل المتعدد اللغات » هو العارف القادر على ادراك

الجوهر الواحد ، الكامن وراء اختلاف الألفاظ والأسماء .

(٣٦٩٥ - ٣٦٩٦) نقل ابن البيطار عن الرازى أنه قال : « الخل

بارد مطفىء ، ويطفىء حرق النار أسرع من كل شيء » . (مفردات ،

ج ١ ، ٦٦) . و « الخل » هنا رمز الى العلم التقليدى ، وهذا يكون بدون

حرارة مهما اتخذ طابع الاخلاص .

(٣٦٩٧) « الدبس » رمز للعرفان الروحى ، فهو الذى ينطوى على

حرارة حقيقية ، مهما ظهر على خلاف ذلك .

(٣٧٠٥) من سعى وراء المادة أهلكه مسعاه ، وأما من سلك سبيل

الروح ظفر بالروح والمادة معا .

(٣٧٠٧ - ٣٧٠٨) « في زماننا هذا - وفي كل زمان - عارف روحى

يقر الوئام بين النفوس المتصارعة ، لو أنها استمعت اليه ، وآمنت بجوهر

عرفانه » .

(٣٧١٦) في البيت اشارة الى قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة

فأصلحوا بين أخويكم » . (٤٩ : ١٠) .

(٣٧١٨) « العنب الناضج » رمز للمؤمن ، وأما « العنب الفج »

فهو رمز للكافر .

(٣٧٢٥) النضج الروحى يؤدى الى التحرر من الأنانية الذاتية ،

ويمهد سبيل الوحدة بين الناس .

(٣٧٢٧) المحبة الالهية هى وحدها السبيل التى تجمع بين البشر في

وجود حقيقى واحد .

(٣٧٣٩) الوحدة التى يصنعها الله من الأرواح ليست شبيهة بخلق الأجساد من الماء والطين . فوحدة الجسد قابلة للتفكك ، كما يحدث عند الموت ، لكن اتحاد الأرواح لا يكون عرضة لذلك .

(٣٧٣١) فى اعتقادى أن « سليمان » هنا رمز للمحبة الالهية التى توحد القلوب والأرواح . فالشاعر يقول ان هذه قريبة من الروح ، ومع ذلك نجد طلاب العلم التقليدى يتركون الحل القريب ، وينظرون الى أمور بعيدة معقدة ، تعميهم عن حقيقة أرواحهم ، وتصرفهم الى ألوان من البحث العقيم .

(٣٧٣٢) نظر الانسان الى ما بعد عنه يعميّه عما هو قريب منه . يسعى الانسان الى معرفة الله بالعقل والأدلة العقلية ، مع أن القلب هو خير وسيلة لمعرفة الله ، وأقرب طريق اليه . فمن الناس من يترك السبيل القريب (سبيل القلب) ، ويلجأ الى السبيل البعيد (سبيل العقل والأدلة العقلية) . وهذه الغفلة عن القلب وجلاله وجماله شبيهة بغفلة انسان ينام فى قصر ، فلا يشعر بما حوله من رونق وبهاء .

(٣٧٣٣) أوضح الشاعر هنا ما كان يقصده بالنظر الى البعيد . ويتجلى ذلك عنده فى الولع بدقيق الكلام ، والتعشق لحل المشكلات الكلامية ، عن طريق الجدل والبحث النظرى .

(٣٧٣٤ - ٣٧٣٥) هذا النظر العقلى ، المجرد من الشعور والاحساس الروحى ، يزيد الأمور تعقيدا ، ويزيد الانسان سعيا الى الايضاح ، فلا يكاد يدركه ، ويأخذ فى وضع القواعد التى يظنها موصلة الى الحل المنشود ، فكأنما هو طائر يشغل نفسه بشباك تأسره ، يحل عقدها ، ثم يعود الى ربطها ، ظانا أنه بذلك يصبح مكتمل البراعة .

(٣٧٣٦ - ٣٧٣٧) من شغل نفسه بالجدل العقلى العقيم ، وحرَم نفسه من جمال الروح ، وتأمل مباهجها ، شبيه بذلك الطائر الذى شغل

نفسه بحل عقد الشباك ، واعادة ربطها ، فحُرم بذلك من الغياض والمروج ، وضاع عمره في معالجة العقد . فمثل هذا الطائر العنيد يتكسر جناحه من معاناة العقد ، وهو في حقيقة الأمر لا يصل الى شيء من مراده ، لأن الشباك تبقى موجودة برغم جهوده . وهكذا حال من أضاع حياته في الجدل والنظر الخاوي من الشعور ، فهو يعيش أسير الجدل ، ولا يتحقق له حل المعضلات .

(٣٧٣٨ - ٣٧٣٩) أقلل من هذا الصراع الذي لا جدوى منه ، واضاعة الجهد في أمور لا يتحقق من ورائها شيء سوى العناء . فهذا الصراع المرير ، المبني على الحيلة والذكاء ، لم يق الانسان مما يخشاه من العوارض والمحدورات . ولقد أقعده انشغاله بمثل هذا الصراع عن التحليق في آفاق الروح الفساح .

(٣٧٤٠) ان الدهاء والحذر والعمل على مغالبة القضاء ، كلها لا تمكن المرء من الخلاص مما قدر له . ويستشهد الشاعر على ذلك بقوله تعالى : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص » . (٥٠ : ٣٦) .

ومما هو جدير بالاتباه هنا أن الشاعر لا يدعو الى الاستسلام وترك الجهد ، وانما هو يدعو الى احساس الروح بسلطان الخالق ، وابتعاد الانسان عن الظن بأن في وسعه أن يصنع لنفسه شيئا لا يريد له الله . وهذا هو التوكل بمعناه الروحي ، الذي عبر عنه ابن عربي بقوله : « انه اعتماد القلب على الله ، منع عدم الاضطراب عند فقد الأسباب الموضوعية في العالم . (الفتوحات المكية ، ج ٢ ، ٢٦٤) .

(٣٧٤٣) « أيها المتنازعون المتصارعون كالطيور التي تصطرع على القوت . ليتكم استمعتم الى نداء الله بأرواحكم ، كما يستمع الباز الى دعاء المليك حين يقرع له الطبل ، اذن لاستجبتم جميعا لهذا النداء ، وزال كل ما بينكم من أسباب الفرقة والصراع » .

(٣٧٤٦) غفلة الروح عن المحبة الالهية تجعلها عمياء بعيدة عن النضج ، حالها كحال الطير التي غفلت عن معرفة سليمان .

(٣٧٤٧) الغفلة عن المحبة الالهية تجعل أصحابها على خلاف مع العارفين . يعيش هؤلاء بأرواحهم في عالم الروح ، على حين أن الغافلين من أسارى الحس يتعلقون بعالم مآله الى الخراب . وهؤلاء الحسيون في عداوتهم للعارفين شبيهون بالبوم التي تتعلق بالخراب ، وتظهر العداء للبيزان المحلقة في آفاق السماء .

(٣٧٤٨) في هذا البيت ايضاح للرمز في الآيات السابقة عليه .
(٣٧٤٩) جماعة العارفين الذين استناروا بالمحبة الالهية ، كيف يقتربون اساءة الى مخلوق ؟

(٣٧٥١) قصة سليمان وبلقيس والهدهد مذكورة في القرآن الكريم . (سورة النمل ، ٢٧ : ٢٠ - ٢٣) . والهدهد هو الذي جاء الى سليمان نبأ بلقيس .

وقد أصبح الهدهد رمزا للعارف في الشعر الصوفي . ويتجلى ذلك في الدور الذي أسنده اليه الشاعر فريد الدين العطار في منظومته الصوفية « منطق الطير » ، حيث جعله قائد الطير في بحثها عن العنقاء .
(٣٧٥٢) ان أدنى أهل العرفان منزلة - وهو من يكون بينهم كالغراب بين الطير - يكون بريئا من الزيغ والضلال .

(٣٧٥٥) من هؤلاء العارفين من هو سعيد كالبلبل في الحديقة ، لكن سعادته تكون مستمدة من حديقة باطنه التي تفتحت فيها الورود . فحديثه المبتهج افصح عن الباطن ، وليس انفعالا بالظاهر .

(٣٧٥٦) « البيغاء » في الشعر الصوفي كثيرا ما تستخدم رمزا لمعنى رفيع ، هو الروح الذي أفنى ذاته في الخالق ، فأصبح صدى للارادة الالهية ، يفصح عنها افصاحا أميناً ، كما تفعل البيغاء بما تسمعه من الأصوات . والعارف الذي وصل الى تلك المكانة ينطلق في التعبير عن

احساسه الباطنى ، بدون حاجة الى ما يغريه بذلك ، كما يكون من اغراء
البيغاء بالسكر . فمثل ذلك الروح يكون مفعما باللذة والبهجة الخالدة .
(٣٧٥٧) سيقان الطواويس تعد مثالا للقبح . ومع ذلك فسيقان هذه
الطواويس التى تنتمى الى العرفان ، أبهى من أجنحة طواويس الدنيا .
ومعنى ذلك أن أدنى ما عند العارفين يفوق في بهائه أسمى ما عند أهل
الحس .

(٣٧٥٨) منطق الطيور الدنيوية ليس الا صدى ومحاكاة ، أما منطق
طيور سليمان فمن نوع فريد ، لأنه من الهام الله . و « الطيور الملكية »
رمز للمدللين من أصحاب القول والبيان ، كشعراء المديح . أما « طيور
سليمان » فرمز للعارفين .

(٣٧٥٩) أنى لك أن تعرف نداء الروح ، اذا كنت لم تنعم بلحظة
واحدة من الأنس بالخالق .

(٣٧٦٠) ان العارف تتجاوز دعوته حدود المكان ، ولا تبقى أسيرة
لمشرق ولا لمغرب . وأسمى لون من العرفان رسالات الأنبياء .

(٣٧٦١) مثل هذا العارف لا تحجبه آدميته عن الوصول الى
الخالق . فهو بين الخلق ، وروحه مع الخالق ، في الوقت ذاته .

(٣٧٦٢) « سبيل سليمان » رمز لسبيل الله . وما دام سبيل الله هو
الطريق الى النور واليقين ، فمن تخلى عن هذا الطريق فهو عاشق للكفر
والجهل والضلال ، وهو في عشق الظلمة شبيه بالخفاش .

(٣٧٦٤) « لو خطوت نحو الله خطوة واحدة لغدا سلوكك هو
السلوك المثالى الذى يقاس عليه » .

(٣٧٦٦ - ٣٧٨٧) في هذه الأبيات تمثيل رمزى للأصل الروحى
للإنسان ، والكيان المادى الذى يحجب عنه ادراك حقيقة هذا الأصل .
وقد رمز الشاعر للعالم الروحى بالبحر ، ولعالم الدنيا بالبر . والإنسان
طائر بحرى ، تربى في البر فنسى أصله . والشاعر يدعو الإنسان الى

التسامي الى أصله ، بعد التعرف على حقيقة ذاته .
(٣٧٦٧) « انك من أصل روحي ، لكن واقعك المادي يربطك بالمادة ،
ويجعلك متعلقا بها » .

(٣٧٦٨ - ٣٧٦٩) . النزعة الروحية في الانسان مصدرها أصله
الروحي . أما النزعة المادية فمصدرها ذلك العالم الحسي الذي غذاه
وربي جسده .

(٣٧٧١) يريد « بالأم » هنا المربية ، وهي الأم الحسية ، التي تصرف
الانسان عن التطلع الى أصله الروحي .

(٣٧٧٢) الانسان في حقيقته قادر على الوصول الى عالم الروح ،
برغم ارتباطه الجسدي بعالم الحس .

(٣٧٧٣ - ٣٧٧٤) فسر الشاعر قوله تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم
وحملناهم في البر والبحر » (الاسراء ، ١٧ : ٧٠) ، على أنه رمز الى أن
الله كرّم الانسان بأن جعله منتميا الى عالمي الروح والحس في وقت واحد .
(٣٧٧٥) الجمع بين الروح والحس هو السرّ في تفضيل الانسان على
كل من الملائكة ، وهي كائنات روحية ، والحيوانات ، وهي كائنات حسية .
(٣٧٧٧ - ٣٧٧٨) الأنبياء والرسل هم المثل العليا للكمال الانساني .
وهؤلاء يعيشون في الأرض بهيكل ترابيّ ، وتدور أرواحهم في فلك روحي .
(٣٧٧٩) قال جلال الدين في ديوان شمس تبريز :

خلق جو مرغايان زاده زدياي جان

کی کند اینجا مقام مرغ کزین بحر خاست

(الخلق طيور مائية ، ولدت من بحر الروح ، فكيف يقيم هنا طائر

انطلق من ذلك البحر) .

(٣٧٨٢) ان الله حاضر أمام الجميع ، لكن غيرته تحجب بصيرة من

يتعلقون بسواه . فإله لا يتجلى الا لمن وهب القلب كله للخالق .

(٣٧٨٣ - ٣٧٨٦) الجهل والغفلة والفضول ، كلها صفات تصرف

الإنسان عن الله ، وتجعله يغفل عن نبع الوجود كله ، ويتعلق ببعض الأسباب ، غافلا عن مسبب الأسباب .

(٣٧٨٤) العقل الذى لا يستطيع أن يتخطى الظاهر المحسوس يبقى متعلقا بهذا الظاهر ، غافلا عما استتر وراءه من المعنى .

(٣٧٨٥) المتعلق بالحس لا يستطيع تصور لذة خارج العالم الحسى . ولهذا فان نفسه تبقى متعلقة بما يحيط به ، عاجزة عن التحرر منه .

(٣٧٨٨) بدأ الشاعر هنا رواية قصة زاهد رآه الحجاج في الصحراء ، يصلى غير عابىء بالقيظ ، فلما عجبوا من أمره وجدوا الماء يقطر من يديه . ولما سألوه عن سر ذلك دعا ربه فأمرت السماء مطرا غزيرا ، وشرب الحجاج وملؤوا قربهم . ومثل هذا النوع من الكرامات يرد في تراجم أقطاب الصوفية . ومن أمثلة ذلك ما يروى عن إبراهيم بن أدهم في وصف انصرافه عن الدنيا . قال : « توجهت الى مكة ، فبينما أنا في البادية ، اذا برجل يسير ، وليس معه انا ولا زاد ، فلما أمسى وصلى المغرب ، حرك شفتيه بكلام لم أفهمه ، فاذا أنا باناء فيه طعام ، وانا فيه شراب ، فأكلت وشربت ، وكنت معه على هذا أياما ، وعلمنى (اسم الله الأعظم) ثم غاب عني وبقيت وحدي^(١) ... »

أما قول الشاعر : « وكان مستغرقا في العبادة كأهل عبادان » فيشير الى ما يروى عن عبادان (الجزيرة الواقعة في دلتا شط العرب) من أنها كانت موضعا « فيه قوم مقيمون للعبادة والانقطاع ، وكانوا قديما في وجه الثغر ، ويسمى الموضع بذلك » . (ياقوت : معجم البلدان ، مادة عبادان ، ج ٤ ، ص ٧٤) .

تمت شروح الكتاب الثاني من المثوي

(١) السلمى : طبقات الصوفية ، ص ٣٠ .

فَهَارِسُ الْكِتَابِ

كشاف الأعلام والجماعات والأماكن

تشير الأرقام في هذا الكشف إلى صفحات الكتاب .

ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد	١
٤٠١ .	آدم ، عليه السلام
ابن أم مكتوم	٢١ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٩٤ ، ١٠٣ ،
٥٠٦ ، ٢١٢ .	١٦٨ ، ٢١٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
ابن البيطار ، ضياء الدين عبدالله بن	٢٧٢ ، ٣٢٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،
أحمد الأندلسي	٤٠٤ ، ٤٤٢ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،
٥٧٩ .	٥٢٩ ، ٥٣٩ ، ٥٥٧ ، ٥٦٥ .
ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن	ابراهيم ، عليه السلام
٤٢٧ ، ٤١٦ .	٤٦ ، ١٠٣ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ،
ابن حزم ، أبو محمد علي	٣٠٨ ، ٣٣٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ،
٥٠٨ .	٤٤٢ ، ٤٦٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ،
ابن خلكان ، أحمد بن محمد	٤٨٨ ، ٤٩٦ ، ٥٥٤ .
٤٤٤ .	ابراهيم بن أدهم
ابن الدباغ	١٠٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٢ ،
(انظر : الانصاري ، عبيد	٤٠١ ، ٤١٩ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ،
الرحمن بن محمد المعروف بابن	٥٦٢ .
الدباغ)	ابرهة
ابن دراج الطفيلي	٥٤٦ .
٥٥٦ .	أبقراط
ابن سعد ، محمد	٥٠٨ .
٤٢٦ .	ابليس
ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد	٣٠ ، ٤٠ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٤ ،
٥٢٠ ، ٤٩٢ .	١٦٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
ابن عربي ، محيي الدين	٢٦٢ ، ٢٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤١٤ ،
٤٠٦ ، ٤٠٥ ، ٣٩٢ .	٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦ ،
ابن العماد الحنبلي	٥٢٩ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ،
٤٤٤ .	٥٤١ ، ٥٦٥ .

ابن الفارض ، عمر

. ٤٤٢ ، ٤١٣

ابن فضل الله العمرى

. ٥٤٣ ، ٥٤٥

ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم

. ٥٦١

أبو بكر الصديق

. ١٠٤ ، ٢١١ ، ٤٢٦ ، ٥٢٠

أبو بكر الربابى

. ١٦٥ ، ١٩٦

أبو تراب النخشبى (صوفى)

. ٤١٨

أبو جهل ، أبو الحكم عمرو بن هشام

. ٩٤ ، ٢١١ ، ٢٦٨ ، ٥٠٦

. ٥٣٧

أبو سعيد بن أبى الخير

. ٤١٩

أبو عامر الراهب

. ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٥٥٣

أبو عثمان المغربى (صوفى)

. ٤٨٢

أبو لهب

. ٢٦٨ ، ٥٣٧

أبو نعيم الأصفهانى

. ٤١٩ ، ٤٤٤ ، ٥٤٠

أبو نواس

. ٤١٥

أبو هريرة

. ٤٩٣ ، ٥٠٨

الأتراك

. ٣٠٥ ، ٥٣٥ ، ٥٥٤

أحابيش قریش

. ٥٠٦

أحمد بن خضرويه

. ٥٣ - ٥٩ ، ٤١٨ ، ٤١٩

أخوان الصفاء

. ٥٠٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٧٣

. ٥٧٤

الأرض المقدسة

. ٥٢٧

أرم

. ٣٧٠

إسرافيل

. ١٢٩

إسكندر المقدونى

. ٢٣ ، ٣٨٩

إسماعيل ، عليه السلام

. ١٠٤ ، ٤١٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣

الأشعرى ، أبو الحسن على بن

إسماعيل

. ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠١

أصحاب الفيل

. ٢٩١ ، ٤١٧ ، ٥٤٦ ، ٥٧٠

. ٥٧١

أصحاب الكهف

. ٢٣ ، ١٥٠ ، ٢١٠ ، ٥٢٢

الأصفهانى

. انظر : أبو نعيم الأصفهانى

الأعراب

. ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٥٣٩

الأمويون

. ٥٣٤

البلاذري ، أحمد بن يحيى

• ٥٣٧

بلقيس ، ملكه سبا

• ١٦٧ ، ٤٨٥ ، ٥٤٦ ، ٥٨٢

بنو اسرائيل

انظر : اليهود

بنو عمرو بن عوف

• ٥٤٣

بنو غنم بن عوف

• ٥٤٣

بنو هاشم

• ٥٢٠

بهاء الدين ولد

• ٤٦٥

ت

التبريزي ، شمس الدين

• ١٢٢ ، ٤١٥ ، ٤٥٤ ، ٤٦٦

• ٥٦١

تبوك

• ٢١٢ ، ٥٠٧

تركستان

• ٥٣٥ ، ٥٥٩

ترمد

• ٤٦٥

الترمذي ، برهان الدين محقق

• ١٤٠ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦

التوحيدى ، أبو حيان

• ٤٧٩

أمية بن خلف

• ٥٠٦

أنس بن مالك

• ٥٠٢ ، ٥١٠

الأنصاري ، عبد الرحمن بن محمد

المعروف بابن الدباغ

• ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٣٩

أهل السنة

• ٢٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥

الأوس

• ٣٦٩

اياز (غلام السلطان محمود الغزنوى)

• ١١٦ ، ٤٥٠

ايوان كسرى

• ٤٨١

ب

البحترى

• ٤٨١

بدر (موقعة)

• ٥١٦

البسطامى ، أبو يزيد

• ١٠٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ -

• ٢٢٩ ، ٤٠٥ ، ٤١٦ ، ٤١٨

• ٤٤٤ ، ٥١٢ ، ٥١٣

البصرة

• ٥٠٧ ، ٥٠٨

بصرى

• ٥٠٧

بقراط

انظر : ابقراط

ث

الثعلبي ، أبو اسحق أحمد بن محمد
٣٨٩ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٤٣ ،
٥١٨ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ، ٥٧٨ .

ثمود

٢٩٥ .

ج

الجاحظ

٥٠٥ .

جالينوس

٢١٤ - ٢١٥ ، ٥٠٨ .

الجامي ، عبد الرحمن

٤١٩ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

جبريل

١٩٥ .

جحي

٣١١ - ٣١٢ ، ٥٥٦ .

جعفر بن أبي طالب (المعروف بجعفر
الطيار)

٥٧٥ ، ٥٧٧ .

جعفر بن حرب (معتزلي)

٣٩٤ .

جكل Chegel

٥٥٩ .

جلبي عارف

٤٦٦ .

الجميل (موقعة)

٥٠٧ .

الجنيد البغدادي

١٠٥ ، ٢٢٣ ، ٤٤٤ ، ٥١٢ .

الجيلي ، عبد الكريم بن ابراهيم

٤٤٢ ، ٤٥٣ ، ٤٦٨ ، ٤٨٦ ،

٤٨٧ ، ٥٥٥ .

ح

حاتم الأصم (صوفي)

٤١٨ ، ٤٤٥ .

حافظ الشيرازي

٥٧٩ .

الحبش

٥٠٦ .

الحبشة

٥٠٦ .

حسام الدين ، حسن

٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٣٢ .

٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٥٥ ،

٤٦٦ ، ٥١٥ ، ٥١٦ .

الحسين بن علي

٥١٣ .

الحلاج ، حسين بن منصور

٤٧ ، ١٤٧ ، ٢٥٤ ، ٤٩٥ .

حنين

٥٤٣ .

حوران

٥٠٧ .

خ

ختن

٢٦٤ ، ٥٣٥ .

خراسان

٤٤٥ ، ٤٦٥ ، ٥٥٤ ، ٥٦٢ .

٥٧٩ ، ٥٠٨ .

الراغب الأصفهاني

٥٠٤ ، ٤٢٧ .

رستم بن زال (بطل الفرس)

٥٣ ، ٣١٦ ، ٤١٨ .

الروم

٥٠٧ .

ز

زال بن سام (بطل الفرس)

٥٣ ، ٤١٨ .

زركوب ، صلاح الدين

١٤٠ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

زكريا عليه السلام

١٧٤ ، ٤٩١ .

الزمخشري

٤٧٥ ، ٤٨٨ ، ٥٠٦ ، ٥٢٠ .

زهير بن أبي سلمى

٤١١ .

س

السامري

٢٠٣ ، ٢٠٨ - ٢١٠ ، ٢٣٨ ،

٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٢١ .

سجستان

٤١٨ .

السراج ، أبو نصر

٤٠٢ ، ٤٩٤ .

السفاح (الخليفة العباسي)

٥٢٠ .

الخزرج

٣٦٩ .

الخضر

٥٩ ، ٣٢٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،

٣٥١ ، ٤٢٠ ، ٥١٤ ، ٥٦٥ ،

٥٧٤ .

الخوارج

٥٢٦ .

خيبر

٤٦٠ .

د

داوود ، عليه السلام

١٠٤ ، ١١٨ ، ١٥٦ ، ١٩٦ ،

٤٢٤ ، ٤٤٣ ، ٤٧٨ ، ٥٠٢ .

Decius

دقيانوس

٢٣ ، ٣٨٨ .

دمشق

٥٠٧ .

ديوجانس الكلبي

٤٧٦ .

ذ

ذو القرنين (اسكندر ؟)

٣٨٩ .

ذو النون المصري

١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،

١٥٣ ، ٤٧١ .

ر

الرازي ، محمد بن زكريا

١٧١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٤٨٨ .

شقيق البلخي

١٠٥ ، ٤٤٤ .

شمر بن ذى الجوشن

٢٢٥ ، ٥١٣ .

شعبة بن ربيعة

٥٠٦ .

شيث ، عليه السلام

١٠٣ .

الشيرزى ، عبد الرحمن بن نصر

٥٢٤ .

الشیطان

انظر : ابليس

الشيعة

٤٤٤ .

الشيعة الغلاة

٤٠١ .

السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد

٤٧٦ ، ٤٨٧ .

ص

صالح ، عليه السلام

٥٢٢ .

الصوفية

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

ط

طور سيناء

١٤١ ، ٤٢٥ .

سفيان الثوري

٤٤٤ .

السلاجقة

٥٥٤ .

السلمي ، أبو عبد الرحمن

٤١٨ ، ٤٤٤ ، ٤٨٢ ، ٥٥٢ ،

٥٦٢ .

سليمان ، عليه السلام

١٠٤ ، ١٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ،

٣٧٢ ، ٤٤٣ ، ٤٨١ ، ٥٤٦ ،

٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

السمرقندي ، أبو الليث

٥٢٠ .

السهروردي ، أبو الفتوح يحيى بن

حبش

٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٤٢ ، ٤٦٤ ،

٤٦٦ .

السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد

٤٦٦ .

سيحون (نهر)

٥٥٩ .

ش

الشافعي ، محمد بن ادريس

٥٦٦ .

الشام

٥٤٣ .

الشبلي البغدادي

٤٧١ .

الشعراني ، عبد الوهاب بن احمد

٤٤٤ .

شعيب ، عليه السلام

ع

عاد

. ٢٦٨ ، ٣١٥ ، ٥٦٠ .
عائشة ، أم المؤمنين

. ٣٤١

العبادي ، عبد الحميد
. ٥٠٧

العباس بن عبد المطلب
. ٥٠٦

عبدالله بن مسعود
. ٤٨١

عبد المطلب بن هاشم (جد الرسول)
. ٤١٧

عقبة بن ربيعة
. ٥٠٦

عثمان بن عفان
. ١٠٤

العرب

. ٥٤٦ ، ٥٠٧

القطار ، فريد الدين
. ٤٤٤ ، ٤١٨ ، ٤١٥ ، ٤٠٠

. ٥٦١ ، ٤٧٩

علي بن أبي طالب
. ٢٢٤ ، ١٠٥

علي بن موسى الرضا
. ٥٠٧ ، ٤٤٤

عمر بن الخطاب
. ٤٨٩ ، ٢٩

عمرو بن العاص
. ٤٨٩

عوج بن عنق

. ٥١٧ ، ٢٣٤

عوفى ، محمد

. ٥٢٠ ، ٥١١ ، ٤٧٩ ، ٤١٥

عيسى ، عليه السلام

. ١٠٤ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٥٧ ، ٣٢

. ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٤٨ ، ١٢٨

. ٤٢٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٣٥٨

. ٤٥٨ ، ٤٤٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢١

. ٥٧٨ ، ٤٩٩ ، ٤٧٣

غ

الغزالي ، محمد بن محمد

. ٥٠٨ ، ٤٦٤ ، ٤٦٢ ، ٤٣٨

. ٥٦٤ ، ٥٦٣ ، ٥٦٢

الغز (قبيلة تركية)

. ٥٤٥ ، ٣٠٥

ف

فرعون

. ١٠٤ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٥١ ، ٤٧

. ٢٦٨ ، ٢٥٤ ، ٢٣٤ ، ١٦١

. ٤٤٣ ، ٤٣٦ ، ٤٢١ ، ٢٩٥

. ٥٣٧ ، ٥١٨ ، ٥٠٥

فروزانفر ، بديع الزمان

. ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤١٩ ، ٤١٨

. ٥٠٥ ، ٤٩٣ ، ٤٨٨ ، ٤٧٩

. ٥١٣ ، ٥١٢ ، ٥١٠ ، ٥٠٨

. ٥٥٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٤ ، ٥٢٠

. ٥٧٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦١

الفضيل بن عياض
٤٤٤ .

ق

قارون

٥٢٢ .

قاف (جبل)

٣٩١ ، ٤٢٧ .

قباء

٢٩١ ، ٥٤٣ .

القرشى ، محمد

٥٢٤ .

قريش

٥٠٦ ، ٥٠٧ .

القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم

٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٤٤ ،

٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ .

القليس

٥٤٦ .

قونية

٤٦٦ .

ك

كاشغر

٥٣٥ .

كراتشكوفسكى

٣٩١ .

كربلاء

٥١٣ .

الکرد

٨٠ .

الكعبة

٢٩١ ، ٥١٤ ، ٥٤٦ ، ٥٧١ .

الكلاباذى ، أبو بكر محمد

٣٩٥ .

ل

لقمان

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ -

١٦ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

لوط ، عليه السلام

٢٦٨ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

م

الماوردى ، على بن محمد بن جيب

٥٢٤ .

محمد ، رسول الله

٤٦ ، ٥١ - ٥٣ ، ٥٧ ، ٧٠ ،

٧٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ،

١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٦٨ ، ١٩٦ ،

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ،

٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،

٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ،

٢٨٣ - ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٢٢ ،

٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٦٩ ، ٣٩٧ ،

٣٩٩ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢٥ ،

٤٢٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ،

٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٩ ،

٤٨١ ، ٤٩٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ،

٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ،

مؤتة (غزوة)

. ٥٧٦

موسى ، عليه السلام

٣٢ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٩٠ ،

٩١ ، ١٠٤ ، ١٥١ ، ١٧٨ ،

١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ،

٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ -

٢٢١ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٢٥١ ،

٢٥٢ ، ٢٨٩ ، ٣٢٥ ، ٣٤٩ ،

٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ،

٣٩٥ ، ٤٠١ ، ٤١٣ ، ٤٢٠ ،

٤٤٣ ، ٤٦٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ ،

٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ،

٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٤٥ ، ٥٦٥ ،

. ٥٧٤

الميداني ، أحمد بن محمد

. ٥٤٠

ن

النجاشي

. ٥٤٦

نظامي عروضي سمرقندي

. ٤٥٠

النمرود بن كنعان

٥١ ، ٢٦٨ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،

. ٤٤٢ ، ٤١٩

نوح ، عليه السلام

٥١ ، ٢٦٧ ، ٣٠٦ ، ٤٤٢ ،

. ٥١٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٦٠ .

النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف

٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٨ ،

٥٣٥ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٥٥٣ ،

. ٥٦٥

محمود الغزنوي (السلطان)

. ٤٥٠ ، ١١٦

مدين

. ٤٨٨

مريم (العذراء)

. ٣٥٨ ، ٢٨

المسعودي ، علي بن الحسين

. ٤١٧

معاوية بن أبي سفيان (قصته مع

الشیطان)

. ٢٦٢ - ٢٨٠ ، ٥٣٤ ، ٥٤٠ .

المعتزلة

. ٣٩٤ - ٣٩٣ ، ٢٥

معروف الكرخي

. ٤٤٤ ، ١٠٥

المغيرة بن سعيد

. ٤٠١

المغيرة (من غلاة الشيعة)

. ٤٠١

المقطم

. ٤٨٩

المقوقس

. ٤٨٩

مكة

. ٥٦٢ ، ٥١٤ ، ٤٤٤

المهدي (الخليفة العباسي)

. ٥٢٠

. ٤٢٠

النويرى ، شهاب الدين احمد بن
عبد الوهاب

. ٥٢٤

نيكولسون ، رينولد

. ٨١ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٤٦٦

. ٤٧٧ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣

. ٥٢٠ ، ٥٣٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦

. ٥٦٢ ، ٥٧٨

النيل (نهر)

. ١١٨ ، ٥١٨

نينوى

. ٥٥٧ ، ٥٥٨

هـ

هاروت وماروت

. ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٥٢٦

هارون

. ٥٢٧

الهجویری

. ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٥٥٢

الهند

. ٥١٤

الهنود

. ٣٠٣

هوازن

. ٥٤٣

هود ، عليه السلام

. ٣٠٦

و

الوليد بن المغيرة

. ٥٠٦

ويلسون

. ٤٨٤

ی

اليافعي ، عفيف الدين أبو محمد

. ٤٤٤

ياقوت الحموى

. ٤٨٢ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٣٥

. ٥٤٦ ، ٥٥٩

يحيى ، عليه السلام

. ٣٥٨ ، ٥٧٨

يزيد بن معاوية (الخليفة الأموى)

. ٢٢٥ ، ٥١٣

يعقوب ، عليه السلام

. ٧٦ ، ١٣٠ ، ١٤٨ ، ٤٤٣

. ٤٧٤

اليهود

. ١٤٨ ، ١٩١ ، ٣٠٢ ، ٤٣٦

. ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٩٢ ، ٥٠٥

. ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٤٥ ، ٥٦٩

يوزكند

. ٥٣٥

يوسف ، عليه السلام

. ٧٦ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٣٠

. ١٣٦ ، ١٤٨ ، ٣١٣ ، ٣٢٢

. ٤٤٣ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤

يوسف بن على (صوفى)

. ٤٨١

يونس ، عليه السلام

. ٣١٣ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨

كشافُ الموضوعات

١ - يضم هذا الكشف الموضوعات والمصطلحات الواردة في ترجمة الكتاب وشروحه .

٢ - الأرقام في الكشف تشير الى أرقام الآيات في الترجمة .

٣ - الأرقام المسبقة بحرف ش تشير الى أرقام الشروح والدراسات الملحقه بالترجمة .

١

الاتحاد

. ١٣٦٤ - ١٣٤٥

ش ١٣٥٦ - ١٣٥٧ ، ٢٢٤٧ -

. ٣٧٣١ ، ٣٧٢٩ ، ٢٢٤٩

الاحسان

. ٢١٥١ - ٢١٤٧

ش ١٢٥٣ ، ٢٥٦٩ .

الاحوال

. ٣٠٢

ش ٣٠٢ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٤ .

. ١٧٠٠

الاخلاص (تصوف)

. ١٣٢٠ - ١٣١٣

الاخلاط (أصل الطبائع في الجسد)

. ٣٥١٣ - ٣٥١٢

ش ٣٥١٣ - ٣٥١٢

الاخلاق

. ١٢٤٠ - ١٢٤٦ ، ١٤١٦ -

. ١٤٢٧ ، ٣٤٥٩ - ٣٤٦٤

. ٣٤٦٩ - ٣٤٧١

ش ١٢٢٧ - ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ،

. ١٢٤٤ - ١٢٤٧ ، ١٢٦٢ ،

. ١٢٦٤ - ١٢٦٦ ، ٣٤٦٤ ،

. ٣٤٦٧ - ٣٤٦٩ ، ٣٤٧١ ،

. ٣٤٧٣ - ٣٤٧٤

الأدب (أخلاق)

انظر أيضا أسماء الفضائل

. المختلفة

ش ٣٤١

الارادة الالهية

انظر : القضاء والقدر ، المشيئة

. الالهية

الارادة الانسانية

انظر : الجبر والاختبار .

الأرض

. ١٧٠٣ - ١٧٠٤ ، ٢٩٤٩ -

. ٢٩٦٠

ش ٥٤ ، ١٦٢٤ ، ٢٣٦٩ ، ٢٩٥١

. ٢٩٦٧

١٠٠٠ - ١٠٠٢ ، ١٨٤١ -

١٨٤٧ ، ١٩٦١ - ١٩٦٩ .

ش ١٠٠٠ - ١٠٠١ ، ١٣٢٦ ،

١٨٤٥ - ١٨٤٧ ، ٢٨١٥ .

الاستدراج (الالهى)

٢٢٩٨ - ٢٣٠٨ .

ش ٢٣٠٢ - ٢٣٠٤ .

الاستقامة

١٢ - ١٢٣ .

اسم الله الأعظم

١٤٢ ، ١٤٨ .

ش ١٤١ - ١٥٣ .

الاستشهاد

١٠٧٦ ، ١٠٩٨ .

الأسماء

٣٦٧٦ - ٣٦٨٠ .

ش ٣٢٦٩ ، ٣٦٧٧ .

الأشعار

ش ٣١٠٢ - ٣١٠٤ .

الاشراق (تصوف)

٤٥ ، ٤٦ ، ١١٠٦ - ١١١٤ ،

١١٦ ، ١١٧٠ ، ١٣٣٧ .

ش ١١٨٣ - ١١٨٨ ، ٢٥٨٢ .

الأصل الروحي للانسان

٣٧٦٦ - ٣٧٨٧ .

الاعتزال (علم الكلام)

٦١ - ٦٣ .

أفعال الانسان

(انظر أيضا : العمل)

١١٠١ .

ش ٩٤٤ - ٩٥٧ ، ٩٥٨ - ٩٦٣ ،

١٢٧١ .

الأفلاطونية المجددة

ش ٢٥٨٢ .

الأفلاك (أصواتها)

(انظر أيضا أسماء الكواكب)

١٩٤٣ .

ش ١١٠٢ ، ١٩٤٣ ، ٣٢٥٠ .

الأفيون (تخدير طبي)

١٥٠٣ - ١٥٠٤ .

الاحاد والملاحدون

١٢٤ - ١٢٥ .

الألفاظ والمعاني

٣٠٢ - ٣٠٦ ، ١٧٥٣ ، ١٧٥٤ ،

١٧٥٧ - ١٧٦٤ ، ١٧٨٤ -

١٧٨٦ .

ش ٣٠٢ - ٣٠٦ ، ١٣٥٦ .

الآلم

٢٢٥٤ - ٢٢٦٥ ، ٢٥٢١ .

ش ٢٢٥٧ - ٢٢٦٥ ، ٢٥١٨ -

٢٥٢١ .

الأمانة

ش ٢٣٧٢ ، ٢٣٧٣ ، ٣٢٥٨ .

الامكان (فلسفة)

٧٦٢ - ٧٦٣ .

الأنبياء والمرسلون

٢٨٤ - ٢٨٧ ، ٥٧٤ - ٥٧٧ ،

٧٨٦ - ٨٠١ ، ٨١١ - ٨١٤ ،

٩٠٦ ، ٢٩٤٣ ، ٣١٠١ -

٣١١٥ .

٦ ٣١٢٤ — ٣١١٦ ٦ ٣١١٥
 — ٣٣١٣ ٦ ٣٢.٩ — ٣٢.٧
 ٦ ٣٤١١ — ٣٤.٩ ٦ ٣٣٥٥
 — ٣٦٩٩ ٦ ٣٤٩٨ — ٣٤٧٨
 . ٣٧.٠

ش ١٤٢ ٦ ٢٧ ٦ ٢٥ ٦ ٢٤ ٦ ٢٢
 ٦ ٨.١ — ٧٨٦ ٦ ٥٦٧ ٦ ١٥٨
 — ٨١٧ ٦ ٨١٥ ٦ ٨١٣ — ٨١١
 ١٨٦٦ ٦ ١٨٦٣ ٦ ٩٣١ ٦ ٨٢.
 ٦ ١٩٨٧ ٦ ١٩١٦ ٦ ١٨٧. —
 ٦ ٢٥٧٦ ٦ ٢١٥٤ ٦ ١٩٨٨
 ٦ ٣١.٢ ٦ ٢٥٨١ — ٢٥٧٨
 . ٣٧٨٨ ٦ ٣١.٨

الايمن والمؤمنون

٦ ١.٨٧ ٦ ١.٨٦ ٦ ١.٧٦
 ٦ ١٣٦٨ ٦ ١٢٦. — ١٢٤٧
 — ٢٥٥٤ ٦ ١٦٦٩ — ١٦٦٥
 . ٢٥٧٣

ش ٢٦٧ ٦ ٦.٠ — ٦.١ ٦ ١٧٥٣
 — ٢٥٤٤ ٦ ٢.٢٣ ٦ ١٧٥٤
 ٦ ٢٧٨٨ ٦ ٢٥٥. ٦ ٢٥٤٥
 . ٣.٨. ٦ ٣.٧٨ ٦ ٣.٣٩

ب

الباز (طائر الصيد)

ش ٩ .

الباطل

ش ٢٩٣٥ ٦ ٢٩٣١ ٦ ٢٩٢٨
 . ٢٩٣٩

البحث والتحري

. ٢٩٥٠ — ٢٩٢٣

ش ٨.١ — ٧٨٦ ٦ ٢٨٤ — ٢٨٣
 ٦ ١١٧٩ ٦ ١١٤٧ — ١١٤٦
 ٦ ٢٣.٤ ٦ ٢٣.٣ ٦ ١٥٥٧
 ٦ ٢٩٤٣ ٦ ٢٣٢. — ٢٣١٩
 ٦ ٣١.٨ ٦ ٣١.٥ — ٣١.٢
 . ٣٧٧٨ ٦ ٣٧٧٧ ٦ ٣٦.١

الانسان

ش ٩٩٧ ٦ ٩٧٦ ٦ ٦١٣ — ٦١٢
 ٦ ١٢٦٨ — ١٢٦٧ ٦ ٩٩٩
 ٦ ٢٤٤٨ ٦ ٢.٧٧ ٦ ١٣٣٣
 ٦ ٣.٥٣ ٦ ٢٨٢٤ — ٢٨٢١
 . ٣٧٨٧ — ٣٧٦٦

الانسان الكامل

. ١٨٣

ش ٥٦ ٦ ٥٥ ٦ ٥٤ ٦ ٥٣ ٦ ٤٦
 ٦ ١١٥٧ ٦ ٩٧٤ ٦ ٤٥٦ ٦ ١٣.
 ٦ ١١٧. ٦ ١١٦٣ — ١١٦٢
 ٦ ١٣٩٧ ٦ ١٣٥٤ ٦ ١٢٩١
 ٦ ١٧٣٩ ٦ ١٧٣٧ ٦ ١٦١٦
 — ٢٢٤٤ ٦ ١٨٧٥ — ١٨٧١
 . ٣١.٦ ٦ ٢٢٤٥

الاولياء والمرشدون

٦ ٨.١ — ٧٨٦ ٦ ٢٩٤ — ٢٩٣
 ٦ ٩٣٢ ٦ ٩٣١ ٦ ٨٤. — ٨١٥
 ٦ ١٣٢٨ — ١٣٢٣ ٦ ١٢٤٧
 — ١٥٧٤ ٦ ١٤.٠ — ١٣٨٨
 ٦ ٢١٥٥ — ٢١٥٤ ٦ ١٥٩٥
 ٦ ٢٢١٤ ٦ ٢١٦٦ — ٢١٦٣
 — ٢٣٨١ ٦ ٢٣٥٠ — ٢٣٤٦
 ٦ ٢٥٣٩ — ٢٥٣٨ ٦ ٢٣٨٣
 — ٣١.١ ٦ ٢٥٩١ — ٢٥٨٥

• ٣٢٢٢ — ٣٢٢١ ، ٢٣٨.

البعث

• ١.٦٤ ، ١.٤٥ ، ١.٤٤

• ١.٦٥

• ش ١٦١٥

بعث الروح

• ش ١٦١٥ ، ١٣٣٩ — ١٣٣٨

البقاء

ش ١١٧٦ ، ١١٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣

• ٣٣٢٦

البكاء

• ٤٨٣ — ٤٧٩ ، ٤٤٩ — ٤٤٢

• ش ١٩٥١

ت

التأويل

• ش ٧٢٣

التأييد الالهي

• ٣٥٤ — ٣٣٩

• ش ٢٢٩٨ ، ٢٢٩٦

التحقيق (تصوف)

• ٥٦٩ — ٥٦٧ ، ٤٩٤ — ٤٩٣

• ش ٤٩٨ ، ١٦٤

التسبيح

— ٣١٤٤ ، ٣١٣٩ — ٣١٣٥

• ٣١٤٦

• ش ٣١٣٨ — ٣١٣٧

التصوف

• ٣٤٩٧

• ش ١٥٨

ش ٢٩٤٧ ، ٢٩٤٦ ، ٢٩٢٧

• ٣٧٣٣ ، ٣٧٣٢ ، ٣٠١١

البخل

• ٨٩٩ — ٨٩٧ ، ٨٩٤

• ش ١٢٧١ ، ٨٩٩ — ٨٩٨

برج الحمل (فلك)

• ١٥٩٣

• ش ١٥٩٣

البصر

• ١.٧ — ١.٥ ، ٨٥ — ٨٤

• ٤٧٧ ، ٢٨٩ — ٢٨٧ ، ١٢.

— ٧٦٣ ، ٧٢٢ ، ٦١١ ، ٤٨٥

• ١.٢٨ ، ٨٦١ — ٨٥٧ ، ٧٦٤

• ١٢٩٩ — ١٢٨٤ ، ١١٨.

• ش ٣١٥ ، ١.٦ ، ١.٥ ، ٨٦

— ٧٥٦ ، ٧٢٢ ، ٦١١ — ٦١.

• ١٢٩٣ ، ١٢٩٠ — ١٢٨٤ ، ٧٥٧

• ١٦١٠ ، ١٢٩٩ — ١٢٩٧

• ٢٤٥١

البصيرة الروحية

• ٨٦ — ٨٩ ، ١.٨ ، ٦١١

— ٨٢١ ، ٧٦٣ ، ٧٥٧ ، ٧٥٦

• ١١١٩ ، ٨٥٦ ، ٨٥٥ ، ٨٢٦

• ١٢٩٩ — ١٢٨٤ ، ١١٢٦ —

• ش ٨٦ ، ١.٩ ، ١.٤ ، ١١٥

— ٦١٠ ، ٤٨٥ ، ٤٧٨ ، ٤٤٩

• ٧٥٧ — ٧٥٦ ، ٧٢٢ ، ٦١١

• ١٢٩٠ — ١٢٨٥ ، ٥٨٤ — ٨٥٣

• ١٥٥١ ، ١٥٤٢ ، ١٢٩٧

• ٢٣٦٦ ، ١٨٤٤ — ١٨٤٢

التشبيه

انظر : التنزيه والتشبيه .

التعليم

. ٣٣١٩ - ٣٣١٤

ش ١٥٨ .

التقليد

٥٦٧ - ٥٦٢ ، ٤٩٦ - ٤٨٣

. ٥٧ .

ش ٤٨٨ - ٤٨١ ، ٧٤٩ ، ٤٧٨

- ٤٩٨ ، ٤٩٥ ، ٤٩٣ ، ٤٩٠ .

٥١٤ ، ٥١٢ - ٥٠٣ ، ٥٠٠ .

٢٩٨٧ ، ٨٥٩ - ٨٥٧ ، ٥٦٧

. ٢٩٩٨ -

التكليف

. ١٧٥٦

تمثيلات (نماذج)

١٤٠ - ١٣٥ ، ١٢٠ - ١١١

٥٠٨ - ٥٠٣ ، ٣٣٣ - ٣٢٢

٦٣٩ - ٦١٤ ، ٥٨٩ - ٥٨٥

٧٤٣ - ٧٣٩ ، ٦٧٦ - ٦٤٤

- ١١٣١ ، ٧٨٢ - ٧٧٦

١٢١١ - ١١٩٢ ، ١١٦٩

- ٣١١٦ ، ١٢٤٠ - ١٢٢٧

. ٣٤٥٥ - ٣٤٣٦ ، ٣١٢٨

التنزيه والتشبيه

١٧٥٥ ، ٦٩ - ٦٨ ، ٦٠ - ٥٧

ش ١٧٥٥ ، ١٧١٩ ، ٦٠ - ٥٧

. ١٧٥٦

التوبة

- ١٦٥١ ، ١٦٤٥ - ١٦٤٣

. ١٦٥٥

ش ١٦٥٤ - ١٦٥١ .

التوحيد

. ٥٨٠ ، ٥٧

- ش ٣١١ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ٥٧

. ٣١٣ ، ٣١٢

التيه

ش ٢٤٨٤ .

ث

الثواب

. ٩٤٤

ج

الجاه

١١٠٣ ، ٧٥٤ - ٧٥٢ ، ١٣٢

. ١١٠٦ -

الجبر والاختيار

ش ٣٣٦٠ - ٣٣٥٩ ، ٦٣ - ٦١

الجهود

. ١٦٤٩

الجحيم

. ١٢٥٩ - ١٢٤٨

الجدب

. ٩٠ ، ٨٣ - ٨٠

الجزاء

. ٩٩١ - ٩٨٩

الجسد

٣٠٠ - ٢٩٩ ، ٢٦٨ - ٢٦٤

- ٧٧٢ ، ٤٥٥ - ٤٥٣ ، ٤٥١

١٠٤٠ - ١٠٣٧ ، ٧٧٤

• ٢٩٦٤ - ٢٩٦١

ش ٣١٥٤
الجود

- ١٢٧١ ، ٩٠٠ - ٨٩٤

• ١٢٧٣

ش ٧٣٨ ، ٨٩٧ ، ٨٩٩ - ٩٠٠ ،

• ١٢٧١

الجوهر (فلسفة)

• ٩٥٠ - ٩٤٥

ش ٧٢٤ - ٧٢٥ ، ٩٤٩ ، ٩٨٣ ،

• ١٢٢٤ - ١٢٢٢

الجوهر (حجر كريم)

• ٨٥٣

ح

الحرص

انظر : الطمع والحرص .

الحركة

ش ٣٢٥٦

الحزم

ش ٢٦١

الحزن

• ١٣٧٩ - ١٣٨٠ ، ١٩٥١

ش ٤٤٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ - ٤٨٣ ،

الحسد

- ٨٠٤ - ٨١٥ ، ١١٢٦

- ١١٣٠ ، ١٢٦٢ ، ١٤٠٥

- ١٤١٢ ، ١٥٠١ ، ١٥٦٩

• ١٥٧١

ش ١٢٧ ، ٨٠٢ - ٨٠٥ ، ٨١١ -

- ٨١٣ ، ٨١٥ ، ١١٢٦

• ١٠٥٢ - ١٠٥٣ ، ١٠٩٧

• ١٠٩٨ ، ١١٧٩ ، ١٢٧١

• ١٣٣٤ - ١٣٣٧ ، ١٣٦٣

• ١٣٦٩ - ١٣٧١ ، ١٤٤٢

• ١٨٥٠ - ١٨٥٥ ، ١٨٦٠

• ١٩٤٨ ، ٣١٣٤ - ٣١٤١

• ٣٢٥٣

ش ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧

• ٤٦١ ، ٤٧٠ - ٤٧٣ ، ٧٠٥

• ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩

• ٧١٢ ، ٧١٥ ، ١٠٥١ ، ١١٩٢

• ١٢٠٧ - ١٢١٠ ، ١٢١٢

• ١٢١٤ ، ١٢١٦ - ١٢٢٥

• ١٢٧١ ، ١٣٦١ - ١٣٦٥

• ١٣٦٩ ، ١٤٤٢ - ١٤٤٥

• ١٨٥٠ ، ١٨٥٣ ، ١٨٦٠

• ٣١٤١ ، ٣٣٢٤ ، ٣٥٢٣ -

• ٣٥٢٥

الجماد

ش ٢٣٧٠ - ٢٣٧٣ ، ٢٣٨٣

الجمال

• ٧١٧ - ٧١٢

الجمود

ش ١٣٣٤ - ١٣٣٦

الجن

ش ٩١٦

الجهات الست

• ٢٦٤

ش ٦١٢ - ٦١٣ ، ٢٦٤٨

الجهاد

المقدمة ، ١ - ٩ ، ٣١٨ -
٣٢٢٢ ، ٦٧٠ ، ١٤٢٢ ، ٣٢٦٦
- ٣٢٦٩ .

ش المقدمة ، ١ - ٢ ، ٣١٨ -
٣٢١ ، ٧٤٥ - ٧٤٧ ، ٨٥٨ ،
١٣٣٠ ، ١٦٦٩ .

الحمد والثناء

١٧٩٤ - ١٧٩٧ .

الحواس والادراك الحسى

انظر أيضا : البصر ، السمع
٣٢٣٦ - ٣٢٤٩ .

ش ٣٩ ، ٤٠ - ٤١ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٥٠ ، ٥٢ ، ١٧٥ - ١٧٦ ،

٦١٢ - ٦١٣ ، ٧٠٢ - ٧٠٣ ،

٧١١ ، ٧٢٠ - ٧٢٢ ، ١٢٩٦ ،

١٢٩٧ ، ١٦٠٥ ، ٢٥٨٣ ،

٢٦٤٨ ، ٢٦٥٠ - ٢٩٤٣ ،

٣٠٣٥ ، ٣٢٣٦ ، ٣٢٤٠ ،

٣٢٤٢ - ٣٢٤٣ ، ٣٢٤٥ -

٣٢٤٦ ، ٣٢٥٤ ، ٣٣٢١ ،

٣٣٢٢ ، ٣٣٤٤ - ٣٣٤٩ ،

٣٥٢٣ .

خ

الخداع

٢٦٢ .

الخطيئة

ش ٣٣٧ ، ٣٣٨ - ٣٤٠ ، ٣٣٢٠

- ٣٣٢١ ، ٣٣٧٠ - ٣٣٧٥ .

الخلافات الصورية

٣٧٣٣ - ٣٧٤٤ .

١١٣ ، ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ ،

١٨٦٥ .

الحس الدنيوى

٤٧ - ٥٢ ، ٦١ - ٦٥ ،

١٢٨٦ - ١٢٩٩ ، ١٣٧٨ ،

١٦٠٥ ، ١٦٠٧ - ١٦٠٩ .

ش ١١ .

الحس الروحى

٤٧ ، ٤٩ - ٥٢ ، ٦٦ - ٦٧ .

ش ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٦ - ٦٧ ، ١٢٩٠ ،

٣٥٥١ ، ٣٥٥٤ .

الحس المشترك

ش ٢٦٤٨ - ٢٦٤٩ ، ٣٢٣٦ .

الحشر

٩٦ - ١١٨٦ ، ١١٨٧ ،

١٢٥١ ، ١٤١٢ - ١٤١٩ .

الحقد

٢٧٣ - ٢٧٦ .

الحقيقة

ش ١٨١ - ١٨٢ ، ٢٥١ ، ٧٢٠ ،

٧٢١ ، ٧٥٥ ، ١١٠٦ ، ٢٩٢٦ ،

٢٩٦٩ - ٢٩٧٢ ، ٢٩٩٧ ،

٢٩٩٨ ، ٣٠١٢ ، ٣٠٢٢ ،

٣٢٤٧ ، ٣٢٤٨ .

الحقيقة الحمديّة

ش ٩٠٩ ، ١١٨٣ - ١١٨٨ ،

٣٥٣٠ .

الحكمة الدنيوية

٣١٧٦ - ٣٢٠٦ .

الحكمة الروحية

الخلق

ش ١١١٤ - ١١١٧ .

خلق الشر

ش ٢٥٣٥ - ٢٥٤٢ .

ش ٢٥٣٥ ، ٢٥٣٧ - ٢٥٤١ ،

ش ٢٦٨٦ - ٢٦٨٧ .

الخلوة

٢٤ - ٢٥

ش ٢٤ ، ٢٥ .

الخوف والرجاء

٥٠٨ - ٥١٢ ، ١٥٥٤ ، ١٩٥٧

ش ١٥٥٤ ، ١٩٥٧ ، ٣٠٤٢ .

الخيال والوهم

١٠٢ - ١٠٤ ، ١٠٩ - ١١٠ ،

١١٢ - ١٢٠ ، ٥٩٤ - ٥٩٨ ،

٦٠٢ - ٦١٠ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ،

٩٦٥ - ٩٧٢ ، ١١٢٠ .

ش ٥٩٥ ، ٦١٠ - ٦١١ .

الخير والشر

ش ٢٩٦٥ - ٢٩٧٢ .

ش ٩٨٨ ، ١٥٥٣ ، ٢٦٧٢ ،

٢٦٧٤ - ٢٦٧٦ ، ٢٦٨٤ .

د

الدعاء

١٣٨ - ١٤٠ ، ٦٤٢ ، ٦٩١ -

٦٩٣ ، ١١٨٩ - ١١٩١ ،

٢٤٥٧ - ٢٤٨٢ ، ٢٤٩٧ -

٢٥٠٧ ، ٢٥٥١ - ٢٥٥٣ .

ش ٦٩٢ ، ٢١٤١ ، ٢٤٤٩ .

الدعوى الصادقة

ش ٣٥٧٣ - ٣٦٠١ .

الدنيا

(انظر : العالم المادى)

الدهرية

ش ٢٣١٨ .

ش ٢٣١٨ .

الذات والصفات الالهية .

٣١٠ - ٣١٣ .

ش ١٧٥٥ ، ١٧٥٦ - ٢٨١٢ ،

الذوق (تصوف)

ش ٣٣٩٣ - ٣٣٩٧ .

ش ٨٤٢ ، ٣٥٦٦ .

و

الرزق

ش ٤٦٣ - ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

ش ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

الرفيق (تصوف)

٢٢ - ٣٦ ، ٩٥ - ٩٦ ،

٩٩ .

الروح

انظر ايضا : الحكمة الروحية ،

اليقظة الروحية

٤٣ - ٤٥ ، ٥٦ ، ٩٣ ، ١٧٠ ،

١٧١ ، ١٧٨ - ١٨٠ ، ١٨٦ ،

٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٥٠ ، ٧٤٧ ،

٨٤٥ - ٨٤٨ ، ١٠٥٠ -

١٠٥٢ ، ١١٧٥ ، ١١٧٩ ،

١٣٣٤ ، ١٣٤٢ ، ١٣٧٣ -

١٣٧٤ ، ٢٦٨١ - ٢٦٨٣ ،

٣١٣٤ - ٣١٤٤ ، ٣١٧٠ ،

ش ١٨٨ ، ٣٢٥٣ - ٣٢٥٤ .
الروح الكلى
١١٨٣ ، ١١٨٦ .
ش ١١٨٣ - ١١٨٤ ، ١١٨٦ .
رؤية الله

انظر ايضا : الشهود
والعيان ، الكشف والتجلي
٦١ - ٦٥

ش ٦١ - ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

ز

زحل (فلك)

١١٠٠ ، ١٥٤٩ ، ١٧١٣ ،

١٧١٤ .

ش ١٥٤٩ .

ش

السحر

٥٠٢ .

السخاء

(انظر : الجود) .

سدرة المنتهى

١٧٨٨ .

ش ١٧٨٨ .

السعادة

٧٣٩ - ٧٤٤ .

السعى والتوكل

٧٣٢ - ٧٣٨ ، ١٦٧٠ -

١٧٠٠ .

ش ٧٣٢ - ٧٣٤ ، ١٠٦٢ ،

٣٤٦٤ - ٣٤٦٥ ، ٣٧٤٠ .

٣١٧١ ، ٣٢٥٨ - ٣٢٦٤ ،

٣٣١١ .

ش ١٤ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،

٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،

١٧٠ - ١٧٣ ، ٣٣٦ ، ٤٤٩ ،

٤٥١ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ،

٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٦٨٦ ، ٧٠٢ -

٧٠٣ ، ٧٠٨ ، ٨٤٨ ، ٩٣٩ -

٩٤٠ ، ١٠٥١ - ١٠٨٦ ،

١١٨٣ - ١١٨٨ ، ١٢٠٧ -

١٢١٠ ، ١٢١٢ - ١٢١٤ ،

١٢٧١ - ١٢٧٦ ، ١٢٨٤ -

١٢٩٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٥٤ ،

١٤٤٢ - ١٤٤٤ ، ١٥٥٨ ،

١٥٥٩ ، ١٦٥٤ - ١٦٦٤ ،

١٨٥٠ ، ١٨٥٣ ، ١٨٥٨ ،

١٨٥٩ ، ١٩٤٧ ، ٢٤٤٢ ،

٣٠١٤ ، ٣٠١٥ ، ٣٠٣٥ ،

٣١٤١ ، ٣٢٩٤ ، ٣٢٩٧ ،

٣٢٩٩ ، ٣٣٠٢ ، ٣٣٥٥ ،

٣٤٦٤ ، ٣٥٢٣ ، ٣٧٥٦ ،

٣٧٥٩ ، ٣٧٦٦ - ٣٧٨٧ .

الروح الانساني

١٨٨ .

ش ١٨٦ - ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٣١٣٤ ،

٣٢٥٨ ، ٣٢٦٠ - ٣٢٦٣ .

الروح الجزئي

١١٨٣ ، ١١٨٤

الروح الحيواني

١٨٨ ، ٩٤٣ ، ٣٢٥٣ -

٣٢٥٥ .

السكر

١٧٦٩ ، ٥٩ .

ش ١٨٠ ، ١٣٤٧-١٣٤٥ ،

١٧٦٥ ، ١٧٦٩ ، ٢٣٩٢ .

السلوك

١٦٠ - ١٦٤ .

ش ١٦٠ - ١٦١ ، ١١١٨ -

١١١٩ ، ٣٠٠١ ، ٣٠٠٦ ،

٣٠٠٧ ، ٣٣١٢ ، ٣٣١٣ .

السمع

٣١٥ - ٣١٦ ، ٨٥٧ ، ٨٦٢ .

ش ٣١٥ - ٣١٦ ، ٨٦٢ .

السمنية (فرقة وثنية)

٨٨٣ .

السنة (علم الكلام)

٦١ - ٦٤ .

ش

الشباب

١٢١٥ - ١٢١٩ ، ١٢٦٦ -

١٢٦٨ .

السطح

ش ١٣٤٥ - ١٣٤٧ ، ١٧٦٠ -

١٧٦٥ .

الشطرنج

١٢٩ - ١٣٠ ، ١٧٨٠ .

شق القمر (معجزة الرسول)

٩٢١ ، ١٩٢٠ .

ش ٩٢١ ، ١٩٢٠ .

الشمس (فلك)

٤٢ ، ١١٠٧ .

ش ١١٠٧ ، ١٦٣٨ .
الشهوة

انظر ايضا : الهوى

١٠ - ١٥ ، ١٥٦٠ ،

٣٤٥٨ - ٣٤٦٠ ، ٣٤٧٢ .

ش ١٠ ، ١٥ ، ٧٤٨ - ٧٥٢ ،

١٤٤٤ ، ١٤٦٥ ، ٣٤٧١ ،

٣٤٧٣ - ٣٤٧٤ .

الشهود والعيان

انظر ايضا : رؤية الله ،

الكشف والتجلي .

٧٤ - ٧٥ ، ١١١ ، ١٦٧ ،

٧٦٣ ، ٨٢١ - ٨٢٦ ،

١٨٢١ - ١٨٢٥ .

ش ٦١ - ٦٣ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٤ ، ٧٥ ، ٨٤ - ٨٩ ، ٩٩ ،

١٩٠ - ١٩٣ ، ٥٨٣ ، ٦٨٠ ،

٩٩٣ - ٩٩٤ ، ٩٩٥ ،

٣٠٠٢ ، ٣٢٤٨ ، ٣٥٠٣ ،

٣٥٦٦ .

الشيخوخة

١٢٢٠ - ١٢٢٦ ، ٣٠٨٨ -

٣١٠١ .

ش ٣١٠١ - ٣٠٨٨ .

ص

الصبر

٧٠ - ٧١ ، ٥٩٨ - ٦٠١ ،

١٢٧٦ ، ٣١٤٥ - ٣١٥٠ .

ش ٦٠٠ - ٦٠١ ، ٣١٤٥ ،

٣١٤٧ ، ٣١٥٠ ، ٣٤٧٥ .

١٥٦ - ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٥١٤ -

٥٧٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٤ .

ش ٥٧ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٣٨٢ ،

٥٣٣ - ٥٣٤ ، ٦٩٨ ، ٧٠١ .

ض

الضبع

ش ٣٣٦١ - ٣٣٦٣ .

الضراعة

١٦٤٢ - ١٦٤٣ ، ١٦٤٦ -

١٦٤٨ ، ١٦٥١ ، ١٩٥٤ -

١٩٥٦ ، ١٩٩٠ ، ٢٠٠٩ ،

٢٧٧١ - ٢٧٨٤ .

الضمير

ش ٩٩٨ - ٩٩٩ .

ط

الطبائع الأربع

١٨٤٣ .

ش ١٦٢٥ .

الطبيعيون (فلسفة)

ش ١٦٢٥ .

الطلاق

١٧٥٢ .

ش ١٧٥٢ .

الطمع والحرص

١٣٢ - ١٣٣ ، ٥٧٠ ، ٥٧٣ ،

٥٧٨ - ٥٨٤ ، ٥٨٨ ، ٧٢٩ -

٧٣٤ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ،

١٤١٣ ، ١٨١٠ ، ١٨١٥ ،

١٩٥٩ .

الصحابة

٢٩٠٦ - ٢٩١٠ .

الصداقة والأصدقاء

١٤٥٧ - ١٤٦١ ، ١٨٧٦ ،

١٨٧٧ ، ٢٠١٥ - ٢٠٣٥ ،

٢١٣٠ - ٢١٤٠ ، ٢١٨٠ .

ش ١٨٧٧ ، ٢١٠٣ - ٢١٠٥ ،

٢١٥٠ .

الصدق

٢٧٣٢ - ٢٧٣٨ .

ش ١٤٧٨ - ١٤٧٩ ، ٣٠٠٦ -

٣٠٠٧ .

الصورة والمعنى

٧٠٢ - ٧١١ ، ٧١٩ - ٧٢٦ ،

٩٧٧ ، ١٠١٨ - ١٠٤٥ ،

١٠٩٠ - ١١٠٢ ، ١١٧٧ ،

١١٧٨ ، ٣٠١٣ - ٣٠١٤ ،

٣٢٩٠ - ٣٢٩٢ .

ش ١٠٢٦ - ١٠٤٥ ، ١٠٥٠ ،

١١٠٩ ، ١١٧٧ - ١١٧٩ ،

١٢٤٥ - ١٢٤٧ ، ١٣٢٣ -

١٣٢٥ ، ١٣٥٥ - ١٣٥٦ ،

١٣٩١ - ١٣٩٧ ، ١٤٠٤ .

الصوفى المزيف

٥١٤ - ٥٣٤ ، ٢١١٨ -

٢١٨٤ .

الصوفية

انظر أيضا : الأولياء

والمرشدون ، العرفان

والعارفون .

٦٣ ، ٦٣١ ، ٦٥٣ ، ٧٦٤ ،
 ٩٧٩ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ،
 ١٠٦٨ - ١٠٧٢ ، ١٢٨٠ -
 ١٢٨٣ ، ١٤٩٥ ، ١٥٦٠ ،
 ٢٤٤٤ - ٢٤٤٨ ، ٢٥٩٢ -
 ٢٦٠٠ ، ٣١٤٠ .

ش ١٢ ، ١٣ ، ٥٩٠ - ٥٩٢ ،
 ٥٩٤ ، ٧٦٠ ، ٩٨٤ - ٩٨٥ ،
 ٩٩٦ ، ١٠٦٨ - ١٠٧٢ ،
 ١١٣٢ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ،
 ١٢٨٠ - ١٢٨٣ ، ١٤٩٥ ،
 ١٩٤٩ ، ١٩٥٦ ، ٢٤٨٤ ،
 ٢٥٩٦ ، ٣٢٣٠ ، ٣٢٩٥ -
 ٣٢٩٦ ، ٣٧٤٧ ، ٣٧٧٣ ،
 ٣٧٧٤ ، ٣٧٨٥ .

عبادة الأوثان

ش ٣٦٩ .

العبد الأبق

ش ٣١٣٥ .

العبرة

٣٠٥٨ - ٣٠٥٥ .

العتاق

ش ١٧٥٢ .

العداوة

١٨٧٧ .

العدالة (شريعة)

٢٧٤٤ - ٢٧٥٥ .

العدل الالهى (علم الكلام)

ش ٦١ - ٦٣ .

العدم

انظر ايضا : الكون والعدم

ش ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٨ ،
 ٥٨٣ ، ٥٨٨ ، ٧٥١ - ٧٥٢ ،
 ١٤٦٩ ، ١٩٥٩ .

الطهر

ش ١٧٩٩ - ١٨٠٠ ، ٣٣٠٩ .

الطير

ش ٢١٠٣ - ٢١٠٥ .

ظ

الظن

ش ٤٧٨ .

ع

العادات والتراث الشعبى

انظر ايضا : قصص المتنوى

المختلفة

٢٤٢ - ٢٤٣ ، ٢٨٠ - ٢٨٢ ،

٦٤٣ - ٦٦٩ ، ٢٩١١ -

٢٩٢٢ .

العالم الروحى

١٢٧٩ - ١٢٨٤ ، ٢٥٩٥ -

٢٦٠١ ، ٣٢٣٠ - ٣٢٤٤ ،

٣٢٥٠ - ٣٢٩٢ ، ٣٢٩٥ -

٣٢٩٨ .

ش ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ٥٠ ،

٦٨٩ ، ٣٢٣٠ - ٣٢٣٢ ،

٣٢٣٤ - ٣٢٣٥ ، ٣٦٠١ ،

٣٧٦٦ - ٣٧٨٧ .

العالم المادى

٣٢ ، ٣٣ ، ٤٦٦ - ٤٦٧ ،

٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ،

، ٢٢٨٧ — ٢٢٨٦ ، ٢٢٨٢
 — ٢٤٢٧ ، ٢٣٤٨ — ٢٣٤٧
 ، ٢٨١٦ — ٢٨١٤ ، ٢٤٢٨
 ، ٢٩٧٢ — ٢٩٦٩ ، ٢٩٣٧
 ، ٢٩٨٦ — ٢٩٨٥ ، ٢٩٨٣
 ، ٣٠٠٤ ، ٢٩٩٨ — ٢٩٨٧
 ، ٣١٤٤ — ٣١٤٢ ، ٣١٣٩
 — ٣٣١٤ ، ٣٢٦٦ ، ٣٢٢٢
 ، ٣٣٢٣ — ٣٣٢٠ ، ٣٣١٥
 ، ٣٣٤٠ ، ٣٣٢٦ — ٣٣٢٥
 ، ٣٤٣٠ ، ٣٣٥١ — ٣٣٥٠
 ، ٣٤٩٥ — ٣٤٧٨ ، ٣٤٧٦
 — ٣٥٥٥ ، ٣٥٣٠ ، ٣٥٢٤
 — ٣٥٦٢ ، ٣٥٥٨ ، ٣٥٥٦
 ، ٣٦٩٧ ، ٣٦٨٧ ، ٣٥٦٤
 ، ٣٧٤٧ ، ٣٧٠٨ ، ٣٧٠٧
 ، ٣٧٥٧ ، ٣٧٥١ ، ٣٧٤٩
 ، ٣٧٦١ — ٣٧٥٦ ، ٣٧٥٥

العروة الوثقى

ش ١٢٧٤

عطارد (فلك)

١٥٩٨

العقل الكلى

٩٧٨

ش ٧١١ ، ٩٨٤ ، ٢٣٢٣ —

٢٣٢٥

العقل والنظر العقلى

٢٠ ، ٢٦ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ،

ش ٦٨٨ — ٦٩٠ ، ٧٥٩

العرض (فلسفة)

٩٤٦ — ١٠٠٢

ش ٩٤٩ ، ٩٦٤ — ٩٨٣

١٢٢٢ — ١٢٢٤

العرفان والعارفون

٥٣ — ٥٥ ، ١٥٨ — ١٧٦

١٨١ — ١٨٩ ، ١٤٢٢

١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٧٥ —

١٤٨٠ ، ١٥٦٨ — ١٥٦٧

٣٤٢٩ — ٣٤٣٥ ، ٣٥٥٢ —

٣٥٧٢

ش ٤٠ — ٤١ ، ١٦٥ ، ١٦٦

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٥ —

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ — ١٧٩

١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٩٣ — ٢٩٤

٤٩٨ ، ٥٣٣ — ٥٣٤

٦٩٨ — ٧٠١ ، ٨٣٩

١٠٥٢ — ١٠٥٣ ، ١١٣١

١٣٨٨ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢

١٣٩٤ ، ١٥٠٧ ، ١٥٣٢

١٥٣٣ ، ١٥٤٢ ، ١٥٧٧

١٥٨٠ — ١٥٨١ ، ١٥٨٣

١٥٨٥ ، ١٥٨٧ ، ١٥٩٦ —

١٦٠٠ ، ١٦٦٥ — ١٦٧١

١٦٧٥ — ١٦٧٨ ، ١٦٨٠ —

١٦٩٦ ، ١٦٩٩ ، ١٧٠٤

١٧٧١ ، ٢٢٣٣ — ٢٢٣٦

• ١١٦٨ - ١١٥٣

العنقاء

• ١١٦١ ، ٥٤

ش ٥٤

العهد والقسم

• ٢١٤٠ - ٢١٣١

• ٢٨٧٢ ، ٢١٣٨ - ٢١٣٧ ش

العوام

• ١٤٣٤ ، ١٣٩٤ - ١٣٩٠

• ٢٨١٦ ، ١٣٩٤ - ١٣٩٠ ش

- ٣٣٢٢ ، ٢٩٢٢ - ٢٩١٥

• ٣٣٤١ ، ٣٣٤٠ ، ٣٣٢٣

• ٣٣٤٤

غ

الغذاء (المادى والروحى)

- ١١١٦ ، ١٠٨٩ - ١٠٧٨

• ١١١٩

• ٣٥٦٨ ش

الغروب

- ٣٠٥٩ ، ٣٤١ - ٣٣٦

• ٣٤٧٤ - ٣٤٦٤ ، ٣٠٧٥

• ١٤٦٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ش

• ١٨٠٨ ، ١٧٩٥ - ١٧٩٢

• ٣٠٤٢ ، ٢٥١٧ ، ٢٥١٦

• ٣٤٦٩ - ٣٤٦٦

الغفلة

• ٣٧٤٦ ، ١١١٨ - ١١١٧ ش

• ٣٧٨٦ - ٣٧٨٣ ، ٣٧٤٧

القول

• ٧٥١ - ٧٤٨

• ١٤٣٤ ، ١١٨٢ ، ١١٨١

• ١٥٤٠ - ١٥٣٦ ، ١٤٣٥

- ٢٣٢٤ ، ١٥٤٩ - ١٥٤٨

• ٣٢٦٤ - ٣٢٥٤ ، ٢٣٢٦

• ٣٣١١

• ٧١٠ ، ١٧٧ ، ٢٢ ، ٢٠ ش

• ٧٢١ - ٧٢٠ ، ٧١٩

• ٢١٣٧ ، ١٨٥٧ ، ١٦٠٥

• ٣٢٥٦ ، ٣٢٠١ ، ٢١٣٨

• ٣٣١١ ، ٣٢٦٣ - ٣٢٦٠

• ٣٧٨٤ ، ٣٧٤٠ - ٣٧٣٢

العلم

• ٢٣٧٢ - ٢٣٦٣

• ١٨٢٨ - ١٨٢٧ ، ٩٩٥ ش

العلم التقليدى

- ٢٤٢٩ ، ٢٣٢٨ - ٢٣٢٦

• ٣٢٦٥ ، ٢٤٣٧

• ٢٣٢٨ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ش

• ٢٣٨٦ ، ٢٣٣٧ - ٢٣٣٣

• ٢٩٢٢ - ٢٩١٥ ، ٢٨١١

- ٢٩٨٧ ، ٢٩٧٦ ، ٢٩٧٥

• ٣٠٠٤ ، ٣٠٠٢ ، ٣٠٠٠

- ٣٢٦٠ ، ٣٠١١ ، ٣٠١٠

• ٣٦٩٦ - ٣٦٩٥ ، ٣٢٦٣

علم الكلام

• ٢٤٣٦ ش

العمل

انظر ايضا : افعال الانسان

• ١٠٠٠ - ٩٩٦

• ١٩٣٨ ، ١٩٣٠ ، ١٨٢٩ ش

العناية الالهية

، ١٣١٣ ، ١١٧٦ - ١١٧١
 - ١٣٤٥ ، ١٣٣٧ - ١٣٣٦
 - ١٣٥٧ ، ١٣٥٣ ، ١٣٤٨
 ، ١٤١٧ - ١٤١٦ ، ١٣٦.
 ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٢ - ١٤٢.
 ، ٢٢٤٩ - ٢٢٤٧ ، ١٧٣٧.
 . ٣٣٢٦ ، ٢٨١٣

الفيض (تصوف)

ش ٢٥٨٢

القبض والبسط

. ٣٧٤

القدرة الالهية

ش ٧٧. ، ٨٩٣ - ٨٩٢ ، ١١٢٥

، ٢٥٤١ - ٢٥٣٧ ، ١٥٥٢

. ٣٢٩١

قدرة المنوع (علم الكلام)

ش ٦١ - ٦٣

القصص

. ٣٦٢٤ - ٣٦١٦

ش ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ - ٢٥٠

القضاء والقدر

١.٦٧ - ١.٥٤ ، ٧٧١ - ٧٦٥

ش ١.٥٨ ، ١.٥٥ - ١.٥٤

، ١٣.٥ ، ١.٧. - ١.٦٨

- ٣٧٣٨ ، ١٣١٣ ، ١٣.٧

. ٣٧٤.

القطب الأكبر (تصوف)

. ٨٣٦ ، ٨١٩ - ٨١٨

ش ٨٣٦ ، ٨١٩ - ٨١٨

القلب

- ١٦٥ ، ١٥٩ ، ٧٢ - ٧١

ش ١٩٥٧

الغيب

. ٥٢

ش ٥٢ ، ١٨٢ - ١٨١ ، ٢٥١

، ١٢٨٣ - ١٢٨. ، ٦٧٩

. ٣٢٩٨ ، ٣٢٩٧ ، ٣٢٣.

الغيرة

. ١٢٦

ف

الفراسة

ش ١٤٧٩ - ١٤٧٨

الفقر

. ٥١٨ - ٥١٧

ش ٥١٤

الفكر

، ٩٧٧ ، ٢٧٩ - ٢٧٧ ، ١٧٧

- ١.٢٩ ، ٩٨٥ ، ٩٧٨

. ١.٤٥

ش ١٥.٩ - ١٥.٨ ، ٨٥٦

، ٣٢٩٦ ، ٣٢٩٥ ، ٣٢.٧

. ٣٥٥٨

الفلاسفة

ش ١٦٢٥

الفن

ش ٢.٤١ - ٢.٣٧

الفناء الصوفي

، ١٣١٣ ، ١١٧٤ - ١١٧١

، ٢٥٢٣ - ٢٥٢٢ ، ١٣٢.

. ٢٥٧٥ - ٢٥٧.

ش ٧١٨ ، ٧١٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣

— ٣٧٨٨ ، ٣٤٩٥ — ٣٤٧٨

• ٣٨١.

• ش ٣٤٩٥ — ٣٤٧٨

الكرم

انظر : الجود .

الكرم الالهى

— ٣٢٧٤ ، ٣٦٤ — ٣٦١

• ٣٢٨٥

• ش ٢٦٣٧ — ٢٦٣٥

الكشف والتجلى

انظر ايضا : رؤية الله ،

الشهود والعيان .

• ٦٨٣ — ٦٨٠ ، ١٨٢ — ١٧٣

• ش ١٨٤٩ ، ١٨٤٨ ، ١١٠٨

• ٣٧٨٢ ، ٣٢٤٩

الكفر والكافرون

• ٢٥٤٧ — ٢٥٤٥

• ش ٩٨٧ — ٩٨٦ ، ٧٩٢ ، ٧٩٠

— ١٨٠٨ ، ١١٤٧ — ١١٤٦

• ٢٥٤٧ — ٢٥٤٥ ، ١٨٠٩

• ٢٥٤٩

كليلة ودمنة

• ٣١٦٠ ، ٣١٥٩ ، ٩٧٥

• ٣٦٢٤ — ٣٦١٧

• ش ٣٦١٧ ، ٣١٥٩ ، ٩٧٥

• ٣٦٢.

الكواكب

• ش ٣٥٤

كيوان (فلك)

• ١٧٠٩ ، ١٧٤

• ٨١٦ ، ٣١٧ — ٣١٦ ، ١٦٦

١٠٨٥ ، ١٠٨٤ ، ٨٣٩ — ٨٣٦

• ١٣٦٤ ، ١١٨٠ ، ١٠٨٩

• ١٤١٥ ، ١٣٧١ — ١٣٦٩

• ٢٥١٩ ، ٢٠٦٣ ، ١٧٦١

— ٣٣٧٠ ، ٣١٣٢ — ٣١٢٩

• ٣٥٥١ ، ٣٣٨٧

• ش ١٦٥ ، ١٥٩ ، ٧٣ ، ٤٩

١٠٨٥ ، ١٠٨٤ ، ٤٥٤ ، ١٦٦

• ١٢٩٣ — ١٢٨٤ ، ١٢٦٨

• ١٣٣١ ، ١٣٢٩ ، ١٣٢٧

• ١٣٦٥ ، ١٣٦٢ — ١٣٦١

• ١٦٠٨ ، ١٥٨٧ ، ١٣٦٩

• ٢٨٤٣ — ٢٨٤٠ ، ٢٣٧٤

• ٣١٣٢ — ٣١٢٩ ، ٣١١٠

• ٣٧٣٢ ، ٣٣٧٦ — ٣٣٧٠

القمر

• ش ١٦٣٨ ، ١٥٥٨ ، ٣٥٤

القنائة

• ش ٥٨٨

القياس

• ١١١

القيامة

انظر ايضا : البعث

• ١٣٣٩ ، ١٣٣٨ ، ٢٩٢

• ش ١٣٣٩ — ١٣٣٨

ك

الكتمان

• ش ١٥٠٠

الكرامات

ل

الذات

. ٢٠١ ، ٢٠٠ .

ش ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ،

. ٥٨٣

اللسان

. ١٧٥٩ ، ٨٤٥

ش ٢٧٧ ، ٢٨٤٠ - ٢٨٤٣ .

لسان الحال

. ٣٦٣٢ - ٣٦٢٥

اللفظ والمعنى

. (انظر : الصورة والمعنى)

م

المال

. ٧٥٤ - ٧٥٢ ، ١٣٣ - ١٣٢

المجاهدة (تصوف)

. ٧٢

ش ٧٢ ، ٣٦٩ ، ٧٣٢ - ٧٣٤ ،

٢٩٩٦ ، ٣٠٠٦ - ٣٠٠٩ ،

. ٣٠١١

المحاسبة (تصوف)

ش ١٥٨ .

المحبة

. ١٥٣٠ - ١٥٢٩

المحبة الالهية

١٣٧٦ ، ١١٦٦ ، ٧١١ - ٧٠٠

١٥٣٣ - ١٥٣١ ، ١٣٧٧ -

٢٥٧٥ ، ١٧٧١ - ١٧٦٢

٣٧٣١ - ٣٧٢٧ ، ٢٥٨١

. ٣٧٤٥ - ٣٧٤٣

ش ٥٩ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١١١٠ -

١١٦٩ ، ١١٦٣ ، ١١١١

٣٧٢٧ ، ٢٥٧٥ - ٢٥٧٤

٣٧٤٦ ، ٣٧٤٣ ، ٣٧٣١

. ٢٧٤٧

المحتسب

. ٢٣٨٧

المراقبة (تصوف)

. ١٥٨

ش ١٥٨

مسجد الضرار

. ٢٩١٠ - ٢٨٢٥

ش ٢٨٣٣ - ٢٨٣١ ، ٢٨٢٥

٢٨٦٤ ، ٢٨٦٣ ، ٢٨٦٠ .

. ٣٠١٧

المشتري (فلك)

. ١٧١٢ ، ١٧٠٩ ، ١٥٤٩

ش ١٥٤٩

المريدون

١٥٩٣ - ١٥٨١ ، ١٥٧٨

- ٣٤٧٢ ، ٣٤٥٧ - ٣٤٥٣

. ٣٤٧٧

ش ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ - ٢٩

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ١٥٨

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤

٥٦٧ ، ١٤٢٧ - ١٤٢٩

١٥٨٠ - ١٥٨١ ، ١٥٨٣

١٥٨٥ ، ١٥٨٧ ، ١٥٩٦ -

١٥٩٩ ، ٢١٥٤ ، ٢٥٨٥

٣٤٣٦ ، ٣٤٥٣ - ٣٤٥٤

. ٣٤٥٦

المشيئة الالهية

• ١٣٠٥ - ١٣١٤

المعجزات

• ٣٥٠٤

المعرفة

- ٢٤٣٨ ، ١٥٣٦ - ١٥٣٥

• ٣٦٧٣ - ٣٦٦٨ ، ٢٤٥٥

• ٣٦٧١ ، ٢٨١٢ ش

معرفة الذات

• ١٠٤ - ٩٠

• ٨٨٤ ، ٩٦ ، ٩١ - ٩٠ ش

• ٨٨٦

الملائكة

• ٣٢٦٨ ، ١٦١٤ ، ١٧٢ ، ١٦

• ١٨١٧ ، ١٧٢ - ١٧١ ش

• ١٨٢٥ - ١٨٢٣

منبل (طب)

• ٢٠٩

ن

النار

• ٢٥٥٥ - ٢٥٥٤

• ٢٥٥٥ - ٢٥٥٤ ش

النجاة (تصوف)

• ١٣١٨ - ١٣١٥ ش

النجوم

• ١٠٩٢

النحس

• ١٥٥١ - ١٥٥٠

الندم

• ٢٧٧٩ - ٢٧٧١

• ٢٧٧٠ ، ٤٨٠ ش

النرد

• ٢٦٤٨ ش

النسبية

- ٣٦٧٤ ، ٣٥٤٤ - ٣٥٣٠

• ٣٦٧٦

النظر القصير

• ٣٢٧٤ - ٣٢٧٠

• ٣٢٧١ ش

النفاق والمنافقون

١٠٧٦ ، ١٠١٧ ، ٢٧١ - ٢٦٨

- ٢٨٨٥ ، ٢٩٠٥ - ٢٨٢٥

• ٢٨٩٢ ، ٢٨٨٧

- ٣٠٨٢ ، ٣٠٢٥ ، ٢٨٧٢ ش

• ٣١٠٩ ، ٣٠٨٧ ، ٣٠٨٣

النفس الحسية

- ٩٠ ، ٧٨ - ٧٧ ، ٢٧ ، ٢١

، ٧٢٩ ، ٤٧٦ - ٤٧٤ ، ٩٢

، ٧٩٤ - ٧٨٢ ، ٧٧٥ ، ٧٣٠

، ١٨٥٦ ، ١٢٥٤ ، ١٠٦٣

، ٢٤٤٥ ، ٢٢٩١ - ٢٢٦٦

- ٢٥٥٩ ، ٢٥٢٨ - ٢٥٢٥

- ٢٦٠٣ - ٢٦٠٢ ، ٢٥٦٨

- ٣٠٣٤ ، ٢٦٨٣ - ٢٦٨١

، ٣٣١١ ، ٣٠٨٥ ، ٣٠٤٥

• ٣٥٠٤ - ٣٤٩٩ ، ٣٤٧٣

• ٥٦٤ ، ٤٧٤ ، ٣٦٩ ، ٢٧٥ ش

- ٧٧٦ ، ٧٧٤ ، ٧٣١ - ٧٢٩

١٠٦٥ - ١٠٦٤ ، ٩٨٥ ، ٧٨٥

، ١١١٥ ، ١٠٨٤ ، ١٠٧٩

، ١٥٥٠ ، ١٥٠٣ - ١٥٠٢

١٥٦.

ش ٦.٣ - ٦.٦ ، ٦.٩ .

و

الوجد

١٤٣٤ ، ١٣٨٥ - ١٣٨١ ،

١٤٣٥ ، ٢٣٢٨ - ٢٣٣٢ .

الوجود والعدم

٦٨٧ - ٦٩٠ ، ٧٦٠ - ٧٦٤ ،

١.٦٨ - ١.٧٢ ، ٢٣١١ -

٢٣٢٢ .

ش ١٦٢٥ .

وحدة الوجود

ش ٥٧ .

الوحي والالهام

١٧.٢ - ١٧.٤ .

ش ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٨١ - ١٨٢ ،

١٣٢٩ - ١٣٣١ ، ٢٥٣٠ ،

٢٥٣٤ ، ٢٩٨٢ ، ٣٢٩٧ ،

٣٥٨٩ .

الوصال (تصوف)

١١٩٢ - ١٢١٤ .

الوعد والوعيد

٢٩٦٥ .

ش ٢٩٦٥ .

الوفاق الروحي

٣٦٩٩ - ٣٧٦٥ .

١٨٥٦ ، ١٨٦٩ ، ٢٠.٩ ،

٢١٣٧ ، ٢١٣٨ ، ٢٢٧٨ ،

٢٢٨١ ، ٢٢٨٥ - ٢٢٨٧ ،

٢٢٩٠ ، ٢٢٩١ ، ٢٣٧٥ -

٢٣٨٠ ، ٢٥٢٦ - ٢٥٢٧ ،

٣.٠٨ ، ٣.٠٩ ، ٣.٨٦ ،

٣٤٧٥ ، ٣٥٠٠ ، ٣٧٨٥ .

النفس الناطقة

ش ١٨٦ - ١٨٧ ، ١٨٨ .

النهم

١٢ .

ش ١٢ ، ٦٢٠ .

النور

٨١٩ - ٨٢٦ ، ٩.٩ ، ٩١٠ ،

١٢٩٢ - ١٢٩٤ ، ١٢٩٧ -

١٢٩٩ ، ١٥٤٢ - ١٥٤٥ ،

١٩٧٥ - ١٩٧٧ .

ش ٤٦ ، ٨٢١ - ٨٢٧ ، ٨٣٩ ،

٩.٩ ، ١٢٨٤ - ١٢٩٣ ،

١٥٤٢ ، ١٥٤٤ ، ١٥٥٩ ،

٢.٢٣ .

النوم

٣٩ .

ش ٣٦ - ٣٧ ، ١٢٣٤ - ١٢٣٥ .

هـ

الهوى

انظر أيضا : الشهوة

١٠ ، ١٢٧٤ ، ١٤٦٨ - ١٤٦٩ ،

١٨١١ ، ١٩٥٧ ، ٢٠١٠ ،

٢٥١٨ - ٢٥٢٠ ، ٣٥٢٢ ،

اليقين

٢٩٨ - ٣٠١٠ ،

ش ٣٠٠٦ - ٣٠٠٧ ، ٣٠١١ ،

٣٧٦٢ ،

ى

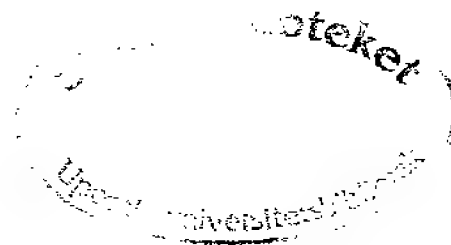
اليقظة الروحية

٣٩ ،

ش ٣٦ - ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ - ٤٣ ،

٤٤ ، ١٣٤٠ ، ١٤٧٠ ، ١٦١٥ ،

تم الكتاب



THE MATHNAWI OF JALAL-UD-DIN RUMI

BOOK TWO

TRANSLATED WITH AN INTRODUCTION & COMMENTARY

BY

MUHAMMAD A. KAFABI, *PH. D.*

Professor of Islamic Literatures, Cairo University

Dean , Faculty of Arts, Beirut Arab University

AL-MAKTABAH AL . ASRIYYAH

Sidon . Beirut

1967

**THE MATHNAWI
OF
JALAL . UD . DIN RUMI**

BOOK TWO



THE MATHNAWI
OF
JALAL - UD - DIN RUMI

BOOK TWO

TRANSLATED WITH AN INTRODUCTION & COMMENTARY
BY
MUHAMMAD A. KAFABI PH. D.

AL-MAKTABAH AL. ASRIYYAH

Sidon - Beirut

1967